
ويلهلم ديتل
سادة الموساد

الطبعة الأولى
1414 هـ ـ 1993 م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
بيروت ـ الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف : ٨٠٢٤٢٨ ـ ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٢٩٦
بيروت ـ المصيطبة ـ بناية طاهر هاتف : ٣٠١٠٣٠ ـ ٣١١٣١٠
ص.ب : ١١٣/٦٣١١ تلكس : LE ٢٠٦٦٥ ـ ٢٠٦٨٠ ـ لبنان

ويلهلم ديتل



(ملف المرأة التي اغتالت أخطر القيادات الفلسطينية)

(وثائق وأسرار مثيرة من الملفات السرية للموساد الاسرائيلي)

ترجمة

فريق من الاختصاصيين

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

هذا الكتاب ترجمة

WILHELM DIETL

die agentin des mossad

Operation Roter Prinz

مقدمة الترجمة العربية

الموساد التاريخ والحاضر: رؤية عربية

يهتم الكثيرون من العرب والأجانب بعقد المقارنات بين القدرات الاستخبارية العربية وبين التجمع الصهيوني في صراعهم الممتد. ولا يقتصر الاهتمام على الخبراء والباحثين المتخصصين، بل يمتد إلى رجل الشارع العادي في الوطن العربي. فمنذ فضيحة لافون عام ١٩٥٤ اكتسبت المخابرات الإسرائيلية سمعة كبيرة وأصبحت متابعة الحروب الخفية بين المخابرات العربية (المصرية غالباً حتى ١٩٧٣) ونظيرتها الاسرائيلية مادة صحفية مشوقة لدى جميع الطوائف والاتجاهات والطبقات في الوطن العربي... ويسعى هذا الكتاب إلى إلقاء الأضواء على طبيعة المخابرات في التجمع الصهيوني من حيث تراثها التاريخي وميراثها العقائدي وهياكلها التنظيمية وأبرز العمليات المخابراتية للتجمع.

أولاً: الجاسوسية في التراث اليهودي ـ الصهيوني قبل ١٩٤٨

لقد جُمعت قوانين الحرب في التوراة في سفر التثنية وهي تحدد أسلوب التعامل مع الأعداء والاستيلاء علي مدنهم، بل تحدد أسلوب الصلح والمفاوضة من منطق الاستعلاء والعنصرية، مزوداً بقوة إلهية جبارة تعضد بني إسرائيل وتحميهم وتضفي الشرعية على همجيتهم.

«إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلاً ومراكب وقوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر» (تثنية/ ٢٠ ـ ١). ثم يقول «أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم» (تثنية ٢٠/٤). وتحدد الاصحاحات ٢٣ (الفقرات ١: ١٦) والاصحاح ٢٤ (الفقرة ٥) قوانين الاحتراز التي ينبغي على اليهود اتباعها كشريعة مقدسة وكمصدر وحي.

وقد طبق يشوع بن نون التقاليد العسكرية التي أرسى دعائمها في مذابح اريحا،

وأصبحت تحظى بالقدسية وتنفذ كما لو كانت طقساً من الطقوس الدينية. ففي الإصحاح الثاني من سفر يشوع العدد الأول: «فأرسل يشوع بن نون بن شطيم رجلين جاسوسين سراً قائلا: اذهبا وانظرا لأرض أريحا» وبعد أن تمكن يشوع من دخول المدينة «حرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم بحدالسيف. وقال يشوع للرجلين اللذين تحسسا الأرض: أدخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها. فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل ما مالها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج المحلة اسرائيل وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها» (يشوع ٦/٢١: ٢٥).

وعندما دخل يشوع إلى عاي تكررت نفس مشاهد أريحا «وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في حقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا. ورجع جميع إسرائيل إلى عاي وضربوها بحد السيف فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً جميع أهل عاي (لاحظ نمط الإبادة للسكان الأصليين) وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم» (يشوع ٨/٢٢: ٢٨).

وهكذا فعل يشوع مع لنبة ولحيش وملك حارز وعجلون وصبرون ودبير وكل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها.

وفي التوراة نماذج قديمة متعددة للرموز أو الشيفرة التي كانت مستعملة في تلك الفترة، منها الأحرف والأرقام العبرية والرومانية اللتان كانتا تكتبان بالأبجدية العبرية فكان يتم اختيار البدائل أو الرموز من بين الحروف التسعة الأولى للألفباء العبرية ثم يتم التعامل معها بطريقة حسابية ليصبح الناتج عشرة. كما اعتبرت البراعة في حل رموز الشيفرة تراثاً دينياً يعتز به اليهود ويتوارثونه جيلًا بعد آخر. وقد حافظ اليهود على ذلك إمّا بدافع الاجلال وإمّا بدافع التشديد والاضطهادات التي تعرضوا لها عبر العصور. ولذلك احتل اليهود معظم المناصب الهامة للجاسوسية والعمل السري في شتى أنحاء العالم. ففي بريطانيا معقل الجاسوسية شجع البيورتيانيون، برئاسة كرومويل، الهجرة اليهودية الى بريطانيا وكان جون ثورلو (رئيس جهاز المخابرات في تلك الفترة) أول من قدر اليهود كعملاء ممتازين للعمل معه لصالح بريطانيا.

وقد أقام التاجر اليهودي حينئذ (انتوينوفيدنا نذيزكانرفايل) شبكة للجاسوسية تعمل لصالح كارفايل وقام بتوزيع أعضائها في جميع أنحاء العالم بينما كان يهودي آخر (سيمون دوكاسيرس) يقوم بالتجسس ونقل أخبار التطورات السياسية الحاصلة في أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي. وبفضل جهود ومعلومات عميل يهودي يعمل في جامايكا استطاع الأميرال بليك التغلّب على الأسطول الإسباني في تيلناريف. وفي القرن التاسع عشر في ألمانيا وروسيا القيصرية كان الاعتماد بشكل رئيسي على اليهود في مجال الاستخبارات. ورغم أن معظم اليهود العاملين ضمن نطاق الاستخبارات برزوا في هذا المجال وأخلصوا لحكوماتهم في ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، إلا أن بعضهم برع في العمل كعميل مزدوج خاصة في روسيا القيصرية إبّان الثورة البلشفية حيث كان البعض منهم يعمل لصالح مخابرات القيصر وفي نفس الوقت يعمل لحساب الثوار. ومن أشهر الأمثلة قضية الجاسوس اليهودي المزدوج (ايفنو آزيف) الذي ثبتت إدانته بعد قيام الثورة بنحو

عشرة أعوام.

ونتيجة لكثرة عمل اليهود في مجال الاستخبارات على مدى العصور وتنوّع الأماكن فقد خلص ريتشارد ديكون، في كتابه عن جهاز الاستخبارات الاسرائيلي، الى القول بأن بعض صفات عملاء الاستخبارات اليهود المستخدمين في نطاق الجاسوسية العالمية هي صفات عامة تدخل في إطار المواهب الطبيعية لليهود في حقل الجاسوسية، ويعدد تلك الصفات بالحياد والقسوة ودقة الملاحظة والاعتناء بالتفاصيل الصغيرة.

ويعتقد ديكون بأن هذه الصفات وجدت بكثرة بعد ذلك في صفوف عملاء «الهاجاناه» والمنظمات الصهيونية الأخرى قبيل عام ١٩٤٨، حيث كان معظم مؤسسي الدولة العبرية أعضاء في جمعيات سرية أو منظمات من هذا النوع، في منشئهم قبل هجرتهم إلى فلسطين، وأنهم ساهموا في مجال التجسس لصالح دولهم أو دول أخرى كبريطانيا أو الولايات المتحدة، رغبة منهم في قيام الأشخاص ذوي النفوذ في تلك الدول بتسهيل أمر إنشاء الدولة. فحاييم وايزمان مثلاً كان على علاقة وثيقة بوليم ستيفنون الذي أصبح الشخص الأول في المخابرات البريطانية العاملة في الولايات المتحدة، خلال الحرب العالمية الثانية.

وكانت الأجهزة السرية تابعة لمنظمة «الهاجاناه» ومنظمة «الارجون» زئيفي لومي (الأرجون) ومنظمة «لوها مي حيروت إسرائيل»، ولقد أصبحت هذه التنظيمات عند حلها على يد بن جوريون بعد نجاح العملية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين، «نواة لجهاز الاستخبارات الاسرائيلي الحالي». وكانت عناصر هذه الأجهزة تتكوّن من الصهاينة المتحمسين والماهرين في الأعمال الاستخبارية من جهة وأعمال التخريب والإرهاب من جهة أخرى. وكانت على اتصال وثيق بعملائها في الخارج وباليهود المتعاونين معها من مختلف الجنسيات وخاصة مع إنكلترا وفرنسا واميركا. ففي أوائل عام ١٩٤٠ أعيد تنظيم جهاز الاستخبارات بعد موجة احتجاز لعناصر «الهاجاناه» على يد القوات البريطانية التي صممت على إنهاء هذه المنظمة. وفي يونيو (حزيران) من نفس العام أفاد أحد عملاء «زوفين زاسلاني»، ضابط الاتصال اليهودي بالمخابرات الجوية الملكية البريطانية في حيفا، أن المباحث البريطانية بدأت بالاهتمام في تنبيه «الهاجاناه» وتنظيمها وأنها تراقب نشاطات صيادي الأسماك اليهود الذين وصلوا إلى البلاد بصورة غير شرعية. وأنشأت قيادة «الهاجاناه» قسماً لمكافحة التجسس يعمل كجهاز أمن داخلي لكشف اليهود المتعاملين مع السلطات البريطانية ولمراقبة الجناح المنشق (الأرجون). تولى شاؤول ميروف المسؤولية الكاملة عن الجهاز وأشرف على تنظيمه دافيد شاليتل وهو ضابط سابق في الفرقة الأجنبية الفرنسية وتاجر معروف بـ «تشافازتي». وتم إنشاء قسم للشؤون العربية بإشراف عزرا دانين أحد اليهود من سكان يافا وذو العلاقات القوية بالعرب مع أنه لم يعمل لصالح «الهاجاناه» بشكل رسمي واحتفظ بوضع مستقل. وكانت معظم نشاطات «الهاجاناه» الاستخبارية عام ١٩٤٠، ١٩٤١ موجهة ضد اليهود الذين يتعاملون مع البريطانيين. كذلك أجريت تحريات واسعة حول المجرمين والنساء اليهوديات، اللواتي أقمن علاقات وثيقة مع سلطات الانتداب، وأنشيء كذلك قسم خاص لمراقبة اليهود الشيوعيين ثم وضع حوالى ٢٠٠ شخص تحت المراقبة، ومع أنه ثبتت عدم صحة العديد من التهم والشبهات فقد تعرض البعض للضرب والتحذيرات

القاسية، ولكن في الحالات الهامة أي عندما تكشف المباحث البريطانية مخابىء أسلحة لـ «الهاجاناه» أو توقف بعضهم تفيد قيادة مكافحة التجسس القيادة الوطنية عن الوضع وتطلب تنفيذ حكم الموت. ويخجل التاريخ الرسمي لـ «الهاجاناه» من ذكر الأرقام لكنه يذكر صراحة أنه تم إعدام العديد من المخبرين والخونة في تلك الفترة، وبذلت جهود كثيرة لمراقبة المنشقين الصهاينة خصوصاً عندما حاول (الأرجون) معرفة مخازن الأسلحة لـ «الهاجاناه» وكان يستخدم خططاً ويمارس ألاعيب عديدة لإحداث انشقاقات داخل «الهاجاناه».

وتم إنشاء (الموساد: لو علياه بيت) عام ١٩٣٧ ويقف وراء فكرة إنشائه الياهوغو لومب وشاؤول افيكور وهو مهاجر يهودي من لاتفيا وصهيوني متحمس. وكان الموساد قد أنشىء كجيش سري تابع لـ «الهاجاناه» وتركّز عمله في تنظيم الهجرة غير الرسمية لفلسطين وتهريب الأسلحة ثم توسعت مهامه لتشمل جميع أنواع أعمال الاستخبارات والجاسوسية خارج نطاق حدود فلسطين إضافة إلى أعمال مكافحة الجاسوسية المضادة ومعاقبة اليهود الخارجين على رغبة «الهاجاناه». وقد حصل على شهرة واسعة في هذه المجالات ووصلت أعماله فيها، حسب رأي الصهاينة، إلى درجة الامتياز بفضل جهود سابروين وبن جوريون وأشكول إضافة إلى البعض الآخر الذي كان منظما سابقاً إما في جهاز الاستخبارات البريطاني وإما في مدرسة الجاسوسية البريطانية لغرض التدريب مثل موشي ديان وأبا إيبان.

وقد بدأ الموساد يأخذ شكله التنظيمي كجهاز مصغر ومتقدم للاستخبارات عام ١٩٤٢ حيث تم تسجيل ٤٠ عضواً وعضوة في دورات تدريبية خاصة بالمسائل الاستخبارية وذلك في مدرسة للتدريب الزراعي في «ميكفاه» بفلسطين وشملت الدورة إلى جانب أمور أخرى قراءة الخرائط وحل رموز الشيفرة والرمي وتدبير طرق ووسائل الهرب.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٤٠ اقترح ميروف على قيادة «الهاجاناه» وعلى موشي شاريت إنشاء هيئة معلومات مشتركة على صعيد البلاد عرفت بالعبرية (شاي) وفي سبتمبر (أيلول) دخل هذا الاقتراح حيز التنفيذ وأصبح قسم مكافحة التجسس أحد الأقسام الثلاثة للهيئة الجديدة. وفي مارس (آذار) ١٩٤٢ حل إسرائيل زافلودروفسكي المعروف باسم أمير مكان شالتيل وعين رئيساً لـ (الشاي) وهكذا توحدت أخيراً مختلف أقسام الاستخبارات التابعة لـ «الهاجاناه» تحت سقف واحد في تل أبيب، تعمل تحت غطاء مؤسسة تنمية الجنود. وكانت أهداف (الشاي) حتى عام ١٩٤٨ هي تطوير عملية تأسيس التجمع الصهيوني والتسلل الى مؤسسات الانتداب للقيام بعملية تقييم للمواقف البريطانية لصالح القيادة الصهيونية، حتى يمكنها أن تتخذ المواقف الملائمة، هذا إلى جانب جمع المعلومات السياسية التي يمكن استخدامها في الدعاية الصهيونية واختراق المؤسسات العربية، وتلك المعادية للصهيونية في فلسطين والدول المحيطة بها، بالإضافة إلى إعطاء غطاء أمن لتهريب السلاح وبرامج الهجرة غير القانونية التي كانت «الهاجاناه» تقوم بها.

وكانت (الشاي) تتكون من الأقسام التالية:

١ ـ التجسس السياسي (ماخلا كيت ميدينيت).

٢ ـ مكافحة التجسس والأمن الداخلي (شيروت بيتاشون كلايتي).
٣ ـ المخابرات العسكرية (شيروت مودين).
٤ ـ فرع البوليس في المخابرات العسكرية (شيروت مودين شيل ميتل آرتزي).
٥ ـ مخابرات وأمن البحرية (شيروت مودين في يتاشون كوهوت هايام).

وكانت هذه الأقسام الخمسة تعمل بشكل مستقل عن بعضها البعض تحت إمرة الوزارات المختلفة التي كانت مسؤولة عن الجهاز الأمني التابع لها بشكل فردي. وتعددت شبكات (الشاي) لتشمل الدول العربية والأجنبية متسترة وراء نشاطات متعددة، كالأندية الرياضية ومنظمات عالمية وجمعيات خيرية، وكانت تجمع المعلومات في المجال الداخلي والدولي إضافة الى القسم العسكري المعني بجميع الأمور العسكرية.

وقد أنشىء في هذه الفترة ضمن جهاز (الشاي) القسم البريطاني الذي لم يكتف بالتجسس لصالح بريطانيا فقد وإنما كان مهماته نقل المعلومات الكاذبة عن نشاط الصهاينة إلى البريطانيين للتشويش على السلطات البريطانية في فلسطين المحتلة.

ولذلك فإنه قبل عام ١٩٤٨ كان جهاز الاستخبارات جاهزاً وعلى مستوى مرض لأداء المهمات في الدولة العبرية الجديدة، وذلك سواء من حيث التخصص أو الأفراد أو الأسلوب، كما أنه كان وثيق الصلة بمعظم أجهزة الاستخبارات الدولية وله وكلاء منتشرون في جميع أنحاء العالم.

ثانياً: الاستخبارات الصهيونية بعد ١٩٤٨

عقب إعلان الدولة العبرية واستيلاء «الهاجاناه» على السلطة تم الاتفاق على حل معظم التشكيلات السابقة، وتشكيل جهاز مركزي للاستخبارات، وقد قام بن جوريون بانتخاب معظم عناصر هذا الجهاز من «الهاجاناه» ليتأكد من استلامهم للمناصب القيادية، ولكنه استفاد أيضاً من العناصر الممتازة الموجودة في التنظيمات الأخرى، لذلك نلاحظ أن جهازه ضم أكفأ الخبرات الموجودة، إضافة الى العديد ممن تعاون معهم خارج فلسطين، ويشكل هؤلاء مجاميع متنوعة من الحرف والمؤهلات كالمتخصصين في مجال تزوير الوثائق والهويات أو في مجال الاتصالات والجواسيس وعناصر الاستخبارات الأخرى، كالعلماء اليهود في الخارج، وقد عقدت في ٣ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ الجلسة الأولى الخاصة بتشكيل جهاز الاستخبارات بتنظيمه الجديد، وذلك في مقر قيادة مصلحة المعلومات في شارع يهودا ٨٥.

وتقرر في الاجتماع أن يتفرع الجهاز الى ثلاث دوائر متخصصة:

١ ـ الاستخبارات العسكرية ويترأسها المقدم أيسر بئيري ومقره في جادة القدس بيافا.

٢ ـ الدائرة السياسية في وزارة الخارجية ويرأسها بوريس غوربال ومقرها مبنى الخارجية في هيكتريا، ومهمتها الحصول على المعلومات من السفارات في الخارج. وقد اندمج الموساد ضمن هذه الدائرة في تلك الفترة المبكرة من عمر إسرائيل.

٣ ـ الأمن الداخلي (الشين بيت) ويرأسها أيسرهارئيل وتشمل مهمته ملاحظة الجواسيس وحفظ الأمن الداخلي.

وفي أبريل (نيسان) عام١٩٥١ أصدر التشكيل الثاني للجهاز، إثر إقالة ايسر بثيري فقد قرر رئيس الوزراء بن جوريون ومجلس الوزراء إعادة تنظيم البنية الأساسية لأجهزة المخابرات والأمن الاسرائيلية تنظيماً شاملاً بعد أن دق ناقوس الخطر بسبب جو عدم الثقة السائدة بين الأجهزة المتعددة. وعمل بن جوريون على دمج الدائرة السياسية التابعة لوزارة الخارجية، وأنشأ جهازاً رسمياً متخصصاً بالمؤسسة المركزية للاستخبارات (الموساد) بشكله الحديث، وعهد برئاسته إلى راؤبين شلواح، كما أسندت إدارة الاستخبارات العسكرية الى حاييم هرنروج واستمر أيسرهائيل في منصبه كرئيس للأمن الداخلي (الشين بيت). وتعددت دوائر الاستخبارات بعد ذلك، وشكت من عدم الاستقرار وحدة المنافسة فيما بينها حتى عام ١٩٥٣، حيث صدر أول تنظيم رسمي للاستخبارات الاسرائيلية، بناء على قرار من بن جوريون، يقضي بإعادة تنظيم الجهاز، إضافة الى إنشاء لجنة تنسيق تضم جميع وحداته، ونبع ذلك من رغبة بن جوريون في المحافظة على التنسيق والوحدة بين وحدات الجهاز المختلفة فتم تعيين أيسرهارئيل (أيسر الصغير) رئيساً للموساد مع احتفاظه برئاسة الشين بيت.

وتجمع لجنة التنسيق (اللجنة العليا لرؤساء الاستخبارات) خمس إدارات تمثل الوحدات المختلفة لجهاز الاستخبارات الاسرائيلي وهذه الوحدات هي:

١ ـ المؤسسة المركزية للاستخبارات والأمن (الموساد). وتقرر أن تكون المصدر الرئيسي لجمع المعلومات في الخارج وأن يكون خاضعة مباشرة لرئيس الحكومة ووزير الدفاع.

٢ ـ المؤسسة العسكرية (أمان). وتسمى دائرة الاستخبارات في القيادة العامة، وتكون خاضعة لرئيس الأركان ووزير الدفاع، ويتركز عملها في عدة مجالات، أهمها تحضير الدراسات والتقارير في المجال العسكري والاستراتيجي والاستخباري وعهد إلى مديرية الاستخبارات القيام بجمع المعلومات عن التكوين العسكري للعدو العربي وجمع المواد المطبوعة التي تتطرق إلى موضوعات عسكرية، ووظيفة هذه الدائرة تشبه إلى حد بعيد وظيفة خدمات الأمن في المجالات المدنية.

٣ ـ خدمات الأمن العامة لوزارة الداخلية (الشين بيت). ومهمتها الإشراف على الأمن الداخلي في الدولة والبحث عن الحركات السرية واكتشافها والقضاء عليها والقيام بمكافحة التجسس وبتعقب مصادر التجسس المحتملة كما أنيطت بها مهمة منع النشاطات المعادية داخل الدولة وتقرر أن تكون تبعيتها المباشرة لوزير الدفاع.

٤ ـ فرع المهمات الخاصة في الشرطة. وقد شكلت لغرض إتمام الجانب العلمي في نشاطات خدمات الأمن العام، ومعظم واجبات هذا الفرع هي تقديم المساعدة إلى خدمات الأمن وإبعاد الأجانب غير المرغوب فيهم عن البلاد ومراقبة الأجانب الذين يزورون البلاد. ويرتبط هذا الفرع بشرطة اسرائيل ويتبع المفتش العام ووزير الشرطة.

٥ ـ قسم الأبحاث في وزارة الخارجية. وكان عمله محصوراً في التجسس وفي جمع المعلومات الواردة وتحليلها، خاصة التي ترد من البعثات الدبلوماسية في الخارج وموظفي وزارة الخارجية وهو تتبع وزارة الخارجية.

وقد نجح أيسر الصغير في التنسيق بين وحدات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي المختلفة أيما نجاح رغم حدة المنافسة التي تميزت بها فترة رئاسته للجنة التنسيق

وخاصة بين وحدتي الموساد وأمان. وقد ترك أيسر بصمات واضحة على سير عمل
الموساد من النواحي الإدارية والتنظيمية وعلى مستوى تحمل المسؤولية واختيار الا ر
يفيد تميز هذا المجال حتى الآن.

آليات عمل الموساد

الموساد الذي سمي أساساً «ها موساد ليئوم» (مؤسسة التنسيق) مسؤول عن جمع المعلومات الخارجية والعمل السياسي لاتخاذ القرارات ومكافحة الدور التحرري العربي. وحتى تقوم هذه المؤسسة بعملها في مهمة جمع المعلومات الإيجابية النافعة فإن هدفها الأساسي أن تقوم بالعمليات عن طريق عملائها ضد الدول العربية وممثليها الرسميين ومؤسساتها في العالم أجمع، وخاصة في أوروبا الغربية وأميركا حيث تتصادم مصالح العرب القومية مع المصالح الإسرائيلية. وتعتبر المعلومات الخاصة بالمنطقة العربية خط الدفاع الأول أي إنها تُعطى القيمة القصوى في الأهمية.

ويضم الموساد في تنظيمه الحديث الحالي خمسة فروع هي:

١ ـ وزارة خارجية سرية تقيم علاقات غير دبلوماسية مع دول عديدة.

٢ ـ فرع الشؤون العربية الذي يهتم بإرسال عملاء إلى الدول العربية المجاورة.

٣ ـ فرع الأبحاث الذي يجمع المعلومات ويحللها ويقارنها مع المعلومات المتوافرة لدى دولة ثالثة.

٤ ـ فرع المهام الخاصة الذي يتولّى إرسال مجموعات قتل إلى إحدى الجهات السرية في عمليات تصفية أو اغتيال ويتعامل هذا الفرع مع كبرى الشركات الإسرائيلية، مثل كور للبناء والعال للطيران وزيم للخطوط البحرية.

٥ ـ فرع الاتصال الذي يتولى الاتصال مع المخابرات الصديقة وهو ذو صلات مع مجموعات غير رسمية مثل القوات اللبنانية. ويتبع هذه الدائرة وحدة خاصة بالعمل السيكولوجي المسؤول عن العمليات ضد الفدائيين الفلسطينيين وتساعد على تحطيم معنوية أو شخصية الأشخاص الذي يخشى منهم على التجمع الصهيوني، مستخدمين بذلك طرقاً عديدة ويستهدف الموساد ما يلي:

أ ـ معرفة إمكانيات الدول العربية ونياتها تجاه التجمع وعلاقاتها مع كل الدول الأخرى. وتجمع المعلومات العسكرية خاصة عن الجيوش العربية: تنظيمها معنوياتها تسيلحها ومعداتها. أي كل المعلومات التي تفيد عند حدوث جولة أخرى من القتال. وترصد الموساد النشاط التجاري العربي وخاصة في مجال مشتريات الأسلحة. كما تهتم بمعرفة شخصيات ـ ونيات ـ قادة الدول العربية وسياساتهم الداخلية والعربية، وما يتعلق منها بمناطق القوة الحيوية مثل أفريقيا.

ب ـ جمع المعلومات عن السياسة السرية للدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة وقراراتها على المستويين الداخلي والخارجي وكل ما يتعلق بموقفها من التجمع الصهيوني وجمع المعلومات العلمية عن صفقات الأسلحة لمصلحة جيش الدفاع الإسرائيلي والعمل على جمع المعلومات لاستخدامها في إسكات الجماعات المعادية

لإسرائيل في الغرب.

جـ ـ وفي أثناء الحرب الباردة تركزت أهداف الجهاز في تحديد السياسة الحكومية السوفية تجاه إسرائيل ومشكلة هجرة اليهود وتجنيد الأشخاص من ذوي المناصب العليا في البيروقراطيات السوفياتية والإدارية الشرقية والذين تحركهم النوازع المالية أو الانتماءات الصهيونية.

د ـ ملاحقة المصالح العربية في أوروبا وأميركا ومحاولة الاتصال بأشخاص عرب في جميع الحقول الاقتصادية والعسكرية والسياسية للعمل معهم أو الاتصال بالجهات غير العربية لإقناعهم بعدم التعاون مع العرب.

هـ ـ جمع المعلومات السرية في مناطق عديدة مثل أفريقيا وأميركا اللاتينية وتعتبر الأمم المتحدة هدفاً مهماً للاختراق. ويتسلل عملاء الموساد إلى دوائرها بسبب أهمية المنظمة الدولية في التبادل الدولي وفي إقرار الحلول الخاصة بالصراع العربي ـ الصهيوني.

ويتراوح عدد العاملين في الموساد ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ شخص بينهم ضباط، كما تعمل محطات الموساد خارج المناطق العربية في الشرق بشكل عام تحت ستار دبلوماسي داخل السفارات والقنصليات الإسرائيلية. ويأتي الكثير من الاسرائيليين من الأقطار العربية التي ولدوا فيهم، وهم للبيان كالعرب من حيث التقاليد ولغة الحوار. وتعتمد الموساد على الجاليات والمنظمات اليهودية في الخارج لتجنيد العملاء والجواسيس ولجمع المعلومات العامة.

وتشتمل دورة الموساد التدريبية على منهج أساسي للعمليات للمجندين الجدد والدرجات الدنيا من الموظفين وكذلك على منهج العمليات الميدانية ويلحق كل الضباط الجدد بالمنهج الأول لمدة أربعة أشهر قبل أن يتسلموا وظائفهم وتستغرق الدورة التدريبية كلها حوالى عامين ويضم الفصل الواحد اثنتي عشرة مادة. ويتم هضم التدريب في تل أبيب. أما الذين يقومون بالتدريس في هذه الدورات فهم إمّا مدرسون دائمون وإمّا ضباط للمخابرات وإمّا مسؤولون في الإدارة العامة أو الرئاسة وينبغي على كل الضباط الذين أمضوا نصف المدة في خدمة الأجهزة الاشتراك في الدراسات المتقدمة التي تعقد كل ثلاثة أشهر حول الشؤون الدولية والأهداف الاسرائيلية والتقنيات الحديثة في العمليات التجسسية.

وترسل الموساد بعض الضباط الصغار للدراسة في الجامعات بالخارج ممن يلاحظ ضعفهم في اللغات الأجنبية أو لدراسة تخصصات بعينها. وتعتبر دراسات هؤلاء الضباط في حد ذاتها غطاء ممتازا للعمليات الخارجية ذات الطابع السري. وأحد الأهداف الرئيسية لأجهزة المخابرات والأمن أن يجيد كل ضابط من ضباطها اللغة العربية بطلاقة. ولذا تقام دورة لغوية لمدة تسعة أشهر من كل عام، وترسل وزارة الخارجية اثنين من موظفيها إلى كل دورة. ويحصل ضباط الموساد على نفس الدورة. وللحصول على المزيد من التدريب يتم تكليف هؤلاء الضباط بالعمل في الأراضي العربية المحتلة لمدة عامين لتحسين مهاراتهم في اللغة العربية قبل تسلمهم مهمات أخرى في الخارج.

مهام الشين ـ بيت الصعبة

في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ عندما قبل رئيس الوزراء الاسرائيلي ليفي أشكول استقالة مسؤول حكومي كبير ترأس جهازاً حساساً لأكثر من عشر سنوات مدحته إحدى الصحف دون أن تدري اسمه، وقالت «يديعوت أحرونوت» «لقد قام بوظيفته دون أن يرى اسمه وصورته في الصحافة. ولم يظهر بشكل رسمي إلا نادراً وهذا لا يتوافق مع الاتجاه العام السائد بين أناس من رتبته. وهو طويل القامة مهيب الطلعة ويتمتع بحيوية بالغة لدرجة أنه عندما يدخل إلى المكتب تتطاير الأوراق على الطاولة، ولكن روحه المرحة تقف فيه على رغم محنة اليهود الأوروبيين تحت الحكم النازي» ولم يتكلم إلا ما ندر عن عمله. وبعد مضي ٢٥ عاماً على استقالته قال لأحد الصحفيين الذي حاول إجراء مقابلة معه: «أنا لا أهتم حتى لو كنت هيروديت أنا لست مصدراً عن الفترة التي كنت فيها رئيساً لجهاز الأمن الشين بيت» ويوضح هذا الأسلوب مدى سرية الجهاز والمهام الخطيرة التي يقوم بها. فالشين بيت مسؤول في التجمع الصهيوني عن مكافحة الجاسوسية العربية وخدماتها، وموجهة أساساً إلى الداخل. وهي مسؤولة بصفة مبدئية عن جمع المعلومات عن أجهزة المخابرات الأجنبية الصديقة والمعادية ونشاطها كما تقوم بحماية المسؤولين الاسرائيليين والمؤسسات الاسرائيلية في الخارج كما تقوم برصد كل أشكال التخريب الموجهة بواسطة قوى داخلية أو خارجية.

ولا تملك الشين بيت سلطة القبض على الأشخاص لأن ذلك مقصوراً على وحدة المهمات الخاصة التابعة لقسم التحقيقات بالشرطة الإسرائيلية. وهي على المستوى القومي ومركز رئاستها بالقدس. وعندما تريد اعتقال أحد عليها أن تقدم تقريراً مفصلاً حول القضية وترفقه بطلب القبض إلى وزارة العدل وتقوم الإدارة القانونية بتسليم الطلب إلى وحدة المهمات الخاصة التي تقوم هي نفسها بإصدار القرار وبعملية القبض ذاتها. وإذا ما أرادت القيام بعملية القبض فإنها تبلغ وحدة المهمات الخاصة مباشرة.

وبعد عدوان ١٩٦٧ لم تكن الشين بيت مستعدة لحجم العمل الذي واجهته رغم أنه لم تتبعه جمع الاحتياطيين وخصوصاً الذين يتكلمون العربية فقد مضى وقت طويل قبل أن تصبح قادرة على تنفيذ مهام التجنيد والتدريب للعملاء. وقال أهارون باريف «كنت مرتاحاً جداً عندما تولى الشين بيت كل شيء فلدينا ما يكفينا من الأعمال في فترة الهدوء التي استمرت ١١ سنة» بعد حرب السويس وتطور «الشين بيت» إلى منظمة أمن ومكافحة تجسس وكانت لها مهمتان هما مراقبة الأقليات العربية والتصدي لتهديد عمليات التجسس الخارجية على الأراضي الإسرائيلية ومعظمها من الدول العربية. ولم يؤدِّ إلغاء الحكم العسكري في المناطق العربية داخل الخط الأخضر عام ١٩٦٦ إلى تخفيف الأعباء الملقاة على عاتق المختصين بالشؤون العربية كما أدى إقفال جميع مطارات دول الكتلة الاشتراكية الى تحرير بعض عناصر مكافحة التجسس من بعض المهمات. وتطلب الوضع الجديد بعد ١٩٦٧ رجالا جدداً وطرق عمل مبتكرة وأصبحت تضم ثمانية اقسام للعمل والتنفيذ وهي:

١ ـ قسم الشؤون العربية المسؤول عن مكافحة الجاسوسية ضد العرب وصيانتها. أما الوحدات التي تقوم بممارسة هذا النشاط فهي منظمة في قسمين اساسيين: الدفاع والهجوم. ويعمل القسم من خلال مكاتب في مجالات العمل يديرها ضباط في الفروع المختلفة ويقومون بتقديم تقاريرهم الى قواد المناطق ولكنهم يعتمدون على قسم الشؤون

العربية نفسه للتوجيه والمساندة.
٢ ـ قسم الشؤون غير العربية ويتناول مكافحة الجاسوسية في كل البلاد الأخرى بالتسلل الى الأحزاب المعادية للصهيونية وتتبع النشاط التجسسي الذي تقوم به الدول الأخرى وهو مسؤول عن العلاقات الخارجية وجميع مراسلات جهاز الشين بيت مع أجهزة الأمن والمخابرات الأجنبية.
٣ ـ قسم أمن الحماية وهو المسؤول عن حماية مباني الحكومة والسفارات الاسرائيلية ومباني شركتي «العال» و«زيم» وصناعة الطيران والصناعات الحربية وحماية الشخصيات القيادية. ويقوم القسم بالاتصال بكل ضباط الأمن في كل إدارات الحكومة الإسرائيلية.
٤ ـ قسم العمليات المساعدة: ومسؤوليته تنحصر في مساعدة الأقسام العاملة بالمراقبة والملاحظة وأمن المطارات والرقابة والتنصت والمهمات الخاصة ومكافحة أجهزة الإرسال ولديه مكونات تقليدية تساعد على عمليات مكافحة الجاسوسية وحماية الشخصيات الهامة والتنصت على التليفونات.
٥ ـ قسم التكنولوجيا ويقدم المساعدة للأقسام الأخرى العاملة في الشين بيت في الالكترونيات والميكانيكا والكيمياء وهو يقدم المساعدة الفنية للعمليات في مجالات المراقبة السمعية والبصرية والاتصالات والتصوير والدخول المستقر والرقابة على البريد.
٦ ـ قسم التحقيقات والاستشارات القانونية ويقوم بكل تحقيقات الأمن ومكافحة الجاسوسية التي تعمل فيها شين بيت والتي لا تقدم لـ «قسم المهمات الخاصة» في البوليس ويستخدم جهاز كشف الكذب بشكل جيد ويراجع على مدى إمكانية الاعتماد على مصادر الموساد والمزورين والعملاء المزدوجين.
٧ ـ قسم التنسيق والتخطيط. وهو المسؤول عن تنسيق أساليب الأمن ومكافحة الجاسوسية والتدريب واختيار الأشخاص الذين يتولون وظائف الأمن ومركزية التسجيل ويحتفظ القسم بجميع السجلات للشين بيت ما عدا السجلات الخاصة بالعرب وكل شخص في اسرائيل له سجل عند الشرطة ويمكن هذا النظام اي مكتب من مكاتب الحكومة من مراجعة أي معلومات عن سائر الأفراد في الدولة.
٨ ـ قسم الادارة ويختص بالأعمال العادية لشؤون الأفراد والمالية والتموين والنقل والمواصلات والأمن. وهناك في داخل الشين بيت جهاز لوضع سياسته العامة يسمى إدارة الخدمات وعادة ما يجتمع مرة كل شهر ويتكون أعضاؤه من مديري الأقسام بما في ذلك مديري الإدارات الاقليمية بالإضافة الى من هم في مستوى المديرية من ناحية الرتبة. وتظهر العمليات المخابراتية ان الإسرائيليين ماهرون في المراقبة وعمليات الدخول السري. فكثيراً ما يستخدم الرجال والنساء معاً في مجموعات ثنائية لإبعاد الشبهات وإذا ما توقف الشخص المراقب لاستخدام التليفونات العامة في الطريق يبعث فريق المراقبة الى مركز الرئاسة بذلك. والعاملين بـ «الشين بيت» متخصصون في دخول الشقق الخاصة ويمكنهم بسرعة تفتيش حقائب الزوار وأوراقهم الشخصية وهم يستخدمون آلة تصوير خاصة يمكن حملها لهذا الغرض. ويستطيع فنيو الجهاز إخفاء أجهزة إرسال لاسلكي في حقائب صغيرة وفي قاع فنجان قهوة وفي قاعة بعض أفران الطبخ التي يمكن استخدامها دون المساس بالجهاز الدقيق.

التنسيق بين الموساد وأمان

المخابرات العسكرية الإسرائيلية «أمان» هي المسؤولة عن جمع وإنتاج وتنسيق المعلومات العسكرية والجغرافية والاقتصادية وعلى وجه الخصوص حول الدول العربية. وهي مسؤولة كذلك عن أمن القوات المسلحة والأراضي المحتلة وهي عنصر من عناصر وزارة الدفاع الاسرائيلية وجزء من الأركان العامة لقوات الدفاع الاسرائيلي. وتتكون هيئة رئاسة «أمان» من أربعة اقسام رئيسية هي:

١ ـ قسم الانتاج وهو المسؤول عن تحضير التقديرات القومية للمخابرات والتقارير اليومية والنشرات الدورية التي تحتوي على معلومات خام أو معلومات يتم تحليلها بشكل جزئي. ويعمل في هذا القسم نحو ٢٨٠٠ فرد يشكلون حوالي ٤٠٪ ممن يعملون في «أمان» ويقوم حوالى ستمائة شخص، منهم ١٥ ضابطاً ومحللاً، بعملية إنتاج المعلومات. ويختلف عدد المحللين لأن القسم مزدحم بالمتخصصين الذين يقومون بدراسات خاصة في المسائل التكتيكية والاقتصادية ويرأس هذا القسم نائب مدير المخابرات العسكرية ويقسم بدوره الى الوحدات الجغرافية (الاقليمية) والوظيفية (التكتيكية) والتوثيق (التسجيل أو السجلات). والمركز هو نهاية المطاف بالنسبة لكل الاتصالات الميدانية ومن المفترض انه مشكل ليقدم المعلومات المطلوبة ويوزعها بسرعة وقت اللزوم.

٢ ـ فيلق التجسس وهو المسؤول عن عمليات جمع المعلومات السرية والعلنية بما في ذلك كل نشاط التجسس بالإشارات الى جميع أجهزة المخابرات الاسرائيلية، وهو مسؤول كذلك عن تشغيل عمليات المساندة، ويتبع الفيلق المخابرات العسكرية وهو تحت قيادة ضابط المخابرات الرئيسي، ويتكون هذا القسم من هيئة كبيرة من العاملين في مركز إدارتها، يشرفون على العناصر الميدانية العاملة التابعة لهم. ورغم ان هذا القسم ليس له أي سلطة على قادة المناطق، فإنه قد يفرض بعض الاحتياجات على العناصر الميدانية، ويشرف الفيلق على استخدام كل الأجهزة التكتيكية التي تعمل في العمليات وكل المهمات المفروضة على الفيلق يجب أن يوافق عليها نائب «أمان». وينقسم الفيلق إلى عدة وحدات هي:

ـ جمع المعلومات التي تضم الاتصالات والتجسس الالكتروني وتضم أفرع العملاء.

ـ وحدة التحقيق ووحدة المصادر المفتوحة.

ـ مركز الرئاسة الذي يدير معهد التنمية التكتيكية ويضم فرع الاتصالات اللاسلكية وفرع الخرائط ثم وحدة التدريب المسؤولة عن منهج التجسس الذي يدرّس بمدرسة المخابرات العسكرية.

ولم تتحرك أمان قبل حرب ١٩٧٣ إزاء إشارات التحذير المختلفة مثل سيطرة ليبيا على شركات النفط الغربية والحديث عن حظر نفطي عربي شامل ضد الغرب. وعندما حدثت المعركة الجوية في ١٣/٩/١٩٧٣ حين هوجمت الطائرات الإسرائيلية من قبل «الميغ» السورية، اكتشفت «أمان» الانذار الذي أعلن في القوات الجوية المصرية والسورية واعتبرته نتيجة للمعركة الجوية ثم نظر إليه فيما بعد على أنه دفاعي محض.

واستبعد قسم الأبحاث في «أمان» جميع النشاطات العسكرية للقوات العصرية وأعادها ببساطة لمشروع تحرير ٤١ الذي كان مقرراً أن يبدأ في أول اكتوبر(تشرين الأول). وتنبأت استخبارات الجيش الاسرائيلي بالاستناد الى المشروعات التدريبية السابقة أن المصريين سوف ينقلون الذخيرة ومعدات الجسور ووحدات أخرى الى الجبهة وقد حدث ذلك بالطبع، لكن تعزيز الوحدات في حوران وإلغاء الاجازات وحالة الانذار واستدعاء الاحتياط في الجيش السوري بدت جميعها أكثر إثارة للقلق. ومرة أخرى حكم قسم الأبحاث في «أمان» في ٩/٢٩ أن سوريا لن تذهب الى الحرب ولن تبدأ الأعمال العسكرية. لكنّ قائد الجبهة الشمالية الجنرال إسحق هوفي ووزير الدفاع موشي دايان لم يكونا مرتاحين إزاء الاستعدادات السورية.. ففي اجتماع الأركان العامة أعلن هوفي أن هناك خطراً من هجوم مفاجيء، وقال دايان أنه متخوف من عملية سورية قصيرة وسريعة لانتزاع قسم من أرض الجولان، بينما تحدّث رئيس الأركان أليعازر بثقة عن أن هذا أمر بعيد الاحتمال وان القوات الجوية الاسرائيلية قادرة على التغلب على نظام الدفاع الجوي السوري خلال نصف يوم.

ونتيجة فشل «أمان» الذريع في حرب ١٩٧٣ تشكلت لجنة «أجرانات» للتحقيق من فاعلية الاستخبارات الحربية إثر الصراعات التي اشتدت بين أجهزتها. وقد وضعت اللجنة الخطأ على عاتق الاستخبارات العسكرية وعلى المساعد المسؤول في شعبة الأبحاث العسكرية واقترحت إضافة إلى عدة أمور أخرى تشكيل هيئة مستقلة غير مرتبطة بأجهزة الاستخبارات تتولى التقييم السياسي الاستراتيجي وإلغاء الاحتكار المطلق للاستخبارات تتولى التقييم السياسي الاستراتيجي وإلغاء الاحتكار المطلق للاستخبارات العسكرية وأوصت اللجنة بإقالة رئيس «أمان» إيلي زعيرا ونائبه إرييه شاليف وضابط استخبارات الجبهة الجنوبية ديفيد جبراليا والمسؤول عن مصر في قسم الأبحاث المقدم يونا بندمان من كل عمل في «أمان». وفي المجال التنظيمي كانت توصية لجنة «اجرانات» الأساسية هي كسرا احتكار «أمان» في تصدير المعلومات، وبدء العمل فيما سمي بالتعاون الجماعي في جميع أنواع التقديرات الاستخبارية. وبعد نشر التقرير الأولي تم توسيع قسم الأبحاث في وزارة الخارجية بهدف الحصول على تقديرات لاستخبارات سياسية استراتيجية مستقلة.

وفي الإجمال فقد شددت اللجنة على ضرورة الاستقلالية في البحث والتقييم لكل جهاز وعلى ضرورة احتفاظ كل وحدة بالتقدير النهائي بشكل مستقل عن تأثير الأجهزة الأخرى، خاصة بعد أن اكتشفت اللجنة فشل «أمان» في التمييز الصحيح بين إشارات الحرب الوشيكة والضجة الخلفية التي وقعت هذه الإشارات في شركها.

ولا تقتصر أهمية تنفيذ توصيات لجنة «أجرانات» على إلغاء الصلاحيات المطلقة لـ «أمان» في مجالات البحث والتقدير بل إن جانبا ملحوظا من البحث الاستخباري سيكون مفصولاً في المستقبل، وبعيداً من تأثير الهيئة العملياتية لجيش الدفاع الإسرائيلي.

وبين عامي ١٩٧٤، ١٩٧٦ تم تنفيذ مقترحات اللجنة وتحسن وضع أجهزة الاستخبارات إلى حد كبير. وتم تعيين الجنرال رحبعام زئيفي (غاندي) ليكون مستشاراً لرئيس الحكومة لشؤون الاستخبارات. والجديد في هذا المنصب أنه منصب استشاري لا

سلطة تنفيذية له ولو أن المهمة الأساسية له بقيت بشكل أساسي موجهة ضد نشاطات المقاومة الفلسطينية. كما عمل زئيفي كضابط ارتباط لرئيس الوزراء مع مدير الاستخبارات العسكرية وكان يقوم باطلاع رئيس الوزراء على مختلف وجهات النظر بين أجهزة الاستخبارات مهما تباينت الآراء. وفي عام ١٩٧٧ شكلت الحكومة الاسرائيلية لجنة وزارية لشؤون الأمن والاستخبارات، ويدل ذلك على أهمية جهاز الاستخبارات الاسرائيلي بالنسبة لأجهزة الدولة خاصة مع تولي بيغين السلطة وتشجيعه للعمليات الإرهابية المتطرفة.

خاتمة

لقد اندلعت حرب شديدة وضروس بين أجهزة المخابرات العربية والمخابرات الاسرائيلية لم يكن النصر حليفاً للصهاينة في معظم حالاتها. ولعل أشهرها فضيحة لافون لإحداث وقيعة بين ثورة يوليو ١٩٥٢ والولايات المتحدة وعملية النمر التي قامت بها «الشين بيت» عام ١٩٦٢ لاغتيال العلماء الألمان الذين ساهموا في تحديث الصواريخ المصرية ومحاولة اختطاف طائرات «الميغ» العراقية في ١٦/ ٨/ ١٩٦٦ وفشل الجاسوس ايلي كوهين في اختراق أجهزة الأمن المصرية في أواسط الستينات وعملية «عنتيبي» وفشل أجهزة الاستخبارات الصهيونية في معركة الكرامة عام ١٩٦٨ بالاضافة الى فضائح الجاسوس بولارد عام ١٩٨٥ ضد الولايات المتحدة واختطاف الفني النووي موردخاي فانونو. ومن أشهر عملاء الموساد المرسلين للتجسس على الدول العربية المدعو باروخ زكي مزراحي الذي أرسل إلى اليمن (الشمالي) للحصول على معلومات عن النشاط الفدائي الفلسطيني الرامي الى عرقلة سير السفن الداخلة عبر باب المندب إلى شرم الشيخ. وقد وصل مزراحي (المصري الأصل) إلى اليمن تحت اسم وشخصية أحمد الصباغ من رجال الأعمال المغاربة وألقي القبض عليه في الحديدة في اليمن وهو يتجسس على موعد وصول الأسلحة السوفياتية في ١٨/ ٥/ ١٩٧٢، وكان مزراحي أحد السجناء الذين تم تبادلهم بعد حرب ١٩٧٣ وبطلب خاص من كيسنجر للرئيس السادات. وتم تبادله مقابل ٦٥ سجيناً عربياً كانوا محتجزين في السجون الاسرائيلية بتهمة نقل معلومات إلى مصر ومن ضمنهم عبد الرحيم عبد الرؤوف كرمان الذي استطاع الحصول على أسرار خط بارليف للمخابرات المصرية.

إن العمليات المتبادلة بين العرب والتجمع الصهيوني تحتاج إلى دراسة مستقلة لإيضاح الكفاءة العربية وكشف الستار عن أسرارعديدة وصفحات ناصعة في سجلات الاستخبارات العربية التي تقاعست عن أداء دورها في عصر السلام الأميركي.

وبعد..

كتاب (عملية الموساد Die Agentin des Mossad) للمؤلف والباحث والخبير الألماني ويلهلم ديتل، وهو يحكي قصة واحدة من أخطر عميلات الموساد قاطبة، إنها إريكا تشامبرز التي استطاعت اغتيال علي حسن سلامة الشهير بـ (أبو حسن سلامة) قائد منظمة «أيلول الأسود» المعروفة، وفي ثنايا قصة إريكا يقدم المؤلف وقائع وأسرار عمليات الموساد الاسرائيلي منذ بداياتها وحتى اليوم ١٩٩٢، ويشرح تطور مأساة الشرق

الأوسط وردود فعل المخابرات العربية والفلسطينية على عملياتها السرية.

مراجع المقدمة:

١ ـ قسم الدراسات في المنار ـ المؤسسة المركزية للاستخبارات والمهام الخاصة للكيان الصهيوني (المنار، السنة الأولى، ع ١٠، اكتوبر ١٩٨٥).
٢ ـ عمار نزار ـ الاستخبارات الإسرائيلية (المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، عمار، ١٩٧٦).
٣ ـ ابان بلاك ـ بني موريس ـ الحروب السرية للاستخبارات الاسرائيلية ١٩٣٦ ـ ١٩٩٢. ترجمة الياس فرحات (دار الحرف العربي، بيروت ١٩٩٢).
٤ ـ مجدي نصيف ـ الوثائق السرية للمخابرات الأميركية والمخابرات الإسرائيلية (مكتبة مدبولي، القاهرة. ط ٤، ١٩٩١).
٥ ـ د. رشاد عبد الله الشامي ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ـ (عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٠٢، يونيه ١٩٨٦).

حوار شامل مع المؤلف حول الكتاب وأسراره

أجرى هذا الحوار في القدس بين السيدة اميرة حسن والمؤلف (ويلهلم ديتل) يوم ٧/ ٥/ ١٩٩٢ ونشر في بعض الصحف العربية ومنها الأهرام. ونظراً لأهمية الحوار وخطورة موضوعه نقدمه كاملا قبل الدخول الى الترجمة الكاملة للكتاب.

نص الحوار

□ ماذا عن اسم الكتاب؟

ـ عميلة الموساد.

□ ما اسمها؟

ـ اريكا ماريا وقد كانت من انجح عميلات جهاز الموساد على الاطلاق، حيث انني قمت بتتبع خطواتها وحياتها على مدار السنوات الأربع الماضية. وبالنسبة لي فأنا اقوم بتغطية منطقة الشرق الاوسط منذ ١٣ عاماً لحساب صحف ومجلات. وهذا هو كتابي الخامس. ولقد سمعت عن هذه السيدة في عام ١٩٧٨، عندما تم اغتيال الفلسطيني علي حسن سلامة، حيث جاء ذكر اسمها خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدته منظمة التحرير الفلسطينية والشرطة اللبنانية عقب عملية الاغتيال. وأعلن في ذلك الوقت انها هي التي نفذت عملية الاغتيال ثم اختفت مباشرة بعد الحادث.

□ هل هي يهودية؟

ـ نعم. . . أمها يهودية.

□ وأين ولدت؟

ـ في لندن عام ١٩٤٨.

□ . . . . . . ؟

ـ لا أحد يعرف اي معلومات عنها غير اسمها وتورطها في عملية اغتيال سلامة. . وقد علمت بعد ذلك انها كانت في بيروت وانها كانت عضوا في فريق تابع للموساد وانه تم انزالها بواسطة قارب اسرائيلي في ميناء جونيه، حيث قامت باغتيال علي حسن سلامة واختفت عقب ذلك مباشرة وظهرت في اسرائيل.

□ ومتى عادت لاسرائيل؟

ـ في ٢٢ يناير عام ١٩٧٨ وهو نفس اليوم الذي قتلت فيه علي حسن سلامة. وعلى حسب روايات بن مناشي وهو عميل آخر للمخابرات الاسرائيلية فإن اريكا اعتزلت

العمل في المخابرات عقب تلك العملية الا ان بن مناشي يكذب كما كذب في العديد من المواقف الاخرى. فهو دائم التنقل ويبيع القصص الصحفية والمعلومات المغلوطة، مثلما فعل في قضية الناشر البريطاني ماكسويل وقصة مردخاي فانانو. ويقول بن مناشي ان اريكا اعتزلت بعد عملية الاغتيال وبدأت في العمل بتجارة السلاح مع مايك هراري رئيس فرع فرق الاغتيالات بالموساد.

في عام ١٩٥٨ هاجمت القوة ١٧ ـ وهو الجهاز المكلف بحماية عرفات ـ يختا اسرائيلياً أمام سواحل لارنكا بقبرص، حيث قتلوا ثلاثة اسرائيليين واعلن فيمابعد ان اريكا واحدة منهم.

ولكن ذلك كان خطأ، حيث ان السيدة التي لقيت مصرعها على اليخت كانت امرأة اخرى من مدينة حيفا وكانت تكبر اريكا بعشر سنوات وقد حكم على الفلسطينيين الذين نفذوا العملية بالسجن مدى الحياة في قبرص، وقد اعلنوا خلال محاكمتهم انهم قتلوا المرأة التي قتلت اخاهم علي حسن سلامة. وعقب تلك العملية بأسبوع اغارت اسرائيل في رد انتقامي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس وكان ذلك في عام ١٩٨٥، انها سيدة مشهورة حتى وان لم يعرف اسمها فهي تصنع تاريخا. فبسببها كانت عملية لارنكا ثم جاء الرد الانتقامي الاسرائيلي. وحاليا فإن تلك السيدة موجودة في اسرائيل متخفية وعمرها ٤٤ عاما ولديها صندوق بريد في تل ابيب باسم مستعار هو روث الون وعندما تريد عائلتها في انكلترا مراسلتها فانها تراسلها على هذا الصندوق.

□ هل قتلت علي حسن سلامة فقط أم آخرين؟

ـ لقد قتل عدد اخر من الاشخاص مع سلامة بسبب قوة القنبلة.

□ كيف وصلت للعمل مع الموساد؟

ـ لقد ولدت هذه السيدة في لندن عام ١٩٤٨ ونشأت هناك وذهبت للجامعة في ثاوثهامبتون لدراسة هندسة الري ثم ذهبت من هناك عام ١٩٦٩ الى استراليا للعمل هناك. في عام ١٩٧٢ قررت استكمال دراستها في الجامعة العبرية في القدس. وكان استاذها في ذلك الوقت اشرشيك وانا اعرفه والتقيت به وهو ما زال يذكرها جيدا، وقد اشتركت في اجراء بعض الابحاث عن السيول التي تتعرض لها صحراء سيناء.

وبعد فترة قررت عدم الاستمرار في دراستها وابحاثها حيث كانت تعاني من ضعف في اللغة العبرية والرياضيات ثم اختفت بعد ذلك ولم يرها شخص بعد ذلك في الجامعة، حيث قام الموساد بتجنيدها. واسلوب الموساد في ذلك معروف فهم يرون الاجانب في الشارع. ففي ذلك الوقت كان من الصعب محاربة المنظمات الفلسطينية بواسطة اسرائيليين الذين اذا ما حاولوا الاقتراب لاطلاق النار على فلسطيني مثلا سيتم التعرف عليه فورا ولذلك كانت هناك حاجة لتجنيد اجانب لتنفيذ عمليات الاغتيال في الخارج، وكانت اكبر حالة فشل تواجه الموساد في عام ١٩٧٣ عندما قتلوا مواطناً مغربياً بطريق الخطأ ظناً منهم أنه علي حسن سلامة. في هذه العملية كان هناك ١٦ عميلاً مشتركين وفي بلاد مختلفة مثل الدانمارك والسويد والنمسا وفرنسا، وبعض الاسرائيليين بالطبع. كان ذلك هو الاسلوب السائد فإذا كانت هناك حاجة لبعض الانكليز للانضمام الى فريق اغتيال. يبدأون التحري عن الشخص ومن اين اتى وأين ولد ومن هو؟ ولكي يكون عميلاً للموساد يجب أن يكون يهودياً. ولا يمكن أن يكون مسلماً أو بوذياً مثلا:

ويقومون باجراء التحريات عنك لمدة ستة اشهر، ثم يَدعونك لاجراء بعض التحريات عنك في احد الاماكن الغريبة.. ويخبرونك ان هناك بعض المشاكل الخاصة بجواز السفر.. وعليك بالمجيء الى المكتب الساعة ٢ ظهرا.. ثم تذهب اليهم ويلقون نظرة على جواز السفر..ويخبرونك.. بانهم آسفون فلقد حدث خطأ باستدعائك لان جواز السفر سليم وصالح لمدة خمس سنوات، ولقد أخطأنا باستدعائك وكان يجب علينا استدعاء شخص آخر.. لكن بالمناسبة..هل اعجبتك اسرائيل؟ هل انت سعيد هنا؟ ما رأيك في العرب؟.. ما رأيك في اليهود؟.. ما رأيك في منظمة التحرير الفلسطينية؟ وتدريجيا ينشأ نوع من الاتصال بينك... وبينهم.. وبعد ذلك في غضون شهرين يقومون بالتحري عنك مرات عديدة ثم يستدعونك مرة اخرى... ويخبرونك انهم يعرفونك الآن جيداً.. وانك شخص مناسب ولك افكار رائعة.. ويقولون لك « تعلم اننا مهددون من قبل العرب وهم يريدون القضاء على دولة اسرائيل.. وان الاعداء يحيطون بنا.. وعلينا ان ندافع عن انفسنا.. ويمكنك مساعدتنا في هذا الشأن... ونحن متأكدون من وطنيتك.. ونحن في موقف صعب.. ونرجو منك مساعدتنا ». وبعد ذلك.. وكما اعرف.. ان نحو ١٠٪ من هؤلاء الناس، يوافقون على ذلك، ويقولون نعم سنساعدكم. لكن ماذا يمكننا ان نفعل؟ فيقولون لهم هناك بعض الدروس والتدريبات التي يجب عليكم ان تتعلموها أولاً.. وهم لا يخبرونهم أنهم يعملون لصالح الموساد، ولكن يقولون، انكم تعملون لصالح الحكومة او وزارة الدفاع... وبعد فترة عمل غير قصيرة يخبرونهم انهم يعملون للموساد، وان الموساد هو الصفوة في اسرائيل.. ويجب ان تسعد بكونك تعمل للموساد.

عمليات تجنيد الأجانب

أما في الوقت الحالي، فإنني لا اعتقد ان الموساد ما زال يجند اجانب للعمل معه، واعتقد ان جميع العاملين به من الاسرائيليين، ربما يكون هناك عدد قليل جداً من الأجانب، أما في ذلك الوقت في عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣ فلقد كانت حرب بين الموساد ومنظمة ايلول الاسود، وكانت هناك حاجة ماسة لاعداد كبيرة للقيام بأعمال الاستخبارات أما اليوم فلا توجد حرب من هذا النوع، لكن قد توجد فرق للاغتيالات لقتل ابو جهاد، لكن هذا قد تم على ايدي الجيش الاسرائيلي بالتعاون مع الموساد، لكن في ذلك الوقت كان القائمون بعملية الاغتيالات هم من المدنيين، وليس من الجيش كما هو الحال الآن، حيث قاموا ببعض الاعمال في نيقوسيا ضد رجال منظمة التحرير، وفي باريس وغيرها.. مثل محمود الهمشري، ومحمد بوضياء وهم من اعضاء ايلول الاسود، ولقد نفذ هذه الاعمال رجال من المدنيين.. وذلك في نطاق عملية عسكرية في وسط روما..

فترة تدريب سنتين

□ دعنا نتحدث عن اريكا ـ كيف تعرفت على ممثل منظمة التحرير في لبنان؟

ـ لقد قضت سنتين في التدريب هنا حتى تصبح عميلة لدى الموساد وانني احاول في الكتاب ان اشرح كيف يقوم الموساد بتدريب الاشخاص والدروس التي يتلقونها؟

□ وكيف عرفت ذلك؟

ـ عن طريق اناس عملوا او يعرفون عنه شيئاً، ومن بعض الصحفيين الآخرين الذين قاموا ببعض الابحاث عن الموساد مثل دافيد كيمي. والواقع ان قلة من الصحفيين هم الذين تمكنوا من معرفة اشياء عن الموساد، واذكر هنا استروفسكي الذي نقلت عنه في كتابي وخاصة ما يتعلق بالتدريب.

□ هل قابلته؟

ـ لا... لم اتمكن.. لكنني حاولت.. كنت ارغب في لقائه وانا في نيويورك، وكان على وشك نشر كتابه في المانيا بعد اربعة شهور، ولقد اخبروني انه لا يمكنك لقاءه الا عندما يطرح كتابه في السوق ـ وهذا هو سبب عدم تمكني من لقاء استروفسكي، ومع هذا فلقد نقلت عن كتابه.

□ هل تصدق كل ما جاء بهذا الكتاب؟

ـ لا... فيما عدا الصفحات الخاصة التي وردت عن التدريب الذي يقوم به الموساد، أما الباقي فهو غير صحيح، ويرجع ذلك الى انه لم يعمل لدى الموساد، ولكنه قضى فترة تدريب به، ثم طردوه منه عندما انتهى تدريبه اما بقية الكتاب فقد كانت عن قضايا وبتناوله اياها نسي العديد من الأشياء والأماكن والأسماء وأخطأ في بعضها حيث لم يتذكر الا التي وردت على الكومبيوتر اثناء فترة التدريب.

ونعود ثانياً إلى ماريا التي قضت فترة تدريب من عام ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥. وفي مايو ١٩٧٥ غادرت اسرائيل الى انكلترا لقضاء بعض الوقت هناك ولتستخرج جواز سفر جديد، وتبدأ حياة جديدة تحت اسمها الحقيقي حيث يجري الاستعداد لقتل علي حسن سلامة.

□ لماذا علي حسن سلامة بالذات؟

ـ كان اسمه ما زال موجودا على قائمة الاغتيالات، بعدما قتلوا اغلب ما في هذه القائمة.

□ مثل من؟

ـ مثل محمد بوضياء، ومحمود الهمشري... وفي عام ١٩٧٣ قاموا باغتيال قيادات ايلول الاسود مثل كمال عدوان ويوسف النجار وهو رئيس هذه المنظمة.. وكان ابو اياد هو الرجل الثاني بعده.

□ هل قابلت احدا من رجال منظمة التحرير للحصول على معلومات؟

ـ نعم.. لكنني لم اخبرك باسمائهم لانهم لم يتحدثوا الي بصفة رسمية ولقد حدث ذلك مرات عديدة في بيروت.

□ اين؟

ـ في اماكن عديدة، والآن اذهب الى تونس للحصول على المعلومات وليس الى بيروت لأنه لا يوجد بها الآن من يمكنه اخباري عن هذه المعلومات.

□ هل تقابل هناك اناسا في مراكز بارزة ام اناسا عاديين؟

ـ لا ليسوا عاديين، ولكن من مسؤولي الأمن في منظمة التحرير، من ادارة ابو

اياد.

□ ما هو الجديد في كتابك؟

ـ قصة حياة ماريا تشامبرز كاملة، وكذلك رئيسها مايك هراري، وقد عادت ماريا الى لندن عام ١٩٧٦. وغيرت جواز سفرها وبدأت حياة جديدة كعميلة للموساد. وبعد ذلك باسابيع توجهت الى المانيا بالقرب من نورمبورج، وحاولت الدراسة من جديد في مجال هندسة الري فوفق على طلبها ولم تعد مرة ثانية. بعد ذلك انتقلت الى فيسبادن وطلبت الحصول على اقامة لمدة خمس سنوات وكانت تعمل لحساب الموساد لمراقبة الفلسطينيين هناك وتنتظر اللحظة المناسبة لاغتيال علي حسن سلامة. في ١٩٧٨ انتقلت لكي تعيش في كولونيا حيث استمرت هناك حتى جاء موعد تنفيذ عملية اغتيال سلامة، ويشرح الكتاب جميع هذه التفصيلات حول تنقلاتها هذه.

في عام ١٩٧٨ توجهت الى بيروت تحت غطاء انها ممثلة لمنظمة لإغاثة الأطفال. وكانت تستخدم بطاقة تعارف باسم منظمة حقيقية مقرها في جنيف كانت تذهب الى دور الايتام في بيروت والمستشفيات وقابلت فتحي عرفات وغيره واصبحت شخصية معروفة لدى الفلسطينيين.. ثم بدأت تحوم حول مسكن علي حسن سلامة، حيث كان يعيش مع جورجينا رزق.

وفي بعض الاحيان عندما كان يسألها من يرونها كانت تدعي مازحة انها تطعم الكلاب والقطط الضالة في الطريق.

وفي شهر ديسمبر عام ١٩٧٨ استأجرت شقة في مواجهة منزل علي حسن سلامة في بيروت وكانت شقتها في الدور السابع وكانت تكشف شقة سلامة والطريق الذي تسير فيه سيارته.

وفي ٢٢ من شهر يناير عام ١٩٧٩ انفجرت سيارة بعد ان زرعت قنبلة بها بالقرب من سيارة سلامة وقد عاونها في ذلك رجلا موساد دخلا لبنان قبل تنفيذ العملية احدهما يحمل جوازاً بريطانياً والثاني جوازاً كندياً أما الجواز البريطاني فكان مزوراً، في حين كان الجواز الكندي حقيقياً لطالب كندي واسمه رونالد كولبرت من فانكوفر بكندا. والجواز الانكليزي كان باسم بيتر ستراوسر.

جاء الاثنان واقاما في فندقين مختلفين وجهزا السيارة الملغومة وزوداها بـ ٥٠ كيلوغراما من المفرقعات وكانت السيارة مؤجرة وطرازها فولكس فاغن ووضعوها في طريق سيارة سلامة. وقد رحل أحد الرجلين قبل تنفيذ العملية، في حين قام قارب اسرائيلي بالتقاطها هي والرجل الثاني من ميناء جونيه ووصلا إلى اسرائيل في نفس ليلة الحادث.

عمليات العميل هراري في الدول العربية

بالنسبة لمايك هراري، فإن عائلته ترجع الى اوروبا الشرقية، قبل ان تستقر لفترة في حلب بسوريا ثم تهاجر الى فلسطين. وقد ولد عام ١٩٢٧ وسرعان ما انضم الى قوات الهجاناه والبالماخ وكان من اوائل من انضموا الى جهاز الموساد والذي بدأ نشاطه بمساعدة يهود اوروبا للهجرة الى فلسطين. وقد اقام في ايطاليا فترة طويلة ويجيد الايطالية. وقد قام في تلك الفترة بالعديد من الأعمال سواء بمساعدة اليهود في الهجرة

او بجلب السلاح. كان في الحادية والعشرين من العمر في ذلك الوقت، ثم جاء عام ١٩٥٣ لينضم ضمن اوائل من انضموا الى الموساد. ثم ارتقى في الجهاز وقام بالعديد من العمليات في الدول العربية.

ولا أعلم أي دولة عربية فمن الصعب اكتشاف ذلك الآن، إلا أنه كان ضابطاً نشيطاً سواء في اوروبا أو في الدول العربية، وأخيراً في عام ١٩٦٧ تحت رئاسة مائير عميت مدير الموساد تولى رئاسة القسم السري وكان ذلك قمة السلم في العمل السري القذر في الموساد. وفي عام ١٩٧١ أسست منظمة التحرير «ايلول الأسود»، عندما ترأس هراري فريق الاغتيال. وقد تم تأسيس فرق الاغتيال في الموساد بعد عملية ميونيخ التي قتل فيها ١١ اسرائيلياً عندما اعلنت جولدا مائير انه يجب القتال بكل الوسائل.

وبدأ نشاط فرق الاغتيال تحت اشراف هراري الذي كان يستخدم اناسا مثل اريكا تشامبرز لاغتيال الفلسطينيين.

وقد اعتزل هراري العمل في الموساد في عام ١٩٧٩. وتولى ادارة شركة للتأمين، لكنه سئم هذا العمل فعاد الى الموساد وطلب منهم اسناد عمل آخر له، فتم ايفاده الى مكسيكو سيتي عاصمة المكسيك ليصبح ممثل الموساد في اميركا الوسطى.. ومن المكسيك انتقل الى بنما وأعجبه النظام هناك واعجب بأسلوب زعيمها مانويل نوريغا واصبح صديقاً له. وفي عام ١٩٨٥ اعتزل العمل في الموساد لانشغاله التام في صفقات السلاح. وقد اصبح هراري بمثابة الأخ لنوريغا وكان مستشاره في كل شيء كما كان يقوم بتدريب المخابرات في بنما والحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية، وكان يشتري السلاح لبنما. ولدي صورة تجمع الاثنين اثناء زيارتهما لاسرائيل في عام ١٩٨٤، حيث اصبح هراري فيما بعد قنصلا فخريا لبنما في اسرائيل وقد كان اكثر نفوذا وقوة من السفير البنمي في اسرائيل.

وكان سفير بنما في ذلك الوقت الكولونيل هيرنيرا حسن ـ هناك العديد من المسلمين في بنما ـ وكان لا يلقى بالا لنفوذ هراري في اسرائيل طالما يقوم بالعمل عنه.

وكان يقول: انا السفير ولكن هراري هو الرئيس. كان هراري هو حلقة الوصل بين الدولتين. عندما كان رجال الاعمال الاسرائيليين يريدون عقد صفقات مع بنما كان يستقطع لنفسه ٣٠٪ كعمولة و٣٠٪ اخرى لنوريغا لقد كان هراري محتكر لبنما وكان لديه منزل جميل هناك مجاورا لمنزل نوريغا. وهناك كلام حول تورطه ايضا في تهريب المخدرات وغسل اموالها القذرة القادمة من (مديين في كولومبيا هذه التهم وجهتها السلطات الاميركية له).

وهناك قصتان حول الغزو الاميركي لبنما. الاولى وتقول انه غادر بنما في اليوم السابق للغزو في رحلة عمل لفرنسا وعندما تم الغزو غادر على الفور اسرائيل، والقصة الثانية ان الاميركيين قبضوا عليه، وخاصة انه صدر بيان اميركي عقب الغزو اكد انه تم القبض على مايك هراري ـ وكان مطلوبا من قبل السلطات الاميركية ـ ثم في اليوم الثاني اعلن انه لم يتم القبض عليه وانما تم القبض على سائقه الخاص وكان اسرائيلياً.

ولكنني قابلت مسؤولين عسكريين اميركيين اكدوا لي انه تم القبض عليه إلا أن السلطات الاسرائيلية طلبت الافراج عنه فورا مؤكدة انه لا يمكن السماح بالقبض على هراري، لأنه يعلم الكثير من اسرار اسرائيل لعمله بالموساد منذ عام ١٩٥٣. كما انه لا

يمكن سجنه في اميركا.

وفي اليوم التالي لوصوله الى اسرائيل اعلن هراري في حديث للتلفزيون الاسرائيلي انه ليس ولم يكن في اي وقت مستشاراً ولا شريكاً تجارياً لنوريغا وانه لم يقم بتدريب حرسه الشخصي وانه مجرد مواطن عادي.

وقد طلبت اميركا رسميا تسليم هراري، الا ان اسرائيل رفضت ذلك تأسيسا على كونه مواطناً اسرائيلياً ولا يمكن تسليمه لدولة أجنبية. والآن فهو يعيش في منطقة تدعى افريقيا شمالي تل أبيب، ويعيش في ثراء فاحش.

الباب الأول

جذور العنف

الفصل الأول
الأصول العنيفة
ـ ١ ـ

بيروت في ربيع ١٩٧٢

إن (حي الفاكهاني) أشهر أحياء بيروت، يقع بين الوسط الجنوبي (الشهير بفقره الشديد) لمدينة بيروت وتحديداً بالقرب من مخيم صبرا وشاتيلا الفلسطيني.

وهذا الحي يمثل دائرة تحيط حتى شمال بيروت معسكرات الفلسطينيين، وذلك لأن منظمة التحرير الفلسطينية اعدت مكاتبها باسلوب غير مرتب، وذلك في ربوع بيروت المحيطة بمكاتب (الجامعة العربية)، حيث توجد مكاتب المنظمة وقيادتها في اماكن مجهولة في هذا الحي، وحول هذه الأماكن توجد قوات امن خاصة تحميها ومن يتجه الى حي الفاكهاني، سوف يواجه مراقبة من مقاتلي اقوى جناح لمنظمة التحرير والذي يدعى «فتح»، الذين اعدوا الحواجز المترامية الأطراف.

وعلى كل حال فمعظم الأجانب هناك صحفيون ويريدون الحصول على معلومات والمرء يلاقيه بود ودبلوماسية.

ان الفاكهاني يعد نموذجا للحي المسلم. ودائماً ما تسود الممارسات المحمومة وتجار التموين يبيعون بضائعهم في الشوارع التي تدب فيها الحياة. والسيارات التي غالباً ما تكون من طراز مرسيدس القديم، تتجمع إلى حيث يقوم المرء بتجميعها وسائقو هذه السيارات يتسابقون في إطلاق النفير في ثبات، ومعظم البيوت تتكون من ست الى ثماني طوابق وكل شقة بها شرفة مزخرفة غالباً بالغسيل. وعلى الأسوار صور إعلانات تعبر عن المبايعة للقضية الفلسطينية، ونقش غير منسق بأحرف حمراء كبيرة تعلن «معركة الشعب الفلسطيني لم تنته ولن تنتهي أبداً».

فهم يعايشون هنا منذ الثمانينات معركة مثل معركة واترلو، وسوف يقصف سلاح الطيران الاسرائيلي حي الفاكهاني بالقنابل بلا كلل. فقد راحت اثناء هجوم واحد فقط في يوليو عام ١٩٨١ حياة حوالي ٣٠٠ شخص. وفي صيف ١٩٨٢ سوف تهاجم المدفعية الاسرائيلية الحي، من المرتفعات المحيطة، لأسابيع وتدمره تدميراً. فمنذ ١٩٧٢ وخلال السنوات العشر التالية أيضاً، تعد الفاكهاني فلسطين ـ الصغيرة، أو هي بمثابة عاصمة الدولة، هذه الدولة التي لم يعد لها وجود فعلاً لعشرات السنين.

والأساطير هنا منحت ياسر عرفات اسمه القتالي «ابو عمار»، عمره ٤٢ سنة

ويعد ـ فيما مضى ـ مقاتلاً أكثر منه سياسياً ـ وهو قصير وممتلىء، يرتدي غالبا نظارة شمس سوداء، ويخفي رأسه الصلعاء تقريبا تحت المنديل التقليدي للفلسطيني «الكوفية» لديه جاذبية وهالة ويتعامل كما لو كان «المختار» الذي سوف يعيد لشعبه مرة اخرى ارضه الضائعة.

اضطر هذا الرجل الذي يعد سليل احدى العائلات التي لها شأن كبير في الهيكل الاجتماعي في القدس، اضطر الى ان يرحل عن وطنه سنة ١٩٤٨ بعد اول حرب بين العرب واسرائيل؛ درس في القاهرة ورأس بالفعل في عام ١٩٥٢ منظمة للطلبة الفلسطينيين.

في عام ١٩٥٦ حارب المهندس ياسر عرفات فيما بعد مع الجيش المصري في قناة السويس. وأسس خلال ذلك بالتعاون مع شريك كويتي، شركة مقاولات وقد ازدهرت الشركة وجعلت منه رجلا ثريا.

لم يكن هذا كافياً بالنسبة لهذا الطموح. فهو يتطلع الى تحرير الانسان الفلسطيني من شائبة الفردية والانتهازية.

فالمعركة ضد الفردية والحرفية ومنتهى الانحدار العربي هي فقط ما يجب ان يعيش الفرد من أجله. هكذا اعلن أهدافه المبكرة.

هجر ياسر عرفات في عام ١٩٦٤ حياته المدنية، حيث غادر الكويت مثلما جاء اليها وفي يده حقيبة صغيرة، في ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ امر بقيادة «فتح» ذات الرؤوس الاربعة، لتغطي المنطقة من الحدود اللبنانية حتى اسرائيل، ومن هناك نسف محطة الفتح الخاصة «بيت نثوبا» Beit Netopha وقد انتهت المغامرة نهاية محزنة لأن اجهزة الامن اللبنانية كانت قد ألقت القبض على الفدائيين قبل الحدود بكثير.

وقد اقر المساعد العسكري «لفتح» والذي يدعى «العاصفة» بأنه لم يرتكب هذه الفعلة. وعرفات نفسه، كما روى القدامى في منظمة التحرير، قام بتوزيع الاعلان الصحفي على مكاتب التحرير ووكالات الأنباء في بيروت مستخدما سيارته المسنة الفولكس فاغن، وعلى الفور ادانت الحكومات العربية العمل.

فالعرب لم يكن لديهم الاستعداد لخوض حرب جديدة، كما حدث فيما بعد في حرب ١٩٦٧

فقد كانوا يخشون ان مثل هذه التحديات ربما تؤدي الى نزاع مسلح مع الاسرائيليين قبل الأوان بكثير. ومنظمة التحرير التي كانت آنذاك المنظمة المركزية المسؤولة من سائر الفلسطينيين سياسياً وعسكرياً، وجدت نفسها على أية حال مطالبة بطاعة الزعيم المصري جمال عبد الناصر.

وقد كادت أن تمضي العملية الثانية بطريقة أفضل في يناير ١٩٥٣، حيث اجتاز رجال الكوماندوز الحدود بين اسرائيل والاردن، وتقدم الفدائيون حتى محطة الفتح وقاموا بتثبيت الديناميت هناك. إلا أن الاسرائيليون سيطروا على الموقف بسرعة واستطاعوا إزالة القنابل الزمنية مرة اخرى.

في يونيو ١٩٦٧ احتلت اسرائيل أرضاً عربية جديدة وهي شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان. والمنتصرون لم يعيدوا حتى اليوم سوى سيناء فقط، نتيجة لاتفاقية السلام مع مصر.

اما مرتفعات الجولان والقدس فقد تم ضمهما ـ ليكونا مصدرا للنزاع الأبدي والموضوع الرئيسي لمؤتمر الشرق الاوسط التاريخي، الذي بدأ في نهاية ۱۹۹۱ بمدريد والفلسطينيون انفسهم يقفون منذ عام ١٩٦٧ على خط المواجهة ضد اسرائيل حيث جمع عرفات وبعض القادة المتطرفين سياسيا آنذاك آلاف الفدائيين حولهم. وتراجعت منظمة التحرير عن الدول العربية، لأن الفلسطينيين لا يريدون ان ينخدعوا اكثر من ذلك. حيث تأهبت المنظمة المركزية، لتصبح دولة واصبحت «فتح» هي الأمين على الكرامة.

وبدأ طريق ياسر عرفات الصعب. حيث تم انتخابه عام ١٩٦٩ كرئيس لمنظمة التحرير. وقد شكل المنظمة الجماهيرية فيما بعد لتصبح أداته الشخصية. ووقف الى جانب عرفات منذ البداية رجل يدعى «صلاح خلف» الذي اطلق عليه اسم «ابو اياد». هذا الرجل ولد في اغسطس ۱۹۳۳ في يافا التي كانت آنذاك قرية عربية. وهي اليوم جزء من تل ابيب.

وقد سرد في مذكراته الاخيرة، التجربة التي صاغت له بقية حياته: (۱۳ مايو ١٩٤٨) سيبقى في ذاكرتي ولا يمحى... في هذا اليوم قبل إعلان دولة اسرائيل بأقل من ٢٤ ساعة، هربت عائلتي من يافا لتبحث عن ملجأ في غزة. وقد كنا محاصرين حيث سيطرت الوحدات المقاتلة الصهيونية على كل الشوارع الكبرى المتجهة الى الجنوب، وبقي أمامنا فقط طريق البحر كسبيل للنجاة. وتحت وابل من القنابل الاسرائيلية، التي اتخذت مقراً في المستوطنات المجاورة ولا سيما تل ابيب ـ صعدنا الى ظهر السفينة والداي وإخوتي الاربعة وأنا، وكذلك اعضاء آخرون من اسرتي. وقد راح مئات الآلاف من الفلسطينيين الى المنفى تحت ظروف مأساوية في الغالب. أما بالنسبة لي، حيث لم اكن قد جاوزت الخامسة عشرة بعد، تساوى عندي الهروب بالموت كما جاء في «سفر الرؤيا» فقد هزني بعمق منظر الرجال والنساء العجائز والاطفال الذين انحنوا تحت ثقل حقائبهم واربطتهم واندفعوا بعناء الى ارصفة ميناء يافا. وصرخات عويلهم ونحيبهم مصحوبة بالانفجارات التي تصم الأذان.

عاش صلاح خلف، الذي أصبح فيما بعد الرجل الثاني في فتح في القاهرة لعام ١٩٦٧ حيث تزعم مع عرفات اتحاد الطلبة الفلسطينيين، وكذلك أصبح القائد الجديد، عندما ذهب عرفات إلى الكويت، وقد أنهى رجل يافا دراسته بامتحان المعلمين، ثم عمل بالتدريس لفترة في غزة.

في تلك الأيام، في أواخر الخمسينات نظم هذا البطل بالفعل خلية سرية تلك التي هاجمت أهدافاً اسرائيلية سنة ١٩٥٩ ودخل ابو اياد في عداد مؤسسي «فتح» وأقام في الكويت حتى حرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧. وتخلى عن وظيفته بعد ذلك وأصبح ثورياً. وتولى صلاح خلف قيادة جهاز المخابرات الخاص بمنظمة التحرير والذي يسمى «جهاز الرصد» وهو جهاز موالي للعرب ولا تزال له فاعلية كبرى حتى اليوم.

وبذلك اصبح من الطبيعي ان ينتمي عام ١٩٧١ الى مؤسسي احد تلك الاتحادات التي لا تزال سرية ـ المنظمة الارهابية لفتح ـ وتسمى «ايلول الأسود». ما دام قد عرف هو وعرفات ايضا في الغالب، والذي تخفيه هذه المنظمة العليا في جعبتها من قتلة خطرين. وقد استوحت «ايلول الأسود» اسمها من الحرب الأهلية بين الفلسطينيين والقوات الاردنية التابعة للملك حسين في سبتمبر ١٩٧٠ حيث استقر الفلسطينيون الذين

طردوا من وطنهم غرب نهر الاردن هم واللاجئون منذ عام ١٩٤٨ في الاردن مع الضفة الشرقية. في عام ١٩٧٠ كما أصبح لهم أثراً في كل المجالات في الحياة العامة.

وعندما بدأت منظمات المقاومة الفلسطينية تنال دائما اقبالا اشد اصبحت سلطة الدولة محلا للشك والقلق لأول مرة حيث سار المقاتلون هكذا مسلحون، كما حدث ايضا في بيروت فيما بعد، تسليحا ثقيلا، وبسيارات لا تحمل اشارات مميزة في الشارع.

ونادت الأجنحة الماركسية المتطرفة في منظمة التحرير بحرب طبقية ورفعت الأعلام الحمراء وتجددت المصادمات الدموية دائماً مع قوات الأمن الاردنية.

في فبراير ١٩٧٠ أسست المنظمات الفلسطينية قيادة علىا متحدة. في ٢٠ فبراير طالب البدو فيما بعد ملكهم بأن يضرب الضيوف بيد من حديد. وما لبث ان وقعت مواجهة بين ٥٥ الف جندي اردني مسلحون تسليحا تاما و٢٠ الف فدائي وأسفرت عنها اشتباكات منفصلة.

في يونيو قصف الجيش الاردني لأول مرة معسكرات الفلسطينيين وتم اعدام عدد من الفدائيين الأسرى على الفور. وساوم عرفات مرة اخرى على الهدنة. واصبح الوضع يزداد توترا بشكل دائم، في نهاية اغسطس وقعت معارك مكشوفة من جديد. في ١ سبتمبر حاولت احدى وحدات الكوماندوز اغتيال الملك الأردني، حيث اقتحمت موكبه إلا أن العملية باءت بالفشل.

وانتقلت المعارك في الايام التالية من شارع الى شارع وتم التوصل الى اتفاق جديد بوقف اطلاق النار. وما لبث ان انهار من جديد. وتكررت العملية بشكل آلي عدة مرات.

في هذه الاثناء قام الفدائيون التابعون للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذين يعملون تحت امرة منافس عرفات د. جورج حبش قاموا باختطاف ثلاث طائرات ركاب تابعة للمطار العسكري البريطاني السابق في ميدان داوسون في عمان. في ١٠ سبتمبر تم نسف الطائرات في الجو*. ثم اشتعلت الحرب الاردنية الاهلية، وفي ١٦ سبتمبر الف الملك حسين حكومة عسكرية.

وتحت وطأة الأحكام العسكرية نشبت الحرب والمعارك الضارية. في ١٧ سبتمبر قذفت القوات الموالية للملك حسين المعسكرات الفلسطينية حول عمان. في هذه الاثناء كانت هناك اشتباكات دولية مع القوات السورية كما حرك الاميركيون وحداتهم ووجهوها نحو الشرق أي البحر المتوسط، وبذلك لم يعد هناك أحد يسعى لمساعدة الرجال الفلسطينيين الذين كانوا في موقف حرج.

في ٢٢ سبتمبر اجتمعت جامعة الدول العربية في القاهرة، لحق بهم ياسر عرفات الذي تسلل من عمان في زي بدوي. ووقع مع الملك حسين بعد ذلك بيوم اتفاقية جديدة لوقف القتال. وتعهدت منظمة التحرير بسحب الفدائيين التابعين لها من عمان ليتمركزوا في شمال الأردن.

وقد أحصت لجنة من الأمم المتحدة عدد ضحايا الحرب الأهلية فوجدتهم ٥٠٠ قتيل وحوالى ٣٢٠٠ جريح. بينما تذكر منظمة التحرير حتى اليوم ان عدد الضحايا بلغ ٣٠٠٠٠ قتيلا.

(*) نورد هنا النص الحرفي للكتاب كما وضعه المؤلف (المترجم).

لمنظمة التحرير على غيها. واستمرت حربها الشعبية مع الملك حسين.
في يناير تشدد الملك حسين من جديد وأجبر الفدائيين على تسليم سلاحهم ولا تزال هناك هجمات ضد «الحكم الرجعي» دائما في عمان. لذلك تقدمت قوات الملك حسين في الشمال فضربت الوحدات الأخيرة لمنظمة التحرير.
في ١٣ يوليو ١٩٧١ بدأ الهجوم الخاسم للجيش الاردني ضد الفلسطينيين وواجهوا في مواقعهم الأخيرة المنعزلة في جرش وايلول مذبحة بلا رحمة.
في ١٩ يوليو أعلن رئيس الوزراء الأردني «وصفي التل» تصفية القواعد الاخيرة للفلسطينيين. وقد أقر أبو أياد لرئيس الحكومة المعادي، الذي يعرفه جيداً، في مذكراته فيما بعد، بأنها كانت وحشية لا هوادة فيها و «مكر مفضوح».
ظل كره الفلسطينيين للملك حسين سبباً لوضع الخطط لسنوات عديدة فقد فقدوا أهم موقع لهم ضد اسرائيل، وكان عليهم إعادة تشكيله من جديد في عاصمة لبنان المحبة لجميع الشعوب والبلدان.
لقد كانت ساعة الصحوة وفي الوقت نفسه ساعة الانتقام. حيث بدأ عشرة رجال تحت الكتمان الصارم، في تنظيم «ايلول الأسود»، هؤلاء الرجال حصلوا بالفعل في اغسطس ١٩٦٨ على دورة مكثفة لمدة ستة اسابيع في المخابرات المصرية، عرفوا خلالها القواعد الاساسية للعمل في المخابرات ووكالات الأنباء الرسمية. وفي خريف (اغسطس ١٩٧١) نظموا (أيلول الأسود).

نشأة أيلول الأسود

كان علي حسن سلامة أهم رؤوس عرفات التي مالت للعنف وهو معروف باسم (ابو حسن)، ومحمد داود عودة المعروف باسم «ابو داود» وفكري العماري المعروف باسم «ابو محمد»، ويوجد في القيادة الاصلية ايضا فؤاد شمالي وهو فلسطيني مسيحي، توفي في اغسطس ١٩٧٢ بالسرطان ويوسف النجار «ابو يوسف»، الذي قام الاسرائيليون باغتياله عام ١٩٧٣، وينتمي اليهم غازي الحسيني الذي يميل للسلام وهم من قيادة اركان حرب «ايلول الأسود».
نشأ علي حسن سلامة من عائلة لها مكانتها الى حد ما، انتمى الابن البالغ من العمر ٢٩ عاما للزعيم الفلسطيني الشيخ حسن سلامة الذي اغتاله الاسرائيليون سنة ١٩٤٨. انتمى الى فتح سنة ١٩٦٧، وهو لا ينسجم نوعا ما مع الصورة المألوفة لرجال المقاومة الفلسطينيين الذين يتسلحون بالمدافع الرشاشة.
فهو يرتدي بدلة تفصيل ايطالي رائع، يبدو كما لو كان عاطلا بالوراثة ويتصرف على هذا النحو. ومع ذلك كان عرفات يحبه.
على مر السنين تقرب سلامة من زعيمه، كما لو كان هذا الزعيم يتبناه وقاد قوات الحرس الخاصة بعرفات «قوة ١٧»، وتم إرساله بمفرده لعدة مهمات رسمية خاصة. كان علي حسن بمثابة رئيس عمليات في «أيلول الأسود» وكان يهتم بشغف كبير بالعمليات الاوروبية. وساعده ابو داود في ذلك، بينما رأس فكري العماري قسم الخدمات الخاصة حيث كان يهتم بتوصيل الاسلحة والمواد الناسفة الى المواقع المختصة باستعمالها في

الوقت المناسب.
تكونت «أيلول الأسود» في أيامها الأولى من عشرين عضواً نشطاً على أقصى تقدير، أما في أشد موجات المقاومة لرجال أبو اياد وأبو حسن فقد بلغ تعداد المنظمة حوالى ٤٠٠ رجل. كان تجنيدهم يتم في بادىء الأمر في فتح ووكالة الأنباء الخاصة بها. ولكنهم جاؤوا أيضا من التنظيمات السرية اليسارية الاتجاه في منظمة التحرير الفلسطينية. وشيئاً فشيئاً تحول «أيلول الأسود» إلى همزة وصل لأسلوب العنف لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد أعلن أبو أياد تأسيس أيلول الأسود في مجموعة وثائق بالتلفزيون الالماني فقد كانت بمثابة رد فعل لحرب ايلول الاردنية. ففي المعارك الاخيرة في شمال الاردن لاذ خمسة عشر فدائياً بالفرار عبر الحدود إلى اسرائيل واستسلموا هناك.

(هذه الأحداث تدل على انه لم يكن ياسر عرفات ولا اي قائد فلسطيني آخر، في الوضع الذي يتيح له السيطرة على ردود الافعال. فقد اصبح الامر بمثابة نوع من اليأس. فعندما تتجه الامور الى العنف يكون الدافع دائما هو اليأس. وأيلول الأسود كان بمثابة مرحلة اكثر منه منظمة فعندما اعترفت جامعة الدول العربية والأمم المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية اختفى «أيلول الأسود»).

وحتى ذلك الحين كان لا يزال هناك طريق واسع مرصوف بالقتلى والمشوهين الذين لا حصر لهم.

ومن البديهي أن تكون أول عملية رائعة موجهة ضد الأردنيين. ففي ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ اشترك رئيس الوزراء الاردني، «وصفي التل» السياسي الضخم المؤثر، في اجتماع للجنة العسكرية لجامعة الدول العربية في القاهرة. وعندما عاد الى شيراتون القاهرة مع وفده حوالي الساعة ١٢,٢٥ دقيقة، انفصل «عزت رباح» الفلسطيني البالغ من العمر ٢٣ سنة عن مجموعة السياح الاوروبيين والأميركيين واطلق خمس رصاصات على «وصفي التل» فأرداه قتيلا.

وفضلا عن ذلك اصيب وزير الخارجية الاردني وضابط بوليس مصري. وقد جثى الجاني الثاني «منذر سليمان» خليفة البالغ من العمر ٢٧ عاماً، على ركبتيه أمام أعين السياح المذعورين وبدأ يلعق دم رئيس الوزراء.

نجح البوليس المصري في القاء القبض على هذين الرجلين وعضوين آخرين من فريق القتل خلال دقائق قليلة. وأعلن منذر خليفة بمنتهى الفخر:

(أنا في غاية الفخر اذ استطعت انجاز المهمة الآن. لقد كنا خلفه طوال ستة اشهر. والآن أخذنا بثأرنا من الخائن).

وأعلن «عزت رباح» علانية في محضر البوليس:

(لقد كنا نريد الحصول عليه لوجبة الافطار، ولا ضير اننا نلناه في وجبة الغداء

ولم يترك الفاعلون مجالا للشك فيمن قام بإرسالهم، فقد اعلنوه صراحة في بهو الفندق (نحن أعضاء «أيلول الأسود»)، هدفهم كما اباحوا به للمصريين، الانتقام لمقتل العديد من اخوانهم في عمان.

وقد أدان «خالد الحسن»، أحد المستشارين المقربين لعرفات وكان وزيراً للخارجية في منظمة التحرير سابقاً، هذا الهجوم، لكي يدفع التهمة عن فتح (هذه

العملية كانت ذات نوايا ارهابية فاشية، تتعارض مع افكار الثورة).
ودخل الليبيون في العملية الآن. فقد مارسوا ضغطاً على جيرانهم المصريين وطالبوهم باطلاق سراح القتلة. وقد توصل البعض الى حل وسط، حيث تم الافراج عن الفلسطينيين الأربعة بكفالة ولم تتم ادانتهم مطلقاً. وعادوا بعد عام الى بيروت كأبطال للثورة.
وقد اعترف ابو داود فيما بعد للأردنيين بأن اغتيال رئيس الوزراء الاردني تم تنظيمه بمعرفة ابو يوسف، الذي كان آنذاك عضواً رسمياً للقسم السياسي في منظمة التحرير وعضواً دائماً للشؤون الفلسطينية في لبنان.
كان علي حسن سلامة هو التالي في قيادة العمليات، فقد خطط لاختطاف طائرة، تلك العملية التي فاجأت بما فيها من مغامرة حتى الاسرائيليين، لاسيما الاسرائيليين الذين لا ضمير لهم. وقد كانت العملية تستهدف رحلة طيران ـ سابينا ٥١٧ ليوم ٨ مايو ١٩٧٢. وكانت الطائرة طراز بوينغ ٧٠٧ في طريقها من فيينا الى تل ابيب، عندما قام شابان من الهواة باختطافها. وتعجب الطيار الانكليزي، حيث اجبروه على الالتزام بسير الطائرة الى هدفها الأصلي وهو مطار تل ابيب ـ وهبطوا هناك كما كان محسوبا، واعتقلوا ٨٧ راكبا وعشرة من اعضاء الطاقم كأسرى. وطالب الخاطفون بعملية تبادل ٣١٧ سجيناً فلسطينياً، وأغلبهم من أعضاء «فتح». ومن المحتمل ان بعضهم قام بنسف الطائرة بكل ركابها في الجو في حالة رفض التبادل. وقد امتدت المفاوضات لمدة ٢٤ ساعة وكانت بقيادة وزير الدفاع الاسرائيلي الأسبق «موشي ديان». وكان غريمه «علي شفيق أحمد طه»، المعروف باسم «كابتن رفعت» في الدائرة المكافحة للارهاب.
كان فيما مضى ينتمي للجبهة الشعبية التابعة لجورج حبش، وقام بالفعل في عام ١٩٦٨ باختطاف احدى الطائرات التابعة لشركة «العال» إلى الجزائر.
وقد تم البحث عن طه بسبب الهجوم على مكتب لشركة «العال» في بروكسل وبسبب اختطاف طائرة الى الاردن في سبتمبر ١٩٧٠. وفي ١٩٧١ انضم الى «ايلول الأسود».
كان الخاطفون الثلاثة الآخرون هم السوري عبد العزيز الاطرش، المعروف باسم «زكريا»، وريما طنوس البالغة من العمر ٢١ عاما، وتريزة حلاوة البالغة من العمر ١٩ عاما. وقد تدربت كلتاهما على التمريض، وحصلتا على تدريب على السلاح في أحد المعسكرات، وتم انتدابهما فيما بعد مباشرة لعملية خطف هذه الطائرة.
وبينما كانت المفاوضات ممتدة، سيطرت على الفتاتين بشكل خاص العصبية، فقد لغموا الطائرة بمواد بلاستيكية ناسفة، بينما سيطر على الزعيم طه، على العكس من ذلك منتهى التحكم والاتزان.
وقد اتفق البعض على ان عملية تبادل الأسرى تتم في القاهرة. وحلقت طائرة ثانية الى جانب البوينغ ـ سابينا، وتم احضار العديد من الرجال الحالقين رؤوسهم ومرتدين زي السجون في احدى عربات المطار، وبمنتهى الرضا اتبعوا الخاطفين الى متن الطائرة مثل المساجين الوهميين. ولم يلاحظ الخاطفون انهم يتعاملون مع جنود اسرائيليين. وقد وصل فريق من ثمانية عشر رجلا عنيدا، لكي يجعلوا الطائرة المخطوفة تنطلق في وضوح وليهتموا بالركاب الذين نفذ صبرهم. وقد كان هناك تكنولوجي وممثل عن

الصليب الأحمر بين اعضاء هذا الفريق وبالكاد انفتحت ابواب الطوارىء، وبذلك بدأت الوحدة المكافحة للارهاب ٢٦٩ عملية «اسوتوب» بالهجوم على الطائرة. وبعد ذلك بعشر ثوان كان الرجلان الخاطفان قد لقيا مصرعهما. واصيبت تريزة حلاوة وثلاث من جنود المظلات وخمسة ركاب وتمت محاكمة الفتاتين في ١٤ اغسطس ١٩٧٢ وحكمتا بالسجن مدى الحياة.

عملية ميونيخ

وفي هذه الاوقات بدأ الاعداد للعمليات الكبرى لأبو حسن سلامة وكان الانتقام للهزيمة في مطار « بن غوريون » وتم اطلاق سراح الفتاتين.

وقد روى «ابو اياد» في مذكراته، كيف بدأ كل شيء:

في بداية عام ١٩٧٢ التمست منظمة التحرير بخطاب رسمي للجنة الأولمبية لمشاركة فريق فلسطين في الألعاب الاولمبية. ولأن هذا الخطاب ظل بلا اجابة، اتبعه خطاب ثاني - ومع ذلك لم يتلق اي رد ايضا - سوى الصمت. وعلى ما يبدو اننا كنا غير موجودين بالنسبة لهذه المؤسسة المحترمة، التي تدعي انها غير سياسية.

وقد ادت هذه التجربة الى اجتماعات عديدة في اوائل ١٩٧٢ في حي الفاكهاني ببيروت وتم تكليف ابو اياد بالقيام بعملية بقوات «أيلول الأسود» ضد الفريق الإسرائيلي المشارك في دورة الالعاب الاولمبية المقامة في ميونيخ، ولتهدئة العناصر القلقة في قيادة فتح، ولينضم ابو اياد اليهم، اذا عاد الفريق بنجاح وكانت هذه آخر عملية لأيلول الأسود.

كان ابو اياد محددا: ان يتم تباديل الرياضيين الاسرائيليين مقابل ٢٠٠ عضو فلسطيني في المعتقلات الاسرائيلية. وربما تكون هذه المغامرة قد ادت فيما بعد الى الانتشار الواسع للقضية الفلسطينية في كل انحاء العالم. فلم تكن الفرصة قد اتيحت من قبل ابدا، لعرض المطالب الخاصة بمثل هذه الطريقة المؤثرة جدا.

وقد تناقل من خلال الاجتماع الحاسم، ان بعض مندوبي منظمة التحرير اعتبر هذه الافعال جبانة. فالرياضة، كما وصفوها، بمثابة دين في الشرق كما في الغرب لذا فقد كان خطأ فادحاً، ان تكون الضربة خلال دورة العاب اولمبية. وربما تكون منظمة التحرير قد خسرت ككل اكثر مما كسبت. فقد كان هناك اقتراحاً بديلاً ينصح بأن يتم اختطاف الرهائن المطلوبين في اسرائيل نفسها. وربما ذهب الاقتراح الى ابعد من ذلك، حيث أوصى باختطاف الأميركيين في اسرائيل. لذا فقد كان محرما تماما داخل منظمة التحرير ربُط اسم عرفات بأعمال العنف التي وقعت في الماضي، وكان محرما ايضا ان تنتقل كيفية قيامه بمشروع ميونيخ. وكونه لا يعرف شيئا عن هذا المشروع فهذا أمر مستبعد تماما وربما يكون صوته أعطى ترجيحا ليستطيع ابو اياد في نهاية الأمر القيام بذلك.

عبر عن ذلك مذكرة تبرير لخالد الحسن حيث روى للخبير البريطاني للشرق الاوسط «آلان هارت»، الذي الف سيرة عرفات الذاتية (كان علينا ان نشارك فيما حدث، ليظل الموقف تحت السيطرة، وبسبب التصدي بهذا النوع من الأزمات تم وصفنا انا وعرفات وآخرين بأننا ارهابيين رغم اننا كنا ضد الارهاب).

ويذكر ابو اياد ذلك بمنتهى الحياد عند الاعداد لعملية ميونيخ، حيث ان الثورة والغضب على موقف اللجنة الأولمبية المعادي لمنظمة التحرير، كان المفتاح بالنسبة لأتباعنا من الشباب، .(وربما قررت الرؤوس القيادية في أيلول الأسود ان تتولى المسألة بنفسها وتضع خطة). بمعنى آخر انعزال كل من ابو اياد نفسه وعلي حسن سلامة ويوسف النجار. وبالتأكيد تحت استشارة اناس ثقة في المنطقة وفلسطينيون في المانيا. وتعد الأقوال التالية لأبو اياد غاية في الاهمية لدرجة ان المرء لا بد وان يحتويها بالكامل.

لقد تم الاعداد للعملية، بعناية واحكام .مثاليين، حيث ان الرجلين المسؤولين واللذين تم تحديدهما بالفعل قبل ذلك بثمانية اشهر، قد أبليا بلاءً حسناً في معارك الاردن في سبتمبر ١٩٧٠ ويوليو ١٩٧١ في جرش وايلون «مُصلحة» البالغ من العمر ٢٧ عاما، كان قد خرج وهو طفل مع ابويه الفلاحين الفقيرين من وطنه حيفا، ولجأ الى الضفة الغربية للأردن، وقد كان استاذا فذا في الجيولوجيا له تأثيره من خلال اقامته وكذلك من خلال ذكائه المتميز. وعندما انضم الى صفوف فتح تم تكليفه بمهام المندوب السياسي، وفضلاً عن ذلك كان يتحدث الألمانية بطلاقة، كما كان هو الرجل المناسب بالضبط، ليقود عملية الكوماندوز. ونفس الاعتبارات كانت لصديقه وشريكه «شي جيڤارا» العقلية العسكرية للمجموعة والذي كان رغم بلوغه ٢٥ عاما ورغم دراسته للقانون في باريس، ملماً بأساليب العصابات الارهابية بصورة رائعة. ومن خلال الاتفاق على ثلاثة اهداف سياسية لقيادة الجماعة (كما يقول ابو اياد):

(الدعوة الى لفت الانظار، الانتشار في وسائل الاعلام، تحرير المعتقلين من السجون الاسرائيلية).

قام الرجلان بأربع مهمات واضحة المعالم تماما.

١ ـ اعداد خطة تفصيلية، تسير وفقها العملية.

٢ ـ اختيار ست فدائيين لمساندتهم اثناء الهجوم.

٣ ـ ايجاد السلاح المطلوب وإدخاله الى قرية الألعاب الأولمبية.

٤ ـ عمل خطة للمفاوضات التي تشمل تبادل الرهائن الاسرائيليين، بالمعتقلين الفلسطينيين، وبالطبع استطاع «مصلحة» و«شي» التصرف مع عدة متعاونين، أولئك الذين من المفروض أنهم قاموا بالمساندة اثناء العملية.

ولم يكن اختيار الشركاء بالأمر الهين. وفيما بعد تم اختيار حوالي ١٥ فدائياً شاباً في سن السابعة عشرة حتى العشرين، حيث حصلوا على تدريب قوي وهؤلاء الفدائيون نشأوا كلهم بلا استثناء في مخيمات اللاجئين (في لبنان وسوريا والأردن خاصة)، وقد نشأوا في أسر متواضعة كان الأمل يملأ معظمهم في الوصول إلى تحرير ذويهم، أولئك الذين اعتقلوا في السجون الإسرائيلية. وهم لا يعرفون شيئا من واجبهم الذي قد يعهد اليهم به، ولكنهم يشتاقون الى ان ينتموا الى المختارين المحظوظين. والانتخاب النهائي يبدو الى حد ما ذو نتائج درامية. فقد تم استبعاد فدائي لا يزال صغيرا جدا لأن اخويه قد سقطا في ميدان الشرف، ومع ذلك غضب الشاب واعترض وقدم التماساً وانفجر في البكاء. وهدد كذلك بالانتحار اذا لم ينضم الى القيادة. واخيرا أذعن المسؤولون. وقد مات في ميونيخ كواحد من أوائل من سقطوا تحت رصاص القوات الالمانية.

وقبل أن ينتشر الفدائيون الست المختارون في عدة بلاد اوروبية، لكي يلموا بأساليب الحياة الغربية، سافر «مصلحة» و«شي» كعملاء إلى ميونيخ. ودخل مصلحة الذي غير مظهره ولبس شعراً مستعاراً «باروكة» إلى القرية الاولمبية حيث تجري الترتيبات على قدم وساق نظرا لهذا الحدث الرياضي العظيم، دخل كعامل بوفيه.

وقد استغل الفرصة لكي يستكشف المكان باسلوب منظم. حيث اهتم بشكل خاص بالترتيب المكاني للأكشاك الفردية، والتي بها الاسرائيليون خاصة، وكذلك اهتم بالممرات الموجودة. ومن خلال اقامة علاقات وطيدة مع العديد من الموظفين الألمان والاجانب، خاصة موظفة آسيوية، وقعت في حبه، جمع ثروة من المعلومات الخام، والتي أحالها الى «شي»، هذا الذي كان موجوداً في دولة أوروبية مجاورة.

وامتدت عملية الاستكشاف لاربعة اشهر، وأدت في النهاية الى خطة عمل محكمة ومترابطة.

في ٨ يوليو (تموز) ١٩٧٢، عندما كانت حرارة الصيف تشل دمشق تقريبا، أتى يوسف النجار الى العاصمة السورية. والتقى بمخططي العمليات في الجبهة الشعبية و«الصاعقة» حيث دار اللقاء ايضا حول عملية ميونيخ، واعترفت كلتا المنظمتين لبعضهما البعض بالعون، بالمد الاستراتيجي وظل العمل الرئيسي «لأيلول الأسود» بعد ذلك تصدير السلاح. وإدخال الجناة.

في اوائل اغسطس تواجد ابو داود في «صوفيا»، ليشتري السلاح البلغاري لفتح. وقد اتى ابو اياد وفكري العماري اللذان كانا بالفعل لا يفترقان آنذاك، من جنيف. وقد اخبرا ابو داود بخطة ميونيخ، وطلبا منه جواز السفر العراقي المزيف ليعبر به فكري العماري طيلة العملية.

وقد ذكر ابو داود فيما بعد تحت ضغط التعذيب الاردني:

«بعد عودتي الى ليبيا بثلاثة ايام، اتصل ابو اياد بفكري العماري وطلب منه السفر الى ميونيخ. وسافر بمصاحبة «يوسف نزّال»، الذي كان يحمل جواز سفر جزائري. وفي ميونيخ حاول فكري العماري الدخول الى القرية الاولمبية ليرى الأماكن بنفسه. ولكنه لم ينجح في ذلك فقد كان عليه ان يطلب المساعدة من شخص آخر. وكان هذا الآخر هو «محمد ما شاء الله» من ليبيا الذي كان يتقن عدة لغات من بينها الالمانية، وكان يعمل كمهندس معماري اثناء مراحل البناء في القرية الاولمبية.

وقد جاء «ما شاء الله» هذا من ليبيا، وكان قد اطلع على الوضع في شارع كونولي بمنتهى الدقة، حيث كان الرياضيون الاسرائيليون سيقيمون هناك فيما بعد.

فقد دخل بحجة ما إلى سكن السعوديين، الذي كان يقع في الجهة المقابلة ومشابه في الوقت نفسه من ناحية البناء».

وبينما ذهبت المعلومات الى المخططين في بيروت، وصل السلاح في حقيبة دبلوماسية لاحدى السفارات العربية في بون. وتعتقد المخابرات الغربية ان ليبيا معروفة كمتعهد نقل. وقد أدينت بالفعل في التقارير السرية الأولية على انها المشاركة. الا ان الأثر الليبي ورد في اقوال الرائد «عمر المحيصي» عضو سابق في مجلس قيادة الثورة الليبية.

وقد افتقدت رواية ابو اياد عن كيفية تصدير السلاح الى المانيا الاتحادية، بلا

شك، إلى الضرورة الابداعية حيث يقول:

في آخر دقيقة ظهرت مشكلة جعلت المنظمين يضيقون بها. في هذا الوقت المحدد لاعداد السلاح، عرفوا ان البوليس في المانيا وضع رقابة مشددة، تشمل مداخل الحدود، وكذلك الشوارع والمحطات، والمطارات، بشكل خاص. ومع ذلك كان الوقت ضيقاً جداً لاستخدام وسيلة نقل اخرى غير الطائرة. وتقرر أن يتم تقييد كل ذلك على التذكرة. وقد تم وضع السلاح في دولة عربية بدون علم الحكومة المختصة في ثلاث حقائب. وعهد به الى احد اعضاء «ايلول الأسود». ووجد هذا العضو دعماً من عضوة لحركة المقاومة، التي «تزوجته» من أجل هذا الغرض بأوراق مزيفة. وسافر الزوجان بحقيبتين اضافيتين، بهما متعلقاتهما الشخصية الى بون. وطالبهما احد موظفي الجمارك، المحاطين برجال الأمن في التفتيش الجمركي، بفتح الحقائب.

ومن العجب ان هذا الرجل رغم ذلك تجرأ وأبدى غضبه تجاه الموقف حيث ادعى انه رجل اعمال رحال في كل انحاء العالم، ولم يسبق له أبداً أن لاقى مثل هذه المعاملة. ولم يسبق له ان أهين هكذا، كما لو كان مشبوها.

باختصار فإن ما تقدم به أثر بصورة رائعة، وافاد فقط في عملية كسب وقت بالنسبة لهذا الوضع الذي على ما يبدو محرجا. واصر موظف الجمارك: ان القانون يسير على الجميع، وغير مسموح باي استثناءات، وتردد رجلنا في ايلول الاسود، وبقي امامه خياران، اما ان يتمادى في جرأته ويفتح الحقائب، وربما يكون ـ كما نقول نحن ـ مضطرا، لأن يغادر بون في أول طائرة مرة اخرى وفي هذه الحالة قد يكون عليه ايضا الغاء عملية ميونيخ، أو يدعو بثقة ثابتة الموظف في الجمارك باستسلام، ليطلب منه فتح اي من الحقائب الخمس ـ التي كانت كلها تبدو متشابهة ـ ليقوم بتفتيشها وفتح الحقيبة المتميزة، وكل ما استخرجه منها، كان... ملابس حريمي فوضعها موظف الجمارك في سهولة، واصبح اقرب ما يكون الى الاعتذار ورحب بهما في المانيا الاتحادية.

في حوالي ٢٥ اغسطس (آب) وصل السلاح ـ من بينه مدافع اخرى رشاشة وقنابل يدوية ـ الى مكانه المحدد.

أما الحقائب الخاصة بالزوجين والتي تم تبديلها في بون مع حقائب فارغة ومشابهة تماما فقد احضرها عضو آخر في المنظمة إلى ميونيخ. وتم ايداعها في عدة صناديق للأمانات في المحطة الرئيسية بميونيخ ومن هناك اخذ اعضاء قوات الكوماندوز يحملون السلاح الواحد تلو الآخر، قبل دخولهم الى القرية الاولمبية».

في هذه النقطة لم يكن ابو اياد دقيقا جدا: فقد كان رسول السلاح هو «فكري العماري».

وقد كانت هناك ثمانية بنادق هجوم طراز (كلاشينكوف) تم وضعهما في صناديق امانات محطة ميونيخ الرئيسية، مع ذخيرة كافية وعشر قنابل يدوية اميركية.

وقد كان الممول فكري العماري، يقيم في الفندق المقابل للمحطة تماما من «ايدن وولف». وكان جواز سفره العراقي صحفي اجره بواسطة ابو داود ينص على ان اسمه «سعد الدين والي» صحفي يبلغ من العمر ٣٧ سنة. وفي حمى الألعاب الاولمبية ميونيخ «العاب المرح» التي بدأت بالفعل في ٢٨ اغسطس (آب) اتضح كل هذا في الصورة تماما.

وما يدعو للاستنكار كذلك، عندما حزم العراقي المذكور الحقائب في ٤ سبتمبر (أيلول) بمنتهى العزم والسعة وترك ميونيخ، وقد قام قبل ذلك بحوالي ٢٤ ساعة بتفجير الافكار المليئة بالسلام للأولمبيات مثل فقاقيع الصابون.
وقد سافر الرسول الحميم لأبو اياد اولا الى روما، ومنها الى ليبيا، وعاد بعد ذلك بيوم الى بيروت، حيث تابع هناك دراما ميونيخ.
ثم غادر بيروت مرة أخرى وظل في مكان حصين بدمشق لفترة.
ولم يبق الا ثمانية فدائيين، محمد «مُصلحة» الملقب «بعيسى» خلال العملية، وكان معروفاً إلى حد كبير من خلال قبعته البيضاء، ونائبه ويدعى «يوسف نزّال»، و «شي جيڤارا»، واسم الشهرة توني.
اولئك الذين رتبوا كل شيء. فقد عاش مصلحة بالفعل من اول يناير (كانون الثاني) ميونيخ، اما نائبه فمنذ فبراير (شباط) ١٩٧٢، بينما تواجد احد الفدائيين ويدعى «أبو هالة» ربما لأول مرة في ميونيخ في مارس (آذار) ١٩٧٢ أما الفدائيون الخمسة الباقون فقد أتوا فيما بين ١٥ الى ٢٠ يوليو (تموز) من بلاد مختلفة إلى عملهم.
جاء ثلاثة من طرابلس، وذكرت تقارير لاجهزة المخابرات ان هناك محطة توقف في بلغراد، حيث التقى الرجال الثلاثة بفكري العماري بينما طار الفلسطينيان الأخيران، من بيروت عبر روما الى ميونيخ، وربما التقى بعلي حسين سلامة في العاصمة الايطالية. ولكي تختلط الأمور اثناء التحقيقات، صرح الفدائيون الثلاثة الذين ظلوا على قيد الحياة بأنهم جاؤوا من دمشق مباشرة.
ولم تطلع السلطات الالمانية ابدا على مثل هذه التفاصيل، رغم التأكيد الأخير واختفى كذلك ملف ميونيخ بلا اثر، وهذا كان بالنسبة للمسؤولين الألمان بلا شك بمثابة مقدمة.
ويبدو ان احدا لم يبحث بعناية مطلقاً الرواية التي نشرتها مجلة «كويك» المصورة في ميونيخ عن المرحلة الأخيرة في الاستعدادات الفدائية. وفي حديث مشكوك فيه لأحد النواب من أيلول الأسود المزعومين، في مكان في منطقة البحر المتوسط جاءت فيه التفاصيل الدقيقة، مع التعميم بلا شك في صلب معلوماته، حيث انه طبقا لذلك، قد سافر عيسى وجيڤارا كزعيمان للعملية بالفعل في ١٦ يوليو (تموز) من بيروت الى ميونيخ، وظلا هناك حتى ٢٠ يوليو عند بعض الأصدقاء، ثم ركبا القطار عبر راسيل وفروبورغ، الى ميونيخ، ويروي بسرعة:
(تعبرون الحدود ليلا، بينما يكون موظفو المواصلات في الطريق، حيث الخطوط ذهابا وايابا متعددة، والتفتيش يتم بطريقة سطحية فحسب) والآن يأتي الجزء الثاني الذي يبدو بالنسبة لباحثي الارهاب الالمان، انه مرتبط بفقر شديد في المعلومات.
في ميونيخ قام اصدقاؤنا بإحضارهم من المحطة، هانز ويبلغ من العمر ٢٨ عاما، اشقر ضخم ويعمل مهندسا. وفي اكتوبر ١٩٦٩ اقام بالجامعة الأميركية في بيروت بدعوة من طالب فلسطيني مع مجموعة من الطلبة الالمان، وتعرف هانز على جيوڤارا هناك، وتصادق معه وهو لم يكن ضد السامية ولكنه يريد العدالة للقضية الفلسطينية.
ويمتلك هانز مزرعة، تقع على بعد ٣٠ كيلومترا جنوبي ميونيخ. والبيت معزول تماما، فهناك ٢ كيلومتر حتى المزرعة التالية.

ويوجد في الطابق الأرضي بهو كبير في وسطه منضدة كبيرة من الخشب، وفي الطابق الأول، أربع غرف وكل غرفة بسريرين. وكان رجالنا الثمانية من ايلول الاسود يبيتون هناك.

وطبقا لتصور المتحدث باسم مجلة «كويك» فقد كان الفدائي ابو لبان هو التالي في الدخول حيث احضره صديق فرنسي بسيارة مرسيدس زرقاء الى ستراسبورغ عبر الحدود. ومن المحتمل ان هذا الفرنسي يدعى ريموند وانه بائع كتب ويعمل في باريس بالقرب من شارع ميسيل. وربما كان هو وزوجته فيفيان الصيدلانية، ينتمون الى جماعة متحررة من الفرنسيين، التي ربما تتحد مع قضية ممثلي القضية الفلسطينية.

وبعد ان احضر ريموند الفلسطيني الأول الى المزرعة، عاد مرة اخرى وجاءت فيفيان مع رجلين آخرين في اليوم التالي: عفيفي وعبد العال قناوي وهكذا دواليك، حيث أتى ريموند من جديد بعبد الله السامر وابراهيم بدران، وفي ٢٨ يوليو سافرت فيفيان لآخر مرة مع ابو سعيد. ومن البديهي ان الاسماء كلها مستعارة بالنسبة للفدائيين.

وبمساعدة مجلة «كويك» ايضا يتم الآن اسدال الستار على ما يتعلق بالسلاح: «اهتم هانز واصدقاؤه بالسلاح من أجلنا: مثل السكاكين والمسدسات والبنادق والقنابل اليدوية، انا لا اعرف من اين جاء هذا السلاح، ولكن يوجد في المانيا لجنة لتأييد معركتنا ضد اسرائيل. وأسس هذه اللجنة منذ ثلاث سنوات فريدريش، وهو استاذ فلسفة وعمره ٣٠ سنة. وتضم اللجنة حوالي ٢٠٠٠ شخص من المانيا، يقومون بمساعدتنا نحن ومنظمات عربية اخرى، ويوجد وسطاء في كل المدن الكبرى، ويميل اصدقاؤنا في المانيا سياسيا الى الشمال المتطرف ولكن لا توجد اي ارتباطات بالمنظمات الفوضوية».

وانغمست مقالة المجلة في رومانسيات الثورة. وعلى اية حال فقد تم احضار الفدائيين الثمانية لمدة خمس اسابيع في الجو الممتع لاحدى المزارع في أعالي مقاطعة «بايرن». حيث ينهض الفدائيون معا، في السادسة صباحاً، ويشربون قهوة بالحليب، ويمارسون التدريبات من السابعة الى العاشرة كالملاكمة والمصارعة والجودو. وفي اوقات الفراغ ينصت الفدائيون الى محطات الارسال التصاعدية من الجزائر وطرابلس.

وبعد وجبة الغذاء يحافظون من جديد على لياقتهم ثم يذهبون طبقا لطبيعة الحياة في الريف الى الفراش عند الغروب.

وقد اعتادوا ان يقوم واحد من الثمانية بالحراسة لمدة ساعتين في «الشرفة» كما كان المضيف يذهب الى التسوق مرتين في الاسبوع، فيحضر الصحف العربية والمعلبات. وهناك تعليق تالي ضعيف وصف هانز بأنه كان مثالا للروحانية (لم يكن هانز يحضر تدريباتنا، فقد كنت مقتنعاً تماماً بأنه لا يعرف شيئاً من خطتنا وهو أيضاً لم يطرح أسئلة، فلا أحد يفعل هذا في منظمتنا، وهو يعرف ذلك تماماً).

فهانز يدفع ثمن المواد التموينية، وفريدريش يدفع ثمن السلاح وهكذا كانت الأمور غاية في السهولة.

في اول اغسطس أفصح عيسى عن السبب الحقيقي للاقامة (نحن نخطط لعمل هام ضد اسرائيل. نحن نريد القيام بمحاولة لمساعدة أصدقائنا في المعتقلات الاسرائيلية).

وربما تم تقسيم الجماعة فيما بعد. لعب نصفهم اسرائيليون والنصف الآخر فلسطينيون وبذلك تسير الأمور في منتهى الواقعية لدرجة ان الفدائيين يصيبون بعضهم

ويوجد في الطابق الأرضي بهو كبير في وسطه منضدة كبيرة من الخشب، وفي الطابق الأول، أربع غرف وكل غرفة بسريرين. وكان رجالنا الثمانية من ايلول الاسود يبيتون هناك.

وطبقا لتصور المتحدث باسم مجلة «كويك» فقد كان الفدائي ابو لبان هو التالي في الدخول حيث احضره صديق فرنسي بسيارة مرسيدس زرقاء الى ستراسبورغ عبر الحدود. ومن المحتمل ان هذا الفرنسي يدعى ريموند وانه بائع كتب ويعمل في باريس بالقرب من شارع ميسيل. وربما كان هو وزوجته فيفيان الصيدلانية، ينتمون الى جماعة متحررة من الفرنسيين، التي ربما تتحد مع قضية ممثلي القضية الفلسطينية.

وبعد ان احضر ريموند الفلسطيني الأول الى المزرعة، عاد مرة اخرى وجاءت فيفيان مع رجلين آخرين في اليوم التالي: عفيفي وعبد العال قناوي وهكذا دواليك، حيث أتى ريموند من جديد بعبد الله السامر وابراهيم بدران، وفي ٢٨ يوليو سافرت فيفيان لآخر مرة مع ابو سعيد. ومن البديهي ان الاسماء كلها مستعارة بالنسبة للفدائيين.

وبمساعدة مجلة «كويك» ايضا يتم الآن اسدال الستار على ما يتعلق بالسلاح: «اهتم هانز واصدقاؤه بالسلاح من أجلنا: مثل السكاكين والمسدسات والبنادق والقنابل اليدوية، انا لا اعرف من اين جاء هذا السلاح، ولكن يوجد في المانيا لجنة لتأييد معركتنا ضد اسرائيل. وأسس هذه اللجنة منذ ثلاث سنوات فريدريش، وهو استاذ فلسفة وعمره ٣٠ سنة. وتضم اللجنة حوالي ٢٠٠٠ شخص من المانيا، يقومون بمساعدتنا نحن ومنظمات عربية اخرى، ويوجد وسطاء في كل المدن الكبرى، ويميل اصدقاؤنا في المانيا سياسيا الى الشمال المتطرف ولكن لا توجد اي ارتباطات بالمنظمات الفوضوية».

وانغمست مقالة المجلة في رومانسيات الثورة. وعلى اية حال فقد تم احضار الفدائيين الثمانية لمدة خمس اسابيع في الجو الممتع لاحدى المزارع في أعالي مقاطعة «بايرن». حيث ينهض الفدائيون معا، في السادسة صباحاً، ويشربون قهوة بالحليب، ويمارسون التدريبات من السابعة الى العاشرة كالملاكمة والمصارعة والجودو. وفي اوقات الفراغ ينصت الفدائيون الى محطات الارسال التصاعدية من الجزائر وطرابلس.

وبعد وجبة الغذاء يحافظون من جديد على لياقتهم ثم يذهبون طبقا لطبيعة الحياة في الريف الى الفراش عند الغروب.

وقد اعتادوا ان يقوم واحد من الثمانية بالحراسة لمدة ساعتين في «الشرفة» كما كان المضيف يذهب الى التسوق مرتين في الاسبوع، فيحضر الصحف العربية والمعلبات. وهناك تعليق تالي ضعيف وصف هانز بأنه كان مثالا للروحانية (لم يكن هانز يحضر تدريباتنا، فقد كنت مقتنعاً تماماً بأنه لا يعرف شيئاً من خطتنا وهو أيضاً لم يطرح أسئلة، فلا أحد يفعل هذا في منظمتنا، وهو يعرف ذلك تماماً).

فهانز يدفع ثمن المواد التموينية، وفريدريش يدفع ثمن السلاح وهكذا كانت الأمور غاية في السهولة.

في اول اغسطس أفصح عيسى عن السبب الحقيقي للاقامة (نحن نخطط لعمل هام ضد اسرائيل. نحن نريد القيام بمحاولة لمساعدة أصدقائنا في المعتقلات الاسرائيلية).

وربما تم تقسيم الجماعة فيما بعد. لعب نصفهم اسرائيليون والنصف الآخر فلسطينيون وبذلك تسير الأمور في منتهى الواقعية لدرجة ان الفدائيين يصيبون بعضهم

البعض، وأخيراً يدعو جيڤارا الكل الى النظام وتذكر الواجب العسكري.

(في ٥ سبتمبر (ايلول)، في حوالي الساعة الثالثة صباحا، قام عيسى وجيڤارا بإيقاظنا، واجتمعنا في الطابق الأرضي، ووقفنا دائرة حول المنضدة الكبيرة وامام كل واحد منا طبق. وضعنا فيه جوازات السفر الخاصة بنا وحرقناها وذر جيڤارا الرماد ـ باحتفال ـ من فوق يده اليمنى. ثم قال:

«لقد حان الوقت، سندخل اليوم عند مطلع الفجر القرية الأولمبية، ونباغت الرياضيين الاسرائيليين في مساكنهم ونأسرهم. وسنتجنب بقدر المستطاع قتل اي اسرائيلي او اصابته. نحن نريدهم لتبادلهم بإخواننا العرب في المعتقلات الاسرائيلية».

وقد أرانا خططاً دقيقة للقرية الأولمبية. وقد اهتم بهم شخص يدعى رولف. وهو عضو في اللجنة الألمانية لدعم فلسطين ويعمل كمعماري داخل القرية الأولمبية. أما النقطة التي يستطيع المرء منها التسلل إلى داخل القرية فقد تم توضيحها على الخريطة.

وبعد ساعة ذهب هانز ـ الذي لا يعرف شيئاً ـ بضيوفه في اتوبيس فولكس فاغن الى سور القرية الاولمبية، وأنزلهم هناك دون أن يطرح سؤالاً.

وطبقاً لما نشرته مجلة «كويك» على لسان الفدائي الطيب، (أنا متأكد انه كان دائما لا يعرف شيئا مما نفعل).

وهذا الحديث تم تسجيله في ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢، حديث مع فدائي عربي، أمده معاونوه ربما من الالمان والفرنسيين بالسلاح.

بينما تواجد الفدائيون الثمانية بالفعل في فندق صغير بميونيخ ـ وهذا هو المحتمل، الى حد كبير ـ ينتظرون استخدامهم، وانتشروا في الدوائر الأجنبية، ولدى شركة طيران لوفت هانزا من أجل ما يسمى بالاخطارات الانذارية لحماية الدستور الالماني الاتحادي، فقد علم بوليس بروكسل الدولي ان فدائيين عرب استعدوا للاستيلاء على طائرات لسابينا والعال من بروكسل في خيوط الصليب. وكما تردد انه من المحتمل ان الفاعلين يحملون جوازات سفر تونسية ومغربية.

ومع ذلك فالبوليس كان يعرف بعض الاسماء، وأحدهم يدعى «ما شاء الله» وهو اسم غير شائع الى حد كبير بين الاسماء العربية. ووصل تحذير آخر عاجل الى مكتب شركة الطيران لوفت هانزا في ٣٠ اغسطس مفاده ما يلي:

غادر اعضاء معروفون من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهم ليلى خالد وزكي عبد الحمادي ودرويش، بيروت في ٢٩ اغسطس (آب) لهدف مجهول وفي حسابهم القيام بعمليات خطف طائرات وعمليات تخريب ضد الطائرات من الشركة أو معها، برجاء بالغ الاهتمام.

ويتعلق الامر هنا الآن بفدائيين آخرين، والملاحظ ان هؤلاء الآخرين اكثر شهرة، كما أن عمليات قيادتهم لا علاقة لها على كل حال بالألعاب الاولمبية ومع ذلك فقد كانت هناك عمليات تفتيش اشد بسبب هذه التحذيرات في المطارات وعلى الحدود في مدينة الاحتفال، بمقاطعة بايرن. وارادت مقاطعة بايرن لحماية الدستور قبل الهجوم بثلاثة ايام او يومين، ان تبلغ على اشارة تلقى تقديرا من جميع الأوساط الشرقية، عن نشاط منتظر لجماعة عربية في هيئة السلطة التنفيذية بميونيخ.

وقد ضاع هذا بالفعل في نشوة اللذة الخاصة بالأولمبيات. فرئيس البوليس آنذاك

د. مانفريد شريبر لم يهتم كثيرا بمثل هذه البلاغات. فقد بلغه بالفعل تهديدات عن ثماني قنابل قبل الاحتفال بحفل الافتتاح. «ولم يحدث بعد ذلك أي شيء».

وفي مكان ما يجلس رجل كل يوم ليؤكد انه غاضب من جهل سلطات الأمن في مقاطعة بايرن، هذا الرجل هو عالم النفس وخبير المنازعات في ميونيخ «جورج سيبر»، الذي قام بالفعل في ٢ فبراير (شباط) ١٩٧٢، قبل بدء الألعاب بكثير بوضع خطة عمل تسمى «موقع ٢١» جاء فيها:

«إن وحدة لقيادة العصابات ستقوم بتسوّر سور القرية الاولمبية حوالي الساعة الخامسة صباحا، وان الفريق الاسرائيلي يشغل هذا المنتجع. وترد تقارير عن اطلاق رصاص وخروج دخان من البيت».

وصرح جورج سيبر في تحليله السابق برئاسة ميونيخ:

«إن الهجوم على فريق رياضي قادم من مناطق بها صراعات لهو وفرصة جذابة للعصابات ومنظمات المقاومة، التي تريد الافصاح عن نفسها. لتحصل على فدية وتحول الألعاب الاولمبية الى مظاهرة سياسية».

وقول اخير لسيبر: (يجب على المرء ان يوطن نفسه على ان الكوماندوز يضربون دون ان يحافظوا على حياتهم الخاصة او حياة الآخرين) وخطة جورج سيبر «موقع ٢١» ولم تلق أي التفات.

وبدلا من ذلك طالبت قيادات البوليس خلال المناقشات المماثلة في معسكرات دراسية في مراكز التدريب في ميونيخ بخمسة مواقع من أجل المضايقات المحدودة وكتب البعض عن مضايقات مارس (آذار) ١٩٧٢، انهم هناك مغرمون بالتخريب الرياضي، أولاد عفاريت بين المشاهدين، ومحاولات للدخول بدون تذاكر صحفية الى المنشآت، وكذلك ايضا مضايقات خلال العروض.

وقد طبعت مجلة «شيغل» مثالاً من «حقيبة الدراسة والمعلومات الخاصة بقوات القيادة لنظام العمل» حيث تم فيها تدريب ٢١٠٠ موظف أمن.

في الساعة ١,٣٠، قامت مجموعة مكونة من عشر لاعبات ولاعبين في المكان الصغير في وسط المساكن الخاصة بقرية النساء بالاستقرار على اغطية ووسائد أحضروها معهم. وكان أحد اللاعبين يلعب على الجيتار بتصفيق يوافق النغمات وتناولت الأيدي زجاجات النبيذ، ومن الواضح ان اللاعب الثاني شرب حتى الثمالة. وفي الساعة ١,٤٥ دقيقة، اثناء محاولة لاخراج الرجال من القرية النسائية، أصاب أحد المساعدين نفسه اصابة خطيرة في الرأس من خلال تخبط الرجل السكران بوحشية.

ولم يكن الموقف بالطبع هو الأبسط بين المواقف المتأزمة المعروضة. لم يفكر أحد في علي حسن سلامة وفريق القتل الخاص به، حيث كان المقاتلون المدربون اصحاب الأهداف السامية في تلك الاثناء قد خرجوا من معسكراتهم منذ أمد بعيد ليحتفلوا مع شعب ميونيخ المحتفل.

وقد كان «شولفجانج فريدمان» احد موظفي فريق اوروغواي القومي، متأكدا تماما، من أنه رأى «جيفاراً» بالفعل في الصباح الباكر يوم ٤ سبتمبر واعطاه فاكهة. وكان ابو اياد متأكدا ولقد جاء بعد مصْلحة وجيفاراً آخرون من أعضاء «أيلول الأسود» ولكن بعد الرابعة فجراً.

الفصل الثاني

(٢١ ساعة في قلب ميونيخ)

إن الوصف العام لما سمي بالقرية الأولمبية، يشبهها لنا بحديقة واسعة من الأبنية الحجرية والزجاجية، وبالوصول الى منازلها نجد نظاماً متفرعاً متسعاً، وأماكن توقف ومواقف وكل شرفات الشقق لها مدخلين احدهما يؤدي الى الحديقة العامة، والثاني يطل على الطابق المطل عليها.

وبذلك ووفق تخطيط هندسي يصبح الطابق الأول هو الطابق الأرضي، حيث يمكن لمن يصل الى هناك ان يجد المتاجر والحدائق والمنشآت العامة ومحطة مترو الانفاق. وفي المنتصف من هذه المنشآت مجتمعة.يوجد شارع كونولي، الذي سمي باسم جيمس كونولي، احد الفائزين بالميدالية الذهبية سنة ١٨٩٦ في اول دورة اولمبية في العصر الحديث والتي أقيمت في أثينا.

يقيم الرياضيون الاسرائيليون في مبنى ٣١ شارع كونولي، في مبنى مكون من ثلاث طبقات، وبه أيضا لاعبون من اوروغواي، وهونغ كونغ ومسكنهم المسمى باسم المضيف «بونجالو»، والملون بطريقة ملفتة للنظر من الأبيض والبرتقالي والازرق اليانع. ومبنى ٣١ شارع كونولي به ٢٤ مسكناً. يسمى احد عشر منها باسم دوبلكس والمسكن الواحد يتكون من طابقين. وهناك سلم حديدي دائري يربطها معا ويسكن الاسرائيليون في مساكن دوبلكس من واحد الى ستة. والبوابة التالية المطلة على العالم الخارجي، مخصصة للقوقازيين، وتحمل رقم ٢٥أ. ويتم غلقها كل يوم في منتصف الليل.

اما من يتأخر في العودة من اللاعبين، فيقفز من فوق السور البالغ مترين بمنتهى الحرص.

لذلك لم يتعجب احد عندما تسور خمسة اشباح مظلمة السور بالقرب من ٣٣ شارع كونولي، يوم ٥ سبتمبر بعد الساعة الرابعة بقليل. ولاحظ ساعيان للبريد كيف وصل اللاعبون المقصودون بحقائبهم الرياضية الثقيلة ووجود آلات بها اشياء طويلة عبر السور.

ويعتقد احدهما انها بلا شك ربما تتعلق ببنادق، ومسابقات ضرب النار قد انتهت، وربما لم تعد هناك حاجة لهذه الأدوات. وابتعد كلاهما عن مسرح الاحداث، ثم بدل المتسللون ثيابهم وأخرجوا القمصان التي تحمل علامات الفرق اللبنانية، والليبية

والسعودية وتنكروا وأحضروا العديد من الأسلحة النارية من الحقائب واختبروا صلاحيتها للاستعمال ثم بدأوا في تدريب انفسهم. فاتجه ثلاثة منهم الى الممر الأمامي للمبنى ٣٣ شارع كونولي، بينما ضرب اثنان آخران قوسا الى الجنوب الى الممر الخلفي للمبنى حيث شاهدهما داروين بينيروا، رامي مطرقة من اوروغواي وقد كان لاعب اميركا اللاتينية البالغ من العمر ٢٧ عاما قد باء بهزيمة في اليوم السابق ولم يستطع النوم جيدا في ليلة الخامس من سبتمبر.

وعندما كان يتناول كوبا من الماء رأى ثلاثة مقنعين ومسلحين باسلحة ثقيلة يمرون امامه، وقد كان احدهم يرتدي قبعة شمس بيضاء. كان هذا هو عيسى القائد وتريث بينيروا قليلا هل يتعلق الأمر بمداعبة من الشباب الكثير الموجود في القرية الاولمبية ام فرقة لصوص؟

فالشاهد متحير ولا يعرف ماذا عليه ان يفعل؟ فلم يخطر بباله أنهم ربما يكونون فدائيين.

في تلك الاثناء كان الفدائيون الثلاثة المثبتون قد جاؤوا من داخل القرية الاولمبية ولحقوا بهم.

وقد أيد ذلك اقوال ابو اياد، اذ ان كلا الزعيمين من المحتمل انهما قد حضرا قبل ذلك بساعات. ومع ذلك فأين توقفا طوال هذه المدة؟ هل كان هناك متضامنون معهما من الدول العربية؟

سؤال لا يزال بدون اجابة منذ يوم الاحداث الوحشية التي وقعت في ميونيخ فطبقاً لمعلومات عديدة جديدة عن النشاط الجنائي لوزارة الأمن في برلين الشرقية، لم يعد يستبعد كذلك ان المساعدات الاضافية جاءت من كل جانب. فالفريق القومي لألمانيا الشرقية كان يسكن قريباً جداً من الاسرائيليين وابو اياد يسافر غالبا وبكل سهولة الى برلين الشرقية، كما أن علي حسن سلامة، طبقاً لمعلومات جهاز المخابرات الغربي، كان يقضي الايام الأولى من سبتمبر ١٩٧٢ على الجانب الآخر لسور برلين، ويتابع كذلك من هناك الإرسال التلفزيوني لاحدى وعشرين ساعة من المأساة.

ولكن من الممكن أيضاً، كما هو معتاد، تقديم تصريح بمنتهى البساطة.

فعيسى الملقب «بمصلحة»، والزعيم في نفس الوقت، كان بمثابة مهندس معماري في مرحلة ما من مراحل بناء المعسكرات الأولمبية، وكان نائبه «جيفارا» مهتم بشؤون المطبخ. اما ابو لبان، ويلقب أحيانًا «بأبو هالة» فقد كان يقوم برعاية حشائش القرية الاولمبية من آن لآخر.

كانت الساعة ٤,٢٠ دقيقة عندما اجتمع الفدائيون امام مبنى ٣١ شارع كونولي، فقد كان هناك ٢١ عضواً من الوفد الاسرائيلي البالغ ٢٨ عضواً منقطعين حيث أرسلت دولة اليهود خمسة عشر لاعباً وثلاثة عشر موظفاً. وفي هذه الليلة تواجد ثلاثة في «كيل» داخل سباق زوارق شراعية بينما تسكن لاعبتان في القرية النسائية. ونزل رئيس اللجنة الأولمبية الاسرائيلية والأمين العام في فندق شيراتون. وربما كان هناك ثلاثة من موظفي الأمن. وهؤلاء ايضا لا يزالون بمثابة لغز، لأنهم بكل بساطة لم يظهروا أبداً في الصورة. وتسلل الفدائيون من الطابق السفلي، الذي يؤدي الى مبنى رقم ١، كانت البوابة الخارجية غير مغلقة، رغم أنها كانت المدخل إلى المساكن الفردية. وكان مدرب

المصارعة يوسف جوتفرونيد ينام في الطابق الأرضي وهو مهاجر من رومانيا، وقد استيقظ عندما سمع الصوت الخفيف لأحد المفاتيح، التي لم تتمكن من فتح الاقفال. وانسحب جوتفرونيد حتى وصل الى الباب دون ان يوقظ سكولفيسكي رفيقه في الحجرة وبعد محاولات فاشلة كثيرة، نفعت «الطفاشة» وانفتح الباب على مصراعيه ووقف «يوسف جوتفرونيد» العملاق ذو الوجه العريض والعيون الصافية على مسافة قصيرة من الفدائيين وجهاً لوجه امامهم. وكان عيسى الأول فيمن رآهم فهمس بأمر سريع لرفاقه «لا تطلقوا الرصاص».

فهو لم يرد ان يعرض العملية لخطر بسبب طلق ناري غير محسوب. كما كان يعلم ان الاسرائيليين منتشرون في كل ارجاء البيت، وطلق ناري من الكلاشينكوف قد يحذرهم على الفور. وفوق ذلك فقد كان عيسى يريد اسر ضحيته حياً. وانقض الفلسطينيون على الباب بمنتهى السرعة والحذر. كان يوسف جوتفرونيد الذي طار النوم من عينيه في تلك الأثناء يقاوم نفسه من الداخل بكل ما لديه من قوة. تسللت ماسورتي بندقيتين من خلال فتحة الباب التي ظلت «مواربة» لدقيقة ثم اظهر الزناد. كان المصارع الممتلىء بالعضلات يعلم انه لن يصمد طويلا ضد هجوم الثمانية العرب وعندما خارت قواه، اطلق صرخة عميقة وطويلة المدى: قتلة! هيفرا اسكانا! يا اولاد هناك خطر يهددنا، فقد كان يريد تحذير رفاقه مرة اخرى. وبذلك تخلت عنه قوته. فتعثر ودخل المهاجمون الى الدهليز.

في هذه الاثناء ادرك سكولوفيسكي، مدرب رفع الاثقال الموقف فأمسك بكرسي، وحطم زجاج النافذة وقفز الى الشارع وانطلق يجري حفاظاً على حياته وهو يرتدي بنطلون بيجاما فقط.

وانهال الرصاص حوله. وهبط وسط الحشيش بالتدحرج الأمامي. وانهالت قذيفة تالية على بعد سنتيمتر واحد فقط منه. ومرّ على مسكن وفد اوروغواي ونقر على النافذة في يأس ولم يجد رد فعل. ثم وصل الى المبنى رقم ١٥ حيث يسكن الكوريون الجنوبيون، فقد طار النوم من عيونهم في تلك الاثناء وفتحوا ابوابهم. واصبح سكولوفيسكي في أمان ووقف كلا مطارديه يزمجران امام النافذة المكسورة.

كان عيسى بعيداً عن كل هذا حيث بدأ العملية مع الأسف. فقد أمر واحداً من رجاله وجوتفرونيد وآخر بحراسة المدخل واندفع الباقون الى الطابق الأول ووضعوا فوهة مدافعهم الكلاشينكوف في وجه اربعة من الرياضيين الذين أثقل النوم رؤوسهم.

وكان الأمر يدور حول كابتن فريق الشيش (اندريه سبنسر) ومدرب الرماية كيهات شور ورافع الأثقال ياكوف شبرنجر ومدرب الجري لفريق كمال الاجسام اميتزور شابير: ارفعوا ايديكم! ارفعوها! لم تكن الأوامر غير مفهومة. وبسرعة تم إحضار الرهائن الى الحجرة وربطهم بإحكام. حاول عيسى استجواب الرهائن الاسرائيليين حيث أراد أن يعرف أين باقي اللاعبين. وأظهر انه لا يعرف الأماكن تماماً. ومع ذلك لم يحصل على أية إجابة. حتى الصفعات لم تحقق له ما يريد. وقام أربعة بالبحث تحت قيادة «جيڤارا» وبعد ذلك اكتشفوا فجأة رجلاً، يرتدي زي الرياضيين الاسرائيليين وهو عبارة عن جاكيت ازرق وزهري، وربطة عنق نبيذي، وقميص ابيض وبنطلون بيج، وعلى ما يبدو انه تواجد في طريق عودته لسكنه وقد كان هذا هو مدرب المصارعة، موشى فاين برج الذي كان

وراءه نزهة واسعة خلال طريق «فلانيرمايل شفابنج» بميونيخ. وعندما سمع الأمر غير المتوقع «ارفع يديك» خرج من حالة السرور، ومع ذلك فقد دافع موشى فاين برج عن نفسه بعد ذلك، عندما رأى السلاح فجأة والتفوق لدى المهاجمين، ـ فضرب احدهم الملقب بابو اللبان ـ وطرحه أرضاً وأخذ مسدسه، واتجه مصوباً المسدس للآخر. فرفع هذا الآخر سلاحه وأطلق الرصاص فخنق صرخة الاستغاثة المدوية لفاين برج الذي انتزعت الرصاصة قطعة من وجهه. أوقع الجناة المدرب الذي ينزف بغزارة الى ممر الشقة رقم ٢. وهناك سألوه، عما اذا كان هناك اسرائيليون، فحرك رأسه. وعندما دفعوه من جديد، أجاب المصاب اصابة خطيرة باختصار شديد «أوروغواي» وبهذا نجا خمسة من أهل المنتجع الاسرائيلي.

وبطفاشة اخرى فتح الفدائيون الباب الى شقة رقم ٣. وهنا ايضا فاجأوا ستة لاعبين اسرائيليين نائمين ـ رافعي الاثقال زيف فريد مان، واثين مارك، يوسف رومانو، وكذلك المصارعين اليرزرهالفيد وجاوتسوباري ومارك سالفين وكانت أول صدمة لهم، عندما فتحوا عيونهم، رؤية فوهة المدافع والصدمة الثانية رؤية موسى فاين برج الذي تسيل منه الدماء. وسأل الفلسطينيون من جديد اين الاسرائيليون الآخرون؟ اين رئيس الفريق كله؟ ولم يجدوا اجابة مريحة وتركت المجموعة كلها شقة ٣، واتجهت الى شقة ١، حيث يوجد الرهائن، في خطوة بلهاء، صامتة ونادرة، رجال ببنطلونات، قصيرة وبدون احذية، وآخرون بأسلحة ومسدسات ولم يبد ان احدا قد رآهم. فالقرية الأولمبية بسكانها (١٢٠٠٠) ساكن لا يزالون نائمون. وفجأة قبل الوصول للهدف المنشود بقليل بدأ «تسوباري» في الجري. فقد وثب وقفز بكعبيه كالأرنب، لينجو من البنادق التي كانت مصوبة نحوه.

وبعد ذلك وقف امام سور، فقفز وهبط في القرية النسائية وجرى مرة اخرى اندفع أخيراً إلى شقة مفتوحة وهناك العديد من رجال البوليس يجلسون حيث يصنعون لقهوة. وتم إنقاذ المصارع. حيث كانت الساعة ٤,٥٧ دقيقة. وبينما الفدائيون يقوم ثلاثة منهم بإطلاق النار على تسوباري، انقض موشى فاين برج المصاب على الرجل الرابع، الذي كان يطلق على نفسه اسم «ابراهيم مسعود بدران». لكمه الاسرائيلي الخطير بضربة في فكه الأسفل فسقط الشاب، البالغ من العمر تسعة عشر عاما والذي يعتبر اصغر الفدائيين مغشيا عليه على الأرض. وطالب فاين برج اخوانه الخمسة الباقين بأن يجروا ؟ارين.

في نفس اللحظة اخذ مدرب المصارعة البالغ من العمر ٣٣ سنة السلاح من بدران المغشى عليه، وبذلك واجه بالفعل ضرب النار المستمر من الفدائيين الذين كانوا حتى الآن يصوبون النار على تسوباري، والرجل الرابع الموجود في الشقة رقم ١.

وعندما جمع الخاطفون ضحاياهم، حاول احد الاسرائيليين الهروب مرة اخرى وهو «يوسف رومانو» رافع الاثقال. واستوقفته ثلاث طلقات من مدفع كلاشينكوف الخاص «بجيفارا» في غرفة النوم. فتوجه رومانو الذي كان يعرج الى المطبخ، محاولاً فتح النافذة، ولكنه فشل، لأن الطلاء الجديد جعلها لزجة. وأطلق عليه احد الفدائيين النار، فتعثر رومانو في خطأه واخذ سكينا حادة من المطبخ. طلقة اخرى وطلقة تالية وألقى رومانو نفسه على الأرض واخذ يبحث كالحيوان الهائج عن مخرج. الطابق

الأول، غرفة النوم.. وهناك وجد الرهائن الخمسة الاصليين وحارسان. واندفع رومانو الضعيف الى غرفة النوم وجرى مباشرة الى البندقية التي مع احد الفدائيين التاليين وهي من طراز السلاح النصف آلي، هذا الفدائي كان يسمي نفسه «باولو» ذهب «رومانو» الى البندقية الثانية جاثيا على ركبته، ولا يزال متشبثا بالسكين واخترقت الرصاصات رقبته واعلى جسده. بلغ الأمر برافع الاثقال المصاب فعلا بإصابات خطيرة ان افاق مرة اخرى وضرب السكين بكل قوته في الوسط بين عيني الرامي «باولو» الذي صرخ من شدة الألم. فجرى احد معاونيه وامسك على الفور بزمام الموقف، واطلق خزانة بندقيته كلها على «يوسف رومانو» وبالطبع تمت تصفية دماء الاسرائيلي ووجدت دماؤه واجزاء من احشائه على الحوائط والاثاث.

وبصرخة يتجمد لها الدم في العروق، مات «رومانو» في أقل من ثلاثين ثانية وفي مساء ٥ سبتمبر عندما استطاع البعض شحن جثمانه اخيرا، تكسر الجسم المهروس في الوسط. ويوسف رومانو مولود عام ١٩٤٠ في طرابلس بليبيا اصله بالطبع معروف، شعره الاكرت الكثيف وبشرته القمحية تشيران الى انه يهودي شرقي، ورافع الاثقال الممتلىء العود، والنجم ذو العضلات الذي يعمل كعامل ديكور في مصلحة مدنية، حارب في حرب الايام الستة في الضفة الغربية والجولان وفيما بعد حارب ضد قيادة فتح المتسللين بمحاذاة حدود الأردن. وقد كان متزوجاً وأباً لثلاث فتيات.

وكان يوسف رومانو يريد التخلي عن مستقبله الرياضي بعد أولمبيات ميونيخ وتوالت الاحداث المؤسفة، عندما افاق موشى فاين برج الفاقد الوعي مرة أخرى. وبدلاً من أن يهرب، اندفع إلى الشقة مع الفدائيين ورفاقه الأسرى.

وتعثر جسم فاين برج، الذي نقص منه قطعة لحم مغطاة بالدم، بتعثر بأحد الفلسطينيين في الأرض. هذا الذي افسح لفاين برج الطريق حتى بلغ المطبخ. وأمسك هو الآخر بسكين هناك فقفز ثلاثة من الفدائيين عليه فانجرح «أبو اللبان»، الذي كان أمامه تماماً وهو على الأرض، فضربه في أعلى ذراعه فاستشاط غضبا وفرغ خزانة مسدسه في فاين برج، وهو من يافا، ويعد احد المدربين والمصارعين الناجحين، وقد مات في الساعة ٤,٥٠ دقيقة.

في الوقت نفسه استغاثت احدى عاملات النظافة برائد الحدود فولف روم من الدورية النظامية وابلغت عن سماع صرخة في ٣١ ش كونولي فلم يكن ثمة احد قد لاحظ بعد ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي قد وصل الى منتهى عدم الرحمة في القرية الاولمبية.

وقد تم إرسال دورية البوليس الجنائي للتحري عن النبأ. وقابلوا جيوفارا الذي يرتدي قناعا ويحمل قنابل يدوية. وناداه أحد رجال البوليس من مسافة تضمن له الأمان «ماذا يحدث»؟ ولما لم يتلق رداً كرر الضابط الذي بذل أكثر ما في وسعه، حيث سأله بالانكليزية فأعرض النائب في الفرقة الفدائية دون كلمة واختفى وتراجع للوراء ودخل المنزل، طارت ورقة من شرفة الدور الأول ثم أجاب نفس الرجل الآن: دع الحكومة الاسرائيلية تعرف فورا ان شيئاً يحدث هنا وان عليها ان تهتم بالحصول على اية مساعدة. كانت الساعة بعد الخامسة بقليل عندما تحرك جهاز الأمن الألماني. ومع ذلك كانت الساعة التالية محيرة بالنسبة لكل فرد، لأنه لم يحدث أبداً اي هجوم ارهابي في مثل هذا التنسيق الرياضي العظيم وأمام اعين ٩٠٠ مليون مشاهد تلفزيوني، لا في المانيا

الاتحادية ولا في اي مكان آخر، وفي تقرير للبوليس عن العملية وردت التطورات التالية.

سلم العرب احد رجال الشرطة من ذوي المناصب العليا في المجلس الأعلى للشرطة في ميونيخ، والذي وصل بعد الساعة الخامسة بدقائق قليلة ليتخذ اول اجراء من الاجراءات البوليسية، سلموه إنذاراً يتضمن طلبا بإطلاق سراح ٢٠٠ عربي في قبضة اسرائيل خلال ثلاث ساعات، والا ستُطلق النيران على الأسرى، وتم تقديم قائمة باسماء المعتقلين. وطالب العرب بابتعاد كل رجال الشرطة أثناء التفاوض وإلا فسيطلقون الرصاص على الرهائن ويفتحون النيران على رجال الشرطة. واقام كلا الطرفين خطوطهما الدفاعية والحصار. وفيما بعد تم وصف هذا الموقف بالتفصيل في «مجلة شتيرن»!.

(لم يكن البوليس يعرف ما مدى قوة هذه المجموعة ولا عدد الناس الموجودين في قبضتهم. تولى د. مانفريد شديبر رئيس الشرطة في ميونيخ قيادة العملية ففعل ما يفعله كل رئيس شرطة في اول الأمر: جعل جيشا من الشرطة يصطف حول المكان ثم انتظر).

وتتكون النواة الصلبة في قوات شريبر من ٣٦ رجلاً. وهناك اثنا عشر مخرجا لمبنى ٣١ ش كونولي. لذلك اقام البوليس اثني عشر قوة للعمليات كل قوة بها ثلاثة رجـال.

في هذه الاثناء تم تحليل مطالب الفدائيين. قائمة ذات وجهين تحتوي على ٢٣٦ اسماً، يوجد من بينهم فدائيون في غاية الخطورة مثل الياباني، كوزو اوكاموتو، الناجي الوحيد من عملية وقعت في مايو ١٩٧٢ في مطار تل ابيب، تم خلالها قتل ٢٨ يهودياً وأصيب ٧٦ شخصاً بإصابات بالغة وكذلك توجد بالقائمة السيدتان اللتان تم القبض عليهما في مايو وتم ترحيلهما احياء الى اسرائيل اثناء اختطاف طائرة البوينغ التابعة لشركة سابينا وهما تريزة حلاوة وريما طنوس التابعتان «لأيلول الأسود». توقف نفس الخبراء الالمان امام اسمين: اندرياس بعادر واولريك واينهوف وكلاهما بمثابة الرأس المدبرة للعنف في المانيا الغربية تم القبض عليهما بعد العديد من عمليات التفجير والاغتيالات في يونيو ١٩٧٢ م.

كان نجاحا كبيرا للسجل الخاص بالمطلوبين في العمليات الارهابية، هذا الذي لا يزال في مبتدأ امره. وكان علي حسن سلامة الذي يعرف كلاهما شخصيا يريد ان يطلق سراحهما وبذلك يكسب تأييداً دولياً لعمليته.

وتضمنت بالفعل مع الطلب الأول في حوالي الساعة ٥,٨، اشارات واضحة للاجراءات التالية. حيث يتم نقل الفدائيين ورهائنهم الصهاينة في ثلاث طائرات بعيدة المدى خارج البلاد. وبمجرد ان تهبط كل طائرة في مقرها، تبدأ الطائرة التالية رحلتها. وستنتهي مهلة التحذير لهذه العملية في حوالي التاسعة وضع البعض الساعة بيده، وكتب الباقون بالفعل لبيروت. واذا لم تستجب السلطات الألمانية، هكذا بمنتهى التهديد لسافر، للمطالب حتى هذا الموعد ستموت الرهائن الاسرائيلية واحدا بعد الآخر في حوالي الساعة ٥,٢٠. وقع أول اتصال مباشر بين البوليس الألماني وزعيم الفدائيين عيسى. كان الفلسطيني يرتدي قبعته الشمسية المميزة، وبذلة صيد فاتحة اللون، وسويتر

ابيض وحذاء بكعب عال، وقد يترك عيسى انطباعاً ذكياً، ولكن مع ذلك فالوجه المسود بالفحم النباتي ومسدسه، ومطلبه غير المحتمل الذي عرضه بألمانية ممتازة، يتعارض مع هذا الانطباع.

ورغم أنه أصبح مهاجَماً لدقيقة، الا انه ما لبث ان سيطر على نفسه فوراً. وبدأ اليوم الطويل في ميونيخ لتوه. فأعصاب كل المشاركين كانت لا تزال هادئة للغاية.

(١)

اللحظات العصيبة

تطورت الأوضاع فيما يلي ذلك بشكل درامي، ففي الساعة ٥,٣٥ حاول الفدائيون القيام بأول مكالمة تليفونية في ٣١ ش كونولي، هذه المكالمة التي لا زالت حتى اليوم مليئة بالعديد من الالغاز، فقد طالبوا الاتصال ببيروت، ربما للابلاغ عن التنفيذ، ولكن الاتصال لم يتم، في الساعة ٥,٤٠ وصل رئيس البوليس في ميونيخ د. مانفريد شريبر وقد قام شريبر ايضا بدورمندوب الأمن للجنة الاولمبية. ورجل القانون البالغ من العمر ٤٦ عاما، والذي نشأ في قصر شرق بايرن، يرأس شرطة ميونيخ بالفعل منذ تسعة اعوام. وهو شخصية شعبية مميزة. في هذا اليوم من سبتمبر كان عليه ان يتخذ القرار الهام، ويتحمل نائبه د. جورج فولت نقلته البوليسية. فمنذ بداية الحادث تم الغاء وظيفة جهاز الدورية النظامية ـ الاولمبية.

في الساعتين التاليتين انضم وزير داخلية مقاطعة بايرن «برونو ميرك»، ووزير داخلية المانيا الاتحادية هانز ـ ديتريش جنشر، وكذلك صاحبي اكبر المناصب الرياضية، رئيس لجنة الدولية الاولمبية افيري برونداج، ورئيس اللجنة الوطنية الاولمبية، فيلي داومي، للإطلاع على المكان، ومن الواضح ان المسؤولية تشعبت. وزير الداخلية ميرك هو المنفذ، ورئيس البوليس شريبر هو قائد الحرب.

وأجرى وزير الداخلية في بون اتصالاته بالمستشار الاتحادي آنذاك فيلي براندت، ووزير الخارجية والتر شيل الذي أصبح فيما بعد رئيساً لألمانيا الاتحادية. الذي أبلغ السفير الاسرائيلي في بون الياشيف بن هورين، واتصل الدبلوماسي بالقدس. وتضافرت كل الدوائر، ولم تستسلم رئيسة الوزراء جولدا مائير كما ذكرت في مذكراتها عن ٥ سبتمبر ١٩٧٢، لمنتهى الوعود المرضية.

فلم يكن هناك مجال للشك في ان حسم القضية برمتها في يدها هي بالقدس وقد كان الرجل الثاني في الأهمية هو الجنرال زيف زامير البالغ من العمر ٤٧ عاما، ومدير جهاز المخابرات الاسرائيلي «الموساد». وزامير النحيل الذي لا يترك اي انطباع مؤثر لدى المحيطين به واسم شهرته زفيكا، خلف وراءه فيما مضى سجلاً شاقاً. حيث نشأ من المقاومة ضد الانكليز، وقاد الكتيبة (٦) اثناء حرب الاستقلال وتمت ترقيته بالفعل سنة (١٩٥١) الى قائد لواء. وتولى البولندي العراقي المولد لواء (جيڤتا) الذي لا يزال حتى الآن يعد صفوة سلاح المشاة في الجهاز العسكري الاسرائيلي.

وبغض النظر عن ميدان قتال سيناء سنة ١٩٥٦ فقد كان زامير حتى ١٩٦٢ متوليا أمر القيادة الجنوبية في جيش الدفاع الاسرائيلي. وقد تم ارساله لفترة وجيزة بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٦٨ الى الموساد المليء بالأسرار. وفوجيء كل من في الداخل من

هذا القرار الشخصي. والحق ان «زامير» الرجل الذي بلا خبرة في مجال المخابرات، غير ان لديه علاقات طيبة في حزب العمل الحاكم، تم تثبيته في هذا المنصب.

وقد أتاحت له سنوات الوظيفة التي بلغت خمس سنوات ونصف في صفوة السلطات الاسرائيلية قليل من النجاح الدائم، بالرغم من انها انطبعت بالأعمال الفائقة ضد المقاومة الفلسطينية.

كان زيفي زامير زعيماً ضعيفاً للموساد بعد سلسلة من الأقوياء، ولكنهم كانوا بالنسبة لزعماء حكوماتهم رجال لهم فاعليتهم، في الاعتداد بالنفس لتأسيس جيل عصري. وعندما استقال سنة ١٩٧٤، كان مغلوباً على أمره فلا شك أنه كان لا يزال جيدا بالدرجة التي تكفي لتولي معمل التكرير في حيفا لمدة أحد عشر عاماً كمدير عام. والزعماء العسكريون ورؤساء وكالات المخابرات في اسرائيل لا يستقيلون بسبب الشيخوخة، فهم يبحثون عن مهام في مجالات أخرى.

فالجنرال زامير لا يزال حتى اليوم، بغض النظر عن حديث في مجلة الجيش (في المعسكر)، لا يتحدث عن معلوماته عن يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٢ وما احاط به. وحتى الآن وبعد مرور عقدين من الزمان، لم يحصل من صاحب العمل فيما مضى، الذي تولى منصب رئيس الوزراء، على اي تصريح بذكر معلوماته علانية.

لذلك فقد تمت مساومة مع الصحفي الاسرائيلي يوسف أرجمان الذي أدار حواراً سنة ١٩٨٧م حول مستند فريد من نوعه.

وقد استغاثت جولدا مائير البالغة من العمر ٧٤ عاما «بزيفي زامير» في صبيحة يوم ٥ سبتمبر وعقدت في مكتبها بالكنيست، (البرلمان الاسرائيلي) جلسة طارئة مع مدير الأمن والعديد من الوزراء والاعضاء. ودارت المناقشة في الغالب حول المشكلة الرئيسية: ما الذي يمكن والذي يجب ان تفعله اسرائيل لانقاذ حياة لاعبيها؟ فقد جاء الخبر من بون بالفعل، ان المشكلة على ارض المانية ومن المستبعد ان يتم حلها بقوة المانية خاصة وقد استبعدت كذلك بالفعل قيام فرقة اسرائيلية خاصة بحسم القضية في المرحلة الأولى.

وأبدت جولة المباحثات بين القيادات العليا ثقتها في مقدرة الجيش الاتحادي وتم عرض مقارنة لعملية الاقتحام الناجحة لطائرة ـ سابينا المخطوفة كما تردد ان الألمان ربما يسيطرون على الموقف تماما رغم كل شيء. وكان القرار التالي في هذا الصباح، رفضاً صريحاً لمطلب «أيلول الأسود» بإطلاق سراح ٢٣٦ فدائياً. وأثارت غولدا مائير مسألة، من الذي ينوب عن وزارتها في ميونيخ. وقد لفتت الأنظار الى انه شخص سيتعرض لمشكلة سياسية ـ وهي اطلاق سراح الرهائن ـ واخرى استراتيجية، ووقع الاختيار على وزير الدفاع موشى ديان. وهو قادر على ذلك، فقد يستطيع قيادة الصراع مع الألمان. والجيش الاتحادي مكلف بتحرير اللاعبين الاسرائيليين من أيدي «أيلول الأسود» وهو كفؤ بما فيه الكفاية للقيام بهذا الواجب بدون مستشارين عسكريين اسرائيليين.

أما فيما يتعلق بالناحية السياسية فربما تحدد أن يتم إنجازها في محادثات تليفونية بين رئيسة الوزراء والمستشار الألماني فيلي براندت.

وقد اقترح البعض إرسال رئيس الموساد «زيفي زامير» إلى ميونيخ. الذي اعترض

على أن أمن الفريق لا يعد من واجبات وكالة مخابرات خارجية، وإنما من واجب الوكالة الداخلية «شاين بيت». واعترض كذلك على أن الألمان بالفعل ضد استخدام وحدات اسرائيلية مكافحة للارهاب، وانهم في الوضع الذي يجعلهم قادرين على مواجهة الموقف بأنفسهم بإجادة تامة.

وفي استعادة لذكريات زامير عن الماضي (لا أحد منا يعرف الجيش الألماني جيداً. ولكن الكل يعرف أنه جيش عظيم، ولذلك فكرنا انه بالتأكيد هناك وحدة قادرة على مواجهة هذا الموقف). ولم تكن جولة المباحثات في القدس تعلم ان الدستور الألماني الاتحادي لا يسمح باستخدام الجيش الاتحادي ضد الفدائيين. وقد أمكن التغلب على استعداد الجانب الاسرائيلي للتفكير بطريقة خاطئة ولكن بعد مجهود، حيث كانت الأغلبية تؤيد أن اسرائيل مسؤولة سياسياً فقط ومطالبة كذلك، بإرسال أحد أعضاء مجلس الوزراء. وبالطبع كان وزير الدفاع هو الاختيار الأمثل. وانفض المجلس بعد الظهر دون قرار صريح. في هذه الاثناء كان الاتفاق كذلك على حل مشكلة الرهائن، بأن يتم ترك حلها للألمان مؤقتا، وإذا ما كان بطل اسرائيل الحربي الخبير يعلم أنه بذلك أسرف في تقديرهم بلا أمل، فهو قد صحح حسابه الخاطىء هذا فيما بعد بالتأكيد. كان الوقت يمر ببطء في ميونيخ. مال الطرفان الى التوقيع اكثر من المواجهة. وعندما بدأ التهديد بانقضاء المهلة التي حددتها الفرقة الفدائية، ذهب وولتر تروجر الذي كان عمدة للقرية الأولمبية في فترة الألعاب، ومانفريد شرايبر رئيس شرطة ميونيخ، ومعهم عضواً مصرياً في اللجنة الأولمبية الدولية، إلى مكان الحادث وتحدثوا من على الباب إلى عيسى الذي كان يحمل مسدساً عيار تسعة مرتخياً في يده.

وعرض «تروجر» على الفلسطيني عملية مبادلة، ففي مقابل اطلاق سراح الاسرائيليين يذهب ربما هو والوزراء «ميرك وجينشر وشريبر» وعمدة ميونيخ الأسبق هانز يوخن فوجل الى ايدي فرقة الكوماندوز.

وقد رد الزعيم على الاقتراح بالرفض: (لا.. أنتم لستم اعداء لنا، وانما عدونا هم الاسرائيليون).

واضاف بتعبيرات وجه حاسمة (في خلال خمس عشرة دقيقة سوف اقتل بيدي في هذا المكان أحد الرهائن، اذا لم نجد حتى ذلك الحين رداً ايجابياً على تحذيرنا). وتدخل المصري في تلك الأثناء (لقد حصلت اسرائيل لتوها على القائمة ولم يكن لأحد حتى الآن ان يصل الى مقر رئيسة الوزراء ولو كنتم تتحرون العدالة، فعليكم تأجيل انذاركم على الأقل ست ساعات) وقد تم الاتفاق على ذلك. في تلك الاثناء اتصل «فيلي براندت» مع رئيسة الوزراء الاسرائيلية، وأوضحت غولدا مائير لنظيرها الالماني، انه ليس بالإمكان ايجاد حل وسط وابرزت مسؤولية المانيا تجاه احداث ميونيخ. فاغتيال ڤاين برج واعتقال عشرة لاعبين كرهائن كما تقول هي: يعد جريمة المانية من ناحية المكان. وقال فيلي براندت في استسلام: (لقد قررت، ان ادع الفدائيين يعلمون قبل الظهر، اننا سنطلق سراح كلا الرهينتين الالمانيين اللذين طلبوا منا اطلاق سراحهما، وهذا هو كل ما في مقدوري أن أفعله). في الساعة ٩,١٠ قدم الخاطفون تصريحا جديدا مكتوبا بالقلم الجاف جاء فيه تكرار للجمل التي وردت في الرسالة الاولى، ولكنه كان رغم ذلك اعنف في اختيار الكلمات. ومثل هذه الصيغ مطابقة لطريقة التفكير الساخرة

«لأيلول الأسود»:

(إن الموقف المتغطرس للنظام العسكري الاسرائيلي، وامتناعه عن تلبية مطالبنا، لن يضللنا، لكي نتنازل عن موقفنا الانساني، وسنمضي في بذل جهودنا لانقاذ المسجونين في اسرائيل تحت الشروط التالية:

١ ـ على جمهورية المانيا الاتحادية ان تعلن عن استعدادها لاحضار المعتقلين الاسرائيليين الى اي مكان نشاؤه، هذا المكان ستحدده قواتنا الثورية في القرية الاولمبية.

٢ ـ تزود جمهورية المانيا الاتحادية قواتنا المقاتلة بثلاث طائرات، على متنها يتم احضار المعتقلين الاسرائيليين مع قواتنا المسلحة في ثلاث مجموعات متوالية في مكان لم يتحدد بعد.

٣ ـ ستغادر كل مجموعة ميونيخ، بمجرد ان تصل المجموعة السابقة الى هدفها، وسوف تتحمل جمهورية المانيا الاتحادية تبعة ذلك.

٤ ـ أية محاولة لإعاقة عمليتنا، ستنتهي بتصفية كل المعتقلين الاسرائيليين وسوف تتحمل جمهورية المانيا الاتحادية تبعة ذلك.

٥ ـ ينقضي هذا التحذير خلال ثلاث ساعات. ثم بعد ذلك سوف تتحمل المانيا الاتحادية المسؤولية كاملة بكل عواقبها.

٦ ـ بعد انقضاء التحذير فإن قواتنا الثورية، في حالة عدم الموافقة على المطلب الخاص بمغادرة الأراضي الألمانية، سوف نتلقى الأمر باستخدام القوة الثورية العادلة، لتلقين القيادات الحربية في الجهاز العسكري الاسرائيلي، ونكبد المانيا الاتحادية درساً قاسياً).

(٢)
يا كل ثوار العالم، اتحدوا معنا!

حوالي الساعة ٩,٢٠ دقيقة انفتح باب ارضي في المبنى ٣١. وظهر ثلاثة رجال يرتدون اقنعة ويحملون اسلحة ثقيلة ومعهم اربعة من رهائنهم مربوطين كالطرد ليقوموا بنزهة، مما حير المراقبين المختبئين جدا، يذهبون حتى باب مبنى ٣٣ وظهرهم للحائط دائما، ومدافع الكلاشينكوف والمسدسات مصوبة دائما في وضع استعداد على المعتقلين، لم يجرؤ احد على الاطلاق على اطلاق الرصاص على الفدائيين، بالرغم من انه ربما تكون هناك سهولة لذلك الآن. وتتشكل جماعة اركان الحرب دائما من خمسة فلسطينيين. ولكن يخيم عدم الوضوح ايضا حول العدد المضبوط للإسرائيليين الذين لا يزالون على قيد الحياة في ٣١ ش كونولي. بينما احصى مانفريد شرايبر وطاقمه عشرة لاعبين.

وبعد بضع تدريبات على المسافة تلفت سبع من المترجلين في الدور الأرضي حولهم واختفوا بنفس السرعة التي جاؤوا بها. فهل كان هذا اختبار للمسيرة فيما بعد؟

في حوالي الحادية عشرة دخل السفير الاسرائيلي ميونيخ على متن طائرة تابعة للسلاح الجوي لألمانيا الاتحادية. وتم إحضاره فوراً إلى هيئة أركان الازمة، التي تأسست في الدور الثالث من مبنى الادارة، في منطقة (جـ ١) اجتمع «الياشيف بـن

هورين» بكلا الوزيرين ونقل نبأ أملته عليه غولدا مائير شخصياً، جاء فيه ان اسرائيل لن تتفاوض مع الفدائيين واذا كان على الحكومة الالمانية ان تضغط على الفدائيين لتنقذ الرهائن بذلك، فهذا مقبول بالنسبة لاسرائيل.

(بلادي كلها مقتنعة بأن المانيا لن تترك مواطناً إسرائيلياً جاء إليها ضيفاً وتم اختطافه على أرضها. لن تتركه أبداً تحت رحمة فدائيين).

وما جاء من القدس لم يضف شيئاً لهذا. وظل مندوب اسرائيل أيضاً في ميونيخ على اتصال دائم بحكومته، وأتاحت له هيئة أركان الأزمة وضعا للقيادة، وظل حتى الساعة ٣,٤٥ من صباح اليوم التالي بدون مقاطعة. وجاءت محاولة جديدة للتفاوض مع الخاطفين من فوجل عمدة ميونيخ وعرض من جديد التبادل مقابل سياسيين المان، وأخيراً أي مبلغ ضخم وكذلك خروج حر. ووصل الرد على كلا الاقتراحين بالرفض.

وقال عيسى العُريسة (المال لا يعني شيئاً بالنسبة لنا على الاطلاق، فنحن مستعدون لأن نموت من أجل بلادنا).

في تلك الاثناء جاء طلب من اسرائيل بمقاطعة الألعاب الاولمبية احتراماً للاعبين الذين تم اغتيالهم واعتقالهم بالقوة.

وأنعش ذلك المناقشات التي بدأت على اية حال بالفعل، حول الغاء المسابقات، وتزايد التوتر. وأسرع وفد جديد مع رئيس الشرطة «شرايبر» وعضوي اللجنة الاولمبية الدولية المصري، ومحمد قاذف نائب جامعة الدول العربية في بون إلى الممر الأمامي من ٣١ ش كونولي.

وقد تحدثوا مع عيسى الذي سود وجهه حديثاً، وكان يمون نفسه بقنبلتين يدويتين بشكل واضح، واحداهما بدون صمام أمان. ويبدو في أحسن حالاته ملوحاً بيديه بحركات متحفزة.

وأخبره المفاوضون مرة اخرى بمدى صعوبة الاتصال مع اسرائيل وانه ربما يجب اتخاذ قرارات جماعية في القدس من مجلس الوزراء بأكمله، وبمجرد ان تستعلم الحكومة الاسرائيلية عن الـ ٢٣٦ معتقل، المطلوب الافراج عنهم يكون القرار النهائي محل انتظار.

وكرر مندوب جامعة الدول العربية مرة اخرى العرض المالي الذي تم عرضه بالفعل من قبل عمدة ميونيخ السابق.

ورفض الفدائيون من جديد في اباء. ولكن تم مد مهلة الانذار من جديد حوالي ساعة وقبل انقضاء المهلة بخمس دقائق ظهرت مجموعة جديدة، كانت هذه المرة مع جينشر وزير الداخلية في بون، واقتنع الفدائيون مرة اخرى بالانتظار ساعتين تاليتين والتحذير الجديد يمتد لمهلة حتى الساعة ١٥.

وفي غرفة العمليات دار الحديث بين آخرين حول (استخدام وسيلة كيماوية لابعاد الفدائيين).

وعلى ذلك كان التقرير النهائي: (طبقا للاستماع من باب الاحتياط لأحد خبراء مصلحة البوليس الجنائي في الدولة، وأحد الكيمائيين وتكنولوجي فقد تم رفض هذا الأمر، وطبقا لنظرية مطابقة للخبراء فلا يوجد غاز مؤثر فورا بطريقة سحرية وحتى لو فرض ووجد مثل هذا الغاز، فربما يكون الفدائيون والرهائن معرضون له بمقياس

متساو. وباستخدام غاز لا يؤثر بشكل مميت يتبقى لدى الفدائيين وقت كاف لتصفية الرهائن).

وقد ذكر ابو اياد هذه المرحلة من مباحثات الرهائن فيما بعد (لقد اثبتت المفاوضات مع السلطات الالمانية التي كانت تقوم بدور الوسيط بين الفدائيين واسرائيل كيف كان التكهن، غاية في الصعوبة. أما العناد الأعمى لرئيسة الوزراء السابقة غولد مائير فقد أظهر تفهما أقل، لأنها أبدت مدى قلة اكتراثها بإنقاذ حياة الرهائن، ولأن قوات المقاومة لديهم أمر مطلق، بعدم قتل أسراهم، فقد أطالوا مهلة التحذير ساعة تلو ساعة على أمل أن البعض ربما ينجح رغم كل ذلك في الوصول إلى حل وسط. وعند كتابة القائمة التي تضم أسماء الأشخاص المرغمين على تحريرهم كانوا من بين حوالي ١٠٠٠٠ شخص موضوعين في المعتقلات الاسرائيلية وكلهم شخصيات يحسب حسابها المندوبون عن الاتجاهات السياسية نسبيا. ومع ذلك فالفدائيون يعرفون مقدماً، انهم لن يتوصلوا إلى إطلاق سراح ٢٠٠ رهينة أبداً، وهم بذلك على استعداد لاستبدال رهائنهم أيضا في مقابل خمسين أو عشرين أو حتى فقط تسعة من المعتقلين الفلسطينيين. ولكن مما أدى لمنتهى إحساسهم باليأس ان المفاوضين الألمان والإسرائيليين، تقدموا بمجرد عرض واحد مضاد. عرض عليهم البعض ـ كما هو معتاد مع قطاع الطرق ـ في مقابل إطلاق سراح الرهائن أموالاً لا حصر لها (شيك موقع على بياض) وصحبة آمنة للثوريين الستة).

في الساعة الواحدة بعد الظهر أعلن «أيلول الأسود» بياناً. وتم توزيعه في القاهرة على وسائل الاعلام والدبلوماسيين. وفي جمل معقدة التركيب كما سيلي إذ جاء: (إن قواتنا الثورية انتزعت حق الدخول إلى منتجع الاسرائيليين في القرية الأولمبية في ميونيخ، لتحث بذلك السلطات العسكرية الاسرائيلية ان تتخذ موقفاً انسانياً تجاه الشعب الفلسطيني ـ سواء أكان مضطراً هو تحت التعسف الاسرائيلي أو الاجبار إلى العيش في منطقة بها أقليات دينية) وكان الباقي حديثاً عقائدياً، كالذي يعرفه المرء لأمد بعيد. وألقى «أيلول الأسود» دروساً عن «الاضطهاد الديني والعنصري» لثلاثة ملايين فلسطيني وتشتيت أمة بأسرها، ووجود اسرائيل كجسم غريب في الشرق الأوسط، التي تعد «غرساً للامبريالية الأميركية».

وأدان الذراع الفدائي لمنظمة التحرير في هذه الورقة أيضاً ابعاد فلسطينيي الأرض المحتلة من الألعاب الاولمبية (إن النصر المؤقت للاسرائيليين في احتلال فلسطين لن يعطيهم الحق أبداً ليتمكنوا من استئصال الشعب الفلسطيني من أرضه ولن يجيز للمحتلين الاسرائيليين أبداً أن يمثلوا فلسطين المحتلة في المحافل الدولية مثل دروة الألعاب الأولمبية).

ولأول مرة ورد ذكر اسم الشيفرة للعملية الجارية في ميونيخ (بيرم واكريت) وهاتان كانتا قريتان عربيتان شمال هضبة الجليل، وقد طرد الاسرائيليون أهلها سنة ١٩٤٨م.

لم يفكر رئيس الموساد زيفي زامير، عندما طار إلى تل ابيب في طائرة هيليكوبتر بعد اجتماعه في القدس مع رئيس أركان الحرب، ونال منه القلق، هل تحل المشكلة فعلاً، بأن نتركها نحن للألمان؟ هل علينا ألا نعرف أبداً ماذا هم فاعلون وكيف يتولون

المشكلة، ولماذا هم يفعلون ذلك؟.

في حوالي الساعة ١٥ دخل زامير المبنى الرئيسي للموساد في شارع ساول حيث كانت هناك مكالمة تليفونية عاجلة في انتظاره بالفعل. يزرائيل ليور مستشار رئيسة الوزراء للشؤون العسكرية، الذي تولى التوجيه إلى نهاية أخرى وقال: (احترس يازفيكا)، (سيسافر وزير الدفاع من الآن، وهو يضع على كل حال شرط) أن تصحبه أنت وكذلك أحد رجال الوكالة داخل البلاد). وافق زامير بكلمات مقتضبة، وامتدت يده بحركة عسكرية الى الحقيبة الصغيرة التي توضع جاهزة في مكتبه غالباً.

وعلم أن موشى ديان ورئيس القسم العربي في شاين بيت، افرايم شالوم كان قبل ذلك يطلق على نفسه اسم بندور ـ وكذلك باحث جنائي، كانوا كلهم متوجهين بالفعل في الطريق الى مطار بـن غوريون.

عند وصول زامير الى المطار في الموعد، رأى حشوداً من المراسلين ذهبوا كلهم إلى أرض المطار لأن الاشاعة وصلت اليهم بأن وحدة من الصفوة ستسافر الى المانيا، لتحرير الرياضيين. وأتبع ذلك مفاجأة كبرى حين افضى اليه ديان: (لقد قررت الا اسافر، وأعتقد أنك أنت الذي يجب ان تسافر) وتقدم رئيس الموساد مرة اخرى باعتراضه: (انا لست الرجل المناسب، لأجيب الألمان عما يتعلق بالأسئلة السياسية، على سبيل المثال ذلك الذي يتعلق بإذا ما كنا سنطلق سراح الفدائيين، واذا كان الأمر بالنسبة لك مرتبط فقد بوجود رجل اتصالات فالسفير هناك). وبنبرة أكثر الحاحاً من ديان (اعتقد، انك على كل حال سوف تسافر. فلا بد لأحد ان يرى ما هو الوضع، لكنني لا استطيع إجبارك، دعني أتحدث مرة اخرى الى غولدا مائير).

وقال ديان لغولدا مائير: (زفيكا يعتقد ان سفره لا معنى له).

وتحدثت رئيسة الوزراء الرمز الذي يمثل اسرائيل، تحدثت بنفسها مع رئيس جهاز مخابراتها. وحاول زامير مرة اخرى ان يوضح مدى أهمية وجود موشى ديان في ميونيخ. وقال: حتى لو لزم الأمر ذلك بسبب الصحافة فقد يستطيع المرء بعد ذلك السفر من خلال احدى قواعد السلاح الجوي. وقد يلاحظ أحد سفر ديان. وللحق ان ديان كان يخشى وكذلك في تقدير زامير ان وجوده في ميونيخ ربما تعلنه الصحافة. وهكذا قد يتم القضاء على الرياضيين في الحال. واستخدمت غولدا مائير موهبتها الخاصة في الاقناع. واستصرخت وطنية زامير، واخيرا لطف الرجل لهجته. وكان الجنرال حريصا على ألا يسافر بدون تكليف سياسي. واعطاه وزير الدفاع ديان آخر النصائح وهو في الطريق «زفيكا. لا يمكن ان تنتهي اي عملية تحرير داخل المنتجع بسلام. فمن غير الممكن ان تأتي خالصة، ومن غير الممكن ايجاد الناس والتعرف عليهم، فعلى المرء إذاً أن يستدرجهم).

واثناء اعداد الطائرة الخاصة، تحدث الرجال عما قد يفعلونه اذا ما اعتدى عليهم احد في ميونيخ. واسترشد زيفي زامير بإحدى زياراته السابقة عن مكان المنتجع في ارض الاولمبيات. ولمزيد من التأكيد ركزوا بصرهم في تلك الاثناء على صور من الطبيعة. وشرح زامير طبيعة الاماكن. في تلك الاثناء تمت مناقشة استمرار الألعاب بشدة. في الساعة ١٤ ظهر «كونراد الارز» المتحدث باسم الحكومة على شاشة التلفزيون الألماني. وقال ان الحكومة الألمانية ـ لاسباب وجيهة ـ تؤيد استكمال الألعاب.

وكانت هذه ايضا رغبة رئيس شرطة ميونيخ. إلى أين يذهب العديد من الناس الذين ربما لم يعد يقدم لهم فجأة اي مباريات، قد يأتون على اية حال الى شارع كونولي لكي يزيدوا بالفعل العدد الكبير من الفضوليين او ربما هم الذين سريعا ما يلقى عليهم الفدائيون مسؤولية انهاء الألعاب الاولمبية وربما بطريقة ما بالقوة وعلى كل الأحوال فالفجر يطوي داخله عاملاً مخيفاً لعدم الأمان.

وبينما يفكر «شرايبر» في مثل هذه التحليلات المخيفة، هو ومَنْ في غرفة العمليات التفكير في الوقت نفسه في مشهد الافراج، وفي اول محاولة استعد رجلان من البوليس مسلحان وتنكرا في زي طاهيين. والترتيب التالي فيما بعد للأحداث يطالعنا: (تم تجهيز عدد كبير من صناديق المأكولات لدرجة أن أحد الجناة لا يقوى بمفرده على حملها لداخل المبنى في وقت واحد. والهدف من ذلك معرفة مكان وحالة الرهائن من الخارج وبقدر الامكان من الداخل بمنتهى الدقة. وقد قبل الجناة احضار المأكولات للرهائن. ولكنهم اعلنوا انهم لن يأكلوا منها شيئا وتركوا عدد الرهائن وعدد الجناة مبهم).

استمرت المحاولة الا ان عيسى لم يكن بالسذاجة لينخدع. فقد حدق في وجه رجال البوليس ثم توجه الى زعيمهم الذي كان يقف متربصاً على بعد امتار قليلة ثم بدأ يحمل صندوقاً تلو صندوق بيده شخصياً إلى الداخل. وبدأ في التهديد مرة اخرى بانقضاء المهلة. كانت الساعة ١٤,٤٠ دقيقة وبدأت جولة المفاوضات المضادة، ووجه وزير الداخلية لمقاطعة بايرن خطابه الى عيسى، زعيم الفدائيين وهو يحرك رأسه في أسى (لم نحصل بعد على اي اجابة محددة. واذا كنتم تريدون قتل الاسرائيليين إذاً فنحن قد لا نستطيع فعل شيء حيال ذلك. وعما اذا اطلقتم الرصاص في خلال خمس دقائق من الآن على واحد وأكثر فنحن ربما لا نستطيع فعل شيء) وأضاف الوزير النحيف:

(القدس ربما لم تستطع بعد جمع ملفات ٢٣٦ سجيناً).

رفع عيسى مدفعه الكلاشينكوف إلى أعلى ولوح به هنا وهناك. وهدد بإطلاق الرصاص على أول رهينة بيده شخصياً. لحق محمد قاذف من جامعة الدول العربية و«محمود ميستيري» السفير التونسي في بون بوزير داخلية مقاطعة بايرن بإشارة منه. وعلى الفور أصبح المناخ أكثر وداً من جديد. اذ تحدث العرب فيما بينهم. وطالب التونسي بمهلة جديدة لمدة ساعتين وأكد ان الالمان لن يقوموا حتى ذلك الحين بأي محاولة لتحرير الرهائن. وطلب جينشر الكلمة حيث أعلن الافراج عن «اندرياس بعادر» و«اولريك ماينهوف» فهز عيسى رأسه: ليس، كلا الألمانيين وإنما الاخوة العرب في المعتقلات الاسرائيلية هم المهمون. ورغم الاعتراض المكظوم لدى معاونيه قرر عيسى الموافقة على ساعتين كمهلة اخرى. فالدبلوماسيان العربيان كما قالا لن يعودا دون قرار إيجابي.

في الوقت نفسه اعلنت اللجنة الدولية الأولمبية توقف الألعاب حتى اليوم التالي وبالنص (لقد تحطم السلام الأولمبي من خلال محاولة للاغتيال قام بها فدائيون مشبوهون. والعالم المتحضر بأسره يدين مثل هذه الجرائم البربرية بكل اشمئزاز ومراعاة للتضحية وكدليل على الاهتمام بالرهائن الذين لا يزالون في الأسر فسوف تتوقف احتفالات بعد ظهر اليوم. والمنافسات مستمرة حتى النهاية).

ووصل المستشار الاتحادي براندت الى ميونيخ. وطالب زعماء العرب ليقوموا بدور الوساطة. وهذا لم يكن له معنى مثل المحاولة فيما بعد للإتصال تليفونيا برئيس مصر انور السادات حيث وقف العرب الى جانب الفدائيين. كانت اجاباتهم واضحة: حوالى الساعة ١٥,٣٠ انسحبت مصر من المباريات. وبعد ذلك بربع ساعة حاول سفير تونس التحدث مع الفدائيين مرة اخرى ففشل. ويصير الوضع دائما بلا أمل. وبدأ التلفزيون يذيع مباراة كرة اليد بين السويد وتشيكوسلوفاكيا.

وخلال ذلك تجري المكالمات التليفونية مرة اخرى بشكل دائم في منتجع ٣١ كونولي. حيث اتصل الفدائيون ثلاث مرات بأرملة النائب السابق لجامعة الدول العربية في الأمم المتحدة بجنيف، واسمه فؤاد شمالي. كان حتى وفاته الطبيعية في اغسطس ١٩٧٢ يعد العقلية الرئيسية «لأيلول الأسود» وتحدث الفدائيون بمنتهى الأدب مع اليزا شمالي. ورجوها ان توصل كل ما يختص بالموقف والمفاوضات مع غرفة عمليات الأزمة في ميونيخ الى رقمي تليفون بالقاهرة، أحد الرقمين يخص منظمة التحرير من الناحية الرسمية تماما وتحدثت السيدة مع القاهرة بكل سهولة. حاول الفدائيون كذلك مرتين الوصول لرقم بتونس، وطلبوا من الألمان التأكد من صحة الرقم. واستجاب السفير التونسي ميستيري باستغراب نوعا ما. وقال انه لا يرى ان في إمكان حكومته تشغيل مواطن تونسي يعد من الفدائيين.

وبذلك اعتبر الحادث بالنسبة للسفير منتهياً. وبالرغم من ذلك لم يستسلم الألمان. فطلبوا من سفيرهم في تونس هاينز ناوبرت الايضاح عن خلفيات هذا الرقم التليفوني المريب. وفي أول المساء ورد تبليغ بالعودة. كان ناوبرت قد تحدث مع رئيس الوزراء التونسي. والأجابة (هذا الرقم التليفوني يخص شخصية محترمة جدا). وعندما سأل الدبلوماسي الألماني بعد ذلك عما اذا كانت هذه الشخصية ربما تستطيع التدخل لإيجاد حل سلمي. توقف التونسي مرة اخرى (غير ممكن بالنسبة لنا ان نحمل للشخص المسؤول مثل هذا العرض).

ولدى ابو اياد توضيح مشوق حول هذا فهو يقول:

(في اللحظة التي بدأت المفاوضات عندها الدخول في ممر ضيق مخيف تمكنت سفارة احدى البلاد العربية من حمل اقتراح «المصلحة» الذي ربما كان من المحتمل ان يصبح محور اتفاقية سرية. فالإسرائيليون سوف يتم اطلاق سراحهم، ويحل محلهم متطوعون المان سوف ينقلهم الفدائيون الى ارض عربية، وبعد ذلك بشهرين او ثلاثة تطلق اسرائيل بكل هدوء سراح خمسين فلسطينياً، وربما تتكفل عدة حكومات بأن الدولة الاسرائيلية سوف تلتزم بهذا الاتفاق، ويعتبر الاقتراح مغرياً. وأكبر ميزة فيه، ان مطالب الجانب الفلسطيني ربما تتناسب في الوقت نفسه مع ما قد يحفظ للقيادة الصهيونية ماء الوجه. ومع ذلك فقد قرر «مصلحة» كمقاتل مهذب عرض هذا الاقتراح الذي لم يكن منصوصا عليه في الخطة، قرر عرضه على رؤسائه، للبت في شأنه وكان المتفق عليه انه في مثل هذه الحالات عليه ان يتصل بشخص اسمه «طلال» (وهذا بالطبع اسم مستعار) ورقم تليفون هذا الرجل في تونس معروف بالنسبة «لمصلحة» قبل بدء العملية: ولسوء الحظ فقد تم إلقاء القبض على المدعو طلال في مطار تونس، لأنه فاته ان يحصل لنفسه على تأشيرة دخول للبلاد. والرجل الذي رد على «مصلحة» في التليفون

يدعى ايضا طلال. وهو ابن السفير الأردني السابق فرحات شبيلات، الذي استقر في تونس بعد ان تم عزله من منصبه بسبب تعاطفه مع حركة المقاومة الفلسطينية ولكن طلال الحقيقي لا يعرف شيئا عن الزيارة المنتظرة لصديقه طلال المزيف. وهكذا بدأ الحديث في التليفون بين «مصلحة» وابن السفير ومن خلاله اساء احدهما فهم الآخر تماما، فطلال الحقيقي لم يفهم، لماذا يتصل به أحدهم من ميونيخ تليفونياً، ليروي له اشياء غير مفهومة تماماً، بل إنه لم يدر أن صديقاً فلسطينياً سمى نفسه بهذه المناسبة بالاسم المستعار طلال. وفوجىء «مصلحة» من جانبه تماما بأنه اصطدم بشخص يدعى طلال، هذا الذي لم يكن مشابه بمن يعرفه والذي لم يكن يعرف شيئاً عن الشيفرة التي كان كلاهما قد اتفقا عليها.

ولأنه متأكد من ان الخط التليفوني المتوفر لهما من قبل السلطات الألمانية مراقب فقد اكتفى أخيراً بأن يخبر محدثه بأنه سيعاود الاتصال مرة اخرى خلال ساعة. وفي المكالمة الثانية لم يكن طلال المزيف قد وصل بعد الى منزل السفير السابق شبيلات ولم يصر مصلحة اكثر من ذلك وأخبر اصحاب هذا الحل الوسط انه يرفض اقتراحهم.

(لم يكن واضحاً بالنسبة لي، عما اذا كانت اسرائيل أيدت هذا الحل ام لا، ولكن طبقا لأقوال طلال المزيف، الذي كلفته أنا بأن يتأكد من ان قيادة «ايلول الأسود» قد تقبل هذا الاقتراح كمخرج مقبول من الممر الضيق، ومع ذلك فنحن لم نعرف شيئا عن هذا الاقتراح ابداً فلو كان طلال لم يصل الى السفير في وقت متأخر جداً، ولو كان نجح في إحدى محاولاته العديدة التي قام بها فيما بعد ليتصل «بمصلحة» تليفونيا، لكان اعضاء فريق الكوماندوز ورهائنهم لظلوا ربما حتى اليوم على قيد الحياة).

وحاول آخرون ايضا، لفت نظر الفدائيين اليهم فقد اذاعت محطة ارسال منظمة التحرير الفلسطينية صوت الثورة الفلسطينية بكل سهولة عدة رسائل بالشيفرة في هذا اليوم الى الكوماندوز في ميونيخ وهناك محاولة جديدة لحل الأزمة سلمياً: حوالى الساعة ١٦ ظهر الرائد كونراد تيللر من شرطة الحدود الاتحادية، وتحدث باسم المستشار الاتحادي أمام المبنى في شارع كونولي وعرض من جديد مالاً وخروجاً حراً. وأجابه عيسى بالرفض.

وبعد الساعة ١٦,٣٠ بقليل جاءت مجموعة من رجال السياسة، واشتكى وزير الداخلية برونو ميرك من التباطؤ الاسرائيلي وطلب مهلة جديدة. فثار عيسى: انتم لستم شرفاء معنا، كما سبق وحدث لـ «لود» [Lod] اشارة الى عملية الكوماندوز الفاشلة في مطار تل ابيب فرد عليه «ميرك» من جديد وطلب منه مرة اخرى استبدال الرهائن بالسياسيين الألمان فجاء الرفض على الفور بطريقة آلية. وبعد حوار مع اصدقائه طلب عيسى طائرتين للرحيل ومعه الرهائن الى القاهرة في هدوء.

(٣)
مطالب المختطفين

ولقد أعلن عيسى عن مطالبه بوضوح قائلا:

(هاتان الطائرتان لا بد ان تكونان على أهبة الاستعداد في ظرف ساعة، وعندما نهبط في القاهرة، سننتظر بعد ذلك هناك كل المسجونين الذين طالبنا بإطلاق سراحهم،

وإذا لم يحدث ذلك بعد، فسوف نعدم كل الرهائن قبل أن نغادر الطائرة).
في هذه الدقائق اتخذت قوة خاصة من بوليس ميونيخ مكاناً حول المنطقة لكي تستطيع اقتحام المبنى رقم ٣١ على الفور، عندما تصل المحادثات الى نهاية سلبية.
وتراجعوا مرة اخرى عندما اصبح واضحاً أن الجناة والضحايا سوف يظهرون في وقت قريب. وما يقوله بيان رسمي للسلطات الألمانية الذي تم التصريح به فيما بعد بأيام قليلة:
(ان اقتحام الدور الأرض ربما جاء معه يقين مطلق بموت كل الرهائن الذين من المحتمل انهم كانوا مقيدين بواسطة احد الخاطفين المسلحين بأسلحة ثقيلة في غرفة صغيرة، وذلك قد يؤدي لاغتيالهم على الفور، وعلاوة على ذلك فربما وقعت خسائر فادحة بين رجال البوليس، اذا ما فتح عليهم النار على الأقل سبعة من الخاطفين المسلحين بمواد ناسفة وأسلحة آلية. لأن الخاطفين الذين ربما لم يهتم بهم أحد داخل المنزل قد يستطيعون بسبب طريقة بناء البيت بحائط خلفي آمن نسبيا ان يطلقوا النار من الداخل على فريق الاقتحام من رجال الشرطة. وحتى الصديريات الواقية التي يتحصن بها الفريق قد لا تقدم الا حماية محدودة فقط). واعتبر البوليس ان الافراج عن الرهائن بالقوة هو «الاختيار الأخير» اي آخر قرار. ولم يأت هذا القرار لأن المفاوضات استؤنفت وتقدمت مجموعة السياسيين المجتمعين بعد بعض الإصرار بعرض اسرائيليين مقيدين هما، اندريه شبتزر مدرب الشيش والمصارع اليرز هالفين وشبتزر البالغ من العمر ٢٧ عاما مولود برومانيا وهاجر الى هولندا، حيث تزوج ورحل قبل الأولمبيات بعامين الى اسرائيل مع اسرته، وكذلك هالفين البالغ من العمر ٢٤ عاما نشأ في رومانيا، ولكنه اتى مع والديه الى اسرائيل في اول ١٩٧٢. فقد كان لا يزال اعزب. كان مسموح للمفاوضين بتبادل بعض الكلمات مع الرياضيين، وهذا لم يكن يكفي الجانب الألماني. فقد كان برونو ميرك يريد ان يرى كل الرهائن ليسألهم ايضا، عما اذا كانوا على استعداد للسفر الى القاهرة، تصرف عيسى باستبداد ثم سمح اخيرا بإدخال هانز ديتريش جنشر الى المنزل. حيث رأى تسعة اسرائيليين احياء وجثة يوسف رومانو وأكد له ياكوف شبرنجر البالغ من العمر ٥٢ عاما، والبولندي المولد والذي يعتبر حكما في رفع الأثقال، اكد له (نحن على ما يرام).
وأومأ الباقون برؤوسهم مؤيدين لذلك ـ كانت أيديهم وأرجلهم مربوطة بطريقة مؤلمة جداً. وقد كانوا مربوطين بعضهم بالبعض في ثلاث مجموعات. وقد حان الآن البت في القرار النهائي (في الساعة ١٧,٤٥) عهد رئيس الشرطة في حضور وزير الداخلية الاتحادي ووزير داخلية مقاطعة بايرن الى رئيس غرفة العمليات بمهمة بدء الاستعداد لتحرير الرهائن في مطار فورستن فالدبروك حتى الساعة ١٨,٤٠. وتم تكليف احد رؤساء موظفي البوليس الجنائي بالاهتمام بإعداد طائرة. وسافرت احدى فرق العمليات البوليسية خلال ذلك مع خمسة حراس مدربين في طائرة هيليكوبتر الى فورستن فالدبروك.
في الوقت نفسه كان يتم مع الوزراء تدبير عملية تحرير الرهائن في الطريق من المبنى ٣١ ش كونولي الى الطائرات الهيليكوبتر في بازمنت).
ووقع كل هذا تحت اقصى الظروف. وفورسن فالدبروك عاصمة مركز صغيرة بها

احد المطارات التابعة للسلاح الجوي الاتحادي، ويبعد حوالي ٢٥ كيلومترا غربي ميونيخ. وبعد ذلك بساعات قليلة نجح في الحصول على شهرة عالمية مأساوية. وقد تم اخبار الفدائيين بأن رحلتهم الى القاهرة سوف تبدأ من هناك لأن مطار ميونيخ مزدحم، ولأن المنافذ في مطار ميونيخ تجعل عملية الحفاظ على أمنهم غير ممكنة. ولكن في حقيقة الأمر فإن البعض يريد عزلهم. فالضربة الأخيرة لا يمكن القيام بها إلا في مطار حربي مثل فورستن فالدبروك.

وفي القدس اجتمع في تلك الأمسية مجلس وزراء الأزمة تحت زعامة غولدا مائير وجلس على مائدة التفاوض وزير الدفاع موشى ديان ووزير النقل شيمون بيريز، والجنرال اهارون ياريف، مستشار غولدا مائير لمكافحة الارهاب، ونائب رئيس الوزراء يجال الون وتم بحث «مهمة زامير» وكذلك بحث ما يتعلق بالوحدة «٢٦٩» التي تلقت الأمر بالسفر لمواجهة كل الاحتمالات، وهذه الوحدة طبقاً للمصادر الرسمية الاسرائيلية لا وجود لها. وتقع الوحدة «٢٦٩» تحت قيادة ساريب هاتكال، واحد من هيئة اركان الجيش ويصنف ضمن قوات الصفوة - من أعنف مقاتلي اسرائيل.

يقول رولف توفومن، احد العارفين ببواطن العسكرية الاسرائيلية، يقول عن الوحدة السرية:

(يقوم بالخدمة فيها الضباط وضباط الصف فقط. ويحمل كل الجنود وسام القفز كجندي المظلات. وهم يعتبرون من المتخصصين في كل المجالات ومن أهم تخصصاتهم المعارك الليلية وعمليات الكوماندوز والتخريب، وتبلغ غالباً أقصاها في الأراضي المعادية، وكل مقاتلي هذه القوة يسيطرون باحكام على تكنولوجيا المعارك. والتدريب يصل الى اقصى حدود المشقة البشرية. فالتدريب دائم والاشتباك الحقيقي يتم التدريب عليه دائما ليلاً نهاراً، والحرمان من النوم بشكل منتظم يعد من ضمن عمليات التدريب. والتدريب يتم بالذخيرة الحية فقط. والرجال يعرفون بروفيل الكوماندوز الفلسطينيين حتى في نومهم. وقبل كل عملية ضد الفدائيين أو المقاومين يطلعهم عملاء الموساد على الموقف والمكان).

وهكذا كان الحال في ذلك اليوم. حيث تواجد ثلاثون رجلا من القوة ٢٦٩ مسلحون بأسلحة ثقيلة ومتحفزون لأعلى درجة في احدى الطائرات التي كانت تحلق في مكان ما فوق البحر المتوسط. وقد تم تموينها في الجو، وبذلك لم تكن في حاجة للتوقف للاستراحة.

ولكن جاء رفض صريح من ميونيخ، عندما اراد البعض الهبوط. فلم يعد هناك اليوم مجال لاتمام اكثر مما يرفضه الاسرائيليون.

ويصرح د. جورج فولف نائب رئيس البوليس الأسبق في ميونيخ، ورئيس العملية في الساعات الحاسمة (لقد سمعت لأول مرة بأن هذه الوحدة الخاصة تدخلت في عملية ميونيخ. فلم يكن هناك اي اقتراح مماثل آنذاك فلو كنت اعلم بهذا فيما مضى، اذا لكنت احتطت للأمر. فمن الطبيعي ان الاسرائيليين مسموح لهم بإطلاق سراح انفسهم).

وقد تم توزيع آخر بيان من غرفة العمليات في الساعة ١٨,١٥ على السفير الاسرائيلي. وتردد في تلك الاثناء ان الساسة الاسرائيليين كانوا متقلبين فالمرء لن يطلق سراح رهينة سياسية. ففي حال الطيران الى القاهرة، قد يكون على الحكومة المصرية

ضمان أمن الرهينة وإعادتها مرة اخرى. وعلاوة على ذلك فقد طالب الاسرائيليون بأنه لا بد ان يتواجد على متن الطائرة كزيادة في الأمان للرياضيين المخطوفين - شخصية سياسية ذات مكانة من البلد المضيفة.

على بعد خمس دقائق من مجلس الوزراء تعيش فتاة من انكلترا، هي الطالبة ايريكا ماريا تشامبرز. تبلغ من العمر ٢٤ عاما وهي ابنة لامرأة يهودية، هذه المرأة خرجت من براغ وفيينا كلاجئة أثناء الحرب العالمية الأخيرة، بسبب النازية. وقد تواجدت ايريكا منذ شهر بالضبط في المدينة المقدسة لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين، وقيدت نفسها في جامعة هيبريو حيث تدرس هناك الجيولوجيا.

ومثل كل الناس في اسرائيل، لم تمر احداث ميونيخ المأساوية بدون اثر عليها فقد سمعت الانباء الجارية، وماذا يفعل المرء في اسرائيل كل ساعة حتى في اوقات السلم، وتحدثت مع زملائها الجامعيين عن الأحداث وتمنت من اعماق قلبها أن يمر كل شيء بسلام بالنسبة للاعبين، وأن ينال الجناة اشد العذاب.

ولأن ايريكا يهودية على قدر من الوعي، فإن خير اسرائيل يعني الكثير بالنسبة لها ولأبنائها وبناتها. وهي تعتقد تماماً في قرارة نفسها انها وجدت وطنها الحقيقي. وأنها سوف تدافع عنه تماماً ولو بيدها هي. وقد دار في رأسها في هذا اليوم ٥ سبتمبر العديد من الأشياء حتى انها لم تقم بعمل صحيح على الاطلاق.

كانت الشمس تميل الى الأفق عندما لمست طائرة من تل ابيب ارض ميونيخ. فقد وصل رئيس الموساد ومرافقان له في اللحظة الحاسمة، ربما ليستطيعوا معايشة النهاية الدموية والمنفردة ايضا بدون مساعدة، وكان القائم بأعمال الموساد ينتظر رئيسه بالفعل. ويذكر زيفي زامير (كان الألمان يعلمون بمجيئنا. وربما لم تكن الحكومة الاتحادية متحمسة لذلك لكنها أيدته اما حكومة مقاطعة بايرن قد كانت ضد وجودنا. وقد لاحظنا في هذا اليوم كيف كانت الأراضي الألمانية حساسة فيما يتعلق باختصاصاتها وكيف كانت الحكومة الاتحادية تبذل قصارى جهدها حتى لا تختلط الأمور. فقد كانت غاية في الحرص والاحترام بالنسبة لقوانينها).

ويتحدث زامير من واقع تجربة مليئة بالمعاناة فقد رأى كيف تدخل البوليس في ميونيخ بعد ذلك للقضاء على الخاطفين بأساليب خاصة. لذلك لم يكن هناك مكان لآخرين، وبالأخص للجيش الاتحادي، الذي لم يكن على أية حال مسموح له القيام بأي نشاط ضد فريق «أيلول الأسود». في مساء ٥ سبتمبر، وكذلك في اللحظة الحاسمة قبل العملية في فورستن فالدبروك عرض الجيش الاتحادي - اختبار - وحداته الخاصة من «هامل بورج الفرنكية» ومعها آلاتها اليسيرة. ولكن مانفريد شرايبر رفض العرض بكل بساطة كما أنه أخفى خطة الجيش الاتحادي، وقسم الأهداف، ثم في كل مرة يتم فيها مهاجمة اثنين من الخاطفين، لا يرتاح الى ذلك ويرفض ايضا الآلية الخاصة غير المتوافرة لدى قواته البوليسية. فالدستور الألماني ربما لا يمنع استخدام اسلحة الجيش الاتحادي.

وقد ذكر نائبه آنذاك جورج فولف، بعد ذلك بحوالي تسعة عشر عاماً: (على المرء دائما ان يحاول التغلب على الارهابيين معنوياً وليس بالسلاح وقد كان هذا هو أساس موقفنا. وقد أكد زامير رئيس الموساد من خلال اقواله انه كان يائساً تجاه تكليفه أكثر مما في وسعه. إذ يخسر من يسعى لاستخدام القوة العسكرية، وقد كنا آنذاك في عملية

بوليسية، والاسرائيليون لا يعرفون من خلال ايديولوجيتهم العسكرية اي فرق في مثل هذه الحالات بين العسكري والبوليسي. واليوم أيضاً أنا على يقين من أن الجيش الاتحادي ربما لم يكن ليصل لنتيجة اكثر ارضاء ـ وللأسف وقعت أخطاء ـ بالطبع كنا جميعاً نتمنى شيئاً آخر).

وكون الاسرائيليين قد مرنوا انفسهم على محاربة الأزمات بشكل افضل من غيرهم، فقد تم تناسي هذا بالفعل في ذلك الوقت. وعلى اية حال ربما استطاع رئيس شرطة ميونيخ السماح باستخدام قوة سيريت هاتكيل.

واستؤنفت من جديد المفاوضات للتريث في الطيران الى فورس فالدبروك وطالب عيسى فجأة باستخدام الأتوبيسات بدل الطائرات الهيليكوبتر فأشار ميرك وجينشر الى ان حالة الجماهير من أسوأ ما يكون وماذا قد يفعلون للخاطفين اذا ما اعترضت الجماهير هذه الأوتوبيسات وهاجمتها؟ فيتراجع الفلسطينيون وبلا شك وهنت أعصابهم فمتاعب اليوم تركت آثارها عليهم. وقد اتضح ذلك أخيراً في فورسن فالدبروك عندما استخدم الفدائيون السلاح بلا رحمة ـ لما ضاق عليهم الخناق. في الساعة ٩,٣٥ دقيقة هبطت اول طائرة هيليكوبتر، مع جنشر على ارض المطار العسكري. بعد ثماني دقائق تبعتها احدى الطائرات الكبرى ومعها ميرك وشرايبر وزامير وشالوم ولم يكن لدى المرء الكثير ليقوله:

يقول زامير (كنا نريد مناقشة العملية التالية مع نواب مقاطعة بايرن. ولكن ردود فعلهم كانت غاية في التحفظ) وفي فورسن فالدبروك استطلع جورج فولت رئيسه عن درجة الاستعداد وسأل مرة اخرى عما اذا كان هو متأكدا حقا من أن التعامل يجري مع خمسة خاطفين فقط.

وكانت إجابة شرايبر بالحرف الواحد (نعم، بنسبة تسعة وتسعين بالمائة) فقد تم الأخذ بأقوال الشهود الذين رأوهم صباحا عند السور مأخذاً جاداً بدرجة مطلقة. وذهب البعض إلى أنهم كانوا مجرد اربعة فقط. ولم يعرف شرايبر ان باقي الفلسطينيين كانوا متواجدين بالفعل على ارض القرية الأولمبية.

خلل في المعلومات كان له نتائج وخيمة.

في الساعة ٢٠,٣٠ ناقش جنشر، تروجر، وفوجل الخطوات التالية مع الفدائيين. فالطيران الى فورسن فالدبروك سيتم في الساعة ٢١ أما الطيران التالي الى القاهرة فيتم في الساعة ٥,٣٠ ووعد الخاطفون بألا يلقوا القبض على طياري الهيليكوبتر على اعتبار انهم رهائن.

وهدد عيسى من جديد (اذا لم تكن عند تمام التاسعة في الطريق، إذاً سيتم اطلاق الرصاص على اول رهينة أمام هذا الباب بالضبط).

وقد تمسك رجال منظمة التحرير بمعرفتهم للطريق من مبنى ٣١ شارع كونولي حتى مكان اقلاع الطائرات الهيليكوبتر الواقفة في سن ليوشناور وحتى هذه الأمنية تحققت لهم. وقام ميروك وشرايبر وعيسى بنزهة نادرة وكان رئيس الفدائيين يحمل كالمعتاد ثلاث قنابل يدوية معه. وقد جاء في تقرير البوليس (بعد هذه المعاينة طالب الفدائيون في حوالي الساعة ٢١,٣٠ ان ينتقلوا من البدروم الى الطائرة الهليكوبتر بواسطة اوتوبيس. وبذلك تغير الموقف بالنسبة للترتيب التكتيكي للبوليس فجأة. فعملية تدخل

البوليس تحت هذه الظروف تحتمل النجاح فقط، اذا ما ارتكب الخاطفون خطأ هاماً).
وهذا لم يحدث.
كان ميرك وجنشر وشرايبر والاسرائيليون في القرية الأولمبية مرة اخرى منذ الساعة ٢٠,٣٠. وظهرت وجوه جديدة: الفونس جوبل، وزير دولة في مقاطعة بايرن، وكذلك جوزيف شتراوس رئيس الاتحاد الاشتراكي المسيحي الحاكم C.S.U واقوى السياسيين في المقاطعة وجلسوا ومعهم سياسيون ورجال أمن آخرين في غرفة عمليات هيئة أركان الحرب.
كان الاسرائيليون يتابعون المناقشة باهتمام. وقد ادركوا ان الألمان يريدون نقل مسرح الاحداث من القرية الأولمبية بأقصى سرعة ممكنة. فقد كان غير مقبول بالنسبة لهم تماما ان ألعابهم من أجل السلام والمرح يمكن ان ترتبط بشكل دائم بأشرس حادث ارهابي على مر العصور. لأن المانيا وكذلك الاسرائيليين، كانوا على اي حال في اشد الحاجة الآن للتصور الايجابي. وأدرك زامير وشالوم ان خطة عمل ملموسة قد تكونت وتم بالفعل اتخاذ الاستعدادات اللازمة. وأكد فيلي براندت لكل المشاركين:
(اي امة لديها شرف لا تستطيع ان تقف لتشاهد كيف يتم اغتيال ضيوفها وعلينا ان نقوم بعملية الانقاذ على ارض المانيا بأقصى ما يمكن من سرعة) وبعد قليل اضاف ان الخوف من إمكانية وقوع حمام من الدم لا يفارقه كانت الساعة ٢١ عندما تحدث «ميرك وزير» الداخلية مع الخاطفين من جديد (نحن على اتصال دائم بالقدس. الحكومة الاسرائيلية اجتمعت لتوها منذ ساعة وتبحث في اوراقها عن كل المعتقلين السياسيين ولم تتخذ السيدة غولدا مائير هي ووزرائها اي قرار حتى الآن انهم مترددون وسوف يكون الرد محدداً. فنحن نعتقد ان الأمر يمكن أن يتعلق باقتراح بديل).
ودخل كلا الجانبان مرة اخرى في نقاش حاد. فقد رفض عيسى رفضاً باتاً أن يقضي الليل في مبنى من كونولي. حيث ان ذلك كما قال قد يؤثر على القوة القتالية لقواته. واضاف في لهجة غاضبة (اريد ان تتذكروا اذا لم يعد اخواننا المعتقلون في اسرائيل، اننا سنطلق الرصاص في الساعة الثامنة صباحا على كل الرهائن الصهيونيين).
كانت هناك طائرة تابعة لشركة لوفت هانزا جاهزة على اهبة الاستعداد في مطار فورستن فالدبروك. كان الطاقم قد غادر الطائرة. وبعد ذلك تم رفع ثماني رجال شرطة متنكرين في الطائرة الخالية بوينغ ٧٢٧. فكلما انتظروا مدة اطول كلما جاء حماة الأمن بتفكير افضل. فمعركة في الطائرة ضد قنابل يدوية ومدافع كلاشينكوف في ايدي عرب بلا اعصاب تماما، فهذا يضاهي عملية صعود المسيح.
وقد مارس رجال الشرطة تبديل الحرس وانسحبوا باتفاق مع رئيس قيادة العملية. ولضيق الوقت ربما لم يستطيعوا القيام بمزيد من التبديل.
في الساعة ٢٢,٠٦ دقائق، حان الموعد. لم يعد المهاجمون في تلك الاثناء يرتدون الأقنعة. ساروا مع رهائنهم حتى الطائرات في شارع الرشناور وكان ليلاً مظلماً دافئاً.
كان الهدوء غير العادي يخيم على شارع كونولي. وكان الألمان والاسرائيليون يحملقون في فزع الى الفدائيين المتحركين. لكن محاولتهم الأخيرة للتحدث مع الفلسطينيين كنوع من المماطلة والتسويف باءت بالفشل.

وقرر زيفي زامير: (كان من غير المحتمل بالنسبة لنا ان يكون علينا ان ننظر بدون اي مساعدة، كان علينا ان نكون في المانيا لنرى، كيف يساق اليهود مقيدون الى الطائرة الهليكوبتر. انه لمشهد لا ينسى. وسمعت فجأة كيف قال شتراوس لجنشر، انتبه انهم اخطأوا في عدد الفدائيين. وقد فاجأني هذا. فقد كان واضحا بالنسبة لي بشكل قاطع، ان احدا لا يعرف حتى الآن كم عدد الفدائيين الذين نتعامل معهم. لقد رأيت شتراوس مصدوماً، فقد كان هذا ضربة قاسية للكمال الألماني).

وبعد عملية الفحص الدقيقة لشرطة الحدود في كلا الطائرتين الهليكوبتر، التي قام بها عيسى اتخذ الرهائن والفدائيون اماكنهم. وبدأوا في الساعة ٢٢,٢٠ في التوجه الى فورستن فالدبروك.

كان أمامهم ثلاثة عشر دقيقة وطريق صغير، يكفي بالنسبة لفرقة العمليات الخاصة لكي تدخل هناك مسبقاً بطائرة هيليوكوبتر اخرى.

وعند الاقلاع كان لا يزال هناك إحساس مسبق بالقلق تجاه الضيفين القادمين من القدس والسفير الاسرائيلي، فوجودهم كان ثقيلاً على مقاطعة بايرن. لكن الثلاثي استبسل من أجل اماكنهم وفي النهاية طاروا معاً. وعندما هبطوا رأى البعض بالفعل الأضواء الكاشفة لكلا الطائرتين مع الفدائيين. وقام رجال البوليس الذين تنكروا في زي رجال المطار بإرشاد الهليكوبتر إلى أمام الجهة المنيرة في فورستن فالدبروك.

وبدأت المأساة. فقد راقب الرجال من غرفة العمليات من البرج الذي يبعد بحوالى أربعين متراً، وعدد من رجال الشرطة وجنود من الجيش الاتحادي، كيف كان ركاب الهليكوبتر الذين يبعدون عن الطائرة الواقفة بثلاثين مترا يظهرون من حين لآخر تحت الكشافات الدوارة.

وفجأة هدد الفدائيون، رغم كل الاتفاقات، الطيارين الأربعة من سلاح الحدود الاتحادي بمدافعهم الكلاشينكوف. فهم لم يسمحوا لهم بالابتعاد. وذهب عيسى القائد وأحد رفاقه الى طائرة اللوفت هانزا التي تبعد حوالي مائة متر وتأكد أنها خالية تماماً.

وفي طريق العودة وبعد نصف المسافة، فتح رجال الحدود الخمسة المتشددين من شرطة ميونيخ النار. وعلى ما يبدو ارادت قيادة العملية ان تعطي الفرصة للطيارين الاربعة غير المسلحين، ليختفوا في الظلام. في هذه اللحظة كان الرهائن الاسرائيليون التسعة لا يزالون في الطائرة الهليوكوبتر. كانوا مربوطين مع بعضهم البعض بعيون ممتنة. ووقف الطيارون امام الهليكوبتر، كان فدائيان يقومان بحراستهم. اما الفدائيون الأربعة الباقون فقد كانوا غير مرئيين. ورد الفلسطينيون بضرب النار، فأصابوا احد الطيارين ومبنى المطار. وجرى عيسى نحو الهليكوبتر في حركة سريعة حين انبطح رفيقه على الأرض. وظل حياً رغم كل شيء. واصيب حارسا الطيارين اصابات مميتة. وفي تقرير رسمي للحكومة الاتحادية فيما بعد جاء:

(ان طياراً ذهب محتمياً بالطائرة الواقفة غربا، واستطاع بعد ذلك ان ينقذ نفسه بالاتجاه الى مأوى رجال المطافيء. أما الطيار الثاني لهذه الهليكوبتر فقد لجأ الى حديقة الاشارات وأخفى نفسه خلف السور الخراساني وهناك أصابته رصاصة اخترقت الرئة. أما طيارو الطائرة الواقفة شرقاً فقد قاموا بحركات فرار قصيرة، ورموا انفسهم بعد ذلك على المسار الدائري، وبينما ظل واحد منهم راقداً بلا حركة زحف آخر بضعة سنتيمترات

في الاتجاه نحو طائرة لوفت هانزا واستطاع ان ينجو بنفسه من حيز الخطر تحت حماية نيران الدفاع المتقن).

حاول الاسرائيليون التحدث مع رئيس الشرطة (الذي لم يبد اي نية للحديث معنا) ويقول زامير (لقد اجبرناه على الحوار، حيث قلنا، ماذا تنتظر بعد ذلك؟ خذ رجالك! ندخل نحن ونهجم).

كانت اجابته (لا . . لقد احضرت عربات مصفحة . . وعلينا أن ننتظر) ولاذ الألمان بقوتهم الدفاعية. أمام مبنى المطار سيطرت الآن ظلمة حالكة لأن الفلسطينيين اصابوا كل الكشافات، كما أن محطة اللاسلكي تعطلت ووصل عيسى مرة اخرى هو ورفاقه الى الطائرة الهليكوبتر.

(٤)
المذبحة

كان الرجل الثاني الذي اصيب واصابته بالغة، يستطيع رغم ذلك اطلاق النار. وقد قتل فيما بعد.

وكان الرئيس الأعلى للشرطة انتون ليجرباور البالغ من العمر ٣٢ سنة وقائد مجموعات ضباط العنف والذي تولى الحمايات الشخصية خلال الأولمبيات، وضعه رئيسه في مارس لدعم الحماية الصارمة.

وقد شجت طلقات احدى مدافع الكلاشينكوف غطاء جمجمته.

وفيما بعد تم نشر معلومات مأساوية عن هذه المرحلة:

(لقد كان امل البوليس ان باقي الفدائيين بالنظر الى رفاقهم الذين ماتوا بالفعل، ووضعهم الذي لا أمل فيه، ربما يجعلهم يستسلمون، ولكن هذا لم يتحقق واصبح الوصول الى نهاية عاجلة يمكن ان يحدث فقط من خلال نفاذ مخزون الذخيرة لدى الفدائيين او من خلال اعاقة اي محاولة للتفجير. كان الانفعال الصادر من الشرطة فقط في هذه المرحلة مؤذياً. ولذلك بقيت المحاولة فقط، لاستغلال هذه المرحلة من خلال الاقناع والمطالبة بالتنازل. وفي حوالي الساعة ٢٣ وبعد مناقشة مع كلا الضيفين الاسرائيليين تمت مطالبة الفدائيين باللغة العربية والألمانية والانكليزية عبر المكبرات الصوتية ان يلقوا بسلاحهم ويسلموا انفسهم.

وهناك فكرة ساذجة أوضحت ان الاستراتيجية الألمانية لا تفقه شيئا عن عالم «ايلول الأسود»، وان الاسرائيليين كانوا على هامش التنسيق في «فورستن فالدبروك»، وعلاوة على ذلك فقد كان موقع الخروج تحت أحسن التقديرات غير مناسب، خمسة من رجال الشرطة لمواجهة الثمانية، وكان هذا بمثابة دعاية سخيفة. وعلاوة على ذلك فقد شرع في القيام بحماية فورستن فالدبروك رجال انتابهم الذعر أمام تأثير قيادتهم. كما أن غرفة العمليات لم تفكر لا في مصادر الضوء الاضافية ولا في الكشافات الليلية دون الحمراء. كل هذا يوضح: ان غرفة العمليات غاب عنها في الغالب الجانب الشمولي. ومن حسن الحظ ان رصاصة طائشة لم تصطدم بقاطرة مملوءة بحوالي ٤٠٠٠٠٠ ليتر كيروسين او طائرة نفاثة تابعة للطيران الفنلندي كانت تقف بجوار الموقع، وقد امتلأت بالبنزين. إذاً لكان عرض «فورستن فالدبروك» ربما ينتهي بجهنم مشتعلة تماماً).

ويقول قائد العمليات آنذاك جورج فولف (لم يكن من الممكن بالنسبة لنا ان نحضر القناصين الى فورستن فالدبروك في لحظة مناسبة اكثر من هذه، علاوة على ذلك فلم يكن لدى القلة، الذين كانوا تحت تصرفنا، اي مواقع مناسبة لاطلاق النار. فهناك ثلاثة فوق البرج، واثنان عند المرر الأمامي وفوق ذلك فقد لفت الأنظار الى اننا ربما نستطيع بمزيد من الدقة في التصويب بتوجيه أقل. ولكن كان هذا بالنسبة لمعظم المشاركين اول ايام الحرب).

ازداد التوتر بين الساعة ٢٣ والساعة ٢٤ الى درجة غير محتملة. كان كلا الجانبان يترصد بالآخر. وقد انبطح الفدائيون تحت كلا الطائرتين الهليكوبتر. وربما استطاع القناصون بالكاد التعرف على شيء. وكانت الرسائل الخاصة تأتي عبر الراديو. وجاء فيها ان الرهائن تحرروا كلهم. وتم القاء القبض على اربعة من الفدائيين. بينما فر الآخرون.

كان الشعب قد طالب بتقديم اي اشارة قد تساعد في القبض على الجناة. في تلك الاثناء مات ثلاثة من الفدائيين وتلاهم خمسة آخرون من التسعة خلال اشتباك ظل لمدة ساعة. في حوالي الساعة ٢٣,٣٥ وصلت قوة مكونة من ٢٥ رجل شرطة بدروع واقية. تم احضارهم بثلاث طائرات هليكوبتر تابعة لـ (ب. ج. اس).

في الساعة ٢٣,٥٥ كانت أخيراً السيارات المصفحة الست التي طال تجهيزها والتي تسمى في عرف البوليس «سيارات خاصة» امام المكان. فقد توقفت بسبب الازدحام الكثيف في المرور حول «فورستن فالدبروك» وعليها الآن ان تنقذ الجرحى وتبعد باقي الفدائيين. وتحت حماية العربات المصفحة تقدم آخر المحاربين ايضا في B G S وبوليس ميونيخ ضد الفدائيين الذين على ما يبدو تزودوا بمخزون ذخيرة لا حدود له. والآن اصبحت كل ضربة امامها ضربة. وعندما دارت احدى «العربات المصفحة» حول المكان لكي تكسب الجزء الغربي من المطار تم اطلاق النار عليها في الحال من الطائرة الهليكوبتر. قفز عيسى من الهليكوبتر الواقفة شرقاً، تحمل علامة (د. اتش. أو. أو)، ونزع فتيل قنبلة يدوية ورماها إلى الوراء في الكابينة. فاشتعلت الطائرة على الفور وانفجر خزان الوقود، وتناثر مقعد الطيار. وحجب تصاعد الدخان الرؤية بالنسبة للمذبحة التي وقعت للاعبين الاسرائيليين. فقد مات بلا شك: برجر وشبتزر، وشابيرا وسلاين وشور على الفور. وربما لحق بهم الباقون بعد ذلك بقليل. كان ذلك بعد خمس دقائق من منتصف الليل. وتجمدت الدماء في عروق شهود العيان في البرج.

وحاول ثلاثة من الفدائيين الآن الفرار وقد مات احدهم من خلال احدى الطلقات النارية الدقيقة. واصيب الآخران. وظلوا خلف الهليكوبتر راقدين ليواجهوا الموت.

وانفجرت كذلك قنبلة يدوية بالقرب من الهليكوبتر الأخرى. كان الفدائيان الباقيان متواجدان بداخلها. فوجها سلاحهما الى الرياضيين الاسرائيليين الذين لا يزالون على قيد الحياة. وأطلقوا عليهم الرصاص من مسافة قصيرة، وقتلت الرصاصات فريدمان، جوترفروند، هالفين وشبرنجر.

لم ينتبه أحد في بادىء الأمر لهذه الطلقات. فقد ضاعت مسامعها في ضوضاء الطائرة المحترقة والعربات المصفحة الدائرة. ولم ينته الاشتباك بعد. فعندما حاول

رجال المطافىء في المطار تطفئة الهليكوبتر المحترقة اطلق عليهم الفدائيون الرصاص فجأة وبالتالي احتمى رجال الاطفاء أيضاً. ورد البوليس عليهم بطلقات البنادق الآلية. ويقول شاهد العيان «زيفي زامير» (احترقت الهليكوبتر في بضع دقائق، ثم هدأت فجأة، فغادرت المبنى مع المعاونين لي.[1] واندفعنا نحو الهليكوبتر ورأينا على الفور ان أحداً لم يبق على قيد الحياة).

ووصلت هليكوبتر لتعيد اعضاء غرفة العمليات الى ميونيخ. لم يحفل احد بكلا الاسرائيليين المضطربين، إلا عندما سأل جنشر وشتراوس عن الباقين. فتم احضارهما (لو كنا ذاهبين الى مقاطعة بايرن لكنا تركناهما هناك). وفي آخر تبادل نيران لقي القائد عيسى ايضا مصرعه.

حاول ثلاثة من الفدائيين النجاة بأنفسهم، واستماتوا لذلك.

وتم جمع بعضهم تلو البعض. وقاتل نائب عيسى الذي يسمي نفسه «شي جيڤارا»، قاتل بشراسة من جديد، اذ حصن نفسه وتسلل خلف سيارة صهريج، عالما ان اعداءه لن يفتحوا النار عليه، واكتشفته الكلاب البوليسية بعد ذلك بقليل في احدى مواقف السيارات المحيطة بالمطار، عندما اختفى تحت سيارة مرسيدس ٢٠٠. وعاد من جديد لتبادل طلقات النيران الشرس. في الساعة ١,٣٢ لقي «جيڤارا» مصرعه. ولقد اعلن التلفزيون الألماني ذلك، وشربت غولدا مائير ووزرائها انخاب الشمبانيا فرحا بإطلاق سراح الرهائن الذين لم يفرج عنهم ومصرع الفلسطينيين، في حين حولت منظمة التحرير وبخاصة ابو اياد ومنظمة أيلول الأسود، هذه الهزيمة الى نصر.

الفصل الثالث

حرب الخفاء

قام الاسرائيليون بدفن أبناءهم قتلى الاولمبيا في احد عشر مكانا باسرائيل وولاية كليفلاند بالولايات المتحدة الأميركية، وفي يوم ١٩٧٢/٩/٧ كان الهدوء المشوب بالحذر المسيطر على دولة اليهود، وأغلقت العديد من المتاجر والجامعات حزنا على الضحايا ومن بينها جامعة (هيبريو) التي كانت تدرس فيها الطالبة (ايريكا تشامبرز)، والتي كانت تتساءل دائما ماذا يفيد اسرائيل من تجديد الأحزان؟

وكانت قوات الأمن الداخلي الاسرائيلي في حالة تأهب قصوى. فسوف تقوم في الأيام التالية بأول عملية انتقامية على مواقع منظمة التحرير. فقد قام سرب طيران من خمسين الى ثمانين طائرة مقاتلة بالهجوم على عشر قواعد للفلسطينيين في لبنان. وأكثر من مائة فدائي ماتوا او اصيبوا اصابات بالغة العين بالعين والسن بالسن. القانون الخالد في الشرق الأوسط.

قام الحبر العسكري الأكبر، جنرال موردخاي بيرون بالدعاء لكل الضحايا، عندما وصلت أجسادهم مشحونة في الطائرات من ميونيخ. لم تستطع غولدا مائير فقط الحضور، لأنها كانت حزينة لوفاة اخت لها. وتحدث نائبها فيزي يجال بالنيابة عنها:

(لقد مات صفوة الرياضيين عندنا، وماتت معهم الروح الرياضية) وتردد بين الجماهير نداء (الموت للإرهابيين! الموت للارهابيين!) كانت نعوش الرياضيين القتلى مغطاة بعلم اسرائيلي ـ الملون بالأبيض والأزرق ونجمة داود في وسطه ـ وعندما ووري عليهم التراب تحت السماء الزرقاء المنيرة، القى ذويهم ثلاث حفنات من التراب عليهم. وصلوا عليهم صلاة القضاء، وهي عبارة عن استشفاع من أجل البر والسلام، وهي واحدة من الصلوات المكتوبة بالآرامية، لغة الانجيل.

في اليوم التالي كان عيد رأس السنة اليهودية. حيث تبدأ سنة ٥٧٣٢ في التقويم اليهودي. كان هذا هو اليوم الذي طار به طيارو السلاح الجوي نحو الشمال. وملء صدورهم كره عظيم، لكي يفرغوا حمولاتهم من الصواريخ والقنابل. وبعد ذلك بـ ٢٤ ساعة يكون يوم سبت. وربما يستطيعون بعد ذلك اتخاذ القرار الهام. فسوف تستمر فترة الحداد الرسمية خمسة ايام.

اصاب سير الألعاب في ميونيخ هبوط حاد. وظهر من جديد الصراع القديم بين اليهود والألمان رغم أنه كان غير واضح المعالم. وتتباعث الدعاية من مدينة المرح،

التي كانت قبل ذلك مثل نفحة العطر المحيطة بعاصمة مقاطعة بايرن المتزينة.
ولا يزال حتى الآن غير معروف اذا كانت قفزة هايدي روزندال بلغت ٦,٧٨ مترا وكيف كانت سرعة ميرك سبتز. كما ان مسجل الرقم القياسي في السباحة من كاليفورنيا لم يعد لاعبا متميزا مثله مثل آخرين. واصبح الناس يتحدثون الآن، عن انه كانت لديه ايضا معتقدات يهودية وانه كان يخفيها لخوفه على حياته.

وعاد من جديد ذاك الشعور الذي اعتقدته المانيا ورسخته على المدى البعيد. ولم يغير هذا من شيء، عندما اتجه ٨٠٠٠٠ شخص الى الاستاد الأولمبي في فورستن فالدبروك في الصباح وملايين من مشاهدي الإرسال التلفزيوني. وسمعوا عزف مقطوعة بيتهوفن حداداً على الرياضيين القتلى. وبعد ذلك بدقائق عادت من جديد الأهمية الخاصة لعالم الرياضة. ويقول افيري بونداج، الحارس العجوز للألعاب: (كان لا بد من استمرار الالعاب. كان علينا الاستمرار في بذل جهودنا للحفاظ عليها نقية وشريفة، كما حاولنا تحمل الموقف الرياضي للاعبين في كل المجالات) قشور وفقاعات كلامية كالتي يقدمها كل المسؤولين، تولدت من الأنانية، وعدم تفهم لفجيعة اول امس. اهم شيء هو بدء الالعاب من جديد. أما منظمة التحرير فقد عملت تحت وطأة صدمة الهجوم الجوي المستمر، لأنها الآن لم تنتصر علناً. كما انها تنكرت وابعدت نفسها عن مقاتلي «ايلول الأسود» كما لو كانوا أطفالاً غير شرعيين.

وأعلنت اللجنة التنفيذية ذات الأحد عشر رأسا، والمنوط بها اتخاذ القرارات العظمى في منظمة التحرير، اعلنت بيانا جاء فيه: (ان اللجنة غير مسؤولة عن عمليات «ايلول الاسود» وتود ان تلفت انتباه العالم الى حقيقة، ان مهمتها كانت تتمثل في إجبار اسرائيل على اطلاق سراح الرجال المعتقلين في حرب العصابات).

وتجنب عرفات نفسه اي تعليق مباشر على عملية ميونيخ. فقد كان يعلم تمام العلم ان اسرائيل سوف ترد الضربة بمقتضى الوصية القديمة بدون رحمة، وان أولها هذه المرة القذف بالقنابل وهو مجرد افتتاحية لانتقام أليم جداً.

ونشرت وكالة الأنباء الفلسطينية بعد ايام قليلة من المهلة، وصية للفدائيين موثوق بها علناً!

(لم يخطر ببالنا ونحن نتابع عمليتنا الثورية، قتل الأبرياء. نحن نقاتل ضد الظلم. نحن لا نريد تدمير السلام ولكننا نريد ان نضع أمام اعين العالم الدور القذر للاحتلال الصهيوني والمأساة العميقة لشعبنا. نحن نطالب كل الاحرار في العالم، ان يتفهم اسلوبنا الثوري، الذي يستهدف مصالح الامبريالية في كل العالم، ويكشف العلاقة بين الامبريالية والصهيونية وليفهم شعبنا العربي، من هي اسرائيل ومن هم حلفاؤها، نحن جزء لا يتجزأ من الثورة الفلسطينية المسلحة، التي هي بدورها جزء من حركة التحرر العربي. ونحن مطالبون بألا ندع سلاحنا رغم كل المؤامرات وكل مصاعب المعركة. فالأرض سوف تتحرر بالدم فقط. والعالم لا يحترم الا الأقوياء. ونحن سنكون اقوياء لا بالكلمات ولكن بتحويل هذه الكلمات الى افعال ونحن نعتذر للشباب الرياضي في العالم، اذا ما كنا جرحنا مشاعره بعمليتنا ولكننا نريد ان نخبره انه يوجد شعب، أرضه محتلة منذ ٢٤ عاماً.

هذا الشعب يتعذب من قبل عدوه (اسرائيل)، الذي يقف بين صفوفكم. ولا يعني

شيئا بالنسبة لنا، في اي مكان سيوارينا التراب. فنحن نتمنى ان يتعلم شباب العرب كيف يموتون في خدمة ارضهم.

وانتم يا فدائيو «ايلول الأسود» والثورة الفلسطينية جمعاء، واصلوا القتال بعزم! تجدون مبلغ قدره ٥٠٠ دولار و٣٧ مارك مرفق مع هذا الخطاب من الأموال التي ادخرناها من اجل الثورة، لأننا نعلم انكم ستحتاجونها في يوم ما، وهذا قليل جدا، يحيا شعب فلسطين! يحيا الثوار الأحرار في كل مكان!).

كانت دوائر الاجتماعات السرية الخاصة بالأزمة تجري في اسرائيل. كان على زيفي زامير، الذي تواجد اثناء الاحداث الدامية، ان يقدم فيما بعد تقريراً فور عودته للجنة الحكومة والأمن والشؤون الخارجية.

(لم يفارقني الانطباع بأن مقاطعة بايرن تسعى في المقام الأول، نحو ابعاد الحدث بأقصى ما يمكن من سرعة عن اطار الألعاب الأولمبية لكي تستطيع استكمال الأولمبيات. واستخدمت لذلك من منطلق الغيرة الفيدرالية، وسيلة لا داعي لها إطلاقاً في مهمة كهذه. كان واضحا بالنسبة لأصحاب القرار الألمان، ان وحدة الشرطة والرجل الذي قادها لم يكونوا على أية درجة من التخصص. لم يكن لدي اي شك ان كل شيء ربما يبدو مختلفاً، لو تم استخدام الجيش الإتحادي. اي جيش ربما كان أعد لذلك بشكل أفضل. ولو كانت هناك إنارة وكشافات. كل هذا لم يكن صعباً علاوة على ذلك لم يكن هناك سبب لعدم احضار خمسين قناصاً إلى مكان الحادث. ولم يكن هناك سبب لعدم توزيعهم في كل مكان).

ونقل رئيس جهاز الموساد اقوال كل المشاركين. فقد اعلن ان جينشر وشتراوس وضعا نفسيهما بالفعل في طائرة هيليكوبتر في طريق العودة من فورستن فالدبروك إلى ميونيخ. فأضافوا إلى تحليله ووصفه لمحاولة التحرير الفاشلة. (ليست من خلال دائرة غير متخصصة حقا).

ونفس شتراوس هذا ساعد شرايبر غير المتخصص فيما بعد على أن يصبح رئيسا لقسم الشرطة في وزارة الداخلية الاتحادية لمدة ١٥ عاماً.

وهذا يعني ان شرايبر ايضا مسموح له ان يشرف على البوليس الجنائي الاتحادي والمكتب الاتحادي للأمن الشامل.

والمرء يستخدم صيغاً أكثر وداً للعالم الخارجي وحتى في عالم النزاع الخجول لدى الدبلوماسيين. فقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية متوجهة بقولها إلى المانيا:

(إن رئيسة الوزراء أخذت علما مع العرفان بقرار الحكومة الالمانية التي بذلت قصارى جهودها لتحرير الرهائن الاسرائيليين، ومن أجل هذا الغرض استخدمت القوة. ورئيسة الوزراء تعبر عن اسفها، انه لم يتم الوصول الى الهدف المرجو).

كان الصوت في الدولة اكثر تهجما من الناحية الجوهرية (نحن لا نريد مجرد العدالة، ولا التأثر فحسب)

ونادى جوزف بورج وزير الداخلية الذي نشأ في مدينة درسدن عشيرته (ان دماء اسرائيل لن تمر بدون عقاب) وشبه ميونيخ بمدينة دكاو وأعلن عن علاقة الشبه هذه مرة اخرى في حديث له مع مجلة «شبيجل» (أنا اتحدث عن مكان فيه وحشية وليس عن مسؤولية حكومية. فأنا شخصيا مقتنع، ان السلطات الألمانية عالجت الموقف بأفضل

وسيلة). كما ان الجريدة الدينية هامودیا نادت بإحياء ذكرى النازية كما لو كانت شرطة ميونيخ ذبحت الفريق الاسرائيلي. ووقف متظاهرون شبان أمام السفارة الألمانية في تل ابيب، يطالبون في لافتاتهم: (اوقفوا الأولمبيات!) وعلى لافتة اخرى (الرياضة ليست اغتيالات) ونال الانقسام ايضا من مجلس وزراء غولدا مائير. فكان على المرأة الجديدة القادمة من «كيف» الأوكرانية أن تسوي الخصومة بين موشى ديان وأبا ايبان.

لقد اراد وزير الدفاع الهجوم فورا ضد كل الدول العربية المجاورة التي تحمي ملاجىء منظمة التحرير. بينما حذر وزير الخارجية من انقلاب الرأي العام العالمي. فلأول مرة يدين السوفيات وكذلك الملك حسين عملية الكوماندوز التي وقعت في ميونيخ بدون تحفظ. وغادر المحارب القديم، الذي يضع غطاء على احدى عينيه، صالة مجلس الوزراء بسبب الاحتجاج. واعلن موشى ديان بعد ذلك اكثر من مرة عن استقالته. ولكنه ظل بعد ذلك في منصبه. وقد اطاحت عملية ميونيخ برقاب ثلاثة من اعلى رجال الأمن، من بينهم الحرس الخاص في المخابرات الداخلية داخل اسرائيل، «شين بت» واراد رئيسه يوسف هارملين، ان يحميه مهما كلفه الأمر، لدرجة انه هدد باستقالته. ولكن بلا جدوى فقد كان على غولدا مائير ان تقدم ضحية للرأي العام.

في تلك الايام حدثت تعبئة للرأي العام في كل انحاء العالم، حتى بين اليساريين في اوروبا. وأكدت الجريدة الثانية في ايطاليا مانيفستو، التي تعد أداة معادية للإمبريالية، أكدت بعد دفن اللاعبين بيوم:

(لم يكن الفلسطينيون يريدون تنفيذ عمل ارهابي، وما كانوا يقصدونه حقا، لم تكن مذبحة لغير المشتركين لكي يواجهوا بذلك عدوهم، ولكن ما كانوا يقصدونه هو أخذ رهائن، ليجبروا عدوهم على إطلاق سراح المسجونين. والفرق واضح، فمذبحة ميونيخ كانت تحد من حكومة المانيا الغربية والحكومة الاسرائيلية - من كلاهما - لأسباب تخص اعتبار سلامة وأمن الدولة ومصلحتها والأسف ايضا على من اصابهم الضرر، لأنهم لم يريدوا الاستسلام لضغوط. ولم يظل مشهد الارهاب الألماني في ميونيخ بلا ردود أفعال ففي ورقة العمل الثالثة - «أر. أ. أف» - عملية أيلول الأسود في ميونيخ - من أجل استراتيجية معارك الامبريالية».

ومن خلال عملية ميونيخ التي قام بها «ايلول الاسود» كان جوهر معركة سيطرة الامبريالية، مع اعداء الامبريالية معلن في لافتات بشكل لم يسبق له مثيل في العمليات الثورية التي وقعت في المانيا الغربية. وبرلين الغربية وفي كلمة بادر ماينهوف: (لقد كانت في نفس الوقت ضد الامبريالية، ضد الفاشية كما انها كانت عالمية).

لقد كانت فرصة بالنسبة لليساريين في المانيا الغربية لابراز هويتهم السياسية. (عندما كانوا هم لا يهددون الصحافة المتسلقة والانتهازية بعد، عندما كانت شفيرا وفيتنام، وإخماد الجماهير من خلال النظام، هموماً يعبأون به هنا).

مثال نموذجي، يوضح كيف يستطيع المرء ان يطلق على الاغتيالات المتعصبة اليائسة بشكل متأخر هالة ايديولوجية.

وتقول «اولريك ماينهوف» ان اعضاء الفريق الفلسطيني قدموا حياتهم من أجل تحرير رفاقهم. ان عملية أيلول الأسود في ميونيخ لن تنمحي من ذاكرة المعارك التي قامت ضد الامبريالية أبداً، ان تحريك موت الرفاق العرب لأصعب من شريك جبل -

تاي. بعد أسبوع بالضبط من يوم الثلاثاء الدامي في ميونيخ اشتد موقف اليمنيين. واكدت غولدا مائير في حديث لها أمام الكنيست، ان بلادها مدينة للسلام بشيء، ألا هو ضرب الإرهابيين، أينما وجدوا وليس لدى اسرائيل أي فرصة أخرى. وسوف تحترم هذا الالتزام وكل ما أوتيت من قوة. وأكدت غولدا مائير، ان نقص الأمن في المنشآت الأولمبية والعمل البوليسي الألماني كان حقا محل نقد، فغير كونه لم يحقق رغبات الحكومة الألمانية فهو ايضا لم يسلم بما يريده الارهابيون.

واتخذ البرلمان الاسرائيلي القرار، الذي تم نقله في نفس اليوم نواب الشعب في كل البلاد:

١ ـ ان عمل العصابات الدامي، الذي قام به قتلة، أرسلتهم منظمات ارهابية عربية، وتسبب في قتل احد عشر عضوا من الفريق الأولمبي الاسرائيلي، سوف يظل عارا على البشرية الى الأبد.

٢ ـ ان الكنيست وكل الأمة يشاركون الأسر المنكوبة في حزنهم.

٣ ـ لقد اثبتت المنظمات الارهابية العربية بفعلتها الاجرامية، انها عدو للبشرية كلها وإنها قوضت كل الآمال نحو تحقيق الآمال.

٤ ـ ان وزر جريمة ميونيخ، مثل وزر جرائم مشابهة، تلك التي قامت بها جماعات ارهابية، ليقع على عاتق البلاد العربية، التي تهتم بإمداد هذه الجماعات بالمأوى، والمال، والتأييد بالسياسة والسلاح اللازم لجرائمها.

٥ ـ سوف تؤدي دولة اسرائيل واجبها وتمارس الحق في حماية ممثليها ومواطنيها وتداوم على مقاومة المنظمات الارهابية، ومقاومة مراكز تأييدها وتمويلها، حتى ينتهي نشاطها الاجرامي.

٦ ـ يطالب الكنيست كل الدول والحكومات بأن تسلك مسلكه، لكي يتوقف النشاط الارهابي، وتتم تصفية قواعده.

لقد اوضحت العناصر الرئيسية في الحدث التاريخي لغولدا مائير، اي اسلوب سوف تنتهجه اسرائيل. لقد اوضحت ان المعركة ضد الارهاب تعد واجبا ملحا وإن المرء سوف يكون صبورا، وربما يستخدم كل الاستراتيجيات والمصادر.

انه التزام من اسرائيل، لمحاربة هذه الجماعات الارهابية حتى النهاية. واساليب واستراتيجيات الارهابيين ربما تتغير دائما، ولذلك فقد يكون على اسرائيل ان تهيىء نفسها لهذا النوع من الحرب، اكثر مما هي عليه حتى الآن من ناحية الأسلوب بالعلم والإصرار. وقد يحدث هذا بكل همة وكل التضحية بالذات، من أجل الدفاع عن الحياة البشرية «وبكل الجهد والمهارة القادر عليها شعبنا بشكل مطلق»).

وبالرغم من أن غولدا مائير اشارت بمنتهى الوضوح الى انها لن تستطيع الخوض في التفاصيل بسبب حساسية الموضوع، حسمت ذات مرة: (انه من الجائز جدا، اننا سوف ندخل الأساليب الجديدة بكفاءة تامة، لكي نعد نهاية للنشاط الاجرامي للمنظمات الارهابية العربية... وواجب كل دولة تهاب القانون، ان تقاوم المنظمات الإرهابية المعادية للإسرائيليين، وسوف تصبح اسرع لو علمت بالحقيقة التي تؤكد ان الارهابيين يضمون اليهم عناصر غير مسؤولة تنتمي لجنسيات وحركات سرية مختلفة. والخطر الناشيء من هذه الظاهرة ليس قاصرا على اسرائيل وحدها... ليس لدينا اي اختيار

آخر، سوى ضرب المنظمات الإرهابية بقدر ما نستطيع. وهذا هو التزامنا امام انفسنا وأمام السلام. وسوف نحقق هذا الالتزام بكل ما لدينا من قوة).

وقد بدأت استعدادات نشيطة وراء الكواليس، لتحويل مهمة غولدا مائير الى فعل.

وبالفعل أثناء الاجتماع السري جدا للجنة الأمن والشؤون الخارجية في السادس من سبتمبر كان الحديث عن إرسال فريق اغتيالات على اعلى مستوى من التدريب والتحفز، لكي يوقع بكل المسؤولين عن مذبحة ميونيخ وكان رئيس الموساد، زيفي زامير، ينتمي الى المؤيدين للقيام بعملية ضد الفلسطينيين.

وفيما بعد اتفق المشاركون في الاجتماع! وتم تسجيل ما يلي في مضبطة (بروتوكول): (لقد استمعت اللجنة الى التقرير وقررت، عدم التدخل في شؤون رئيسة الوزراء).

وأيدت غولدا مائير الانتقام المطلق. وتم تكليف جنرال اهارون ياريف من مواليد موسكو ١٩٢٠، وكان رئيساً للمخابرات العسكرية في عمان من ١٩٦٤ حتى عام ١٩٧٢ ويعد بطلا من ابطال حرب ١٩٦٧ ولأقل من عام تم إرساله الى ميونيخ كمستشار لرئيسة الوزراء لمكافحة الارهاب وتم تكليفه للامداد بتخطيط لعملية انتقامية. وبعد ذلك جرت عملية تبديل مع رجال زيفي زامير. وقد اقام اهارون ياريف، الذي يعد اليوم مديرا مشهورا في كل انحاء العالم لمركز (يافا للدراسات الاستراتيجية) في جامعة تل ابيب بتأليف ورقة عمل من صفحتين او ثلاثة، لا تزال تقدر حتى اليوم على انها سرية. وهو يتذكر (وقد تم وضعها امام غولدا مائير والوزراء وكانت هناك مناقشة وبعض التغيرات الطفيفة).

وتحدث الجنرال العجوز الودود عن تشكيل جديد للجنة السرية، التي رأسها موشى ديان وغولدا مائير بالتناوب. وقد كانت تضم مديرين قدامى وحاليين للوكالات الاسرائيلية، ووزراء سابقين في مجال الأمن ونواب عن القسم الاستراتيجي.

ومن أجل سير مهمة هذه اللجنة المشكّلة على أعلى المستويات في اسرائيل ومن أجل إيجاد قرار لمناقشة عمل العمليات المنتظرة، والوحدات الخاصة، كان هناك امر واضح منذ البداية وهو: انه لا احد من الارهابيين، الذين تعرضوا التنشين «لجنة X» بالبقاء على قيد الحياة. لذلك كان على رجل «زيفي زامير»، مايك هراري أن يهتم بإجادة العمل. وينتمي سجل عميل المخابرات إلى الموساد وعليه الآن ان يتحمل مسؤولية مهمة عمره. وقد تولى قسم (الرمح) الذي يطلق عليه من آن لآخر اسم ولم يكن في حاجة الى الاهتمام بالمال. لأن الميزانية الاستراتيجية للموساد من أجل اصطياد رجال «أيلول الأسود» كانت مضاعفة بشكل غير روتيني وبسرعة.

ووصل في يوم ٦ سبتمبر بالفعل الى المانيا اول استفسار من دولة عربية لنقل جثث الفدائيين الخمسة فيما بعد. فقد كانوا يرقدون حتى هذه الساعة في مشرحة ميونيخ. وقد نقل السفير التونسي «ميستيري» وهو احد المفاوضين في يوم ٥ سبتمبر لوزير الخارجية في بون فولتر شيل نقل رغبة حكومته في انها تريد الاهتمام بإجراءات الأمن المناسبة للشهداء ولكن لأنه كان هناك قبل ذلك بالفعل التماس مشابه جاء من ليبيا، وتم اعطاء الوعد للعقيد القذافي، فقد تم شحن جثث الفدائيين الخمسة الى طرابلس في ١١ سبتمبر، حيث تم استقبالهم بكل التشريفات العسكرية، وفي مساء اليوم التالي تم

دفنهم. وشارك في ذلك كل السفراء العرب المعتمدين في ليبيا، ووفد كبير من تونس، كان على رأسه «الشاذلي القليبي» الذي كان آنذاك وزيراً للشؤون الثقافية والإعلام، وفيما بعد أصبح أميناً عاماً لجامعة الدول العربية.

وبعد الجنازة الرسمية في «مسجد بورقيبة»، صاحب عشرات الآلاف من الليبيين النعوش في موكب لا حصر له من ميدان الشهداء الى مدافن «سيد مناوي».

ودائما في مثل هذه الفرص يهدد الحماس الجماعي بانقلاب في شكل مشهد هيستيري. وقد تم الاعلان عن حداد رسمي هنا وفي كل البلاد العربية. وعلت الدعوات من فوق المآذن من أجل شهداء ميونيخ وعلى حوائط المنازل كتب بالدهان: «كلنا أيلول الأسود». وعامت المنظمة فوق موج من التعاطف غير المتوقع وسجلت هزيمة ميونيخ على أنها نصر ساحق ظفر بقليل من النجاح في التاريخ العربي المعاصر.

كان شهداء ميونيخ قد ووريو التراب منذ ثلاثة ايام عندما ضرب «ايلول الاسود» ضربته التالية.

كان عميل مخابرات اسرائيل مرابطاً في سفارة بروكسل، حيث تلقى مكالمة من مسؤول فلسطيني. وقد تواعدا في مقهى في ميدان دي - بروكيسير ولم يأت العربي وحده وكان معه رجل ثان سرعان ما سحب مسدسه وأردى رجل الموساد قتيلا.

المانيا والفدائيون الثلاثة

في ١٦ سبتمبر ارسل اعضاء عاملون في ايلول الاسود في امستردام ٢٤ رسالة بها قنابل. وقد تواجد معظم المرسل اليهم في عدة دول اوروبية وفي الولايات المتحدة. وقد تم الامساك بمعظم هذه الرسائل في الوقت المناسب وردت اسرائيل بهجوم إرهابي ضد مواقع الفدائيين في لبنان. ولقي ستون فلسطينيا مصرعهم. وهدمت ٢٠٠ بيت آخرين. وطبقا لمصادر حكومية ببيروت فقد لقي خمسة عشر جنديا لبنانيا و٢٠٠ مدني مصرعهم نتيجة لهذا الهجوم.

في ١٩ سبتمبر لقي د. آمي شيشوري خبير الاقتصاد الزراعي الإسرائيلي في سفارة لندن، مصرعه بإحدى الطرود الخطيرة من امستردام. وقد تم العثور على ثمانية طرود اخرى في التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي، بالاضافة الى اربعة في احدى مكاتب البريد بلندن، واثنين لدى السفارة الاسرائيلية في باريس. كما اكتشفت الدبلوماسية الاسرائيلية وموظفو البريد المحترسين في الايام التالية في كل انحاء العالم عددا من طرود القنابل، وكان احدى هذه الطرود مرسل الى «شيمون بيريز»، الذي كان آنذاك وزيراً للنقل والمواصلات في اسرائيل. في ٢٣ سبتمبر تم العثور على اربعة قنابل لدى السياسيين الأردنيين.

كما أن هناك ثمانية خطابات بها مواد ناسفة بلاستيكية تم تسليمها في اكتوبر ١٩٧٢ لمكاتب بريد. وكانت مخصصة لمنظمات يهودية في الولايات المتحدة وقد حصلت عمليات علي حسن سلامة على طاقة رهيبة. واصبح الدور على اسرائيل. أول عملية من فريق الموت التابع «لمايك هراري» في ١٦ اكتوبر في روما وكان الضحية يسمى «عبد الواحد زعتر» ويعمل رسميا كمترجم في المكتب الشعبي الليبي. وقد كان زعتر البالغ من العمر ٣٨ سنة، احد مروجي الدعاية المجتهدين من أجل القضية الفلسطينية وقد كتب

مقالا لمجلة «التضامن»، ورأس التجمعات وقاعات البحث، وجمع المال من أجل احدى المستشفيات في احد مراكز التدريب. واعتقد الاسرائيليون، ان امر المواطن الأردني المولود بنابلس متعلق بالحاكم الايطالي «لأيلول الأسود»، وربطوا بين خطف الطائرة الى الجزائر وبين انفجار قنبلة في احدى طائرات العال طراز بوينغ ٧٠٧.
وبعد مذبحة ميونيخ وقع زعتر في الخطأ بأن طلب الكلمة لنفسه علانية. وقال: ان الاسرائيليين قد قاموا باستفزاز عن عمد لقتل الرهائن، لكي يحصلوا بذلك على عطف العالم.

في مساء ٦ اكتوبر، حوالي الساعة ٢٢,٣٠ عاد عبد الواحد زعتر الى البيت وقد كان يسكن في شقة كبيرة. وبينما كان ينتظر المصعد الكهربائي، دخل رجلان معه. وسحبا مسدسين عيار ٢٢ وصوبا ناحية زعتر وضغطا على الزناد من مسافة قريبة اثنتي عشرة طلقة. وفر الجانيان في سيارة فيات ١٢٥، كانت تنتظر امام المنزل ومحركها دائر. وعلى بعد مائة متر قاما بتبديل السيارة. كانت السيارة الأولى تخص احد موزعي السيارات الذي كان الرجل قد احضره قبل ذلك بأيام، وعرفه بنفسه وبرخصة قيادة كندية على انه يدعى انتوني هوتن.
ولا توجد له اي آثار اخرى، ثم عرف بعد ذلك ان مايك هراري وصاحبته الدائمة تامار، عميلة الموساد الجميلة بشكل ملفت للنظر، والمغربية النشأة، وكذلك جنرال زيفي زامير موجودون في مكان الحادث.
في ٢٦ سبتمبر و٢٧، جاءت للثلاثة الذين ظلوا على قيد الحياة من عملية ميونيخ دعوة للزيارة من الجزائر البعيدة، فقد سأل رئيس نقابة المحامين الجزائري ووزير العدل في بلاده سابقا، «عمار بـن تومي» باهتمام عن حالة الفدائيين الذين تم عزلهم عن بعضهم البعض، ووضعهم تحت حراسة مشددة.
وعلم الآن كل منهم ان هناك اثنين غيره لا يزالان على قيد الحياة، من اعضاء المجموعة، وقد عرفوا باسماء ثبت انها مزيفة، حيث ادعى «عبد القادر قناوي»، ذو الشعر الطويل فجأة اسم «محمد محمود الصفتي» ومن المحتمل انه كان طالبا يبلغ من العمر ٢١ عاما. وهناك ايضا «سمير محمد عبد الله» الضخم الجثة، والحسن المظهر نسبيا، ادعى انه مولود في القدس الشرقية سنة ١٩٥٠، كما قال انه التحق بمدرسة عليا في عمان ثم التحق بالجامعة. والثالث ويدعى ابراهيم مسعود طالب عمره ١٩ عاما نشأ في «بورقة بالأردن».
ولم يتضح مما تبين من الأحاديث الشيء الكثير، لأن الفدائيين تحدثوا بمنتهى عدم الدقة عن العملية فقط في حين كان حديثهم ضئيلا جدا فيما يتعلق بمرحلة الاعداد لها.

وقد سجل القليلون من النيابة العمومية بنشاط، معلومات تغير وجود تضليل جماعي ومحاولة جر السلطات الألمانية الى قفص الاتهام الأخلاقي: (نحن مقتنعون دائما بأنه كان المحكم ان نعتمد على كلمة غرفة العمليات ووزير الداخلية، وقد كانت رهائننا الاسرائيلية تفقد في ذلك ايضا. لقد كنا واثقون من انه سيتم السماح لنا بأن نطير معهم الى احدى الدول العربية لكي نستبدل الرياضيين هناك بإخواننا المعتقلين).
في خلال ايام التقى مراسل لمجلة «كويك» المصورة مع متحدث من «أيلول

الأسود». وجاء في أحد الأسئلة الموجهة للفلسطيني: (لقد تم القبض على ثلاثة من رجالكم في ميونيخ. . ماذا ستفعلون؟).
وأثارت الاجابة الاهتمام العام:
(إن السماء مملوءة بالطائرات الالمانية. . وهذه المرة لن نعتمد على شرف الكلمة الالمانية. . فطالما ان رجالنا اصحاء فسوف نخرجهم وسيكون هذا في الحال، خلال هذا الاسبوع).

هذه النبوءة الرقيقة تحققت في ٢٩ اكتوبر ١٩٧٢ اي بعد ٥٥ يوماً بالضبط من مذبحة ميونيخ. كان يوم الأحد صباحاً في الساعة ٥,٥٣، عندما غادرت طائرة بوينغ ٧٢٧ تابعة لشركة لوفت هانزا، رحلة الطيران ٦١٥، للعاصمة السورية دمشق. وتواجد على متن الطائرة اعضاء الطاقم السبعة فقط.

وبعد حوالي نصف ساعة هبطت الطائرة في بيروت. وصعد الى الطائرة ثلاثة عشر راكبا، من بينهم الماني واحد فقط، وكذلك خمسة لبنانيين، وكانت المحطة التالية هي انقرة. وبدأت الرحلة من جديد حوالي ٧,٠١، وبعد برهة اخرج عربيان، كانا يجلسان في الكابينة الأولى مسدسيهما وقنبلتين يدويتين، واخبرا الكابتن فولتر كلاوسن انهما سينسفان الطائرة في الجو، اذا لم يطلق سراح الثلاثة الناجين من عملية ميونيخ. وفيما بعد عرف هذان الخاطفان نفسيهما على انهما سمير عارف الشاهد، ومحمود صلاح. وكان لديهما جواز سفر يمني والآخر لبناني. وغالبا ما تكون الاسماء وجوازات السفر في مثل هذه الحالات مزيفة. واتخذت طائرة اللوفت هانزا النفاثة سبيلها الى نيقوسيا. حيث هبطت هناك في الساعة ٧,٥٨. وتم تموينها من جديد في قبرص ثم بدأت رحلتها من جديد في الساعة ٩,٠١. واتجهت رحلة لوفت هانزا رقم ٦١٥ غير المنتظمة الى زغرب، في حوالي الساعة ١٠,٤٥. وتم ملء خزان الوقود من جديد بعشر طن كيروسين وقد كانت ميونيخ هي الهدف التالي كما علم كابتن كلاوسن. وفي حوالي الثانية عشرة ظهراً حلقت الطائرة فوق مقدمة جبال الألب.

وفي تلك الاثناء تم تشكيل غرفة عمليات على الأرض. كان من بين هؤلاء وزير داخلية مقاطعة بايرن «برونومبرك». وكما حدث في الأولمبيات فقد تم تكليف رئيس بوليس ميونيخ ايضا د. مانفريه شريبز بتحمل مسؤولية العملية بالكامل. وقد راعى نائبه د. جورج فولف ان يتم استخدام مطار ريم بينما طالب الفدائيون على متن الطائرة المخطوفة باستخدام مطار فونك، حيث يتم اخراج اخوانهم في الجهاد من الزنزانات ويتم التجهيز لكي يمرون عليهم ويصطحبونهم عند مدخل مطار.

وقد اجاب البرج، بأن هذا سيستغرق ساعتين، حتى إحضار الفدائيين كان الخاطفون يعرفون ان ليس لديهم الوقود الكافي لهذا. لذلك أرادوا الهبوط في سالزبورغ. وهناك كما قالوا، يجري تسليم المعتقلين لهم. ورفضت سلطات بايرن هذا. فالطائرة الهليكوبتر التابعة لقوات حدود المانيا الاتحادية غير مسموح لها بالطيران الى النمسا. وعلاوة على ذلك فالطقس في سالزبورغ كما هو واضح اسوأ بكثير من ميونيخ. وكذلك تم صرفهم عن اتخاذ خط سير الى نورنبرغ. في هذه المرة لم يسهبوا في التفاوض طويلا. فقد طاروا الى زغرب مرة اخرى. ولكي يوفروا، جعلوا الطائرة وهي على ارتفاع ٧٥٠٠ متر تدور بمحرك واحد. ثم اعلن الخاطفان وهما فوق «فونك»،

انهما يسمحان بالهبوط، إذا وصل «اخوانهم الثلاثة». في تلك الأثناء تم إحضار الفدائيين الثلاثة في عملية ميونيخ بإحدى طائرات الهليكوبتر التابعة لقوات حدود بايرن من سجون شتراوبنغ، بيرندداو، ولانذزبرغ. ووصلوا في الساعة ١٤,٣٠ الى مطار ريم بميونيخ. وقد غيروا وسيلة نقلهم حيث ركبوا في طائرة تجارية نفاثة تابعة لشركة لوفت هانزا ـ وهي شركة كوندور. ولأنه لم يكن هناك اي عرض للسماح من جانب السلطات اليوغوسلافية لاجراء استبدال للفدائيين الثلاثة في مقابل الركاب وطاقم الطائرة الخاصة بلوفت هانزا برحلة رقم ٢٦١٥ فقد تم تأجيل كل هذا. وأخيرا تحركت الطائرة من ميونيخ. وفي حوالي الساعة ١٧,١٠ هبطت في زغرب. كان من بين الموجودين على متن الطائرة رئيس مجلس ادارة شركة لوفت هانزا.

وبعد الساعة ١٨ بقليل، استبدل الفدائيون الثلاثة الذين تم اطلاق سراحهم عنوة الطائرة بأخرى بوينغ ٧٢٧. وتم تموين الطائرة من جديد وبدأت رحلتها بعد ذلك بحوالي خمسين دقيقة متوجهة الى ليبيا.

وتم استقبال الناجين من عملية ميونيخ في طرابلس ايضا على انهم ابطال الأمة العربية وبنشوة جرى الاحتفال. وفي اليوم التالي سمحوا للرهائن بالعودة إلى فرانكفورت. ونجح قائد الثورة الليبية في ضربته للمرة الثانية. وقد كشفه الموساد الاسرائيلي عن ان الليبيين يضعون في كل شهر من ثلاثة الى اربعة ملايين مارك في الصندوق الجديد الخاص «بفتح» كما يدفعون علاوة على ذلك مكافآت اضافية للعمليات الفدائية الناجحة. وقد حصل «أيلول الأسود» على ثلاثة أضعاف هذا المبلغ من أجل عملية ميونيخ.

وبعد تحرير الفدائيين الثلاثة وجه الرأي العام الاسرائيلي من جديد حملة ضد «الألمان الفاشلين» وأثقلت موجة من المشاعر المعادية لألمانيا كاهل العلاقات الدبلوماسية الحساسة بشكل غير عادي بين البلدين. ووصفت غولدا مائير تنازل ميونيخ على أنه «إهانة للبشرية» وقد تحدث نائبها ايغال آلون عن السلوك المخزي الذي يحدده الجبن والذي لا يليق بمجتمع متحضر ومستنير. والمقارنة المشؤومة من جديد بعصر النازية. فقد كتب على احدى اللافتات التي تعبر عن الاحتجاج «هتلر قتل اليهود، بويراندت ساند قاتلي اليهود» وكتبت صحيفة «معاريف»، التي خصصت هجومها الحاد بالفعل قبل ذلك بأسابيع لتوضيح مدى الاستياء (لم يتقدم القادة الألمان في المانيا الحديثة كثيرا عن سواهم من الألمان في عصر مستعمري العالم النازيين. ويتضح ذلك الآن فيما حدث في لوفت هانزا عما سواها).

وبسرعة امسك البعض في ايديهم بنظريات التآمر المطلقة. واعتقد الكثيرون من الإسرائيليين ومعاونيهم وراء الكواليس في كل انحاء العالم انهم كانوا ادوات لعملية مدبرة في الخفاء بين «بون» و«ايلول الاسود». وكان اهتمام المانيا بالبترول الليبي عرضة للتلاعب، فقد كان الأمل في علاقات افضل مع العرب وتجنب الاستياء من «بايرن» بتقديم المعتقلين الفلسطينيين الثلاثة، وكتبت مجلة «شبيغل» آنذاك: (طبقا لنظرية اتفاق الحكومة الالمانية مع المخطط لمنظمة «أيلول الأسود» علي حسن سلامة فقد تم تبادل الرهائن في يوغوسلافيا التي تعد صديقة للعرب وذلك لتجنب التعقيدات. والدليل على ذلك أن الخاطفين اكتفوا بتحرير ثلاثة من رفاقهم، ولم يطالبوا بفدية ايضا، او بتحرير

مجموعة بادر ماينهوف).

وبعد ذلك بفترة وجيزة اختفى الفدائيون الثلاثة، الذين تم إطلاق سراحهم عنوة، من منفاهم الفاخر في ليبيا. وقد وجدتهم المخابرات الغربية في بيروت، واكتشفت كذلك اسماؤهم الحقيقية في غالب الظن، وهي:

عدنان الجاشي، جمال الجاشي، وابو العيسى، وقيل ان اثنين منهم عملا كحرس لأبو اياد والثالث عمل كمساعد معمل في الجامعة الأميركية ببيروت وتؤكد منظمة التحرير وبحسن نية أنهم قد اختفوا تماما.

الباب الثاني

الشخصيات الفاعلة

الفصل الرابع

مايك هراري: أعلى عملاء الموساد

(١)

إنه رجل في جسم ثور، ضخم الجثة يبلغ من العمر ٦٥ عاماً، داهية، زعيم مافيا، هكذا تأخذ اول انطباع عنه، دائما متجهم، وجهه يبعث الخوف والفزع في القريبين منه.

هذا الرجل يسمى ميشيل الشهير بـ مايك هراري، وربما يكون هذا ايضا اسمه الحقيقي. ابن لمهاجر يهودي نشأ في حلب بسوريا واصله العائلي يرجع الى شرق اوروبا. دخل بميلاده في عام ١٩٢٧ في عصر ارتبط ببقاء الشعب اليهودي. كان مستقبل فلسطين تحت الانتداب البريطاني لم يزل غير واضح المعالم وكان المتفائلون العظماء عليهم ان يفكروا فقط في دولة حقيقية هي اسرائيل.

وقد حددت عصبة الأمم على اية حال قبل ذلك بستة اعوام: (ان الدولة المنتدبة عليها ان تضمن اقامة وطن قومي لليهود).

كان هذا بمثابة تأكيد لما جاء في وعد بلفور، الذي هو في الحقيقة عبارة عن خطاب، أرسله وزير الخارجية البريطاني جيمس بلفور سنة ١٩١٧ الى نائب الحركة الصهيونية لورد روتشيلد. كان الطريق لتأسيس دولة رغم كل هذا لا يزال وعراً. اذ ان تل ابيب المدينة، التي بلغ تعداد سكانها اليوم مليون، والتي تأسس في عام ١٩٠٩، كان تعدادها في نهاية العشرينات ٤٠٠٠٠ نسمة فقط. وجاء المهاجرون في أفواج، الى ارض فلسطين، كان الروس ثم البولنديون. وعرف الجانب العربي بسرعة ان هذا النمو ينذر بشر وان الانكليز يقفون مبدئيا الى جانب اليهود. ثم تأسس الصراع العربي - الاسرائيلي الحالي.

وقد بدأ الأمر يتطور بالفعل في الفترة الأخيرة الى اعمال دموية. في سنتي ١٩٢٧، ١٩٢٨ بدأ النزاع لأول مرة يشتعل حقا. حيث قام الفلسطينيون، تحت قيادة «أمين الحسيني»، المفتي الأكبر للقدس باغتيال أعداد كبيرة من اليهود، الذين نظموا دفاعهم من جديد واعتدوا على الجيش السري «الهاجاناه» الذي تأسس سنة ١٩٢١.

كانت الهاجاناه عبارة عن منظمة غير شرعية لأن الانكليز كانوا لا يحتملون الصبر على جيوش منافسة في المناطقة التي يحتلونها.

وبعد معارك ١٩٢٩ تطورت الهاجاناه، لخطة تشمل الدولة ككل. وتحصنت المستوطنات اليهودية، حيث كان سكانها عرضة في كل وقت للهجمات العربية.

وأرسلت الهاجاناه جواسيسها الى اوروبا لشراء السلاح. وكانت فيينا وانتفيرين من أهم المراكز التجارية لهذه السلعة التي اصبحت حيوية.

وفي الوطن، في فلسطين قامت في الخفاء صناعات تسلح بدائية، وتم انتاج قنابل يدوية، وقنابل وخراطيش بأيسر الخامات.

ومن عام ١٩٣٢ حتى ١٩٣٩ اثناء احدى موجات المقاومة الفلسطينية المتجددة ـ الشبيهة بالانتفاضة الحالية ـ تحدت الهاجاناه بقوة. حيث لقي ٥٢٠ يهودياً مصرعهم كما أصيب ٢٥٠٠ آخرين. في عام ١٩٤٣ تراجعت الهاجاناه في دستورها عن مشروع المقاومة الشعبية وأعدت نفسها للوظيفة القادمة كجيش نظامي.

وكونها كونت من قبل «حركة مقاومة يهودية» مع جمعيتين يمينيتين صهيونيتين، إرهابيتين هما إيتزل وليش، فهذا يرجع الى وقائع تاريخية فخرية.

وقد عاش هذا التحالف لفترة زمنية قصيرة، لأن الأخلاقيين تفوقوا داخل الهاجاناه، وتسمى «ايتزل» أيضاً «المنظمة العسكرية القومية»، أما ليش «رابطة ـ النجمة» فقد كانت في اختيار وسيلتهم غير شديدي الحساسية، حيث كانت تقوم باغتيال الفلسطينيين بالعشرات.

ولكن داخل الهاجاناه نما فيما مضى بالفعل القادة العسكريون والسياسيون مستقبلا للبلاد، مثل موشى ديان، وايغال هارون وغيرهم.

ومايك هراري ينتمي إلى إحدى وحدات الصفوة في الهاجاناه التي كانت قبل تأسيس دولة اسرائيل بفترة وجيزة. كانت تطلق على نفسها «شيروت يديعوت» وهي بكل وضوح «وكالة سرية» للمخابرات. كان واجبها جمع اكبر كمية من المعلومات الممكنة سواء عن العرب الاعداء او عن الدولة المنتدبة الانكليزية. وبالطبع بها ادارة مخابرات مضادة للتجسس.

وبهذا اصبحت شيروت يديعوت، واختصارها اس. اش. أ. اي، المنظمة المؤقتة للوكالة العسكرية. فيما بعد «عمان». والمقر الرئيسي لشيروت موجود في تل أبيب، شارع بن يهودا رقم ٨٥، الدور الأول، فوق محل زهور وعلى الباب لافتة توضح الطريق إلى «وكالة استشارية لقدامى المحاربين».

في سنة ١٩٣٩ تفاقم الوضع بين اليهود والانكليز. ولكي يظل العرب بعيدين عن تأييد هتلر قدم لهم البريطانيون تنازلات لأبعد مدى. قد رسموا في خطوط عريضة نوعا من البرامج لحكومة في فلسطين على انها دولة عربية مستقلة مستقبلا.

وفيما يسمى «بالكتاب الأبيض» تم ايضا الحد من هجرة اليهود بشدة. فمن عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٥ شملت الحصة الواحدة ٧٥٠٠٠ فقط.

ومن اقوال الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ (حكومة صاحبة الجلالة تعلن الآن وبوضوح تام انه ليس من سياستها، ان تجعل من فلسطين دولة الميهود). ثار اليهود غضباً، في حين انتصر الفلسطينيون. وكان ذلك بمثابة حجة جديدة لإشعال الصراع

القديم.
وأخيرا قام رئيس مايك هاراري بإرساله الى اوروبا في مهمة حساسة فقد كان عليه أن يزيد «الهجرة غير الشرعية لليهود».
اهتم هاراري بالناجين من المحرقة وبالناس الذين بلا جنسية او هوية وعلى طريقة تجار الرقيق القدامى اخترق المواطنون الجدد حصار البحرية الملكية ووصلوا الى ارض الميعاد.
ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وتأسيس دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ فقط وصل عدد السفن الى ٦٦ سفينة تحمل المهاجرين.
وتمت بالفعل عمليات تهريب الناس منذ عام ١٩٣٧ على يد منظمة خاصة اطلقت على نفسها «معهد للهجرة الغير شرعية».
وفيما بعد كانت بوادر جهاز المخابرات الاسرائيلي الأسطوري، النبع المتدفق دائما بالأساطير والاضطرابات العصبية قد بدأت تلوح. ويعد مايك هاراري من رجال الساعات الأولى. في سنة ١٩٤٧ دربت الهاجاناه اوائل ضباط المخابرات فيها. ومعظمهم جاء من صفوة القوات الخاصة، . وبادىء ذي بدء قاموا بوضع ملفات عن القرى العربية. هذا القسم توسع بسرعة وأرسل عملاؤه بسرعة ايضا للاستعلام عن العناصر المعادية في البلاد المجاورة.
هذه العملية تمت بمعرفة عقيد «عيزربيري». وقد أبلى بلاءً حسناً في المنظمة السرية، ويعد اول مدير لجهاز المخابرات العسكري الاسرائيلي.
استطاع بيري ان يختفظ لنفسه بهذا الوضع لفترة طويلة. عندما كان هو ورجاله، ربما لا يفسرون القانون بمنتهى السهولة اتضح هذا ذات مرة، لدرجة ان بريئا لاقى تعذيبا، وكذلك هناك مشتبه فيهم أعدموا لمجرد الاشتباه.
كان على «بيري» ان يستقيل في ١٩٤٧ وكذلك تمت محاكمته. وكان التالي بعده، الرئيس الحالي حاييم هيرتزوغ. وطلب المجند «بـن غوريون» خليله الحميم ريوفن شيلواه، وهو محارب قديم في المنظمة القديمة شيروت ايضا، ان يهتم بالوكالة.
ولد الرجل المتفرد في وداعة الملامح، والذي يستطيع المرء ان يعتبره بسهولة مجرد أمين مكتبة متعمق أو دارسا، ولد في القدس ١٩٠٩ كان والداه حبّراه. وكانت الأسرة تعيش طبقا للتقاليد الدينية الصارمة للمتشددين في الدين. نما باسم ريوثني، وسمي في الهاجاناه «المجتهد الصامت»، والاسم الحركي «شيلواه». واحتفظ بعد ذلك بهذا الاسم بحكم العادة.
فكانت أولى عملياته من أجل الوكالة في بغداد. عمل كمدرس وجاءته الفرصة للعمل كصحافي. كانت مناسبة بالنسبة له، حيث كان يبلغ عمره وقتها ٢٢ عاما، كان عميل المخابرات الوليد كما يطلق عليه اصدقاؤه، سيصبح من الآن احد مؤسسي الموساد. وقد اسس في بادىء الأمر لجنة تنسيق، لجنة رئيس جهاز المخابرات وسميت فيما بعد فاعادات راشي ها ـ شيروتيم وهذه المنشأة موجودة منذ منتصف عام ١٩٤٩، ويجتمع فيها حتى اليوم رؤساء الوكالات بشكل منتظم كل اسبوع.
ثم قسم بن غوريون وشيلواه وكالة لتليروت إلى أربع منظمات ـ المخابرات العسكرية آمان مخابرات أمن الدولة شاين بت وكالة المخابرات الخارجية، سُمّيت فيما

بعد بالموساد، ومؤسسة الهجرة. وتولى عيزز هاريل الذي وضع استراتيجية شيروت، الوكالة الداخلية، في حين تولى مدير القسم الخارجي في وزارة الخارجية، بوريس جوريل الوكالة الخارجية. وأصبح رئيس مايك هراري الجديد شاؤل أفيجور، وهو رجل بلغ ٤٩ سنة في المنفى، ويعد من مؤسسي شيروت سنة ١٩٣٤، كان في سنة ١٩٤٨ نائباً مؤقتاً لوزير الدفاع. عم أفيجور انه سيرأس مايك هاراري، لذا ترك له حرية التصرف. كان يسافر في العشرينات دائما الى اوروبا التي خربتها الحرب. وهنا وجد فرصته القديمة ليبرهن على موهبته في مجال الصفقات السرية استخدم جواز سفر مزيف، ويسمى هذا في لغة المخابرات: «ورقة تغطية» وانطبعت مع الحماس تفاصيل عديدة خاصة بالهوية بطريقة مختلفة او مستعارة عرف كيف يتوارى بخدماته التي لا يدانيها احد عن اصحاب العيون المفتوحة.

كانت العداوة موجودة لعدة اعوام مع جهاز سي.إي.د. البريطاني والاستطلاع الأجنبي للانكليز، وفيما بعد اصبحت هذه العداوة مع الوكالات العربية، لا سيما بالطبع الذراع السري لمنظمة التحرير الفلسطينية «رصد».

توقف ضابط القوات الخاصة سابقا مايك هاراري في روما، واسمه الحركي هناك أليكس. بذل هناك قصارى جهده، واسس ابن احد موظفي الجمارك، شبكة من الواشين والمستطلعين، وأغرى الضباط المهمين، وارشد اللاجئين عن الطريق الى اسرائيل - كانت الهجرة لا زالت حتى ذلك الوقت شرعية - وارتبط كذلك بعقود في تجارة السلاح التي ازدهرت حديثاً. كانت اسرائيل التي تواجه بالفعل منذ يوم نشأتها هجوما - ١٩٤٨ كان عام بدء الصراع العربي - الاسرائيلي - تحتاج لكميات كبيرة من السلاح.

وقد عمل عملاء الأرض المقدسة على هذا الاساس: منهم على سبيل المثال شخص يدعى ايهود افريل اشترى ٤٥٠ بندقية آلية و١٠٠٠٠ بندقية عادية.

وبدأ بمساعدة مكتب مقنع في باريس في الحصول على عروض، وأغلب العروض الشيقة جاء من «براغ»، كما سافر «افريل» بجواز سفر سويسري مزيف باسم شخص يدعى اوبرال الى مولدار. وبدأ المفاوضات هو والقائمين بأعمال الهجانة هناك دورون وبينو جينسبورغ، مع وزارة الدفاع.

وقد صادف الثلاثي قبولا. ولكن ليس من باب التعاطف السياسي فقط (فالسوفيات دعموا هذه الصفقات من الأسلحة وتأسيس دولة اسرائيل) ولكن ايضا لأن التشيك يحتاجون للدولارات بشكل ملح. وتصرف مراسلو الهجانة من الوسائل الضرورية وسمع ايهود افريل بشكل ملح بتحويل الأموال من بنك «تشاس مانهاتن» بنيويورك الى حساب في بنك زيفنوستنسكا في براغ. وقد اشترى بهذه الأموال في ديسمبر ١٩٤٧ ويناير ١٩٤٨ بالضبط حوالي ٢٥٠٠٠ بندقية، ٥٠٠٠ مسدس آلي، ٣٠٠ بندقية آلية، ٥٠ مليون خرطوش.

وتم تنظيم اول عملية امداد بالأسلحة من جنيف الى خارجها حيث المنطقة التي تتحلل من الحماية البريطانية. وكان الرجل الذي يستخدم القنوات السرية يطلق على نفسه اسم «مونيا ماردور». وقد سرب البضائع من خلال منطقة الاحتلال الأميركي من المانيا الى بلجيكا. حيث تنتظر هناك بالفعل سفينة، تلك التي أوصلت البضائع الأميركية الساخنة تحت اسم قطع الغيار المعروفة بأجزاء الآلات، الى هدفها.

وفي نهاية مارس ١٩٤٨ وصلت اول اسلحة تشيكية الى فلسطين. كان ذلك متأخرا جدا، لأن القوات السورية العربية ـ يسمون انفسهم باسم آخر غير اسم القوات الانتحارية التابعة لعلي حسن سلامة، او الارهابيين ـ كانوا قد سيطروا على المناطق المحيطة بالقدس.

تفاقم الموقف، وكان بن غوريون خائفا من طرق الامداد البطيئة العريضة. في ٢٩ مارس ١٩٤٨ أرسل نداء استغاثة تلغرافيا الى براغ.

وعالج إيهود افريل الموضوع على الفور وبعد يومين بدأ شحن طائرة دوغلاس بأربع محركات ـ تم تأجيرها في اميركا ـ بالسلاح عن آخرها من الميناء الجوي زاتك في براغ. ووصلت قوة المحرك الى فلسطين بعد فترة. شرع افريل بالفعل في المفاوضات. التي كانت اصلا حول الوصول الى شراء البنادق الالمانية خلال الحرب العالمية الثانية ماركة ماوزر ٩٨. كما كان يريد الطائرات المقاتلة التشيكية طراز أفيا، والتي كانت في كادوفيكي، ويتم تجميعها من مخازن «مسرشميت»، طوال فترة الحرب عند براغ وقد اتفق البعض على ان اول امداد كان من احدى عشر قطعة.

وفي مايو ١٩٤٨ اسس الاسرائيلون بعد ذلك فرقة سرية خاصة للتصدير الجوي، وقد كان في خدمتها فعلا ثلاث طائرات مستهلكة وقد بدأ كلا الطياران موردخاي هود وعيزار ڤايسمان المبكر بقطع غيار لطائرات وقنابل وذخيرة أم.ج. في تلك الاثناء كان ايهود افريل قد تفاوض هو ورجاله بالفعل مع التشيكيين عن مدد اضافي بحوالي ٥٠ طائرة حربية مكهنة. وتم الاتفاق بسرعة. ثم كانت الصفقة مهددة بالفشل بسبب قلة المدى بالنسبة للطائرات، (حيث يبلغ ٢٢٥٠ كم) ووصل من الطائرات الخمس ثلاث فقط الى اسرائيل في حين هبطت الطائرتان الأخريتان الى رودس حيث حجزت هناك وألقي القبض على الطيارين.

في ١٥ يوليو سمحت السلطات اليوغوسلافية اخيرا بالهبوط الاضطراري في مطار معطل في اوروبا وتواجدت في اسرائيل بالفعل في منتصف اغسطس ثلاثون طائرة خاصة. والآن يتم نقل الامدادات اليهودية ليلاً نهاراً في الشرق الأوسط.

وبالنسبة لعميل المخابرات الشاب والموهوب مايك هراري يعد هذا نشاطاً كبيراً. كان لهم في أوروبا مراكز نشاط لدى مندوبي اسرائيل الدبلوماسيين في سويسرا والمانيا وايطاليا وانكلترا وفرنسا والنمسا. وعند الضرورة يتم الانجاز هناك أيضا تحت الحصانة الدبلوماسية. وقد كانت باريس هي المركز الخاص للنشاط الاوروبي حتى اقرب وقت، حيث كانت الكلمة هناك لاشر بن ـ ناتان من مواليد فيينا ١٩٤٢ وفر الى فلسطين فيما بعد بسبب النازي.

في بادىء الأمر عمل بن ناتان من أجل مؤسسة الهجرة، التي ينتمي اليها هاراري ايضا، ثم عمل ذلك من أجل القسم السياسي في وزارة الخارجية حتى وصل الى منصب رئيس العمليات. وقد لاقاه الاسرائيليون العاملون في اوروبا رغم سرية نشاطهم في الوكالات بالترحاب. ففي مقابل رفاقهم النبلاء الذين يقاتلون في الصفوف الأمامية وفي مواقع المواجهة، يعيشون هم في اوروبا عيشة الملوك.

واستمرت هذه الحياة الهادئة، حتى بدأ أكثر من عميل بسبب التبدل الفاجر في حياتهم ومن خلال المصاريف الباهظة والنتائج المخزية يلفتون اليهم الأنظار.

وعندما اراد «شيلواه» الاحتفال بعدد كبير من المستطلعين المرفهين الذين زرعهم بنفسه في اوروبا، كان رد هؤلاء الاضراب وكان على رأسهم بن ناتان، وكان لا بد ان يعود القسم السياسي الى وزارة الخارجية دون تردد، ويقوم مرة أخرى بواجباته الخاصة.

(٢)

ومن هذه اللحظة وصاعدا اصبحت وكالات المخابرات الخارجية وظيفة تابعة لرئيس الوزراء وكان شهر ابريل (نيسان) ١٩٥١ بمثابة يوم ميلاد لمؤسسة المخابرات والمهمات الخاصة وقد وجد العديد من المستخدمين فرصتهم وانتقلوا الى الموساد ومن بينهم مايك هاراري. وأصبح رئيسه الجديد، الذي كان حتى الآن قائما بعملية التنسيق «رمن شيلواه». ورغم ذلك فقد فشل في التحديات الكثيرة التي تواجه وظيفته والأخطاء ذات النتائج الوخيمة في الأعوام الأولى.

في عام ١٩٥٢ تنازل لصالح الناسك الطموح عيزر هاريل وهو رجل قاد الوكالة إلى الشهرة العالمية. وبعد ان كانت في عصر «شيلواه» الصديق الصدوق للمشروعات السرية والدسائس الدبلوماسية المتكاملة، اصبحت في عصر رجل مهذب مثل هاريل على الطراز البريطاني. وأصبح لها مع هاريل اب مؤسس لديه نزعة اجتماعية. وقد وصف ايريك فولات شخصيته بدقة متناهية في كتابه «عن الموساد» «عيون داود»: خشي السياسيون من قوته، وخشي العملاء من قلبه الذي بلا رحمة، وقد وصف رئيس الوزراء شاريت، الرجل الذي طوله ١,٥٥ متر، واسم شهرته «عيزر القصير»، وصفه بأنه «شيطان في مدينة الأقزام». وقد قال احد معاونيه المقربين عنه ذات مرة: «انه يتأمل فيك، كما لو كان يستطيع ان يقلب افكارك السرية الى الخارج، وأنت لا تعرف لماذا، ولكنك تشعر امامه دائما بالندم.»

وعملاؤه يخافون تقديم اي تقرير للرئيس فقد كانت الكلاب والأطفال فقط هي التي لا تهاب عينيه الزرقاوين القاسيتين على حد تعبيره.

جاء «عيزر»، المولود سنة ١٩١٢ مع اسرته في سنوات شبابه الى فلسطين. واصبح احدى حارات اليهود في قيصرية هو وطنه الجديد. وقد عمل هاريل بجمع الفاكهة ثم انضم الى الهجانة فيما بعد. كما وجد حلمه الحقيقي في الرحلات السرية لوكالة شيرت. فقد اصبح قليل الكلام الذي في الثلاثينات من عمره من الصفوة بسرعة.

في سنة ١٩٤٨ عندما نجح في الحصول على خطة الزحف الأردني، تمت ترقيته الى ملازم اول. وبعد ذلك عينه بن غوريون مديراً لوكالة شاين بت، واخيرا وبعد استقالة «شيلواه» اصبح هاريل رئيسا للموساد.

ووصل هاريل الى هدفه في الحياة، وقدرته على القيام بوظيفته لم تسبب له اية مشاكل. وكانت نجاحات زعيم الجاسوسية رائعة. من ذلك انه اوعز بالبحث عن القاتل النازي المختفي أودولف ايكمان في كل انحاء العالم، فأحضروه اخيرا من منزله في بيونس ايرس. خطف الاسرائيليون ادولف ايكمان، وتمت محاكمته في القدس. كما أبلى هاريل بلاءً حسناً أيضاً في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثانية، في حرب القناة سنة ١٩٥٦. وبسبب اتصالاته الممتازة بالكتلة الشرقية، تمكن من الحصول على الحديث السري لخروتشيف سنة ١٩٥٦ والمزود بحساب ستالين. وفي فترة توليه منصبه

أيضاً سقطت قذائف قنابل على تكنولوجيا الصواريخ الألمانية في مصر.

فعيزر هايل يعد واحداً من الرؤساء الأسطوريين لأجهزة المخابرات، الذين لا يتجاوزوا على اعلى تقرير نصف دستة، ومن بينهم بكل تأكيد، المنافسون الألمان مثل راين هارد المانيا الغربية، وماركوس فولف المانيا الشرقية.

ورغم كل هذا فأمثال هاريل ايضا يرتكبون الأخطاء. حيث فشل في القيام بواجبه اخيرا على أكمل وجه، وابتعد كل البعد عن توجيهات السياسة فقد كان في منتهى الطموح والاعتداد بالنفس، لذلك كان عليه ان يرحل في عام ١٩٦٣. وهو يعيش اليوم في منطقة امامية بتل ابيب كمصدر للمعلومات متقاعد، كان مايك هاراري يتسلق خلف هاريل دائما. وقد كان يعمل في خفة مؤثرة وناجحة في دول الشرق الأوسط المعادية، وكذلك في اوروبا اللطيفة، التي كانت تنتعش اكثر وأكثر من نتائج الحروب الكبرى خلال ماضيها غير المرضي، وقد خلق هاراري المتطلع لنفسه دائرة من الأصدقاء متشعبة، كان من بينهم عدد كبير من النساء الفاتنات.

وقد كان منذ البداية تابعاً لقسم العمليات السرية جداً للموساد، وكان دائماً يعد الملتزم. لم يحدث قط ان انكشف او تم القبض عليه. ولم يعرف أحد مع من كان يعمل. وبعد حرب الأيام الستة في ١٩٦٧ وصل هراري الى طموحه الوظيفي.

وقد وصفه «مائير عاميت» رئيس الموساد منذ ١٩٦٣، وهو ايضا ابن لمهاجر روسي، وترقى من خلال عمله العسكري حتى وصل لهذا المنصب، وصف هراري بأنه الرئيس لما يسمى «بالخدمة المستورة». انها وظيفة للقادرين فقط على السيطرة بمنتهى القوة. وتحت إدارة «مائير عاميت» استقر الموساد، وركزت صفوة المخابرات في اسرائيل على الجيران العرب اكثر من ذي قبل، وزرعت خلايا لجمع المعلومات. وعمل رئيس الموساد كمدير اميركي. والحق ان حصوله على شهادة الماجستير ـ الأميركية في علوم التجارة، مكنته من ان يلعب دوراً.

فقد عمل بأجهزة كومبيوتر جديدة، واستعلم عن التكنولوجيا الحالية لشركاء الوكالة. وكان «عاميت» احد نواب الهجرة المنتشرين في اوروبا الشرقية، وبتعبير أدق، في الهجرة الروسية، وقد شق طريقه ايضا عبر الهجانة.

وكانت اول مهمة بالنسبة له الاستطلاع عن البوليس البريطاني المساعد. ومما يدعو للاستغراب، التوافق في سيرة رجال المخابرات الاسرائيلية. فقد تسلق جيل بأكمله الى المناصب العليا بهذا الأسلوب. ويعرف كل واحد ـ من السابقين والحاليين ـ باقي زملائه.

وقد رأس مائير عاميت لفترة «المخابرات العسكرية» آمان. ليتسلق بعد ذلك مقعد الرئاسة في الموساد. وانهالت الصدمات على عاميت ايضا. ففي اثناء فترة خدمته تم اكتشاف الجاسوسين الخارقين ايليا كوهين في دمشق وفولفغانغ لوتز في القاهرة(وقد مات كوهين في غالغن) ومع ذلك فقد أظهر «عاميت» أيضاً جانباً مليئاً بالنجاح. من ذلك أن الموساد خطف طائرة ميغ ٢١ من بغداد، وساهم هذا الى حد كبير في نصر الاسرائيليين في حرب الايام الستة.

في ذلك الوقت ظهر تهديد جديد في الأفق: ذاك الذي يسمى المقاومة ضد اسرائيل. فبعد حرب ١٩٦٧ اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية قوة وتأثيراً. وبسبب

هزيمتها في عمان، شكلت قيادة «ايلول الاسود» لكي تخضع العناصر المتطرفة التي بلا مستقر، داخل منظمة سرية. في الوقت نفسه كان عرفات والمحيطون به غاية في السرور لهذا التطور لأنهم كانوا يستدرون مزيداً من العطف بهذه العمليات كل عام في ظل المناخ المضاد لفيتنام، والمضاد للامبريالية.

كان مايك هاراري الذي يعمل عادة في العمق خلف الخطوط العربية من خلال عملائه، في سوريا والأردن ومصر والعراق وكذلك لبنان كان عليه أن يجد مشروعاً مليئاً بالفاعلية بقدر الامكان لمكافحي الارهاب. وقد كلف جواسيسه في هذه المرحلة بمهمة عاجلة، ألا وهي التغلغل في منظمة التحرير وخاصة «فتح».

وبدأ هاراري التدخل السريع للتركيز على الوضع في عمان ربما كان يعلم انه بمساعدة العملاء، الذين قدموا نشاطاً مثله، لن يصل إلى مدى بعيد في هذه الحالة الخاصة. ولكنه استطاع أيضاً أن يعتمد في أضيق الحدود فقط على نشاط ـ رجال عرب. كان لا بد من ايجاد سبل جديدة. وهذا يعتمد على استخدام رجال غير مشبوهين، الذين قد يعتبرهم المرء ممن يساء الظن فيهم من منظمة التحرير نفسها وانهم ليسوا على صلة بإسرائيل. علاوة على ذلك فقد يسمى هذا، ضرب العدو بسلاحه الخاص.

وقد كان لدى المجموعات المتعددة لمنظمة التحرير، وخاصة لدى الجبهة الشعبية متطوعين موالين من اوروبا وشرق آسيا ظهروا بالفعل. وقد فكر هاراري بنفسه في الذي يمكن ان يصنعوه؟ وهذا ما سوف نفكر فيه نحن حالاً.

وبذلك شرع في تأسيس قوة ممن ليسوا اسرائيليين وغير مشبوهين. ووضع لذلك شرطا: العملاء الجدد ـ للموساد يجب ان يكونوا على صلة باليهودية. ولا يصح بكل وضوح ان يكونوا قتلة مأجورين أو جنوداً مرتزقة في الأسواق الحرة. وهناك «نموذجان»، يناسبان تماماً لمشروع هاراري: وان اربيل وسيلفيا رفائيل.

واربيل الشهير بدانيال ايرت من مواليد ١٩٣٧ وهو ابن ليهودي دانماركي ثري، فرت أسرته من النازية إلى السويد أولاً ثم إلى الولايات المتحدة في ١٩٦٣ جاء الى اسرائيل وخلق لنفسه هناك مكانة. ثم تزوج واشترك في الأعمال التجارية. وظفر كبائع موهوب بسرعة بإدارة التصدير لمصنع اوسم، أكبر مصنع للمأكولات في اسرائيل. وآربيل الانسان الفظ والودود في نفس الوقت، لم يكن لديه أية مشكلة في الاتصال بالغرباء. كان كغيره من قبل مواطنا دانماركيا، يمتلك جواز سفر ساري المفعول، لوطنه القديم، لذلك كان من الممكن جدا بالنسبة له ان يساند الموساد في مواقفه الصعبة، وعندما قررت اسرائيل المهددة من كل الجوانب، بناء قنبلتها النووية الخاصة بها في المفاعل الوحيد «ديمونة»، كان عليها ان تعرف، ان فرنسا الشريك الذي كان حتى الآن، قد فرض المقاطعة فجأة. كما ان اوكسيد اليورانيوم ذو القيمة العالية والضروري بشكل ملح، لا يمكن الحصول عليه في باقي الأسواق العالمية. وعلى الموساد ان يسرع من جديد.

واكتشفت المخابرات الكمية المطلوبة من أوكسيد اليورانيوم في احدى مصانع بروكسيل وتم تكليف وان آربيل بعملية التغليف والتعبئة، وتقديمه للمشتري المناسب.

هربرت شولتز، الشريك في مصنع «اسمارا للكيماويات» في مدينة فسبادن. وقد كان شولتز قد ضمن لمشروع الموساد كل المشكلة سواء عن علم منه أم لا، ففي ٢١

مارس ١٩٦٨ اشترى ٢٠٠ طن يورانيوم ودفع من أجل ذلك ٨,٥ مليون مارك. وقد أسست الموساد من أجل ذلك الغرض فقط شركة بواخر، لكي تستطيع نقل البضائع مع ضمان جودتها الى ايطاليا، ومن المحتمل أن تجري معالجة المهمة الخاصة للمخابرات الاسرائيلية وسميت الشركة باسم حركي وكان أحد رئيسيها وان اربيل.

وفي سبتمبر من نفس العام قامت الشركة في هامبورغ بالسفينة التي طولها ٧٨ متراً. وقد استبدل الموساد ادارتها بالكامل برجاله الخصوصيين.

وعندما وصلت رخصة التصدير، اصبح من الممكن اتمام باقي العمليات. ففي ١٦ نوفمبر ١٩٦٨ غادرت بحمولتها السفينة انفرين واتخذت طريقها الى مدينة البندقية. وبعد ذلك وقفت السفينة ليس ببعيد عن قبرص، حيث افرغت حمولتها وهي عبارة عن ٥٦٠ برميلاً من اليورانيوم في احدى السفن الاسرائيلية.

وكانت هناك قطارات بضائع تنتظر في حيفا، لتحمل المادة الخام لصناعة القنبلة الذرية، الى مفاعل «ديمونة». وفي مارس ١٩٦٩ كان الاعداد لأول قنبلة ذرية اسرائيلية جاهزة. كان اسم الشيفرة لهذه العملية بليمبات Plumbat وهي لفظة من اختراع الموساد، لا يوجد لها مرادف في القاموس. فقد اراد المرء ان يفوز باليورانيوم. والرصاص هو آخر مشتقات اليورانيوم، وقد تم اعطاء الرصاص في مقابل اليورانيوم. وفي اللغة اللاتينية في العصور الوسطى يسمى الرصاص. أما الامكانية الثانية فقد وردت من قبل على سبيل الدعاية.

ففي التاريخ الانكليزي جاءت الكلمتين، بمعنى «التضليل»، وهذا من ناحية اخرى، احدى واجبات الموساد الاساسية. ومرة اخرى تم احضار السفينة شربارج. وفي عيد الميلاد ١٩٦٩ خطف الموساد خمسة لانشات صاروخية، وتم حبسها في ميناء كابري بتكليف من اسرائيل ـ بسبب المقاطعة الفرنسية في مجال الأسلحة. وقد تم شحن المراكب في اعلى البحار بمساعدة السفينة السابقة. وسارت في طريقها الى اسرائيل بدون التوقف في اي ميناء. حققت شركة وان اربيل غرضها واستطاعت ان تنحل مرة اخرى.

على نفس المنوال سار تاريخ العمل في المخابرات ولكن بضجة أقل بالنسبة لسيلفيا رفائيل وكانت حسناء المظهر المولودة في جنوب افريقيا هي بالطبع من أسرة يهودية. جاءت إلى اسرائيل في منتصف الستينات، لكي تبقى قريبة من معتقداتها. كان الدافع الذي منحها «موهبة البحث» عن مايك هراري، دافعاً مثالياً، خالصاً.

لقد قرأت سيلفيا رفائيل كثيرا عن «المحرقة»، واستطاعت أن تعايش حقاً الفزع في عصر النازي. وقد كان الفلسطينيون بلا شك أفضل بالنسبة لها من الاشتراكية النازية الوطنية. كانت تقول في جملة ترددها دائما: لن يكون هناك ستة ملايين قتيل جدد في المرة القادمة. وقد كانت واثقة جدا من ذلك!!

وبسبب هذا الاقتناع صار من هذه الشابة الطموحة، عميلة للموساد. كان اسمها المستعار (ليسلي باتريشيا روكسبورغ) ادعت العمل لصحيفة. كان جواز السفر المزيف للموساد رقم ٢٠٠٢٠١ يوضح انها مولودة في ١٧ سبتمبر ١٩٣٦ في مونتريال. وقد حققت ليسلي روكسبورغ الجذابة ذات الشعر الطويل، نجاحا كبيرا مع الفلسطينيين. لذلك كان «مايك هراري» يجعلها تسافر غالبا الى الأردن ولبنان. وقد سمحوا لها ذات

مرة ان تستأجر يختاً مع «وان آربيل» و«ميجر ان» من مونت كارلو إلى شرق البحر المتوسط. حيث أمعنت النظر في وحدات البحرية في الموانىء السورية واللبنانية، كما استطلعت الأحوال في منظمة التحرير.

وقد استطاعت بما لديها من جاذبية كبرى، وقدر مناسب من الشجاعة ان تجمع معلومات قيمة لا حصر لها على مدار الوقت. وعاشت المرأة التي في الثلاثينات من عمرها في باريس من الناحية الرسمية. وقد بدأت من هناك رحلاتها كمستطلعة وقد كانت باريس لسنوات عديدة بمثابة محور لحياتها.

في العاصمة الفرنسية عاش أفضل اصدقائها، ومعظمهم من الصحافيين البريطانيين والأميركيين. وهناك في باريس، حيث انفق الموساد لعدة اعوام على مراكزه الأوروبية، وأقام كذلك بها البعض الآخر من صفوة العملاء، حيث كان لديه سكن بالقرب من مون بارناس (رقم تليفون: ٨٠١٠ ـ ٥٢٠) وقد كان جوناثان انغليبي، الشهير بجوناثان ايزاك، موجود يوميا في ١٢٤ شارع «وغريم» من مواليد البرازيل، ويعمل من باب التمويه منذ عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧١ كسائق في السفارة الاسرائيلية ـ وقد كان في الحقيقة اهم عضو في شبكة هاراري ويحتفظ بمفتاح لكل شقة، وهناك افراهام جيمر الذي اصبح، فيما بعد رئيس اركان الحرب في فريق «القتل»، وهو ينتمي الى التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي في باريس منذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٦٩.

ورجال الموساد يتصلون ببعضهم البعض في الحالات النادرة فقط. وذلك لأسباب تتعلق بالأمن. وكل منهم لديه نشاطه الاجتماعي الخاص. فعلى سبيل المثال كانت «باتريشيا» تلعب البريدج ببراعة وتدير احاديث ذكية.

فقد كانت سيدة ذكية، يعجب بها المرء ويقدرها. وكانت تبدو كما لو ان شيئا لا ينقصها لتكون رمزا للنجاح. وحتى في عالمها المحيط بها في باريس لم يكن احد ليظن انها عضوة في فريق «القتل». حتى ظهرت صورتها ذات يوم في الصحف. وعاد يتردد من جديد اسمها الحقيقي سيلفيا رفائيل.

وبدأت الحرب الخفية بين «فريق القتل» التابع لمايك هاراري وبين فريق المقاومة التابعة لمنظمة التحرير في ٢٢ يوليو ١٩٦٨م.

في ذلك اليوم قام ثلاثة أعضاء من الجبهة الشعبية التابعة لطبيب الأطفال د. جورج حبش، باختطاف طائرة بوينغ ٧٠٧ تابعة لشركة العال، كانت في طريقها الى روما، فخطفوها الى الجزائر. كان على متن الطائرة ٣٨ راكبا وفريقا مكونا من عشرة اعضاء (وهذا الفريق واحد من فريقي قراصنة جوبيتي ـ قاد فيما بعد عملية اختطاف طائرة سابينا الى تل ابيب ـ واطلق عليه الاسرائيليون الرصاص) وما لبث المقاومون ان اطلقوا سراح ٢٣ راكبا ممن ليسوا من اليهود، على الفور. ومع ذلك فقد استمرت المفاوضات طوال يوم بأكمله. حيث طالبت منظمة التحرير بإطلاق سراح ١٢٠٠ سجين عربي.

وطبقا لما ذكره المتحدث باسم اسرائيل آنذاك، فقد قدرت اسرائيل قيمة مواطنيها في هذه المرة، بحيث اعتبرت الواحد بمائة: اسرائيلي واحد امام مائة فلسطيني. وبسرعة بدأت الدول ايضا في تقديم مطالبها الاضافية غير المقبولة تماما. فمصر تريد سيناء المحتلة والأردن تريد مدينة القدس القديمة، والعراق تسعى لاستعادة طائرتها الميغ ـ ٢١ التي طار بها احد طياريها من السلاح الجوي الى اسرائيل. فالكل لاعبها البوكر على

اعلى مستوى وأخيرا لم تطلق اسرائيل المكرهة سراح أكثر من سبعة عشر شخصاً من سجونها وهذا كما تردد رسميا، يعد حالة فردية تقديرا للقانون الآدمي. في ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ هاجم اثنان آخران من اعضاء الجبهة الشعبية احدى طائرات العال، كانت في طريقها من تل أبيب إلى نيويورك. وعند الهبوط الاضطراري في اثينا تعرضت فجأة لضرب نار بأسلحة آلية وقذف بقنابل محرقة. وقد مات أحد الركاب الاسرائيليين في حين لاذ ٤١ راكباً آخر بالفرار.

في مارس ١٩٧٠ تمت معاقبة الخاطفين باقصى عقوبات السجن، وبلا شك تم اطلاق سراحهم عنوة بعد ذلك بأربعة اشهر من خلال عملية خطف احدى طائرات شركة اولمبيك ايرونير.

تلاه بعد ذلك بحوالي ٤٨ ساعة الانتقام الاسرائيلي من حادث اثينا. حيث سافرت ثماني طائرات هيليوكوبتر مجهزة بأحدث معلومات عن مكتب المخابرات الى مطار بيروت. كانت الساعة ٢١,١٥. وخلال ٢٩ دقيقة دمرت وحدات الكوماندوز ثلاث عشرة طائرة ركاب تابعة لثلاث دول عربية واستخدموا عبوات متفجرة في مواضع معينة مناسبة من الطائرات. وبعد ذلك اهتزت ارجاء المطار من الانفجارات المدوية لثلاث عشرة طائرة. وفي تمام الساعة ٢٣ هبطت الطائرات الهيليكوبتر مرة اخرى في اسرائيل وبذلك استطاعت عملية توشيرا ان تحتفل بنجاحها. وقد قال متحدث باسم الحكومة، ان المقاومين الذين كانوا في اثينا جاؤوا من بيروت، وقد تمت معاقبتهم. ولكن كان للعالم رأي آخر. فقد قام «شارل ديغول» رئيس فرنسا الثائر بقطع الامدادات العسكرية والسلاح الذي ظل لفترة طويلة يعد به اسرائيل.

في ١٨ فبراير ١٩٦٩ كان الانتقام المضاد التالي. حيث كانت رحلة العال رقم ٤٣٢ تدور بالفعل لتقوم بمحاذاة مطار كلوتن بزوريخ، عندما اطلق اربعة من الفدائيين التابعين للجبهة الشعبية حوالي ٢٠٠ طلقة على الطائرة، وانفجرت ثلاث قنابل في اتجاهها. وبذلك لقي الطيار مصرعه. في حين اصيب ثلاثة من اعضاء الفريق وكذلك عدد كبير من الركاب باصابات خطيرة. وقد اطلق احد رجال الأمن التابعين للعال، الرصاص على أحد الفدائيين واضطر الآخرون للفرار.

ولكن الشرطة السويسرية ألقت القبض عليهم وتمت محاكمتهم. وأعلنت الجبهة الشعبية في احد تقاريرها انها تعتبر طائرات العال أهدافاً عسكرية إسرائيلية.

وهؤلاء الفدائيون أيضاً تمت معاقبتهم بأقصى العقوبات، ولكن مع ذلك فقد تحرروا في مرة اخرى أثناء عملية خطف إحدى طائرات «سويس اير»، ففي إحدى رحلات شركة «ترانس ورلدايرويز» رقم ٨٤٠، في ٢٩ اغسطس ١٩٦٩، كانت في طريقها من لوس انجلوس إلى تل أبيب مروراً بروما وأثينا. وبمجرد استكمال رحلة الطيران من روما، قفز رجل وامرأة، من كرسيهما المريحين في أول درجة، رافعين المسدسات إلى أعلى بطريقة اقلق بال ١٠١ راكب واثني عشر عضواً من طاقم الطائرة. كانت القرصانة الجوية تدعى «ليلى خالد» عمرها ٢٥ عاماً. واصبحت باشتراكها لأول مرة في عملية انتحارية فيما بعد من اشهر خاطفات الطائرات في كل زمان وهناك صورة بوستر للعضوة النشيطة في الجبهة الشعبية وهي ترتدي غطاء الرأس الفلسطيني الشهير وفي يدها مدفع كلاشينكوف. وهذه الصورة ليست معلقة في مكاتب منظمة التحرير

فحسب ولكن ايضا في اتحادات الطلاب في الغرب.
وأصبحت ليلى خالد الغريبة وغير العادية في نفس الوقت وسيلة دعاية للثورة وقد قامت في ذلك اليوم في ٢٩ اغسطس بخطف الطائرة الأميركية الى دمشق. وبدون اقتناع حلقت فوق المجال الجوي الاسرائيلي وتصرفت هي وشريكها بمنتهى الرومانسية اكثر مما هو معروف عن وحدة «شي - جيوفارا الانتحارية» التابعة للجبهة الشعبية.
في ٢١ ديسمبر ١٩٦٩ قامت احدى الفرق الانتحارية التابعة للجبهة الشعبية بخطف طائرة اخرى تابعة لشركة T.W.A بعد ان بدأت رحلتها من اثينا. ولكن اليونانيين استطاعوا رغم ذلك منعهم. وكذلك تعرض مكتب العال في بروكسل والتمثيل الدبلوماسي لاسرائيل في كل من «هاج» و «بون» لهجوم بالقنابل اليدوية. وأعلنت الجبهة الشعبية: (هنا يشرع الناشئون في العمل انهم «الفهود الصغيرة» لقسم «حورتش - منيه») وخصصت قنبلة اخرى من أجل فرع شركة الملاحة الاسرائيلية «زيم» في لندن ثم كان هناك القتلى والجرحى بعد احدى الهجمات على مكتب شركة العال في أثينا.
في ١٠ فبراير ١٩٧٠ ضربت الجبهة الشعبية ضربتها في ميونيخ. حيث قام ثلاثة شبان فلسطينيين بقتل احد الاسرائيليين واصابة احد عشر آخرين، عندما قذفوا قنابل يدوية ضد ركاب احدى طائرات العال التي كانت تنتظر.
وقد جاء الندم في بيان - قياس، أن أناساً قد أصابهم ضرر مع الأسف أثناء محاولة لأخذ رهائن اسرائيلية فحسب، وذلك رغبة في تبديلهم بآخرين من الاتباع. فالحرب الخفية تقوم دائماً على عدم الحرص.
في ٢١ فبراير نسفت قنبلة في منطقة الشحن إحدى الطائرات التابعة لشركة سويس اير، والتي كان تطير من زيوريخ الى تل ابيب. وقد مات الطيار بسبب الدخان الكثيف فسقطت الطائرة. ولقي ٤٧ شخصا مصرعهم تحت الأنقاض وحامت الشبهات حول مجموعة «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة».
في مايو ١٩٧٠ قامت فرقة انتحارية اخرى بمهاجمة احدى السفارات الاسرائيلية حيث قاموا باغتيال السكرتيرة الأولى. وقد استسلم السفير، الذي كان هو المستهدف من هذه العملية. وبعد ذلك بستة اسابيع بالضبط اي في ٢٢ يوليو ١٩٧٠ تم اختطاف طائرة ركاب يونانية بين رودس واثينا.
وتوصل الخاطفون بذلك الى اطلاق سراح سبعة من رفاقهم المسجونين. تلا ذلك خطف اربع طائرات ركاب في سبتمبر، كانوا في طريقهم الى الأردن ومصر. وقد تم نسفهم في الجو* وكان هذا على سبيل الملحقات الفرعية للحرب الأهلية فيما بعد. وقد اخفقت احدى المحاولات لخطف طائرة العال بين امستردام ولندن. واصيبت «ليلى خالد» اثناء تلك العملية، ومات شريكها في النضال. وألقى الانكليز القبض على الخاطفة. وبعد ذلك بعدة ايام تمت عملية تبادل كبرى. اذ ان الفدائيين كان لديهم عدداً كافياً من الرهائن، ليمارسوا ضغطا على الحكومات الغربية، لتبادل الركاب في مقابل فدائيين، من بينهم ليلى خالد التي اخذت شهرتها تزداد.
واشتدت قبضة الفداء الفلسطيني من خلال تأسيس «أيلول الأسود» حيث وقعت إحدى طائرات الجامبو التابعة لشركة «لوفت هانزا» في أيدي خمسة فلسطينيين في ٢١

(*) كما جاء في النص الاصلي.

فبراير ١٩٧٢ وهي في طريقها من نيودلهي إلى أثينا. واضطر القائد إلى الهبوط في اليمن الجنوبية وبعد دفع خمسة ملايين من الدولارات، اختفى الشبح مرة أخرى بسرعة.

وهذه العملية ايضا مرجعها الى الجبهة الشعبية. وفي ختام عملية الخطف الرائعة لاحدى طائرات سابينا وهي في طريقها لاسرائيل وعملية الافراج المحظوظة أدى ذلك إلى مذبحة في ٣٠ مايو ١٩٧٢. حيث اجتمع ثلاثة اعضاء من الجيش الأحمر الياباني، واحد الفدائيين القريبين من الجبهة الشعبية مع ١١٦ راكباً آخر. معظمهم حجاج قادمون الى تل ابيب من باريس وروما. وعندما حصلوا على امتعتهم فتحوها وهجموا بالطلقات النارية والقنابل اليدوية. واطلق اليابانيون النار عشوائيا على ٣٠٠ حاج فقتلوا ٢٤ واصابوا سبعة. وقد ظل واحداً فقط من اليابانيين على قيد الحياة بعد هذا الهجوم. وتم استبداله أيضاً بعد ذلك بثلاثة عشر يوماً مقابل أسرى اسرائيليين.

وجاء الدور الآن على رجال مايك هاراري. في ٨ مايو ١٩٧٢ اصطادوا المتحدث باسم الجبهة الشعبية «غسان كنفاني»، البالغ من العمر ٣٦ عاماً، وقد لاحظ البوليس الاسرائيلي في عجلة، قنبلة للجبهة الشعبية كانت مخصصة لأحد الأهداف في اسرائيل، وربما تكون انفجرت سهواً.

كانت الاستعدادات للعملية الانتحارية في اولمبيات ميونيخ تجري لوقت طويل بأقصى سرعة، لتضرب منظمة التحرير ضربتها مرة اخرى.

في ١٩ اغسطس انفجرت حقيبة في احدى طائرات العال، بمجرد قيامها من روما، وتم العثور على القنبلة في ادوات لاعبي القرص، الذي كان يصطحب معه واحدة من فتاتين انكليزيتين، كان عمرها ١٨ سنة، وكانا لا يعلمان شيئا عن العربي المعجب بها، وقد اعطاهما الأدوات اثناء الرحلة. وسيلة قديمة ومأمونة. وقد استطاعت الطائرة ان تهبط مرة اخرى وهي سليمة. وقد القى الايطاليون القبض على كلا الارهابيتين.

ثم جاء يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٢ وهو اليوم الذي قويت فيه شوكة هراري الذي كانت تخدم عليه اربع وحدات كوماندوز ولم يكن أمامه سوى خيار واحد ووحيد وهو حتمية المواجهة.

الفصل الخامس

ايريكا تشامبرز: التلميذة والجاسوسة

(١)
ميلاد ونشأة ايريكا

عانت بريطانيا كثيراً خلال عام (١٩٤٨) عام ميلاد ايريكا تشامبرز، بطلة هذا الكتاب، ففي هذا العام جاع اتباع ورعايا ملكة بريطانيا، نتيجة خروجهم من الحرب العالمية منهوكي القوى: إلا أن الدولة استطاعت أن تبقى على قيد الحياة في الأعوام الأولى بعد ١٩٤٥، لأن الناس فيها ضغطوا مصروفاتهم بمنتهى الذوق، ولأن أولاد العم الأميركيين أرسلوا قرضاً بحوالي ٣,٧٥ مليار دولار، وقروضاً بحوالي ٦٢٢ مليون دولار. وفي أول ١٩٤٧ قام إعصار مهلك فوق الجزيرة وأدى إلى خسائر هائلة. وأدى هذا إلى شعور باليأس ليس بالهين.

ورفضت وزارة العمال في فترة حكمها التالية إزالة مخلفات الحرب. كما ان مناجم الفحم والطاقة ظلت لفترة بدون ترميمات. وسيطر على الشعب السخط وعدم التفهم. وأحكمت الحكومة قبضتها مرة اخرى وأممت الصناعة، وكذلك الرعاية الاجتماعية. كانت الاشتراكية تريد أن تكون وسيلة للعلاج، ولكنها كانت كمن سكب البترول فوق النار.

وخلال أشهر الشتاء الباردة في بداية عام ١٩٤٨ بدأ يظهر أن معظم المنتجات صارت داخل التموين، ولا يمكن الحصول عليها إلا بالبطاقة التموينية فقط. فالنصيب المقرر من الكساء على سبيل المثال أصبح محدداً في النصف الأول من العام بعشرين كوبونا، البدلة تتكلف ٢٦ كوبونا، الفستان من سبعة إلى أحد عشر كوبوناً، وزوج الأحذية من ستة إلى تسع فقط، وفي مقابل كوبون واحد يمكن للمرء أن يشتري الشراب الحريمي، أما البطاطين الصوف، والقفازات، والبرانيط، فهي ليست ضمن التموين. وبالقرب من كل منطقة كانت هناك أماكن بيع الفضلات، حيث يمكن الحصول على اقمشة العسكريين الفائضة عن الحد بدون كوبون. كانت السجائر غالية الثمن، والمشروبات العالية في نسبتها المئوية قلما تجد من يشتريها.

وفي لندن وقف المشترون، غير مبالين بالطقس في كل صباح أمام مراكز البيع الكبرى في طوابير. يأملون غالبا في وصول امتدادات جديدة.

وفي الوقت نفسه إلى جانب ذلك اختبأت الوجوه المهلهلة في الطرق المنعزلة بعيدا عن الرياح وتحت المظلات. وقد كتب ردولف اوجستين الذي كان رئيس تحرير لمجلة شبيغل وقتها بعد زيارته لانكلترا: (يوجد في شارع اوكسفورد اشكال، هي عبارة عن الفقر مجسداً في أشخاص، وأوبرا الشحاذين لبيرت برشت من المحتمل أنه يجري تمثيلها الآن تحت ظلال القمر في سوهو).

وكان هناك دائما ذوو الخلق من البريطانيين يواجهون السوق السوداء بما فيها من عدم ثقة. ولكنها كانت موجودة، ومن كان قادراً على الشراء بدرجة كافية يدفع ثلاثة شلنات او ستة بنسات مقابل كل كوبون، حتى يستطيع الحصول على ما يريد وما يزيد على ذلك؟ في ليلتين كل اسبوع يتم تزيين ميدان Txafalga الموجود في قلب العاصمة لندن بألوان البنبون. واللورد نيلسون، الذي يقف هناك دائما الى ما شاء الله، يرقب ذلك في دهشة.

كان المعارضون باستمرار واصحاب الكلمات اللاذعة هم دائما في مقدمة من ضد هذا القرار في مجلس العموم.

ومنذ عام ١٩٣٦ تولى الحكم الملك جورج السادس لم يكن له شكل مهيب، وكان دائم المرض، يتلجلج في كلماته. كان هذا ربما يرجع الى افتقاره الثقة بالنفس. وفي المدرسة البحرية كان الملك فاشلا لأبعد درجة. لذلك لم يسأله احد قط عن مؤهلاته. الا ان الشجاعة والاحساس بالواجب قد أضيفا بلا شك إلى رصيده. وقد كان هذا هاماً جداً خلال سنوات الحرب الصعبة، علاوة على ذلك فقد كان إلى جانبه ملكة، تسهم الى حد كبير في اعطاء الكثير مما يفقده المرء في الملك.

في سنة ١٩٤٨ مرض الملك بسرطان الرئة ولم يتماثل للشفاء، وقد تولت بعده العرش ابنته الأميرة اليزابيت تلك التي كانت تبلغ آنذاك ٢٥ سنة وتعرف ماذا تريد. كانت تزوجت منذ عام الأمير فيليب أمير اليونان سابقاً، وأنجبت في ١٩٤٨ اول ابن لها: تشارلز. وحصلت في عام ١٩٥٢ على مؤهلات توليها الملك. وهناك ايضا ونستون تشرشل، الذي طالب شعب بلاده بين عام ١٩٤٠ «الدم، والجهد والدموع، والعرق». كان أهم رجل دولة بريطانياً في القرن العشرين، يعتبر في هذا العام رئيسا للوزراء ووزيراً للدفاع، وبدون انتخاب رأس المعارضة. وقد كتب الرجل البالغ من العمر ٧٣ سنة باجتهاد في مذكراته ـ حصل في عام ١٩٥٣ على جائزة نوبل للآداب ـ لأن قلقه على برك السمك، وتغطية حظائر الدجاج بيده بالورق المقوى، نتج عنه صورة مرسومة بالزيت لا يستهان بها، وكان لديه من الحكمة بحيث ان خطبه السياسية تلقى الاصغاء في كل انحاء العالم. فقد كان معجزة عصره. ويكفي انه استطاع سنة ١٩٥١ تشكيل حكومة مرة اخرى.

في هذا الوقت الذي به القليل من الارتياح كان ميلاد ايريكا تشامبرز. حدث ذلك بالضبط في ١٠ فبراير ١٩٤٨ في يوم الثلاثاء. كانت الإبنة الأولى والوحيدة لماركوس تشامبرز وامرأته «لونا». غيرت ايريكا تخطيط العائلة فقد ولد أخوها نيقولاس في نفس الشهر قبل ذلك بأربعة اعوام. وسعد بازدياد العائلة. فهو لديه الآن واجبات اضافية، فعليه ان يحافظ على صحة الأخت الصغيرة مما دعم وضعه العائلي. وبدأ الأمر كما لو كان ألبوماً عائلياً متناغماً. كان الجيران يراقبون المحظوظة الصغيرة بسعادة بالغة. فقد

كان هناك بالفعل القليل من الايجابيات في هذا العصر.
رأى، الأب الفخور الخفيف الظل، الودود، والذي كان لا يزال يؤلف كتباً في التكنولوجيا، نور حياته في اغسطس ١٩١٠. فقد عمده ابواه، اللذان عاشا في ميناء بورتماوث Portsmouth في جنوب انكلترا، باسم ماركوس موردانت برترام وقد راقه وهو لا يزال شاباً صغيراً الموديلات الأولى للسيارات وتابع باهتمام بالغ عالم الموتورات.
فقد كانت القوة المحركة بالنسبة له مهنة وعشق. واصبح ماركوس تشامبرز مهندسا. أما الأم فالحديث عنها يحتاج لمزيد من الاسهاب. ففي مارس ١٩١٤ ولدت في عائلة (جارب) الثرية في براغ حيث كان الناس يتكلمون بالألمانية، كان للعائلة الكثير من الأقارب بعضهم يسكن في برلين، والبعض الآخر في فيينا، لذلك كان من الجائز للإبنة «لونا مارغيت» ان تسافر في السنوات الأولى الى وسط اوروبا، للقيام بزيارات هنا أو هناك.
كان العالم في سنوات طفولتها يعاني من التضخم المالي والبطالة، ولكن عندما يراقب المرء المناظر في برلين وحدها يراها تسير على ما يرام. وبالنسبة لبراغ الهادئة فقد اصطف الشيوعيون الى جانب احد الجانبين، الجانب الذي يمثل اقلية بالنسبة للآخر. إلا ان وضع طائفة الفلاحين الألمان كان يحمل في طياته مواد اشتعاله. ومن خلال اتفاقية ميونيخ ١٩٣٩ التي بمقتضاها ترسو المناطق المتحدثة باللغة الألمانية على الرايخ، وازداد الموقف حدة. وبدأت مسيرة النازية.
كانت «لونا مارجيت» في تلك الاثناء لم تنمو كامرأة حسناء فحسب، ولكن كسيدة رائعة. فقد تعرفت على موهبتها في المجال الفني، وبحثت عن النجاح على خشبة المسرح. لذلك التحقت بمدرسة التمثيل في فيينا. كانت عائلتها المقربة اليها قد نزحت الى الدانوب وعايشت بمنتهى الفخر نجاح ابنتها كممثلة ومغنية. ثم بدأ الارهاب النازي. فقد جاء القرار بالحل الحاسم لقضية اليهود من حوض نهر برلين. ولقي جزء من عائلة غروب حتفه في معسكرات الاعتقال. وكان هذا بمثابة صدمة عنيفة بالنسبة «للونا غروس». وهي بلا شك لم تتحدث لماركوس تشامبرز عن هذا مطلقا. وهو يقول: هذا الموضوع يقع في مجال لم تتم مناقشته أبداً.
فرت لونا غروس من فيينا الى لندن. وحصلت بعد فترة قصيرة على عقد مع مسرح Windmill . وأثناء قيامها بأداء مسرحية، وكان ماركوس تشامبرز يجلس ذات مرة بين الجمهور ـ كان المهندس الشاب يريد ان ينسى الحرب ساعات ـ وفيها وقع في الغرام. ثم توالت باقي الأحداث بسرعة، تزوج ماركوس تشامبرز بالحسناء التشيكية، وأنجبا نيقولاس وبعده بأربعة اعوام جاءت اريكا.
سميت على اسم سيدة من اقرب الأصدقاء للعائلة. عاشت عائلة تشامبرز في منزل حالم على منتزه Tlolland الخاص. هذا المكان لا يزال واحدا من اغلى المناطق السكنية في عاصمة بريطانيا. ففي هذا المنتزه الذي تتكون بيوته البيضاء اللون من طابقين على الطراز الفيكتوري، هذه البيوت على شكل سلسلة على الجانبين. كل البيوت عليها مظلة من الحديد المطاوع مغطاة بزجاج داكن اللون. ويحدد الجو العام للشارع ايضا عدد من الأشجار المورقة القديمة. تركن تحتها سيارات الليموزين الخاصة بالطبقة الراقية. ومن يسكن هنا ينتمي للهيكل البريطاني الاجتماعي. هذا التقدير يمثل شيئاً خاصاً جداً بالنسبة

للجار التالي لعائلة تشامبرز الذي كان يدعى انتوني ويدي غوود ويعد من أشهر الساسة في انكلترا. كان ينتمي منذ عام ١٩٤٣ الى حزب العمال، وكان يتقلد دائما منصب الوزير في فترات الحكومة المختلفة. وغالباً ما يكون في المجال التكنولوجي، كما كان والد «توني» أيضاً عضواً في البرلمان.

واليوم يستكمل الاشتراكي المتطرف البالغ من العمر ٦٧ عاماً مواقفه التقليدية في دخول دائرة شيسترفيلد الانتخابية، وبلا شك واجه عزله. داخل الحزب بسبب تنافسه مع زعيم حزب العمال نيل كينوك عاشت عائلة «بن» الى جانب عائلة تشامبرز لسنوات عديدة. تزوج توني بـن ١٩٤٩ من حبيبته كارولينا. وقد انجبت له ثلاثة اولاد وفتاة. كانت ايريكا تكبرها بأعوام قليلة واستطاعت ان تقتنص الفرصة لتحسن من معيشتها من خلال ما تحصل عليه من «بقشيش» في مقابل مجالسة الأطفال. وبذلك تدفقت ايضا العلاقات بين الجيران. فقد كان كلا ربي الأسرتين قلما يجلس في بيته. علاوة على ان المرء يراعي التحفظ البريطاني في ذلك المنتزه.

نشأت ايريكا تشامبرز في وسط ميسور الحال ومتحفظ. لا تغيب عنه ايضا القيم المادية.

ولأن اهتمام الانكليز الأول خلال السنوات الأولى الصعبة بعد الحرب لم يكن منصباً على السيارات الرياضية، فقد استفاد بمقدرته التكنولوجية في مجالات اخرى حيث عمل منذ عام ١٩٤٩ في المشروعات الزراعية في موريتانيا. وذهب في عام ١٩٥٠ هو وزوجته «لونا» والطفلين الى «تانجانيقا»، التي كانت فيما مضى تسمى بالألمانية «شرق افريقيا» ثم بعد ذلك اصبحت «تنزانيا». كانت البلاد تعتبر منطقة تحت الانتداب بالنسبة للأمم المتحدة، وتقع تحت السيادة البريطانية، وبلاشك اثرت الحياة غير المستقرة وفترات الانفصال الطويلة بشكل سلبي على زواج «ماركوس ولونا» ولم يفاجأ احد عندما انفصلا سنة ١٩٥٣. في تلك الأثناء كان الوضع الاقتصادي في جزيرة بريطانيا آخذا في التحسن بشكل ملحوظ، وكذلك احتفالا بتتويج اليزابيت الثانية، قررت الحكومة حصة خاصة عبارة عن ٥٠٠ غرام سكر و٢٥٠ غرام سمن صناعي.

وقد اعلن ذلك سكرتير البرلمان لوزارة التموين تشارلز هيل في مجلس العموم (وهذه المنحة الخاصة كانت لمساعدة الشعب للاحتفال بالتتويج في الجو التقليدي للاحتفالات).

وتولى المحافظون الحكومة من جديد وبذلوا قصارى جهدهم، للتراجع عن عمليات التأميم التي قام بها الاشتراكيون. إلا ان الانتعاش الاقتصادي لم ينجح من خلال ازدياد التصدير المتحكم وكذلك تفكك شروط القروض. لقد كان حقاً طريقاً صعباً للفرق المتأرجحة، ولكن كانت هناك الدعاية دائما عن الاستهلاك العالي للزجاج ذي العبوة الكبيرة من اللبن. فقد اختفت الطبقة التي كانت في القاع.

في هذه الفترة كانت ايريكا قد التحقت بالمدرسة. أما اخوها نيقولاس فقد كان بالفعل في المدرسة الداخلية، وظل فيها ايضا. وانتهت المرحلة الدراسية بدراسة القانون، بينما عاشت ايريكا مع «لونا» التي كانت تحترمها طوال حياتها اشد الاحترام. أما والدها فكانت تراه فقط في العطلات ومع ذلك فقد كانت تبدو مرغمة على ذلك.

ففي السنوات الأولى بعد الطلاق وإلى ان استطاعت ان تقرر بنفسها الانفصال عن

الأب، كانت تقسم اجازتها الى قسمين بين والديها، كان ماركوس تشامبرز يلتقي غالباً في الخريف والصيف بابنته التي كانت في تلك الاثناء تزداد جموحاً نوعاً ما في جوهرها المعاند بالفعل. وبالطبع لم يتفاهما معاً خلال هذا الوقت القصير، كان يسيطر على لقائهما الصمت غالباً. في تلك الأثناء تزوج ماركوس تشامبرز مرة أخرى وانتقل مع عائلته الجديدة إلى مكان بالقرب من اوكسفورد حيث كان الابن نيقولاس قريباً منه جغرافياً، وأهم من ذلك روحياً.

وقد اتضح ذلك مع مرور الوقت، حتى عندما كان لشقيق ايريكا نفس العلاقات الوطيدة مع والدته، ورغم ان افكاره كانت مستقلة الا انه لم يرد ان ينحاز الى جانب الأم بعيدا عن الأب او العكس. فقد كانت ايريكا كما يصفها والدها اليوم بمنتهى الصراحة. اريكا كانت دائما في منتهى الاستقلالية والعناد، أما نيقولاس فقد كان على العكس من ذلك شاباً انكليزياً تقليدياً. وقد كانت تقف في كل الوجوه إلى جانب الأم المطلقة، وربما لم تستطع أو ترد أو تقبل الانفصال عن والديها. كان الأب بالنسبة لها هو المذنب. وكانت تريد أن تعاقبه غالباً لما قام به من تدمير للأسرة التي كانت سعيدة جداً في البداية. وتحت جناح الأم التحقت الصغيرة الملفوفة ايريكا أولاً بالمدرسة الابتدائية القريبة من البيت، وبعد ذلك بإحدى المدارس اليومية العريقة في لندن، وتسمى Godolphin and Latymer في حي Hammersmith الذي يرتبط بأيام العمل المحمومة في وسط لندن.

كانت تذهب كل صباح من سنة ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٦ بالأوتوبيس او مترو الأنفاق، مرتدية الزي المدرسي البريطاني، ذي الموديل القديم، بربطة العنق والضفائر الى طريق افبيلي الذي يبعد حوالي ٣٠ دقيقة. وتعود ايريكا في المساء في حماية والدتها «لونا تشامبرز» التي انتقلت في تلك الفترة إلى شارع اولفيزكورت وهو شارع جانبي هادىء في حي بايسوتر. وكان هناك أمام السكن تماماً معبد نيو وستيد New Wested اليهودي، وهو أحد المراكز الرئيسية التي استطاعت لونا تشامبرز من خلالها ان تحيا حياتها كيهودية متدينة. وبعد ذلك وفي صيف ١٩٦٦ حصلت ايريكا التي كانت تلميذة متوسطة الموهبة على شهادتها الدراسية بعناء. وقد كان هذا هو وقت الانقلاب، الذي وصل الى الذروة في الستينات.

كانت حرب فيتنام مستمرة بقذف القنابل على الشماليين، كان لدى الأميركيين حوالي ٣٨٩٠٠٠ رجلاً في هذا المكان ولذلك صرفوا حوالي ٢١ مليار دولار. كما دخلت كمبوديا في الحرب أيضاً. وفي اوروبا كانت الكوارث البيئية، وفي أفريقيا الصراعات الناتجة عن الانقلابات حيث بدأ «ماو» ثورته الثقافية وأصبحت انديرا غاندي رئيسة لوزراء الهند.

كانت الدرة الكريمة «د. زيفاغو» تعرض في السينما، والعمل الحربي «٤٥١ فهرنهايت». وتوسوس في الأذن في تلك السنوات أغاني مثل Eleanor Rigby للبيتلز و «غريب في الليل» لفرانك سيناترا كانت اغاني البوب، والفاظ مثل «ببا ومما»، واغاني توم جونس التي تعد رمزا للجنس منتشرة بشكل غير عادي، وفوق كل هذا فقد تألفت العديد من المسرحيات يغلب عليها الطابع الموسيقي، كما في «الكباريه».

وبالنسبة لسوق الكتب في هذا العام فهناك «الشجاع» للكاتب انتيمستار ترومان

كابوت وكتاب «مع كيندي» للمتحدث باسم الرئيس سابقا بيير سالنغر، وكذلك «وادي العرائس» للكاتبة الجنسية جاكلين سوزان.

كانت الشابات يظهرن الكثير من اجسامهن، واحيانا يتدثرن في جونلات قصيرة جدا من الورق. أما الأكثر طولا في الملابس فقد تم انتاجه كنوع آخر من النايلون الشفاف وفي وقت محدود دخلت الجرسونات الى المهنة بدون اعداد. وبدأ الانتصار الخطير للمخدر الكيماوي L S D ، واصبحت لندن المركز الآخذ في النمو لثقافة شباب العالم.

وعن مدى ما أخذته ايريكا من كل هذا، فليس هناك شيئاً منقولاً. إلا أنه لا يمكن أن يمر كل هذا دون أن يترك فيها أثر ولكنه لم يشغلها بشكل خاص جدا، لأن الفتاة التي في الثامنة عشرة لم تزل فتاة مهملة. والصراع حول حرية اختيار مكان الاقامة الذي كان موجودا آنذاك، لم يقدر الكثيرون على تنفيذه، وهكذا ظلت للأبد تتوسم في والدتها رفيقة لمشوارها اذ كانت بمثابة طاقة لها في صيف ١٩٦٦ للذهاب الى مكان المدرسة الذي لم يزل غير مأمون، وقد ارادت في الواقع ان تحصل على شهاداتها العليا الأكاديمية في التدشين (التقديس) الا ان علوم الأحياء المائية استهوتها، ومع ذلك لم تنجح، لذا مالت الى الامكانية الثانية وهي جامعة شوثنبوتون على الساحل الجنوبي الانكليزي، على بعد ١٢٠ كيلومترا من لندن، وضمنت منحة دراسية حررتها من المصاريف في فترة الدراسة، فحزمت في اكتوبر امتعتها من حجرة في شارع «محكمة اوليفيا» وتركت خلفها العش الهادىء الدافىء الذي عاصرته طويلا.

لقد كان انفصالاً للأبد، إلا أنه كانت هناك بعض الزيارات المتباعدة للندن مع بداية الاقامة في بيت الطالبات، القريب من الجامعة، كانت ايريكا حزينة وشعرت بحنين شديد للوطن ولكنها اخمدت هذا الشعور بالعمل. وفيما بعد عندما انتقلت الى مجمع سكني في حي قريب تطورت شيئاً فشيئاً في ارتباطها القوي بزملائها وبدأت في كسب الاصدقاء. ومع ذلك فقد احاطت نفسها فيما بعد بطبقة راقية وحرصت على ان تظل مجهولة نسبياً من بين ٤٠٠٠ طالب وطالبة.

إلا أن هذا بلا شك لم يمنعها من أن تكتشف ما يحيط به من ميناء بحري كبير على مصب النهر الرئيسي.. وعما إذا كانت تقتفي آثار والدها الذي لا تحبه وتقوم بزيارة الميناء المجاورة له، فلا أحد يعرف سواها.

درست ايريكا تشامبرز علم النبات والجغرافيا، كان أهم شريك أكاديمي لها في ذلك الوقت، الأستاذ ماكوم فاجستان. واستمرت الدراسة ثلاثة أعوام أكاديمية وانتهت بامتحان نهائي مثل الحاصل على «البكالوريا». وبعض الأساتذة ومنهم أيضاً الأستاذ فاجستان لا يزال يذكر ايريكا: (لقد كانت تلفت النظر دائما من خلال أسلوبها، وكانت تصرفاتها ثائرة وفاسقة. لذلك كان الناس يتكلمون عنها. كانت تظهر في المحاضرات من خلال العمل الجيد، فكانت تطرح الأسئلة كثيراً، وتطلب دائماً أحاديثاً منفردة ومساعدات إضافية، ولم يكن أحد منا يستطيع أن يتجاهلها).

كانت السيدة الصغيرة تتمتع بعقل متحجر قوي، وتريد ان تجعل لما ترضاه فقط مبدأ. كان هذا يجعل الدرب معها متعثراً. كانت دراستها عن البيئة وقضايا التطور لكل المجالات في الأرض. كان عليها ان تدرس تاريخ الجغرافيا ولكن أيضاً يجب أن تفهم

التطور في أفريقيا الحارة، والاقليم الكندي:
أما في مجال علم أشكال الأرض وعلم المائيات فقد كانت تدور حول قضايا الري وأشكال الصخور النادرة، وكذلك حول مجرى الأنهار والمناطق الجافة. وقد كان المشروع الدراسي في العام الثالث من الواضح انه يعالج نسبيا منطقة الشرق الأوسط هذه المنطقة من العالم لم تكن غريبة بالنسبة لها.

وفي الجامعة اختلطت عدة خيوط ببعضها البعض: كان هناك العشرات مثل د. ترافند، حاصل على الدرجة العلمية برسالته التي يوحي عنوانها بالكثير «إعادة ميلاد اسرائيل» وفي مكان لبيع الكتب في الجامعة كانت هناك بالفعل احدى مجموعات البحث في التاريخ اليهودي.

وكان على ايريكا السير في طرق مختلفة للوصول الى استاذ هاجون صموئيل بالدور الأرضي للمبنى الرئيسي حيث المكتبة وقاعات المحاضرات متناثرة على الجانبين.

(٢)
ايريكا الجاسوسة

وبعد سنوات وتحديداً في سنة ١٩٦٧ انتقل قسم الجغرافيا الى مبنى جديد مكون من ست طوابق. ثم أقيمت المحاضرات في البدروم. وكان الأستاذ جون صموئيل الراعي لاريكا بعد ذلك في الطابق الثالث، في الجانب الغربي ويذهب المرء اليه من خلال ممر ضيق ومظلم.

والاستاذ جون صموئيل الذي يستمتع اليوم بتقاعده، يستطيع ان يتذكر «ايريكا» جيدا. (لقد كانت طالبة متوسطة المستوى، فضولية الى حد ما، ولكن بدون اهتمامات حساسة معروفة. كانت تبذل قصارى جهودها، لتفعل شيئا، ولكنها لا توضح الدافع الحقيقي لذلك. كانت يهودية ولذلك ذهبت فيما بعد لاسرائيل. لقد رأيت والدتها ذات مرة. عندما كانت تزور ايريكا).

كانت الفتاة محاطة بالكثير من الاصدقاء، وقد كانت جذابة جدا، وكذلك كانت في لجنة جمعية الجغرافيا وهي إحدى الاتحادات الطلابية، التي تنظم انشطة اكاديمية، واجتماعية ورياضية، وهكذا كانت هناك محاضرات من محاضرين من الخارج، وليالي ديسكو، وحفلات سمر، ونزهات في الجامعة وما حولها، وبعض ولائم العصور الوسطى المحببة.

كبرت ايريكا تشامبرز وبدأت تحيا حياتها بوعي تام. كان اهتمامها الأول منصباً على الرياضة وخاصةً رياضة الموتورات. وهذا ربطها رمزياً بوالدها، الذي كانت قلما تريد أن تلقاه خلال السنة، كان اهتمام ايريكا بسيارتها الكوبر الصغيرة.

وعلى طول الشارع المتميز السلس، اصبحت ايريكا تفزع المشاة بسيارتها في الحي، ذلك الذي يقع في مدينة تعدادها ٢٠٠٠٠٠ نسمة اقام جون كوبر صناعة سيارته أصلاً من أجل الاستخدام في مجال السباقات وقد كانت ايريكا تختبر هذا أينما وجدته. وحتى أستاذها جون صموئيل جعلها تشعر ذات مرة بالشعور الغريب، لكل مرتفعات الأرض والكبارى بين الجامعة والمحطة لتمنحها الحياة. (كانت ايريكا دائما تقود بسرعة

رهيبة وقد تزيد سرعتها في وسط المدينة عن سبعين ميلاً. ولم يكن هذا غير عادي بالنسبة لها اما أنا فكان يداخلني الخوف تجاه ذلك).

فلم يكن هذا طبيعياً بالنسبة للأساتذة الذين يمتلكون سيارة، وحتى بالنسبة للطلبة رغم نسبتهم القليلة، ولذلك كانت ايريكا تلفت الأنظار. كل ما كانت تفعله، تحقق فيه نجاحا اكثر من دراستها. وهذا ما اوضحته نتيجة الامتحانات. فبعد السنة الأولى الأكاديمية كان عليها ان تجتاز امتحاناً. وقد نجحت مجرد نجاح، كما انها لم تتحسن عن ذلك، والدليل ما استحقته عن جزء من امتحانها سنة ١٩٦٨. فقد حصلت على ٤٩ درجة من ١٠٠ درجة، رغم ان من يحصل على ٧٠ درجة فما فوق يحصل على تقدير الامتياز. فاصبح من الواضح ان ايريكا حصلت على تقدير متوسط.

في سنة ١٩٦٩ تسلمت ايريكا شهادتها. وقد تناولت في بحثها موضوع «الأسباب الرئيسية للشكل الذي على هيئة صليب لكلا النهرين في الغابة الجديدة»، والغابات الجديدة هي عبارة عن منطقة استجمام بها غابة ومروج وتبلغ حوالي ٣٨٠٠٠ هكتار جنوبي تامبتون. وقد بحثت ايريكا تشامبرز ايضا في مجال المجاري المائية. ووصلت النتيجة بالتأكيد الى النصف لتحصل على لقب «بكالوريا في العلوم»، حتى ولو كنت غير كافية. وسجلت ملفات الجامعة نتيجة متوسطة.

وتخرجت في ٢ يوليو ١٩٦٩، في هذا اليوم يقام حفل التخرج التقليدي في قاعة الاتحاد. وحضرت ايريكا تشامبرز في روب الجامعة الأكاديمي الأنيق والبلوزة البيضاء والجونلة السوداء. وكانت ترتدي عباءة سوداء، مع قلنسوة منفصلة، والبطانة الزرقاء ملفوفة الى الخارج، ورباطان ذهبيان يزخرفان هذا «الزي» للطالبة المتخرجة.

كان شعر ايريكا مرفوع لأعلى. وفي صورة التقطت في هذا اليوم كانت تبتسم ابتسامة متكلفة من خلال نظارتها السوداء. الكل رأى الصورة وهي معلقة، وأخذ من الموضوع نسخة فوتوغرافية خاصة به. وبعد حفل التخرج التقى ماركوس تشامبرز آنذاك ابنته تعبيراً عن الاعجاب. كان هو وايريكا لم يلتقيا ببعضهما البعض منذ فترة. وبالرغم من ذلك لم يستطيعا أن يكاشفا بعضهما البعض بأسرارهما. وما الذي يجب أن يحدث إذا ما التقى ماركوس تشامبرز مع ابنته بدون مصافحة، ذكر لها يومها انها لا تزال مجرد شابة متمردة؟ ورآها لآخر مرة في عام ١٩٧٣.

في هذا الوقت تفعل ايريكا، الواعية التي تتصرف كالشبان دائما، شيئا لا ينتظره احد منها. تستبدل انكلترا القارصة البرودة في الغالب باستراليا الحارة لبعض السنوات حيث كان يعيش رجل في القارة الخامسة، سحرها بجوهره اكثر من والدها. كان المهندس جون جودارد، مهندس مناجم، وهذا الرجل الذي توفي في تلك الاثناء كان صديقاً قديماً للعائلة وكذلك كان شاهد التعميد بالنسبة لايريكا لم يفترق عن السيدة الشابة أبداً، لذلك كانت تلجأ اليه دائما، لأنه ربما يجذبها كرجل ـ ولكنه كان خليطا من المشاعر والمصالح.

لم يكن جودارد متزوجا، ولكن كانت لديه مديرة منزل تدعى «نيللي» عاش معها قرابة عشرين عاماً في علاقة شبيهة بالعلاقة الزوجية. كانت الكيمياء تجمع بينهما. أحبت ايريكا كليهما وكانت سعيدة بهما معا. فهما يتحدثان نفس اللغة ويشتركان في نفس الفلسفة، وقد كان المهندس علاوة على ذلك طيار سباقات متحمس. وهذه هي الهواية

التي جمعت بينه وبين «ايريكا»، وقد عاش ثلاثتهم في احدى مدن اوستراليا بضعة اشهر بدون تكلف. وهناك تطور مفاجىء آخر: حيث التحقت ايريكا بوظيفة حكومية في اوستراليا. وقد قدمت الطلب في Uewport Beach وعندما وصل القبول بالوظيفة، استقرت في كانبرا تلك التي كانت عاصمة لمنطقة «بيب بريت» (كان تعداد سكانها فيما مضى ٢٠٠٠٠٠ نسمة) وكانت مثل هذه الفرصة للعمل قلما تحصل لأحد.

ومنذ عام ١٩٢٧ واستراليا تحكم نفسها بنفسها. وتعتبر «كانبرا» مدينة الحدائق، حيث بها ثمانية ملايين شجرة، وابدع البحر الفنان متنزهاً وسط المدينة، ذاك البحر الذي جاء ميلاده عام ١٩٦٤ من تخزين مياه نهر Molonglo في أحدى المنخفضات، وعمده معماري Canberra : بحيرة Burley Griffin، وينجز منها ثاني اكبر نافورة في العالم حيث يبلغ طولها ١٤٠ متراً، ويسكن شمال هذا المانع الطبيعي موظفو الاتحاد جنوباً بالنسبة لمقر أعمالهم في أستراليا وكذلك الدبلوماسيين الأجانب.

كانت ايريكا تجد في هذا النموذج الطبيعي للأرض، الشبيه بمنطقة جنوب لندن، سببا لهدوء نفسها.

في ١٦ فبراير ١٩٧٠ اخذت مكتبها الصغير جنوبي النهر الكبير، وقد عملت في هوبرت في قسم البحث الخاص بوزارة التنمية القومية. وهناك استطاعت ان تستخدم عملها التكنولوجي وعلم النبات بمعنى الكلمة.

كان اهتمام الشابة البالغة من العمر ٢٢ سنة منصباً على المناطق الجافة الواسعة داخل استراليا، وكيفية تعميره. أقامت ايريكا خلال الأسابيع الأولى في فندق «سيڤيك» Civic وبعد ذلك وجدت منزلاً به شقة في Varellan .كان مجمل دخلها يصل إلى ٦٣٢١ دولاراً استرالياً. وارتفع خلال عامين الى ٦٠٠ دولار أميركي. ومع ذلك كانت غير راضية. كانت تريد الوصول إلى المزيد بحيث تحصل على لقب الدكتوراه. ولذلك كان لا بد أن تدرس من جديد وقد تجتاز أكثر من عام بدون دخل بالتأكيد. لذلك فقد ودعت أصدقاءها الأستراليين بهذه الحجج وتنازلت عن وظيفتها سنة ١٩٧٢. وقبل ذلك بالطبع حصلت على موافقة على طلبها الالتحاق بجامعة هيبريو بالقدس. ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة لها كيهودية ان يتم قبولها في اسرائيل كما أن الأحوال الجوية في استراليا واسرائيل متشابهة إلى حد كبير. فصحراء Ueger تشبه صحراء سيناء في نفس القيمة بالنسبة لمجال العمل الخاص بإيريكا حتى ذلك الوقت.

وقد صرحت لزملائها انها ستعود مرة اخرى خلال سنة «كأستاذة للعلوم» في مجال علم المائيات. وبالرغم من ذلك فقد تم تطبيق كل اللوائح البيروقراطية. فعند إخلاء طرفها من الوزارة تم صرف مستحقاتها المالية من صندوق التكامل وتم إرساله الى عنوانها الجديد في القدس.

وبالعودة الى الحكم الباقي في ملف ايريكا: «تعتبر ايريكا تشامبرز ذكية، مليئة بالثقة، ذات فهم سريع لقدراتها على الطموح في حدود المعقول. ودائما لها علاقة طيبة بزملاء العمل».

كان لا يزال هناك بضعة اسابيع امام ايريكا لتنفصل عن الأوستراليين وعن اصدقائها. ثم جاء يوم ٣ اغسطس ١٩٧٢ يوم الوداع. كان العالم يتحدث بالفعل كثيرا عن الألعاب المرتقبة المحمومة، والتي ستقام في مقاطعة بايرن ميونيخ. وبعد ذلك

بأربعة اسابيع حدثت الأحداث المفجعة التي قام بها الفدائيون ضد الفريق الاسرائيلي الأولمبي.

غادرت ايريكا تشامبرز اوستراليا في رحلة طيران ٩٨٢ لشركة Thai العالمية وانتهزت الفرصة للقيام بتوقف قصير اثناء الرحلة في بانكوك.

ودخلت مطار تل أبيب المعمد باسم داود بـن غوريون، بجواز سفرها الحديث الذي استخرجته من قبل منذ اسابيع قليلة من المفوضية العليا البريطانية في كانبرا برقم C.131020، وبدأ فصل جديد له استراتيجية مختلفة تماما من حياتها. في الفترة الأولى ـ قبل ان تنضم الى عالم المخابرات الخاص بعالم هاراري ـ عاشت مرة أخرى في بيت الطالبات. كان مقر دراستها في جامعة «هيتربو»، كلية علم النبات والجغرافيا، في الحرم الجامعي. وبدأت تحت اشراف الاستاذ Asher Shik ذي الشهرة العالمية في مجال علم أشكال الأرض والمائيات، في تحضير رسالتها للماجستير. وعملت لفترة زمنية طويلة في فريق جعل من سيناء حقلاً لأبحاثه. كان الطلبة يعملون في وادي «فهيبلة» الذي يقع في الجنوب الشرقي من سيناء، وبحثوا هناك عن تاريخ الفيضانات، التي تحدث كل عشر سنوات وبذلك تضر عملية تثبيت الشجيرات الصغيرة.

كان من يسجل نفسه في مجموعة البحث الميداني في سيناء يواجه عملا متعبا حقا. اذ يجب عليه ان يقوم مع الطلبة بعملية مسح للأشجار وحصى الحقول تحت درجة حرارة تصل الى ٤٠ درجة في مناطق الظل ـ ان وجدت. وكان الكثير من هذه الأشجار مغطى بالأشواك الحادة. وذات مرة تغز أحد هذه الأشواك ايريكا في عينها. كان الجرح غائراً ولذلك تمت معالجتها في مستشفى ايلات بسرعة.

لم تستطع ايريكا ان تستمر في تحمل هذه الحياة. وتقدمت بطلب للالتحاق بكلية الجغرافيا في جامعة كلارك. وودعت القدس بمفاجأة تامة واسباب غير مألوفة: (لقد تحنطت في اللغة العبرية، كما انني ربما لا افهم أبدا واجب الحساب).

ولم يسمع احد عنها مطلقا في جامعة Hebeew بعد ذلك. ويعتبر هذا ملفتاً للنظر، لأن الطلبة القدامى الذين يتقابلون مرة اخرى صدفة، يكون هذا طيباً بالنسبة لهم جدا، أو على الاقل يحرصون على استمرار العلاقة التي انقطعت بأساتذتهم القدامى.

وفي عام ١٩٧٣ في وقت ما، التقت ايريكا تشامبرز «بمكتشف المواهب» في الموساد الاسرائيلي، وفي مصطلحات لغة المخابرات التي تعود الى العصر الجرماني يسمى Spotter أي «المتهكم».

هذا «المتهكم» يعمل تقريبا في كل مكان في اسرائيل، خاصة حيث يتواجد الأجانب بانتظام وحيث يقيمون. ويظل هؤلاء المستطلعين في الخفاء تماما من «المتهكمين» يراقبون ويسجلون ويهتمون بكل الزائرين باستثناء الأميركي، لأنه ربما غير مسموح باستخدامهم. وهذا شيء تم تقيده في الاتفاقية رقم ٢٧ سنة ١٩٧٦ التي تعتبر واحدة من ٢٩ اتفاقية شديدة السرية بين C.I.A والموساد، والمستطلعون يعرفون تماما، ما هو الطراز الذي يجب البحث عنه. فذوو المظاهر المبالغ فيها والألوان الزاهية مستبعدون، وكذلك النقيض لهذا الطراز من ذوي الشيبة والانطواء النفسي. فالوكالة تبحث عن شخص عادي، وخواص هذا الشخص من الصعب وصفها. ولكن المستطلعين فقط هم الذين يشعرون به. ومن الطبيعي ان يكشف المستطلع كل شهر من

عشرة إلى ثلاثين مرشحاً ويدخلون في تصفية ضيقة جداً، ثم يتم التعرف على كل الخلفيات حتى التفاصيل الأخيرة. فقائد العملاء يريد ان يعرف: مدى اندماج اسرة الشخص المستهدف في اسرائيل وعما اذا كانت عبر الأجيال تحيا حياة يهودية، والى اي مدى كانت وتكون قدرتها على البقاء.

وهكذا كانت ايريكا في بادىء الأمر طبقا لكل القواعد تحت البحث. وهل وقفت ذات مرة امام المحكمة؟ او ربما واجهت عقاباً؟ وهل هي تغش في الامتحانات في الجامعة؟ هل تكذب على زملائها؟ هل تتحدث الى اشخاص مشبوهين؟ هل يوجد في حياتها حتى اليوم نقطة غير واضحة؟ هل قيادة السيارات بمنتهى السرعة محببة لها ـ ولا شك ان هذا السؤال يمثل مشكلة بالنسبة لايريكا ـ عم تتحدث مع الاصدقاء؟ كيف تبدو صورة عالمها السياسي؟ هل هي مخلصة كيهودية؟ هل تنام كثيرا مع شركاء متعددين؟ هل تميل الى الذعر في حالات الضغط النفسي؟ كيف تتحكم في الاتهامات وفي حالات الضغط النفسي؟ وهكذا تستمر الاستفسارات والافصاح عن امكانية التجنيد في وكالة الموساد الذي يستغرق شهوراً في المعتاد؟ والمرشح لا يدرك مطلقا شيئا من كل هذا. والنتيجة هي انسان زجاجي، من الممكن أن يتفكك إلى آلاف من القطع الدائرية.

ويقوم مقر الموساد، الذي كان فيما مضى في قلب تل ابيب، واليوم في الجزء الشمالي منها، يقوم بعد ذلك بصنع نموذج للأسئلة من خلال كل المعلومات التي حصل عليها.

والعميلة الطالبة التي في حالتنا هذه، وهي ايريكا تشامبرز، جاءها استدعاء مؤثر بشكل لطيف. فقد اراد رئيس شؤون الطلبة ان يتحدث معها ورئيس السلطات الأجنبية وقسم السجلات في الجامعة، وأحد موظفي السنترال ومجلس الصداقة الاسرائيلي ـ البريطاني.

أتت بسذاجة إلى العنوان الموجود رسمياً، والمشار إليه. كان في انتظارها أشخاص ودودون، أولئك الذين حاوروها في بادىء الأمر حول الموضوع الخاص، فهم يعرضون ببلاغة ويحرصون على ان كل الأوراق تظل في ايديهم حتى النهاية. ولم تفهم ايريكا لوقت طويل عم يتحدثون. تلقت ايريكا هذا بعدم يقين فعزلت نفسها، وشعرت انها محاطة ولا تعرف ما الذي يحدث بعد ذلك.

اما في الجانب الايجابي فقد تم عرض مكان عليها. ودخلت الآن العقيدة القوية في اللعبة، وناشدت الخلق الوطني والديني لدى العميلة المنشودة «نحن نمنح فرصة دولية، لها أهمية كبرى بالنسبة لبقاء وأمن الشعب اليهودي».

واذا ما أبدى الشخص المستهدف اهتماماً بالغاً، فمن الممكن ان يمر شهر رغم ذلك، حتى يصبح الجانب الآخر ملموسا. والموساد الذي يسمى في اللغة الداخلية ـ المكتب لا يختلف عن CIA التي تسمى «الوكالة» يقدم عقدا بخمس سنوات. هذا العقد يتضمن سنة تدريبات اساسية، وسنة تدريبات خاصة وثلاثة اعوام من الخدمة النشيطة.

وتقدر خمسة اعوام مع الموساد بعشرين عاما مع القوات العسكرية. وثمانية اعوام من العمل المخابراتي تساوي ٢٥ عاما من الخدمة العسكرية. وبالنسبة للمعاش فهذا في غاية الأهمية، والموت في الموساد، موت غير طبيعي عادة، وكان قرار ايريكا قراراً لا رجعة فيه، رغم المحاذير التي تؤكد على كثرة الضحايا.

الفصل السادس

بالأمر اغتالوا (علي حسن سلامة)

(١)
البدايات

كانت حياة علي حسن سلامة، حياة يتساوى فيها الموت والحياة. لقد عاش بالسيف ومات به.

ولد علي حسن سلامة في «كولة» قرية صغيرة (كفر) ليست بعيدة عن مطار تل أبيب الحالي. وقد دمر الكفر خلال معارك الاحتلال الشرسة. وطالما كانت هناك ايام تؤكد ان هذه القرية موجودة، اذ مر بها تاريخ العالم ذات مرة بشكل خاص عام ١٩١٨، عندما انسحبت قوات آخر سلطان عثماني، أمام جنود الانكليز المظفرين بالنصر. وانتهى ٤٠٠ سنة من السيطرة العثمانية على فلسطين وبدأ عصر درامي جديد. ازداد خلاله دائما المهاجرين اليهود.

فالأرض كما كانوا يرددون امام سكانها، اصبحت لهم بوعد من الانكليز. لأنهم كانوا يتطلعون الى وطن. وقد دفع هذا علي حسن وبالعائلة الى التفكير وحتى الآن لم يصل بالسياسة الى شيء، فقد كان شاقا بما فيه الكفاية، انتزاع الأرض ذات الحد الأدنى من الغلة. كان علي حسن عامل ترحيلة بسيط، وعمله ينتهي عند الحافة الشرقية لقرية «كولة» فقد كان ينتمي لأفقر طبقة ولم يتعلم الكتابة ولا القراءة.

وإذا ما حدثه أحد عن حياة حفيدة علي حسن، بعد ذلك بستين سنة فإنه قد لا يفهم شيئا.

ولد ابنه حسن سنة ١٩١٢ واستمع إلى الحكايات من الخارج بشغف متزايد. وأدرك هو وآخرون من شباب القرية ان فلسطينيين اقتحموا الربع اليهودي في القدس ويافا، من هؤلاء الفلسطينيين الثوار، وقد احرقوا كذلك دكاكين هؤلاء الرجال الغرباء، ذوي السوالف الجعدة، والجونلات الطويلة والقبعات الكبيرة، وقتلوا حتى هؤلاء الرجال. واعلنوا: ان هذه كانت عمليات دفاعية.

وتحدث امام المسجد في المكان عن: «الحرب المقدسة» المنتظرة وبالغريزة حذر حسن واصدقاؤه انه ولا بد ان في الأمر شيء اكبر من ذلك هنا.

ومنذ ذلك الوقت لعبوا في شوارع القرى القذرة لعبة يهود وفلسطين. وكان العرب يكسبون دائما بالطبع. نحن نسجل هذا في عام ١٩٢١.

وهدأ الموقف مرة اخرى، واصبح حسن سلامة رجلا شابا. كان عمره حوالي

سبعة عشر عاما، عندما بدأت الانتفاضة الثانية ضد اليهود في ١٩٢٩. فقد حرض المفتي «امين الحسيني»، الزعيم الديناميكي للمسلمين الفلسطينيين، أهل بلاده لاخراج الدخلاء من الأرض المقدسة، وأصبحت كلمة الامام الأكبر ذي الروب الأسود الطويل واللحية الحمراء، وكذلك الطربوش الأحمر المحاط بعمامة بيضاء اصبحت كلمته بمثابة قانون غير مكتوب.

كان أشهر الفلسطينيين في عصر بناء قضائي مستقل. والناس من ولائه يتعرضون للقتل. ففي «حبرون» وصفد وحدهما بلغ تعداد القتلى ١٣٣ واكثر من ٣٠٠ جريح يهودي.

وقد ذكر الجنرال السابق جوزيف افيدوا، الذي كان واحدا من نواب هيئة اركان حرب الهجانة، ذكر في حديث له مع التلفزيون الألماني عن الوضع في القدس:

(لقد كان عمري وقتها تسعة عشر عاما وخلال أحداث الشغب توليت قيادة الدفاع عن الحي اليهودي في مدينة القدس القديمة. ولم تحدث اي خسائر في الأرواح. وكان علينا اخلاء بعض الأماكن التي كانت في الحي العربي. وقد حاول العرب، الدخول الى الحي اليهودي، وفعلوا ما فعلوه من قبل مثل الأعمال الحربية التي وقعت في «حبرون وصفد».

اراد المتطرفون المسلمون بها، أن يطردوا اليهود من كهوف القبور في حبرون التي يقدسها المسلمون واليهود على حد سواء. فهنا يرقد الأجداد ابراهيم واسحق ويعقوب. وبالطبع رد الانكليز ووحدات الهجانة اليهودية الضرب. وقد كان ايضا هناك خسائر عديدة في الأرواح على الجانب الفلسطيني.

عاش حسن سلامة على فرص العمل. فقد خدم في جمع المحصول او اهتم بالمواشي في حظائر الفلاحين بالقرى التي تقع في الجوار. كان الشاب الصغير شيئا آخر غير زملائه. فقد كان له منظور خاص. فالحياة الضنك لوالده انعكست عليه وقد اراد ان يغير من نفسه، وكل شيء فيه انه جاوز حدود طاقته. واراد ان يحارب اليهود، الذين، كما يراهم، فرضوا انفسهم على ارض عربية.

وقد اصبح بالفعل شيئا آخر، عندما انفق كل المال الذي اكتسبه من عمله الشاق لشراء ملابس انيقة. كان القماش الجيد القادم من سوريا كافياً جداً بالنسبة له. فقد كان يهتم بمظهره الحسن، لأنه يريد ان يكون زعيما. في الوقت نفسه تطور الى نوع من عصابات المقاومة المحلية.

كان الناس على ثقة من انه وراء بعض العمليات البطولية. ومن يغضبه عليه ان ينتظر الانتقام الوحشي. وسريعاً ما صار حسن سلامة رجلاً مخيفاً مما جعل له اتباعاً كما أراد أن يكون شيئاً آخر.

وجاء عام ١٩٣٦ وفيه الانتفاضة الثانية للفلسطينيين. وتضمنت المقدمة السليمة احد المطالب للأحزاب السياسية العربية. فقد طالبوا المندوب السامي البريطاني، بالسماح بتشكيل حكومة وطنية، لإنهاء الهجرة اليهودية، وحظر بيع الأراضي لليهود. وقد كان حوالي ٢٠٠٠٠٠ يهودي قد جاؤوا بطريقة غير شرعية بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٦ الى فلسطين، وشكلوا الآن بالفعل حوالي ثلاثين في المائة من السكان.

وبعد نزاعات حول المكان واغتيالات فردية تصاعد الصراع. ونادى المفتي امين

الحسيني من جديد للحرب المقدسة من أجل الأرض المقدسة وقد تبعته ثلاثة مجموعات من الفلسطينيين. ووصل الأمر الى وقوع عدد من الاضرابات واعمال التخريب، الى ان فرض الانكليز حالة الحصار.

وأخيرا صدر أمر للجنة بحث بريطانية بتقسيم فلسطين. كان عليها اقامة دولة عربية ودولة يهودية. أما بيت لحم والقدس ونازرات قد تظل الى الأبد تحت الانتداب البريطاني.

وفي جملة اساسية من تقرير لجنة بيل Peel المعنية بالوضع آنذاك (**الاعتراف العالمي بحق اليهود في العودة الى وطنهم القديم، لا يشمل الاعتراف بحق اليهود في السيطرة على العرب رغماً عنهم**).

وقد اعترضت عصبة الأمم والعرب، واشتد الصراع. وامسك كل امرء في فلسطين السلاح من جديد. وفي فترة ما بين ١ يوليو و٣٠ ديسمبر ١٩٣٨ وحدها لقي ٦٤٠ عربياً، ١٦٠ يهودياً و٢٨ انكليزياً مصرعهم.

وفي يهوديا قاتلت احدى المنظمات تحت زعامة عبد القادر الحسيني، وهو أحد اقارب المفتي المشهور. وفي الشمال هاجمت الوحدات المسلحة المواقع البريطانية والمستوطنات اليهودية.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٣٨ تحولت الانتفاضة الى حرب شعبية. ففي الجبال نسف المقاتلون خطوط السكك الحديدية والجسور، وكان الانكليز مضطرون الى الانسحاب من أماكن عديدة هامة. في هذه الظروف الحرجة، اتخذوا اجراءات عنيفة جدا، تتعلق بعقوبات جماعية تقع على قرى المتعاطفين مع المتمردين، وإعدام المئات من العناصر النشيطة، وعلى الصعيد السياسي وقفت الحكومة البريطانية ضد خطة التقسيم ودعت بدلاً من ذلك كل نواب العرب واليهود لمؤتمر فلسطين في لندن.

ولم يتحقق شيء خلال هذا المؤتمر ايضا. فقد طالب الفلسطينيون من بين آخرين بالاستقلال التام لبلادهم وايقاف فوري للهجرة اليهودية.

وطالب الجانب المضاد في نفس الوقت بدولة ذات سيادة، وقد اقترح الانكليز حلاً وسطاً، عبارة عن تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق.

و«أخيرا جاء في مايو ١٩٣٩» «الكتاب الأبيض» الشهير. وأهم مقاطعه: «إقامة دولة مستقلة ووقف هجرة اليهود» في حين كان اليهود باتوا يشكلون ثلث فلسطين. كما يجب الحد من بيع الأرض لليهود او حظر ذلك تماماً، عندما كان ذلك محرماً على العرب بالفعل من أجل تأسيس حياتهم.

وقد زاد اليهود الأمر من هجرتهم غير الشرعية بالطريقة المعروفة. ففي عام ١٩٣٩ جاء بالفعل ١٠ افواج من المسافرين بطريقة غير شرعية من اليهود ثم جاء ثمانية افواج بالطريقة الغير شرعية وقد رفض اليهود وكذلك العرب كل الحلول التي قدمتها المفاوضات. وكانت النتيجة معارك تشبه الحرب الأهلية من جديد.

ومع اندلاع الحرب الأهلية الثانية عادت مشكلة فلسطين الى الوراء. وبدأ الصعود الشاق لحسن سلامة مع بداية الانتفاضة.

قاتل أولاً في الجماعة المسلحة لزعيم اسمه ابو ناجيم. ولكن سرعان ما اصبح هذا غير كاف بالنسبة له. فقد اهتم بالمواد الناسفة وجند ثلاثة من أبناء عمومته. نجحت

أول محاولة لنسف خط سكة حديد من القاهرة إلى حيفا ودفع أعوانه حياتهم ثمناً لهذا العمل. كما أصيب هو اصابة خطيرة وفر بعناء شديد إلى دمشق - واصبح لدى حسن سلامة الآن - في مركز الثوار العرب وقتا للتفكير. فقد علم انه لا يستطيع ان يعتمد على العرب في المدن. فهم في قبضة الانكليز والهجانة واذا اراد ان يفعل شيئا، فعليه اذا ان يوقظ الشعب الغفلان حتى الآن.

وقد عاد إلى «كولة» سراً على رأس ثلاثين رجلاً مسلحاً. وتم استقباله كبطل وابدى الناس تقديرهم له. وسموه «الشيخ حسن» وهو لقب خاص.

ارتبط حسن سلامة مع رئيس مجموعة السهل الساحلي، «عارف عبد الرازق»، وكان مسموحا له بتولي المسؤولية بمنطقة ليدا الخاصة، حيث تقع قريته «كوله».

وجمع حسن سلامة من حوله ابناء قريته والقرى المجاورة ومارس المقاومة ضد اعدائه.

(٢)
الطريق الى القدس

كانت العصابات اليهودية تحصل على الأموال عن طريق نهب البنوك، اما قوافل المقاتلين العرب فقد اجبرت لفترة طويلة سكان المدن على ارتداء الكوفية الشهيرة وهي عبارة عن غطاء الرأس الأسود في ابيض، أو الأحمر في ابيض. ولم يكن لهذا اي سبب عملي سوى انها كانت تريد فقط اظهار قوة رجال المقاومة.

أما حسن سلامة الذي كان زعيما لفرقة اخرى يهتم مقاتليه بأن يكوّنوا من غزة وحتى حدود البحر منطقة مقاومة. ووصل هذا الى أقصى درجة، عندما تم اغتيال الحاكم البريطاني للجليلة «لويس اندرور». بعد زيارة القداس في «الناصرة». وقد وضع الانكليز مكافأة كبيرة لرأس حسن سلامة، كما اتخذت الهجانة كل الاجراءات للإمساك به. ولكن حسن سلامة لم يتوقف وقام بعمله من جديد واتخذ من «رام الله» مقراً جديداً له. وسرقوا كذلك خيول البوليس المحلي واستخدموها كنوع من استعراضات النصر.

وكان حسن سلامة ورجاله قولهم دائما حق ومن يدان كما في قانونهم يتم اعدامه. وكان لدى البعض الخيار في ان ينجو من هذا اذا ما قتل يهودياً. وبسرعة لم يعد هناك احد فقط لا يعرف من هو حسن سلامة.

كان المحتلون خاصة يخشونه. وفي يافا وحدها ساوم ستين يهوديا على أموالهم أو قتلهم. ويعتقد المؤرخون، انه اثناء الثورة في اواخر الثلاثينات، لقي ١٥٠٠ عربي مصرعهم على يد الانكليز والهجانة، في حين لقي ٤٥٠٠ من اليهود مصرعهم كضحايا لعمليات من الداخل. علىٰ اية حال اصبح سلامة الذي كان لا يملك شيئاً في يوم وليلة رجلاً قويا.

فقد وصل الى هدفه ولم يستطع الانكليز بسبب اتباعه الاقوياء ان يفعلوا شيئا وحتى كل المحاولات التالية فشلت في ان ترديه صريعا.

وقبل ان يرسل الانكليز وحدات جديدة مسلحة بأسلحة ثقيلة الى فلسطين، ويقضوا على الثوار، اصبح الوضع بمثابة كارثة. فقد فقد الكثير من المدنيين كل شيء، وهاجر الأثرياء الى قبرص او لبنان. وامتلك الجياع والفقراء القرى الآن. وقد فر حسن

سلامة مع سيدة تزوجته حديثاً وعدد من الحراس الخصوصيين عبر الحدود الى سوريا معبودة مفتي القدس، الذي كان قد لجأ ايضا في تلك الاثناء الى هناك.

وقضى سلامة معظم الأعوام التالية في دمشق، التي تعد مكان تجمع زاخر لكل الثوار العرب. كان يجلس في المقاهي ويدبر لاعادة فلسطين. وقد استسلمت الحكومات العربية لقلقه بمنتهى الحرص، اذ راودهم امل جديد في الحل الدبلوماسي منذ ان علموا بالكتاب الأبيض. كما أن المفتي الذي بقي لفترة في دمشق، سافر الى بغداد وتبعه مقدسة اللامع حسن سلامة في عام ١٩٤١.

رزق حسن سلام بطفل فأسماه علي حسن. واصبحت العراق بعد زحف البريطانيين عليها ايضا خطراً بالنسبة لآل سلامة. فعاد من جديد الى دمشق في حين نزل المفتي بطهران ونجح من خلال تشابه خطأ مع احد الدبلوماسيين الايطاليين في الفرار الى اوروبا. وفي قمة احتفاله بفراره الناجح الى اوروبا، التقى بهتلر، وموسوليني. فقد وعد المعاصرون الألمان بتقديم العون لهم لتحرير فلسطين من اليهود والانكليز.

وعام المفتي فوق موجة من التأييد ونادى مؤيديه الصادقين ليلتفوا حوله وكان من أولهم حسن سلامة الذي طار الى برلين.

وفي قصر بيلفيو، Bellevue حيث يقيم المفتي، كان تحرير فلسطين منذ وقت طويل قضية منتهية، وناقش البعض بالفعل تشكيل قوات منفردة لجيش شعبي من ١٠٠٠ عربي. واذا ما نازلت هذه القوات ضد جيش فلسطين الانكليزي في معركة، سوف ينهض طبقاً لحسابات الحسيني العرب في العراق وعدن والبحرين ضد المستعمرين البريطانيين.

كانت الحرب في تلك الاثناء ضائعة بالنسبة للأصدقاء في اوروبا، الذين لم يقفوا عند حد تطور الوضع في فلسطين. وكان المفتي يخشى على حياته فغادر هو ورجاله المانيا عبر طريق وعرة. فالسويسريون لم يقبلوه لذلك ذهب امين الحسيني الى القاهرة.

كانت المحطة التالية هي بيروت وامتلك القائد الفلسطيني فيللا في «عاليه» على شارع متجه الى دمشق. كان صديقه المخلص سلامة ينتظره بالفعل. لم يرد احد ان يضيع الوقت، ولذلك اسس المفتي مرة اخرى من جديد جيشاً لتحرير فلسطين. وعين ابن أخيه «عبد القادر الحسيني» كقائد، وحسن سلامة كنائب له، هذا الذي عبر الحدود الى فلسطين ليجند اوائل المقاتلين، وتكونت فرقة من ٤٠٠ رجل بسرعة.

وساعد عام ١٩٤٧ في بناء تشكيلات سرية. وقد احضر سلامة ضابطاً المانياً ليدرب رجاله. ثم جاء يوم التحدي الأكبر، يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ حين سمحت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتأسيس اسرائيل.

في ١٥ مايو ١٩٤٨ حان الوقت لذلك. كان كل اليهود في اليوم التالي للاحتفال ـ وكذلك ركاب الأوتوبيس رقم ٢٠٩٤، الذي كان متجها من المدينة الساحلية ناتانيا الى القدس. وفجأة وقف رجل في منتصف الطريق الى القرية العربية فيجه، وأوقف الأوتوبيس بمفرده ـ كان يقف على طريقة ـ روبين هود ـ مفتوح القدمين وسط الشارع. أوقف الرجل هذا الأوتوبيس بما فيه من ٢٢ راكبا وبعد ذلك بدقائق فتح النار من مدفعه الرشاش، كما اقتحم رجال آخرون من الجانبين واطلقوا الرصاص على الأوتوبيس وفيما سقط ستة ركاب صرعى، في حين جرى الباقون الى الحقول.

والآن جاء على خبراء المخابرات في الهجانة الدور، وذكرت لهم مصادرهم كل على حدة وبشكل مستقل نفس الاسم: حسن سلامة.

وبدأ من جديد البحث عن اكثر رجل مطلوب في فلسطين. وقد أثار هذا «سلامة» فصار كل يوم أكثر ظهوراً، وتنزه ذات مرة مع حراسه الخصوصيين في زي عسكري وحذاء طويل، وكرباج قصير في يده في يافا.

وحدد خلال هذه الفرصة: «فلسطين ستصبح حماماً من الدم» كان بالنسبة للشباب العربي بين نهر الأردن والبحر المتوسط بمثابة اسطورة.

وتلا ذلك مرحلة جديدة من الاغتيالات. كانت الدكاكين والبيوت اليهودية تحرق ليلا. وخلال اسبوعين تم اغتيال ٤٨ يهوديا، واصيب ١٥ يهودياً إصابات شديدة ودخلت فلسطين في خطة تشبه الحرب الأهلية.

وعمل حسن سلامة على ان يزيد في ضعفنا، للإستيلاء على المستوطنات اليهودية المحصنة جيداً. لذلك سلك مسلكاً آخر، كان يوعز بالهجوم على سفن الامدادات وبذلك يضرب اليهود في مقتل.

وانتقاماً لاحدى هذه الهجمات كان ما حدث في قرية «يعذزور». حيث ردت الهجانة بضرب قصر عائلة سلامة.

وقد هاجم اليهود تحت قيادة نائب القائد، المخادع اسحق رابين، باستخدام الأسلحة الثقيلة، التي كانت رهن الاشارة. وقد فوجىء رجال سلامة واعوانه وهم في نومهم ولم يكن لديهم فرصة. وفي نهاية الاشتباك تطاير المبنى في الهواء. وقد نجحت احدى الوحدات الخاصة في إشعال كمية كبيرة من المتفجرات. ورغم ذلك فقد فر حسن سلامة مرة اخرى اذ كان يقضي ليلته هذه في مكان آخر.

واصبح التركيز على القدس. واحتفلت قوات «عبد القادر الحسيني» بنجاح تلو نجاح. ولم يهاجموا ناقلات الأدوات فحسب، ولكنهم هاجموا أهدافاً داخل المدينة أيضاً وكذلك ثكنات الهجانة المحصنة بشدة.

كان الهدف لدى جماعات الحسيني المسلحة هو فصل المدينة المقدسة والاستيلاء النهائي عليها وتم من أجل ذلك تدمير العديد من الطائرات وقتل حوالي مائة مقاتل يهودي.

ـ ٣ ـ
الرحلة إلى أيلول الأسود

وبمرور الوقت اصبح الأمر الآن يتعلق ببقاء اليهود. فالخسائر لم تعد تحتمل. وقد اوضح بـن غوريون هذا لقادة الهجانة في كلمات ملحة. حيث طالبهم بإرسال ٢٠٠٠ رجل للمعركة لحشد الطريق حتى القدس. كان هذا العدد بالفعل مثالياً.

ولكن اليهود حركوا في النهاية حشدا من المحاربين يبلغ ١٥٠٠ رجلاً. كانت الاستراتيجية واضحة: اولها ابعاد قيادة حسن سلامة وبعد ذلك يستطيع المرء ان يقتحم الجبال في القدس ويهاجم عبد القادر الحسيني.

كان سلامة قد اتجه في هذه الفترة الى مقر جديد، وكان هذه المرة في مدرسة الضباط الانكليز سابقا في بئر يعقوب. ووجد المأوى في هذا المكان مع أكثر من مائة

مقاتل. وقد كان لديه علاوة على ذلك مستشارين المان، وانكليز هاربين من الجندية وبعض المتطوعين العراقيين. واكتشف العملاء اليهود بسرعة، مدى ما وصل اليه وضعه من قوة. فقد كان تحيطه الأسلاك الشائكة والأسوار، ومراقبون وكشافات.

وبعد أن نجحت الهجانة في خطتها الهجومية في آخر مرة، عادت قوات الهجانة مرة اخرى اثناء الليل ومعهم الكثير من المتفجرات.

في ٤ ابريل بدأ الهجوم. ونجحت الوحدات الخاصة من جديد وسط الاشتباك بنيران المدفعية، في التوغل داخل البيوت ووضعت ٤٠٠ كيلوغرام من الديناميت في اماكن استراتيجية. وبينما كان الفلسطينيون يدافعون عن انفسهم في الطابق الأول بشراسة، أشعل اليهود الديناميت. وتزلزلت الأرض وتدمر كل شيء تدميراً. ولم يكن سلامة هذه المرة ايضا موجوداً في هذا المكان. فلم تكن الهجانة تعلم انه يتواجد كل ليلة لدى اسرته في دمشق.

في اليوم التالي اثناء احدى جلساته للتخطيط مع المفتي، وصلت الأنباء السيئة. وعلم سلامة بالاعتداء الغاشم على مقره الجديد واعلن المراقبون في الوقت نفسه عن المعارك الشرسة بين الهجانة ووحدات عبد القادر الحسيني. فقد بدأت المعركة حول جبل «كاستل» Castel قريباً من القدس وقاد عبد القادر الحسيني الى جانب قريبه المفتي - الذي يعد من أشهر الفلسطينيين - الهجوم ضد حصن - الهجانة في جبل «كاستل» نفسه. وكان هذا آخر عملياته. حيث تواجه مع احد جنود الهجانة مصادفة في الظلام وجها لوجه بالسلاح فاستشهد على الفور.

ترك حسيني خلفه من بين ما ترك ابناً عمره ثمانية عشر عاما. كان اسمه فيصل وقد تربى هو وأخته في القاهرة. وهو يعد اليوم أهم النواب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. وهو رجل حاسم في مجال مباحثات السلام.

سرى خبر استشهاد عبد القادر الحسيني كالنار في الهشيم في مدن وقرى فلسطين. فبكى الناس وقاموا بمظاهرات. في دمشق واجه المفتي الوضع بوجه متحجر. وبعدما ان تماسك توسم في وجه حسن سلامة الخلافة قائلا: «انني اذكرك يا شيخ حسن، عليك أن تعود فورا إلى فلسطين من أجل خليفتك».

ولم يدع الكلام مزيدا من الرجاء. ونظرا للمناسبة الحزينة اصبح لديه الدافع لاقامة الاحتفال.

أصبح هدف حياته واضحاً فقد تزعم كل المقاتلين الفلسطينيين. ودع حسن سلامة عائلته ونظر طويلا الى ابنه علي حسن: (اذا ما مت أنا، فأنا اريد ان يواصل ابني المعركة) واسترسلت زوجته في البكاء. فقد كانت تخشى ان لا تراه مرة اخرى.

كانت المعركة خاسرة لأن اليهود زحفوا على الجبهة العريضة بقوات كبيرة. وأعلن بـن غوريون بعد ذلك بأسابيع قليلة قيام دولة اسرائيلية، ونشأ من الهجانة Fahal الكلمة العبرية التي تعني (جيش الدفاع الاسرائيلي) وبعد الاحتفال في متحف تل ابيب كان عليهم ان يقوموا بحماية وجودهم فيما اذا زحفت الجيوش النظامية لخمس دول عربية مجاورة الى فلسطين.

في ٣ مايو زحفت وحدة من منظمة مناحيم بيغن الارهابية المسماة بـ ايرجون Irgun والمسماة كذلك بـ ايتزل Etzel ضد القرية العربية رأس العين. ولأن الأمر يتعلق

هناك بموقع استراتيجي، وكذلك مصدر هام من مصادر مياه الشرب للقدس، عمل اليهود للسيطرة على المكان، والتقى مقاتلو الايرجون بالقوات العراقية. وبعد بضع ساعات من التبادل النيراني العنيف قاموا برد الجنود القادمين من بلاد الرافدين وعندما سمع حسن سلامة بذلك، وجد فرصته، لاعادة المجد والتأثير الضائع في تلك الأثناء مرة اخرى. حيث جعل ٣٠٠ رجلا وسبع عربات مصفحة يقومون بالهجوم على رأس العين، وقاتل بنفسه في الصفوف الأولى.

وقد كان على اتباع قوات ايتزل الانتشارية المتطرفة اخلاء القرية من جديد. وقد فنت واحدة من قنابلهم الأخيرة الغديد من الفلسطينيين الذين على قمة المقاتلين من بينهم ابن اخ سلامة وأحد أبناء عمومته.

ومات ابن العم على الفور واصيب سلامة نفسه بإحدى شظايا القنابل في رئته ولم تسعفه العملية الخطيرة التي اجريت له في مستشفى رام الله ومات القائد الفلسطيني بعد ذلك بيومين. ودفنت الى جواره المقاومة الشعبية الى ما يقرب من عشرين عاما. وقد استغرقت كل هذا الى ان قويت شوكة منظمة التحرير بما فيه الكفاية، لكي تهاجم دولة اليهود.

وقد بدأ بالفعل خلال عصر حسن سلامة لجوء الفلسطينيين حيث غادر حوالى ٧٥٠٠٠٠ فلسطيني وطنهم في ١ ديسمبر ١٩٤٧، والأغلبية العظمى منهم كانت بعد اقامة دولة اسرائيل.

والسبب يرجع الى شقين: كان احدهما ان الأبنية العسكرية لهم قد دمرت، كما انهم لم يقاوموا اليهود سياسيا، اما الشق الثاني فهو ان اسرائيليين كانوا يطردونهم بمنتهى السهولة، وفي خلال اسابيع قليلة اختفت حوالي تسعين قرية عربية من على الخريطة. ووجدت قوات العصابات ايتزل وليشي نفسها في النشوة المطلقة لشرب الدماء. كانت ذروة الخوف والفزع في المذبحة التي وقعت في القرية العربية «دير ياسين». حيث ذبح الارهابيون اليهود ٢٥٤ عربياً كان أغلبهم من الشيوخ والأطفال والنساء. هذا القتل الجماعي اتخذ مكاناً بارزاً في التاريخ، يقف على نفس مستوى المذابح الوحشية التي كان أماكنها توصف بأنها عودة للبربرية مثل: ليدس، Lidici، اورادور Oradour، مايلاي Maylai وصبرا وشاتيلا. وفي فلسطين ادى نبأ الحدث المحزن في دير ياسين فقط الى الاهتمام باللاجئين العرب.

وصرح مناحيم بيغن، الذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء، بعد ان كان فيما مضى قائدا لمنظمة ايرغون: (وبدأ العرب يفرون من الفزع الى الأجزاء الباقية من الأرض خاصة خوفاً من التصادم مع القوات الإرهابية اليهودية بعد ما حدث في دير ياسين، وما تم اختلاقه من روايات حول دير ياسين، وقد ادى ذلك الى الاستيلاء على طبريا وحيفا وانتصارنا الحاسم في ميدان المعركة. فأسطورة دير ياسين ساعدتنا خاصة في احتلال طبريا وحيفا).

ومن القرى العربية التي تدمرت ايضا قرية «كولة»، الموطن الأصلي لحسن سلامة وقد ظلت الجيوش العربية والاسرائيلية تتقاتل لأسابيع طويلة. وفرت البقية الباقية التي ظلت على قيد الحياة. حتى عائلة حسن سلامة تركت الأرض. لجأت ارملة سلامة وابنه وابنته جهاد التي جاء ميلادها بعد وفاته بقليل، الى بيروت.

نشأ علي حسن سلامة كلاجىء لأن عائلة سلامة قامت بإنقاذ ضيعتها المحتلة وكل امنية لابن الرجل العظيم حسين سلامة تتحقق على الرحب والسعة وعاشت العائلة في الأشرفية الجميلة، بعيدا عن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين.

التحق علي حسن بمدرسة المقاصد الذائعة الصيت. ودخل وهو في سن الرابعة عشرة الى الضفة الغربية التي كانت لا زالت في ذلك الوقت أرضاً فلسطينية فقد تعلم في منطقة «بئر زيت».

في بادىء الأمر توافق علي حسن كثيرا مع أنجال المقيمين من الأجانب. فقد قاوم اسم عائلته، لأنه ارتبط بمشاعر عنيفة جداً:

ويقول: «ان تأثير والدي مشكلة شخصية بالنسبة لي. فقد نشأت في عائلة، تعتبر الانتقام ارثا بالنسبة لها ويجب ان ينتقل من جيل الى جيل. وبما انني قد تربيت بطريقة سياسية، فقد عايشت القضية الفلسطينية. وعندما سقط والدي كبطل تم توكيلي عملياً بقضية فلسطين. أرادت والدتي أن أصبح حسن سلامة جديداً، في حين كانت الميزة العظمى لأي فلسطيني، أن يحيا حياة طبيعية هادئة».

وهنا أيضاً لعبت الأم دوراً محركاً تماماً، كما في حالة اريكا تشامبرز. ولكن هذا حدث بطريقة اخرى تماما: فقد كانت تحكي له بلا توقف عن حياة ابيه البطولية واعمال زوجها العظيمة. واصبح كل شيء من خلال ذلك واضحاً تماماً، وأصبح والده يصل إلى مرتبة السوبرمان.

وكان صعبا بالنسبة للطفل علي سلامة تصور كيف يمكن أن يصبح بحق رمزاً كأبيه. ولم يستطع كذلك أن يتصور أن يصبح في يوم ما قادراً على أن يستأنف الثورة الفلسطينية.

وظل المجتمع المحيط به من ملائكة الانتقام لفترة طويلة مكروهاً بالنسبة له أحياناً. كان يذكر أنه يقبل وجود دولة اسرائيل، وقد يكون عليه أن ينازع حول وجوده طبقاً لمفهوم آخر:

(لقد أردت من البداية ان اكون نفسي والحقيقة ان مسألة تقلدي بصورة والدي كانت مشكلة بالنسبة لي. حتى وأنا طفل صغير اتبعت نماذج محددة من الأسلوب والسلوك. فأنا لم اعش في الحقيقة مرحلة طفولة. فقد داوم البعض على تذكيري بلا هوادة، انني ابن حسن سلامة وإنني اسير على نهجه، بالرغم من ان احدا لم يقل لي. كيف كان يعيش حسن سلامة).

في سنة ١٩٥٨ عادت العائلة من «بيرزيت» الى بيروت، حيث كان المفتي ايضا يعيش من جديد في منفاه. ومع ذلك فقد قامت بالفعل اول حرب اهلية لبنانية سيئة نسبياً بطرد آل سلامة.

درس علي حسن سلامة في بادىء الأمر في مصر وبعد ذلك في المانيا. كان يبدل الجامعات مثلما يبدل قمصانه. كان يريد ان يصبح مهندسا بشكل خاص. ولأنه كان يصادف إعجابا من الفتيات على اكمل وجه بسبب حسن مظهره واسلوبه المهذب، لم يتبق لديه وقت للدراسة.

فالشاب الفلسطيني كان يلبس غالباً على أحدث موضة. كان يحب القيادة بسرعة والمطاعم الغالية. وللحفاظ على الوسامة والحالة البدنية كان يقضي الساعات الطوال في

الاهتمام بلياقته البدنية. وقد كان يقوي جسمه بممارسة اعنف الرياضات القتالية مثل الكاراتية، وبصفته الزعيم المنتظر للثورة الفلسطينية الجديدة التي تمارس أعمالها الأساسية في الجامعات العربية او بأي وسيلة اخرى للاعداد لتحرير فلسطين، فقد عاش علي حسن سلامة حياة مترفة بلا حدود.

والحق ان فلسطين كانت بالنسبة له الى حد بعيد مجرد ذكريات تاريخية او اكثر من ذلك مجرد ذكريات عائلية.

ثم وضعته العائلة من جديد في قيدها الضيق وزوّجته. فعرض عليه البعض فتاة صامتة، خجولة من قبيلة المفتي. ورضي الطالب المدلل لدقائق بالنظام الشرقي قبل الزواج. وعندما مر كل شيء، عاد إلى ما كان عليه من رواج عال، واهتم من جديد بشدة بالعديد من الأخريات من النساء. واصبح الوجيه علي حسن سلامة يرى حتى الساعات الأولى من الصباح في الملاهي الليلية بالقاهرة. ولم يغيره أيضاً مقدم طفله الأول للحياة: حسن. ولكن التقاليد العائلية استطاعت ان تتواصل على أية حال. ففي منتصف الستينات، عندما انبعثت القضية الفلسطينية من جديد للحياة مارست عشيرة علي سلامة ضغطاً شديداً عليه. واستجاب الولد الشقي لهذا رغماً عنه. فقد كان يعتبر منظمة من أجل تحرير فلسطين نوع من المثالية الخالصة.

في ذلك الوقت لا يزال أحمد شكري على رأس الجهاز المنظم الذي شاع في مصر، جهاز منظمة التحرير، فلم تكن ساعة عرفات قد حانت بعد.

سجل علي حسن سلامة نفسه رغماً عنه في أحد مكاتب المجندين، وتم وضعه أخيراً في الكويت. كانت مناسبة له تماماً. فلم يكن هناك الكثير ليفعله، وفي المساء كل ليلة كان لديه مقدار من الوقت للجنس اللطيف.

وبعد ذلك جاءت محاولة عبد الناصر لمحو «الشكل الصهيوني» من على خريطة العالم العربي. ودبر المصريون في عام ١٩٦٧ للحرب، ولكن السلاح الجوي المعادي أوقفهم في الأيام الأولى. فقد دمر الاسرائيليون في هجوم مباغت ٢٨٠ طائرة نفاثة مصرية كانت تقف على ارض مطار سيناء الحربي والباقي معروف. وبعد ستة ايام وقفت فوهات الدبابات الاسرائيلية على قناة السويس.

وأصبحت القدس تحت السيطرة الاسرائيلية تماما، وقد كانت استعادة حائط المبكى لها أهمية نفسية. وقد احتلت إسرائيل القدس الشرقية وفيما بعد الجولان، وهي لا زالت تحتفظ بهم حتى اليوم. وفضل عن ذلك فهي تحتل الضفة الغربية وقطاع غزة. ووضعت الدولة اليهود بذلك بذور الصراع الكامن.

وبعد العجز الواضح دائما للدولة العربية، جاء الآن الدور على منظمة التحرير. وحدث تغير كبير في علي حسن سلامة، لم يكن يتوقعه أحد. ومفتاح ذلك اما ان تكون الصدمة تجاه الخسارة الجديدة، وربما ايضا نداء العائلة ـ وعشيرة الحسيني ـ التي لم يعد يعرف كيف يعارضها. فقد ابتعدت فجأة العوارض الداخلية. وسجل علي حسن سلامة نفسه لدى عرفات.

كان القائد الجديد للمقاومة الفلسطينية متحمساً له. فقد حارب بنفسه في سنوات شبابه مع عبد القادر الحسيني وأعجب وقتها بالفعل بالانجازات العسكرية لحسن سلامة بشكل لم يكن ليجعل هناك أحب اليه من ان يأخذه ضمن فريقه الإبن البالغ من العمر ٢٦

عاماً والذي يجسد البطل حسن سلامة الشعبي عملياً. فإن سلامة الوسيم الممشوق الذي يغطي الشعر قفاه آنذاك، كانت الأقمشة تأتيه من سويسرا!، وغالبا ما كان يفصلها حسب أحدث موضة. ويرتدي غالباً اللون الأسود المحبب له. وهو يترك انطباعاً مثل رواية الشرق الأوسط من المنشد نايل دياموند.

ففي احدى البيئات، التي تتكون بشكل خاص من الرامبو المغطى باللون الزيتوني، وقف ذات مرة هذا المبالغ في التأنق لأول مرة موقفاً جاداً. كان عليه أن يكسب ثقة كل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. ولم يعد ذاك على مر الوقت يشكل أي مشكلة.

كان صوت الفلسطينيين آنذاك يتغير من يوم ليوم. فخلال اسابيع قتال يونيو، وجدوا انفسهم في نشوة النصر يشعرون بالنشوة للغاية. لقد كانت نفس الفكرة القصيرة النظر، التي راقبها البعض قبل واثناء حرب الخليج ١٩٩١، فالحزن الذي بلا حدود عن الهزيمة تحول على الفور مرة اخرى الى اعلان عن نصر بالغ. فالكل اعد اليهود المقيمين والنساء والأطفال وكذلك حجر رصف الشوارع بمثابة نصر نهائي تحقق.

وقد استطاعت القوات الفلسطينية التي تأسست على الفور بمساعدة ملايين البترو دولارات، استطاعت في البداية ايضا ان تقوم بعمليات انتحارية كثيرة ناجحة في المجال الاسرائيلي والأرض المحتلة. وقد استخدموا هذا لأبعد الحدود، لكي تسير مكانيكية الدعاية وعندما وطنت اسرائيل نفسها على ذلك، نزل العدد الحقيقي للانتصارات بسرعة.

لم يتم ارسال علي حسن سلامة الى نهر الأردن عبر كلاشينكوف وبعض القنابل اليدوية، فقد حصل على عمل اكثر اناقة. فقد اخذه أبو اياد تحت جناحه. كان سلامة احد رجال «الرصد» وكالة مخابرات منظمة التحرير.

كان واجبه الأول يكمن في الاعلان عن تغلغل الوكالات الاسرائيلية في صفوف منظمة التحرير. كان على الشاب النشط ان يدرس ملفات كل مقاتلي المنظمة فتح. ويبحث عن مواطن العنف. ومن يتم اتهامه بأنه عميل اسرائيل، يطلب منه ان ينتظم في العمليات الانتحارية الخطيرة. فإذا ما امتنع يفتضح امره ويتم إعدامه.

في الأعوام الأولى من عمل علي حسن سلامة وقعت حوالي دزينتين من عمليات الاعدام.

في ٢٣ يوليو ١٩٦٨ بدأ في منطقة جديدة. فقد قام فدائيون من الجبهة الشعبية بخطف احدى طائرات العال الى الجزائر واجبروا الاسرائيليين على اطلاق سراح سجناء عرب، كان اثر الشيوعيين واضحا.

فقد راقب عرفات وابو اياد بدهشة نجاح الماركسيين. فقد جلس جورج حبش على عرش المقاومة العالمية. وعلى مر الزمان خطف رجاله طائرة تلو طائرة، وفجروا ١٤ مكتباً من مكاتب العال للطيران، وقتلوا اسرائيليين بينما كانت قوات عرفات تفني نفسها في وادي الأردن المتوهج الحرارة.

وفي اي مكان على ما يبدو، كانت هذه العمليات التي يشار اليها بالبنان ذات جدوى اكثر على المدى البعيد. وقد أصبح شعاراً جديداً، أنه في حالة احتمال نجاح التكتيك الجديد، فعلى الجهاز السري ان يشمل «فتح».

وفي اتفاق مع المخابرات المصرية، ارسل عرفات عشرة من خيرة رجاله الى مصر

لدراسة المنهج الخاص في بلاد النيل. وقد كان علي حسن سلامة وأبو اياد وفكري العماري معاً ضمن هؤلاء الرجال وتعلموا خلال الشهور التالية كل وسائل العمل والحيل القذرة لأجهزة المخابرات.

واصبح الرجال العشرة مترابطين كأصدقاء لأجهزة لم يكن احد يعلم في هذا الوقت ان اسس «أيلول الأسود» قد تم وضعها. وعند العودة الى عمان حيث المعسكرات، حيث كانت منظمة التحرير قد اقامت بالفعل دولة، زودهم عرفات جهاز بميزانية مترفة، ربما يستطيعون بها زرع عملاء في كل انحاء العالم.

وقد نسج جهاز «الرصد» عشه بين الطلبة الفلسطينيين بشكل خاص وقد تم تجهيز المركز الأمامي الخاص بشؤون العمليات في روما. وبذلك اصبح لدى البعض افضل الامكانيات للاتصال مع أهم المراسلين في العمل السري لمنظمة التحرير.

وفي اثناء القيام بتنظيم الاتصالات الأوروبية، التي قام بها علي حسن سلامة الملقب «بأبو حسن» في تلك الاثناء. وقعت في الوطن اكبر خبرية قاسمة حيث بدأت في عمان الحرب الأهلية، التي أدت الى ان منظمة التحرير فقدت كل شيء وفرت الى لبنان.

هذا الشهر سبتمبر، المسمى «بأيلول الأسود»، أحدث تطورا، ليس بمقدور أحد أن يتناساه.

وقد أصدر علي حسن سلامة حكمه: (لقد كنا الضحية للتآمر بين اسرائيل والولايات المتحدة والأردن. فقد تم ابعادنا وقتها بكل سهولة عن العين، كان علينا ان ننهي هذا الوضع. ففعلنا. ونستطيع ان نقول الآن: نحن دائما موجودون، حتى عندما يقوم البعض بطردنا الى حين).

والحق ان منظمة التحرير لم تعد كما كان عليها ان تبدأ من الصفر مرة اخرى، من الطابق السفلي الحقير في خمسة عشر مخيماً للاجئين. ووقعت في الوقت نفسه وتحت ضغط كبير من صفوفها الخاصة. فجورج حبش وجبهته الشعبية، تضرب بشكل أعنف دائماً، كانوا أنجح ولا يهتمون بالرأي العام العالمي، وصارت منظمة عالمية، والجماهير الفلسطينية تقيم الاحتفالات.

وهكذا وصل الأمر إلى تأسيس «أيلول الأسود». كان عليه أن يكون منظمة سرية بشكل عام، لا عنوان لها ولا خطباء. وكانت منظمة «فتح» دائماً في الوضع الذي يجعلها تنكر صلتها «بأيلول الأسود».

وقد أكدت جلسة مستشاري الثورة في دمشق في سبتمبر ١٩٧١ ان أيلول الأسود قدم كل مصالح منظمة التحرير: الثأر من الأردنيين، حرب خفية ضد اسرائيل، وتصور لبناء القيادة من جديد.

وسريعاً ما اتفق البعض وتحدد ابو اياد كزعيم روحي للمنظمة الجديدة، أما يوسف النجار، احد شركاء النضال منذ الأيام الأولى، فقد كان المسؤول عن كل الأنشطة، وعلي حسن سلامة رئيساً للعمليات.

وقد رأى بالفعل من العالم ما هو اكثر من شركائه في الثأر. كان يتفق واللغات ولا يبدو عليه انه مفجر قنابل. وهذا يعني انه كان يستطيع ان يتحرك ولا يكاد يحس به مخلوق. فضلاً عن ذلك فقد بدأ التكليف الجديد بالنسبة له بمثابة دعاية. لأن معنى

العنف الذي بلامبالاة تطور بشكل متزايد بالنسبة لعلي سلامة وقد راقبه عرفات وأبو أياد كما لو كان الأول من نوعه، وكانا راضيان عما يفعله.

كانت افتتاحية اعمال «ايلول الأسود» هي اغتيال رئيس الوزراء الأردني «وصفي التل» في القاهرة. ثم جاءت الضربات متتالية. ففي لندن قام مجهولون بإطلاق الرصاص على السفير الأردني زايد رفاعي ـ وقد تحملت ايلول الاسود، المسؤولية علناً. وتلاها هجمات في كل انحاء العالم على السفارات الأردنية وعلى خطوط الطيران والتمثيلات الدولية الأخرى التابعة للأردن. وكانت اول ضربة لأيلول الأسود في المانيا في ٥ فبراير ١٩٧٢ ففي «بريل وكولونيا» اغتالت فرقة انتحارية تحت قيادة «ابو طيب» الرئيس الحالي لحراس عرفات الخصوصيين «القوة ١٧»، خمسة اردنيين ـ اتهمتهم منظمة «سلامة» بالتعاون مع اسرائيل. وتوالت الأحداث: قنبلة من أجل مصنع الموتورات في هامبورغ، هجوم آخر على خط انابيب Striver في هامبورغ ـ كان صاحب المصنع ينتج المولدات الكهربائية لاسرائيل، كما كانت شركة البترول متعاقدة مع دولة اليهود ـ.

وكانت المخابرات الاسرائيلية تراقب عمليات «ايلول الاسود» ولكنها رغم ذلك لم تكن غير مستريحة، لأنها تقوم في النهاية بعمليات في ساحة القتال ضد اهداف اردنية. كما اكتفى المرء بتسجيل كل شيء.

في ذلك الوقت اول ١٩٧٢، لم يكن الاسرائيليون يعرفون مَن وراء هذه المنظمة ولكن اختفى التبلد الاسرائيلي فجأة، وعندما قدم علي حسن سلامة اولى روائعه وهي خطف طائرة الركاب التابعة لسابينا ـ والمتجهة الى تل ابيب. ولأول مرة يأتي اسم علي حسن سلامة على لسان الناجيتين. ومن الآن بدأ المرء نسبيا يجمع كل الإشارات من أيلول الأسود ولأن هذا كان متأخراً جداً كانت الاستعدادات للهجوم على الفريق الأولمبي الاسرائيلي تجري على قدم وساق كما كان الوقت متأخراً جداً أيضاً لمراقبة المؤتمر الفدائي «بدوية».

ففي مايو ١٩٧٢ دعى جورج حبش وجبهته الشعبية نواب المجموعات الانتحارية الخطيرة في مخيمات اللاجئين في شمال لبنان، وشملت نوابا للخلايا الثورية الألمانية وللجيش الجمهوري الايرلندي IRA والجيش الأحمر الياباني واحدى الجبهات التي تسمى الجبهة الشعبية لتحرير تركيا، واخوانهم في النضال من الايرانيين. وأناب «ابو اياد» عن ايلول الأسود وكذلك علي حسن سلامة وفؤاد شمالي الشديد المراس.

وفي البداية توطدت العلاقة بين أيلول الأسود والجبهة الشعبية وبحث ابو اياد ورئيس العمليات الخاصة في الجبهة الشعبية معاً لوقت طويل تفاصيل التعاون في مجالات الاغتيالات. لأن الفلسطينيين ارادوا بذلك تدعيم اتصالاتهم العالمية وايجاد قاعدة للعمل مع المنظمات الأخرى.

لقد كانت فكرة جورج حبش، ان يتعاون بشكل اقوى مع رجال من العرب والآسيويين، فاليابانيون والألمان ربما يكونون في بعض العمليات اقل الفاتاً للنظر. وبالتالي لا يسلطون الشبهة على الفلسطينيين وقد يستطيع البعض، وهذا منقول من خلال حجج لجورج حبش، ان يتناوبوا بالتبادل في بعض الحالات. ووجدت هذه الفكرة اعترافاً جماعياً. واختفى المشاركون في الاجتماع كما جاؤوا في منتهى السرية والخفة.

وتحولت بالفعل قراراتهم الى حيز التنفيذ بعد ذلك بأيام قليلة. حيث قام اليابانيون

الذين هم أنشط العناصر في ذلك المسرح، بمذبحة الوافدين الى مطار تل ابيب، ولم يكن لدى المخابرات الاسرائيلية معلومات عن علي حسن سلامة، وصار البحث بحرية واسعة حوله، وأمرت غولدا مائير رجالها بأمر واحد بقولها (أعثروا على هذا الوحش الدامي وبالأمر اقتلوه) بسبب احداث الأولمبيات في ميونخ. ومن يومها بدأ اغلى بحث عن انسان في العالم.

الباب الثالث

حقبة السبعينات

الفصل السابع

اخطاء قاتلة في ليلهامر

(١)

عمليات هاراري وسلامة:

كانت عملية ميونخ مبعث راحة نفسية لعلي حسن سلامة وصارت المانيا الاتحادية نقطة الانطلاق لعمليات المقاومة بين رجال (علي حسن سلامة) ورجال هراري، وصارت مكاناً لتواجد جوازات السفر المزورة، وقد تم استخدام ست جوازات سفر مزيفة في هذا التخطيط. اختار منهم ثلاثة مطابقين للجوازات اللبنانية، كما استطاع ان يختار ايضا اثنين من جوازات السفر الخاصة بايطاليا، وواحداً خاصاً بفرنسا.

وفي احدى المرات سمي عبد القادر ميدان، ثم غيّره من جديد إلى أحمد بلقاسم، وعندما خرج من برلين الشرقية الى الغربية، لاحظ سلامة توتراً بشكل غير عادي في الجو.

والفلسطينيون ليس لديهم اي اوراق جيدة. والمئات منهم، ومعظمهم اعضاء في اتحادات الطلبة، قد تم اخراجهم من المانيا الاتحادية.

وتوارى علي حسن سلامة من هذا التيار المعادي للعرب، وعاد الى بيروت. وفي الرسائل الأولى التي استلمها هناك، معالجة وضع موت العميل الاسرائيلي زادوك اوفير.

في ١٠ سبتمبر اطلق رجال سلامة النار على رجل الموساد المقيم في بروكسل. واستعمل رئيس عمليات «ايلول الأسود» وسائله التالية: فقد جاءت عدة طرود قنابل من امستردام الى العديد من الاسرائيليين وقد قتل احد هذه المظاريف المحشوة جدا د. آمي شيشوري الملحق الزراعي في سفارة لندن. وقد نفذ صبر هاراري. وبدأ تبادل الهجمات الدموية في كل مكان بين قسمه الخاص والفدائيين التابعين لسلامة.

ان الاسرائيليين كانوا على أهبة الاستعداد، وقد نجحوا اخيرا في ان يلاحظوا ملامح عدوهم من بين المنتشرين تحت راية «ابو اياد» ولإثبات ذلك فقد وجهوا صورة لعلي حسن سلامة والخلفيات الأولى عن وجوده الى مجلة «كويك» الألمانية المصورة والنسخ الأصلية: (هو يحب الحياة الرغدة، ويرتدي فقط بدل تفصيل، وهو يشرب الشامبانيا في احسن حانات العالم. ومع ذلك فوراء قناع الرجل المنغمس في الملذات يخفي واحداً من اعنف واشد مدبري الاغتيالات في عصرنا هذا).

واصبح لملف سلامة في الموساد اسم شيفرة. فمن الآن فصاعدا يصبح الحديث

فقط عن «الأمير الأحمر» لأن لديه الكثير من الدماء، وبرنس (امير) لأن علاقته بعرفات معروفة كما لو كان ولياً للعهد. كان أمر غولدا مائير بالايقاع بكل المسؤولين عن عملية ميونيخ، يعد موجها ضد كل قيادة فريق «ايلول الأسود» وفي المقام الأول «علي حسن سلامة». وكان الأمر جاداً واتضح ذلك في ١٦ اكتوبر ١٩٧٢.

في هذا المساء تم إغتيال أول القائمين بأعمال سلامة في اوروبا عبد الواحد زعيتر، عمره ٣٨ سنة، مقيم بإيطاليا منذ ١٩٥٦ ولم يلاحظ الفلسطيني النحيف في الوقت المناسب ان فريقاً من الاسرائيليين يرقبونه طوال اليوم، وان سيدة جذابة ترتدي باروكة صفراء تسأل عنه الجيران في حي بيزة الروماني. وقع في المحظور بدون سابق انذار، حيث قام رجلان وسيمان كانا يتربصان له في الممر المظلم لشقته، وأطلق عليه الرصاص لدى وصوله مباشرة.

واستطاع مايك هاراري ان يختبر لأول مرة استخدام بنيته في موضوع متعلق بالموت. وسارت العمليات الانتحارية مثل الساعة فالتخطيط ينجح ثم يتم التحفظ عليه، وفريق هاراري الذي لقبته وسائل الاعلام فيما بعد باسم يوحي بالفزع «غضب الله» ينتمي الى قسم الموساد المتناهي السرية ميتسادا الذي هو من ناحية اخرى تحت قيادة اركان حرب مباشرة، وهذا يعني ان مدير الموساد ونائبه والملحقين بهم في مواقع تنظيم، كل العناصر النشطة في جهاز المخابرات فقط، هم الذين يعرفون قرار «ميتسادا».

وقد ذكر فيكتور استروفيسكي احد اعضاء الموساد السابقين، في كتابه عن الوكالة حادثة كتوضيح للسلوك التالي «المنطقي» لجهاز الموساد الاسرائيلي. عندما ضاع كتاب الشيفرة الخاص بمركز الموساد في لندن سنة ١٩٨٤ كان لا بد من تغيير أسماء كل الأقسام. فمن اسم «ميتسادا» أصبح آنذاك تعني إلى حد كبير «الاستقلال بقيادة عليا». كما كانت «ميتسادا» دائما موساد داخل الموساد. هذا القسم كان مرتبطاً بالقيادات العليا فقط. ولم يكن لديه شيء يفعله تجاه العمل الروتيني لاحدى وكالات الانباء.

فهنا يتم ارشاد العملاء الى ان عليهم ان يتلاقوا في الصفوف المتقدمة داخل الدول العربية، هنا ينسق البعض العمليات السرية للموساد. وأصبح يقينا انه يوجد في «ميتسادا» اقل عدد ممكن من المطلعين وكان ملحوظاً في نفس الوقت ان «ميتسادا» عبارة عن قسم مزدوج، وان النصف الثاني يقوم بعمليات، اذا ما كان هذا ممكنا بشكل تام، ولكن بسرية وتخفي اكثر من ميتسادا.

فكان الأمر متعلقا بالفريق «فريق القتل» سفراء هاراري للانتقام. جاؤوا من العهد القديم في احد اقسام الموساد. ضم اليهم ايريكا تشامبرز. كان اسم هذه المجموعة كيدون وترجمته يعني «الرمح»، وقد كان رمحا صائبا، حيث استطاع مرة بعد مرة أن يمحي القيادة المحركة «أيلول الأسود» كلها.

فقد كانت فرق الاغتيالات في فترة السبعينات تعني ايضا بالنسبة لوكالة مخابرات غنية مثل الموساد الذي يعين ١٢٠٠ موظف ولديه ميزانية تقدر بحوالي ١٥٠ مليون دولاراً أميركياً حملاً ثقيلاً.

وفي مرحلة ما بعد ميونيخ اصبح لفرق الاغتيالات نوعا من الهيبة الخارجية ولا تسمح لأحد حتى من داخل الوكالة ان يوجه لها اسئلة. وقد كانت هناك ست فرق «اغتيالات» في مرحلة ذروة الانتقام، يديرها كلها مايك هراري وكان احد مستشاريه

المقربين رجل الموساد الأشيب «ايمنينز رافيء ايتان» وكان اعضاء هذه الفرق لا يعرفون بعضهم البعض وحتى لو حدث، فهو من خلال الرموز الفردية فيما بينهم. وهم لا يعرفون شيئا حتى اللحظة الأخيرة عن المهمة التي سيختصون بها ولا عن مواقع الاحداث. ويقول اوستروفيسكي عن الحالة التي تسمى «الذراع الطويلة للعدالة الاسرائيلية»:

(تدرب اثنان من هذا الفريق في اسرائيل بطريقة طبيعية، وتواجد احدهما خارج البلاد، وهما لا يعرفان شيئاً عن الموساد).

وعما اذا كانت لا تزال موجودة هذه الفرق حتى اليوم فقد برهن على هذا بلا شك قيام احدهما، باغتيال نائب عرفات ـ ابو اياد ـ فيما بعد، هي وسايربيت ماتاكال.

ان قدرة اسرائيل، على القتل بسرعة واتقان متناهي، ثم الاقلاع عنه نظرا للتغيرات الجذرية في المناخ السياسي.

ويضم فريق له «كيدون» هذا من اثني عشر الى ستة عشر عميلاً مؤهلاً وغير مسموح لأي منهم مبدئياً أن يكون له عمل اسرائيلي أو أن يمتلك أي شيء يمكن أن يكون مرده إلى اسرائيل. من ذلك وبشكل خاص التفكير في قواعد ارتداء الملابس، الأمتعة أو الخطابات اشياء ـ لا يراعيها المرء عن وعي تام كل يوم، ولذلك لا يبتعد عنها. وعملاء «كيدون» يتقنون لغات اجنبية وغالباً ما تكون لغتهم الأصلية. فبالنسبة «لوان اربيل» كانت لكنته الانكليزية لها صدى اسكانديناڤي، لأنه مولود في الدانمارك. كما ان سيلفيا رفائيل لم تستطع التخلي عن لكنتها الجنوب افريقية. وهذا هو نفس الحال بالنسبة لانكليزية ايريكا تشامبرز المتأثرة بلندن.

كانت هذه احدى الأفكار الاساسية في تخطيط هاراري، وفي الغالب كانت تؤدي الغرض المطلوب.

في سنة ١٩٧٦ افتتح مراسل الفريق السابق دافيد ب. تنييني احد الأبنية لفرق الاعدام. والعلم بالمجموعات الخمس الاستراتيجية لأحد هذه الفرق لم يضف شيئا جديدا في طبقة اليوم: (الف الحرف الأول في الأبجدية العبرية Aleph) ويتكون من قاتلين، ليسا مجندين من صفوف الموساد ولا من احدى وحدات الصفوة العسكرية، ويتضمن تدريبهما على هذا النوع من الاغتيال الغير مسموع، وعلى العكس من جنود المعارك الحديثة، الذين نادراً ما يلتقون بعدوهم وجهاً لوجه. فالرجلان يجب أن يقوما بالقضاء على أعدائهم ويسمعان منهم ـ وهما يقتلان عن قرب شديد بالمدفع الرشاش ـ صرخات الموت، وفي الوقت الذي تستنزف فيه دمائهم تحت طلقات الرصاص. وتحت هذا الاستخدام الشخصي المباشر جدا يعتبر القتل تجربة مخيفة، ويجب على الألف ان يكون لديه الدافع القوي لها او ان يكون بلا مشاعر، والأفضل ان يكون كلاهما معا.

Beth بت (حرف الهجاء الثاني) ويتكون من اثنين من الحرس الخصوصيين، يتعاونان مباشرة عن طريق «الف». فبينما يقوم القاتلان بإنهاء المهمة، يهتم رجلان بالبحث عن طريق الفرار، وفي حالة وقوع صعوبات فإن رجلي بت يسرعان لنجدة رجلي الف ومن المفروض ان يكون رجلا بت ممن يطلقون النار على افضل وجه كما يكون في حوزتهما بنادق آلية. ويجب ان يكون احد رجلي بت سائق درجة اولى (والموساد يعطي

دروسا خاصة لتعليم القيادة السريعة وفنون التزويغ).! ومحظور تماما على رجال «الف» و«بت» الاتصال بالأعضاء الآخرين للفريق.

والحق انه في حالة القبض على القتلة او الحراس الخصوصيين كان الآخرين قد لا يستطيعون التعرف عليهم، اذا ما افتضح أمرهم.

(هث Heth) (الحرف الثامن) ينظم الاطار الخارجي، من بين ذلك توفير الحماية لباقي اعضاء الفريق ليستطيع انجاز مهمته. ويتكون هث من شخصين وغالبا ما يكونان رجلاً وامرأة، لأن الزوجين يلفتان النظر بدرجة اقل بكثير من رجلين معاً. و«الهث» يؤجر السكن ويحجز غرفة في فندق وسيارة اجرة ويمد كل مجموعة بضرورياتها. ولأنهما يتعاملان مع الجمهور فعليهما الا يكونا ذا مظهر عام مشابه لأهل البلد الذي يقيمان بها فحسب، ولكن لهما ايضا خلفية يومية من خلال عمل يمارسانه بتقان خاص، لا يدع اي مجال للإشتباه في وجود علاقة مع اسرائيل.

(عين Ayin) (الحرف السادس عشر) يتكون من ست الى ثمانية اشخاص، ويلعب دوراً هاماً، فعليهم ان يلاحظوا الضحية ويراقبونها حتى يحددوا المكان الصحيح والوقت المناسب لتنفيذ عملية الاغتيال، كما يغطون طريق الفرار، الذي من خلاله يغادر رجال الف وبت الموقع بأقصى سرعة.

قوف Oleph (الحرف العاشر) يهتم بتبادل الأخبار ويتكون بشكل عام من رجلين. احدهما يقوم بالحفاظ على الصلة بين المخبأ السري الواقع بالقرب من مسرح الأحداث وبين المجموعة. والآخر، ويكون ملتحقا بالسفارة الاسرائيلية لفترة، يقوم بدور الرجل الوسيط بين رجل الأول وبين مراكز الموساد في قلب اوروبا. تلك التي على علاقة مباشرة بالمركز الرئيسي في تل ابيب.

وقد علم هاراري، مدى صعوبة السيطرة على كل هذه الوظائف والمرشحين المثاليين لكل من «الف» و«بت» وهم عملاء لهم قصص جيدة، وعلى علم ممتاز باللغة والمجريات العالمية. ومن أجل رفع حالة الطوارىء الشخصية الأولية يسترجع الموساد دستة من عملائه الى الوطن، ولا يلبث ان يرسلهم للحصول على دروس في احد مراكز التدريب في ميناء قديم، ويعلمون ان فريق هيث يسافر دائما في الطليعة، وفي اعقابه رجال «عين» والعملاء الذين من الف وبت يأتون في النهاية. وعندما تتم المهمة، يختفون هم كأول اناس ثم تنسحب قوات عين بعد ذلك. فالانسحاب المنظم ضمان للفريق بالكامل.

ويترك عملاء اسرائيل في روما فقط احدى «تذاكر الزيارة» وهم يستعملون مسدسات برتا اليدوية الصغيرة عيار ٢٢,٥ ملم. وكلا من قاتلي فريق الف يطلق ست رصاصات على الهدف ـ السيد زعيتر ـ باستخدام ذخيرة خاصة مكونة من خليط مسموم خفيف وقليل من الحشو الناسف. وهذا ما يخفض من الفرقعة وعلى ان تنفذ احدى القذائف في احدى جيوب الجاكيت الداخلية للرجل. وبذلك تكون قاتلة: الاسرائيليون يقتلون عن قرب مطلق وبطريقة لا يحس بها مخلوق.

وانتظر مايك هاراري، باعتبار انه هو ورفيقة طفولته تمارا يمثلان فريق بت، امام مدخل (C) للمنزل. كانت عملية التمويه متقنة فقد كانا يجلسان في سيارة فيات ١٢٥ خضراء ويقبلان بعضهما البعض بعمق. وعندما انحشر القاتلان الجباران في الكنبة

الخلفية، انطلق مايك هاراري بأقصى طاقة للبنزين. كان هناك واحد عنيف يراقب من إحدى سيارات الأجرة التي كانت تركن بالقرب، رجل في منتهى التأثر خلال المشهد: هو جنرال زيفي زامير. فقد كان يريد عن وعي تام ان يعايش هذا الواقع فعليا هو ورئيسة الوزراء نفسها، علاوة على ذلك فهو يعلم ان هذا يرفع الروح المعنوية ويولد الارتباط بين العملاء والقيادة.

توقف مايك هراري بالفعل بعد ٣٢٠ مترا واستبدل سيارته بسيارة اخرى مع رجاله ولم يظهر على السيارة الفيات المتروكة أية بصمات. ومع ذلك فقد فَقَدَ أحد رجال فريق الف مسدساً، وجده البوليس فيما بعد. لذلك ركب المنفذون لعملية الانتقام الاسرائيلية الطائرة وغادروا ايطاليا لفترة طويلة. ولم تستغرق زيارتهم للمدينة العريقة اكثر من خمس ساعات واحتفل معهم مايك هراري بأول نجاح، هذا الكندي القادم من تورنتو والبالغ من العمر ٤٧ عاما، والذي دخل تحت اسم انتوني هوتن.

وقد بدأت في نوفمبر عملية جديدة. لم تتضح خلفياتها حتى اليوم. ثلاثة من العرب تسللوا الى شقة الصحفي السوري خضر كانو وأطلقوا عليه النار. وفر الثلاثي في سيارة بيجو ٣٠٤. وقد اثبتت تحريات البوليس الفرنسي ان كانو كان يتتبع آثار «ايلول الأسود» لأنه يريد الكتابة عن الجناح المتطرف لمنظمة التحرير. ولسوء الحظ تحمل اغتياله احد عملاء الموساد. وآخرون اعلنوا عن رؤية اقل اقناع، بأن السوري ينتمي الى اتباع «بوضياء» المخلص لسلامة. وربما لذلك تتبعه الاسرائيليون. ومهما كان الذي حدث فهو لا يزال غير واضح. وعلى العكس من ذلك فقد لا يكون للاحتمالات مجال في موت د. محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير و«فتح» في السين.

جاء عليه الدور في ٨ ديسمبر ١٩٧٢ فقد وجد فريق هاراري في ملفاته ان مندوب منظمة التحرير متورط في هجوم مخطط على داود بن غوريون في الدانمارك وكذلك هجوم بالقنابل على احدى الطائرات التابعة لسويس اير ونتج عنه موت ٤٧ قتيلاً..

بدأت العملية بمراقبة نسبية لعادات الهمشري عن طريق الفريق «عين» وبعد ذلك اتصل الاسرائيليون بحكام منظمة التحرير. حيث ظهر رجل على انه صحفي ايطالي ويتمنى الحديث مع الهمشري. وتواعد الرجلان على اللقاء في اليوم التالي. وخلال اللقاء اصبح سكن الفلسطيني مهجورا، لأن زوجته وابنته تعرضتا لعمل ارهابي قضا عليهما بطريقة ما. وقد استخدم في هذا فريق تكنولوجي من مجموعة هاراري وقد انجز الفريق عمله بمنتهى الدقة والهدوء. حيث وضع العملاء قنبلة وثبتوا فتيلها بطريقة متطورة في التليفون.

وقد وقف امام المنزل نصف دستة من رجال فريق للحراسة. وبعد مرور ٢٤ ساعة تواجد الهمشري وحده بالمنزل. ورن التليفون وعرف الفلسطيني في نهاية الأمر انه على اتصال بصحفي اليوم الأسبق وسأله هذا بصوت متردد وبطريقة باردة: «هل انت فعلا الدكتور الهمشري؟».

وكانت الاجابة متعجبة لمندوب منظمة التحرير: «طبعا أنا».

وبعد ذلك بدقيقة سمع صفارة عالية وطويلة. وانفجرت القنبلة وأصابت الرجل اصابة مميتة من خلال التليفون.

ومات بعد أن قص حكاية الصحفي الإيطالي المزيف. ثار علي حسن سلامة عندما جاءه احدث خبر مشؤوم من باريس. فقرر ان يرد وينفذ العمل العظيم المنتظر «لأيلول الأسود» انتقام فلسطيني جديد ضد الانتقام الاسرائيلي.
وجاء الانتقام هناك، حيث لا ينتظره احد - في بانكوك. اقام السفير الاسرائيلي ريهافام امير وزوجته حفلا في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢ وتواجد من بين المدعوين السفير الاسرائيلي ايضا لكمبوديا سيمون اثيمور. وفجأة امتزج رجلان انيقان، ولكنهما مع ذلك غريبان، بالمدعوين وفتحا الباب لرجلين آخرين، احضرا معهما مسدسات آلية. وقد هددوا بذلك الجمع الدبلوماسي. واخذوا الاسرائيليين كرهائن وأرسلوا التايلانديين الى منازلهم وأخيرا تحصنوا برهائنهم الست في الطابق الثاني للمنزل وعرف الفدائيون عن انفسهم على انهم من «ايلول الأسود» ويطالبون بإطلاق سراح ٣٦ من رفاقهم في النضال من بينهم السيدتان اللتان ظلتا على قيد الحياة بعد عملية خطف طائرة سابينا، وكذلك الياباني كوزمو أوكاماتو الناجي من عملية مطار اللد.
واعلن قائدهم، ان الفرقة الانتحارية قد تنسف السفارة كلها اذا لم يتم اطلاق سراح اصدقائهم او اذا حاولت شرطة تايلاند اقتحام السفارة.
وبدأ التقليد القديم من المفاوضات التي تستغرق ساعات. وشارك الى جانب رئيس اركان حرب في الجيش التايلاندي، نائب وزير الخارجية والسفير المصري في بانكوك، وتردد انهم أفصحوا للفدائيين عن ان عمليتهم تدمر المعبد المقدس لتايلاند. ففي هذا اليوم سيتم اعداد ولي العهد ليتولى منصبه الجديد كحاكم لتايلاند.
واستسلم الفدائيون بعد ذلك بتسعة عشر ساعة تحت ظروف غامضة. وكانوا على استعداد لاطلاق سراح رهائنهم، اذا ما كان من المحتمل السماح لهم في مقابل ذلك بمغادرة البلاد. وهذا ما حدث بالفعل. ورافق الثلاثة المشاركون في المفاوضات، مقاتلي «ايلول الأسود» الى القاهرة.
وعندما اعلنت اسرائيل بعد ذلك في ٥ يناير ١٩٧٣ انها سوف تطلق سراح جثتين من جثث الفدائيين القتلى، ارتبك علي حسن سلامة ورجاله في قيادة «ايلول الأسود» وقد اتهموا رجالهم بأنهم يخطئون خطأ جماعياً. فمن غير المسموح للفدائيين بأن يتراجعوا ابدا. والآن فقدت منظمة التحرير وضعها بذلك.
ففي نفس الشهر خسرت ايضا علاقاتها المباشرة بوكالة المخابرات السوفياتية وقد أثبت الاسرائيليون على مدى طويل بالتجربة ان منظمة التحرير ووكالة المخابرات السوفياتية يحرصان على وجود اتصالات وطيدة. ولذلك فهي تدور حول تبادل المعلومات عن الشرق الأوسط وكذلك حول تدريب المقاتلين الفلسطينيين في الاتحاد السوفياتي وحول الامداد بالأسلحة، ويتم بحث كل هذا في المبنى الرئيسي للوكالة السوفياتية في جزيرة قبرص. ورجل الاتصالات لمنظمة التحرير يدعى حسين عباد الشير وعندما حدده رجال هاراري بصعوبة، لم يغب بعد ذلك عن الأعين. وبحث فريق من عملاء هاراري عادات هذا الرجل الوسيط وفتشوا حجرته في فندق اولمبيك في نيقوسيا. وبعد ذلك سافر ميكي هاراري ومعاونه «جوناثان انجليبي» ونزلا بفندق اولمبيك ايضا. وبعد ذلك في ليلة ٢٤ يناير عاد «الشير». كان متعبا من طول المفاوضات مع جنرال وكالة (K.G.B) المقيم في نيقوسيا. لذلك رقد لينام على الفور. اطفأ الفلسطيني النور

وغاص في لحظة تحت الغطاء. وقد كان رجال هاراري قد راقبوا غرفة «الشير» ووضعوا عبوة ناسفة تحت سريره، تنفجر باللاسلكي.

ويجهز سلامة لعملية تالية. كان عميل الموساد باروخ كوهين هو الهدف. سافر كوهين الى اسبانيا، ليفوز ببعض الطلبة الفلسطينيين كمصدر للمعلومات وكان يريد ان يعرف ايضا بذلك بعض الخلفيات عن شبكة «ايلول الأسود» وقد واعده احد محدثيه ليلقاه في مقهى في جراندفيا. وعندما رأى كوهين الرجل، اوجس في نفسه خفية: فوضع يده بحرص وامسك بجيب معطفه - ومع ذلك فالوقت لم يسعفه ليسحب مسدسه - فقد كان الفلسطيني اسرع: حيث اشهر سلاحه الخاص وضغط على الزناد فأردى كوهين قتيلاً.

وقد اتهمته «أيلول الأسود» فيما بعد في بيان لها، بأنه المسؤول عن اغتيال «زعيتر» و«الهمشري» واشعل موت كوهين موجة صدمات بين رفاقه في «ميتسادا» و«كيدون». فقد علموا بشكل ملح: انهم ليسوا بالحرص الكافي.

في ١٥ فبراير وضعت قنبلة من نوع آخر تماما. وفي عمان تم إلقاء القبض على (ابو داود)، احد قيادات «أيلول الأسود» ومسؤول عن عملية ميونيخ هو وستة عشر فدائياً آخر. كانت السلطات الأردنية التي استطلعت بالفعل عن احد مواقع «ايلول الاسود» التي دبرت للحادث. فأبو داود الذي يسمى في الحقيقة محمد داود عودة، سيتم لقاؤه وهو في زي شيخ سعودي وبصحبته فتاة شابة تبلغ خمسة عشر عاماً. والفتاة تدعي انها زوجته شرعاً. وكلاهما موجود للتجسس على احدى مباني الحكومة. وبالتفتيش عن جواز السفر العماني الخاص بأبو داود تأكد البوليس من أن الأوراق تشمل ستة أطفال. ونظراً لسن الزوجة اتضح أن هذا غير مقبول. علا الشحوب وجه الفتاة وسقط منها سلاح كانت تحمله تحت ثيابها الفضفاضة.

من ذلك رواية ابو اياد:

تم إرسال مجموعتين من المقاتلين المجربين الى عمان. المجموعة الأولى مكلفة باحتلال السفارة الأميركية والإمساك بالسفير الأميركي ومعاونيه كرهائن وسيتم تبادل هؤلاء مع معتقلين فلسطينيين؛ وإذا ما فشلت هذه المهمة فقد تقوم مجموعة أخرى باحتلال مقر مجلس الوزراء، وتخطف اعضاء الحكومة للوصول الى نفس الهدف. وقد تم اختيار صديقي ابو داود لهذه المهمة الدقيقة، وهو معروف في حركات المقاومة، بعدم التزامه بأي شروط وكذلك بشجاعته. وقد قاد الميليشيات التابعة لنا في الأردن، قبل ان يصبحوا فدائيين.

وقد قدم خدمات عظيمة خاصة في موقعة «عمان» في سبتمبر ١٩٧٠ وهو يمتلك ذاكرة عجيبة تمكنه من تذكر اسماء كل الشهداء ورواية كل شيء عن اصلهم وماضيهم، ولأنه في العاصمة الأردنية معروف جداً بالنسبة للشعب او بالنسبة لسلطات الأمن وقد اعد لمهمته لأشهر عديدة ولكنه فشل واعتقلته قوات الأمن الأردنية وتعرض لتعذيب بشع اعترف فيه بتفاصيل عمليات وأوضاع منظمة ايلول الاسود ودور ابو اياد في ذلك. وحاول الفلسطينيون من خلال الخطط التي وضعوها في حي الفاكهاني ان يطلقوا سراحه، ولكنهم فشلوا في ذلك.

(٢)
بين روما والخرطوم وقبرص

كانت اهم محاولات الافراج عن ابو داود قادمة من مصر، وهي التي احدثت اثرا لدى الأردنيين فلم يكن لأحد ان يتقدم وله نفوذه العظيم مثل الرئيس السادات الذي توسط وبإلحاح شديد لدى الملك حسين يرجوه الحفاظ على حياة ابو داود وشركائه. وتدخل كذلك زعماء سوريا وليبيا.

وعندما تقدمت رئاسة السوفيات في موسكو بنفس العرض، لم يستطع الأردنيون الجدال، كدليل واضح على ان السوفيات كان لهم نصيب كبير في العنف الدولي لا سيما العنف الفلسطيني، اكثر مما كانوا يدعون.

غادر ابو داود السجن الأردني مرة اخرى في سبتمبر ١٩٧٣ حيث تم العفو عنه مع ٧٥٣ سجيناً آخرين بمعرفة احدى منظمات حقوق الانسان.

في ١ مارس ١٩٧٣ نظم علي حسن سلامة عملية رائعة، ظهرت خلالها أخيراً او بدون تحفظ صلة القرابة الوطيدة بين منظمته وبين فتح. كانت ليلة ربيع دافئة في عاصمة السودان الخرطوم، حيث اقام السفير السعودي، حفل استقبال دعى خلاله جورج مور القائم بالأعمال الأميركي. وحضر عدد كبير من السلك الدبلوماسي لكي يودعوا زميلهم المحبوب. وفي الساعة ١٩، اخترقت فجأة ناقلة تحمل العلامة الدبلوماسية لمنظمة التحرير بوابة الحديقة. وكان على عجلة القيادة الرجل الثالث في تمثيل المنظمة فقفز هو ورئيسه التالي في السفارة وسبعة من الفدائيين من الناقلة وأطلقوا الرصاص دون تحذير مسبق من كل الماسورات.

وبما أنهم لم يبذلوا جهداً مطلقاً في التفتيش فقد أصابوا بطريقة ما، ملحق السفارة البلجيكية، جاي ايد في قدمه وتفشى الذعر بين العديد من المدعوين. وقد نجح البعض في القفز من على السور وساد الهرج والمرج في كل مكان. في حين ان البعض، وبينهم عائلة السفير السعودي تم وضعهم تحت الحراسة المشددة الآن، وتقييد جزء منهم. ربط الفدائيون «مور» وسفيره «كلو أ. توبلجو» مع بعضهما البعض، وأساؤوا معاملتهما. وبعد برهة أطلقوا سراح العرب وكذلك الدبلوماسيين من اوروبا الشرقية والنساء والأطفال.

وقد أقر ابو اياد في مذكراته ان قيادة أيلول الأسود علمت مدى قلة استعداد الملك حسين الاستسلام لأحد الضغوط، حتى ولو كان نصف الشعب الأردني سوف يضيع مبدئياً. لذلك قرر البعض: ان يضغط على الولايات المتحدة لتمارس ضغطها عليه.

ويقول ابو اياد عن اختيار الرهائن خلال عملية الخرطوم.

(كان هدفهم القائم بالأعمال الأميركي، الذي كان معتمداً قبل ذلك في الأردن، وكان ضمن المسؤولين عن الاستعدادات لحرب ١٩٧٠). دافع لم يكن أحد ليفكر فيه آنذاك.

ويأتي الطلب الآن: خلال الـ ٢٤ ساعة التالية، لا بد ان يتم اطلاق سراح عدد من المعتقلين، من بينهم قاتل «كيندي» «سرحان بشارة سرحان» وكذلك كل النساء المعتقلات في اسرائيل، ومعهم مرة أخرى كلتا الناجيتين من خطف طائرة سابينا.

واعضاء عصابة بادر ماينهوف الألمانية، وبالطبع من السجون الأردنية ابو داود وشركائه الستة عشر. وكذلك احد الضباط الذي كان قد شارك في تآمر ضد الحكومة في عمان.

كان أتباع العملية الانتحارية في الخرطوم عليهم مسحة عسكرية، فهم يصيحون ويهددون بأسلحتهم ويلعبون العابا بهلوانية بالقنابل اليدوية. ولكن في نفس الوقت هم مقيدون ويقفون من أجل اتصال تليفوني دائم مع مقر منظمة التحرير في حي الفاكهاني، ويستمعون بمساعدة جهاز استقبال قصير الموجات لأخبار بالشيفرة وربما قبل كل خطوة عليهم أن يسألوا ابو اياد وعلي حسن سلامة ويوسف النجار من أجل السماح لهم بها.

وبدأت اللعبة القديمة بين القط والفأر. وقد قاد وزير الداخلية السوداني المفاوضات ولم يستطع الحصول الا على الرفض القاطع من شركائه في المباحثات في عمان وربما لم يرد سؤال مطلقا عن التباحث مع اسرائيل، لأن السودان قد لا تستطيع اجراء اي اتصالات مع العدو الصهيوني.

كما ان السؤال عن الألمانيين ظل باقياً، لأن سفير المانيا الاتحادية، غادر الاحتفال قبل ساعة ولذلك لم يستطع احد اعتقاله كرهينة. وبما ان لديهم دبلوماسيين اميركيين فقد وجه الفدائيون مطلبهم للحكومة في واشنطن وقد أكدوا ما كذلك أنهم لن يتنازلوا عن السفارة ولا عن الرهائن، (قبل ان يتم اطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين من سجون النظام الأردني).

ورد الرئيس الأميركي آنذاك ريتشاد نيكسون على طلب «ايلول الأسود» بكلمات صارمة، ومع ذلك فقد سافر وفد اميركي للتفاوض الى الشرق الأوسط، هذه المرة اراد علي حسن سلامة رغم كل شيء ان يتخذ مسلكاً صعباً. فقد اوعز لرجاله في الخرطوم ان يوصلوا خبراً:

(لقد أمرتنا المنظمة ان عملية النهر البارد تستمر برقم واحد واثنين وثلاثة). والنهر البارد هو اسم مخيم فلسطيني في شمال لبنان، كان فيما مضى يستخدم كمركز لتدريب رجال «أيلول الأسود» والجبهة الشعبية. وقد قامت وحدات الصفوة الاسرائيلية بمهاجمته قبل عملية الخرطوم بعشرة ايام وانتقمت من العمليات المضادة لها.

في ٢ مارس مساء حوالي الساعة ٢١,٣٠، تم احضار السفير الأميركي ونوابه والسفير البلجيكي الى الطابق السفلي. وقد سمح لكل من الثلاثة ان يوصي بوصيته ويودع مضيفه السعودي بالكلمات الجياشة، فقال السفير الأميركي لرب البيت: (كم يؤسفني ان يحدث هذا، ولكن دعني اؤكد لسيادتكم، انه ليس ذنبكم). ثم تم اعدامه بأربعين رصاصة، أطلق الفدائيون النار من أسفل إلى أعلى. أولاً في ركبتيه وبعد ذلك على جسده.

في تلك الأثناء جاء أمر بأن اغتيال الرهائن الثلاثة سيتم بواسطة رسول خاص. وقد أرسل علي حسن سلامة الخبر الشيفرة لدى السفارة السعودية في بيروت ومعه ايضاح بأن هذا انذار لإنهاء العملية. وفجأة كان ياسر عرفات شخصيا على التليفون. وسأل زعيم الفدائيين، عما اذا كان يستوعب كل شيء هنا. وتساءل عن مصير الرهائن السعوديين والأردنيين، وقال انه لا يجب ان يحدث لهم شيء وانهم هم وباقي الرهائن سيتم اطلاق سراحهم ولضمان امنهم يغادرون البلاد الى ليبيا أو مصر.

(وتتيح لكم السلطات السودانية بعد ذلك، ان توضحوا قضيتكم للجماهير الغفيرة

من السودانيين وكذلك للرأي العام العالمي).
والآن تسلط السودانيون المذعورون بعناء وأكدوا للفدائيين انهم لن يسمحوا لهم أبداً بمغادرة البلاد. وبعد ذلك بحوالي ستين ساعة استسلم الفدائيون بعد مفاوضات لا جدوى منها.
ويبرر ابو اياد الاحداث التي انتهت بنهاية حذرة.
واضعو (العملية كان لديهم بلا شك نية في اعدام رهائنهم. فبعد ان أبى الملك حسين الاذعان لطلبهم - ماذا يتبقى لديهم - بعد وقوع امر صريح من الرئيس الأميركي هل يطالبون بطائرة لنقل رهائنهم الى واشنطن، الى حيث يتفاوضون من جديد ويعرضون قضيتهم امام الرأي العام الأميركي). سيان - طالما ان هناك رهائن في قبضة اليد - فالدوافع والظروف سوف يتم تجهيزها دائما طبقا لذلك.
وأجرى الوسطاء السودانيون اتصالات هامة من جديد، كان الهجوم منظم من قبل رئيس مكتب منظمة التحرير لهذه المنطقة، فواز ياسين (ابو مروة)، فقد قام بتمرير الفدائيين الست الخارجين من بيروت هم واسلحتهم من خلال المنطقة الأمنية، ونزلوا بعد ذلك بليبيا. واسفرت عملية التحري لمكتب المنظمة، عن ان «ياسين» ترك توجيهات باغتيال سفيري المانيا وبريطانيا، والقيصر الأثيوبي «هايلاسيلاسي».
وكالعادة فعملية الخرطوم (لم يكن هدفها التسبب بسفك الدماء ولكن هدفها كان تحرير أبطالنا المسجونين وبسبب التكبر والتعالي للإمبريالية الأميركية.. قام ثوارنا بتنفيذ عقوبة الاعدام ضد ثلاثة رهائن.. فالولايات المتحدة كان لها نصيب في التآمر، الذي ادى الى مذابح ضد شعبنا، التآمر ضد امتنا العربية ومعركتنا الوطنية، ونحن نريد ان نؤكد للعالم، ان اتباع «ايلول الأسود» لم يعرفوا الخوف ولن يعرفوه أبداً).
وبذلك اصبحت الحكومة الأميركية هي المسؤولة عن النهاية الدموية لرهائنها وتلاها ادانات جديدة ضد الأميركيين والاسرائيليين واصدقائهم العرب.
وقد عرف المرء ان التأييد العربي يكون في النهاية رغم كل هذا اشد وان الفدائيين ربما لا يخشون لذلك اي عقاب يذكر.
وفي اكتوبر بدأت القضية ضد الفدائيين الثمانية.
وقد تم اطلاق سراح اثنين منهم لعدم كفاية الأدلة. وفي ٢٤ يونيو ١٩٧٤ حكمت المحكمة باعدام ستة منهم، استبدلها الرئيس السوداني في الحال الى عقوبة السجن سبع سنوات. واعلن في الوقت نفسه ان الفدائيين قد يتم تسليمهم الى منظمة التحرير. وفي اليوم التالي كان مسموحا لهم بمغادرة السودان.
وبعد تجربتي ميونيخ والخرطوم اعد الأمريكيون مجموعة عمل على أعلى مستوى واجبها الأول، مراقبة الارهاب الدولي، وتشكيل انماط لمكافحة الارهاب. وتم الحاق هذا القسم بوزارة الخارجية وكان على رأسه الدبلوماسي المحنك آرمين ماير الذي كان يمثل بلاده من بين آخرين كسفير في بيروت.
وقد نظم ماير الذي يجيد العربية اعضاءه النشطين مع وزير الخارجية وليام روجرز، وقد كان فيما سبق مع هنري كيسنجر ومدير وكالة (سي.آي.إي) وليام كومبي رئيس كلانرس كيللي، وكذلك سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة. والآن واجهت اميركا ايضا التهديد المستتر أخيراً.

في أوائل أيام ابريل جدد الفلسطينيون ضرباتهم. في البداية تم اعتقال مقاتلين تابعين للجبهة الشعبية في روما قبل ان يستطيعوا قتل الطوابير التي تقف امام شباك مكتب العال للطيران حيث تم العثور على اربع حقائب بها مواد ناسفة واسلحة في منطقة الاقلاع. وفي اليوم نفسه توقف دكتور «باسل رؤوف القبيعي» في باريس المسؤول من قبل ايلول الأسود عن تخزين الأسلحة في السفارات العربية، داخل العواصم الاوروبية، كان ملتحقا بوظيفة مدنية كأستاذ قانون في الجامعة الأميركية ببيروت. ورغم انه شعر في عاصمة فرنسا بأنه مراقب لكنه لم يعرف، كيف يتخلص من شابين كانا على ما يبدو يتبعانه. كان منتصف الليل تقريبا، عندما عاد «قبيعي» المولود في العراق الى فندقه الصغير بالقرب من قصر الكونكورد. كان كلا الظلان وراءه دائما وقد لف بحرص، عندما لاحظ بأنهما يتبعان خطاه. وقد سار بالغريزة بطريقة اسرع. ولكن هذا لم يفده أبداً. والآن اقتربا منه وتحدثا اليه، فأجاب بالفرنسية، كان صوته عالياً وثائراً وهو يقول: «لا، لا تفعلوا ذلك!» وقد وجه الرجلان سلاحهما عيار ٦,٣٥ ملم على الرجل البالغ من العمر اربعين سنة. فضغطا على الزناد عشر مرات.

في اليوم التالي اعلنت الجبهة الشعبية في بيروت بيانا، قالت فيه: ان القبيعي كان في طريقه لأداء مهمة عاجلة. وقد عرف من دوائر في مخابرات الشرق الأوسط، انه كان هو ومحمد بوضياء، أفضل رجال سلامة، يريدان اغتيال اليهود السوفيات خلال توقفهم في النمسا.

وهاجم كلا الجانبين في نفس اليوم مرة اخرى.

في يوم ٩ ابريل ١٩٧٣، حيث اجاد القتلة التابعين للموساد اصطياد رجل الاتصالات بين منظمة التحرير ووكالة (المخابرات السوفياتية) في فندقه بقبرص جاء الدور على خليفته. فقد تولى هذه الوظيفة «زياد موقاصي» ولم يبدو انه يعتقد في ان الاسرائيليين يستخدمون نفس الحوار مرتين متتاليتين. عاد هو ايضا بعد لقاء مع ممثل وكالة (كي.جي.بي)، ودخل حجرته بفندق في نيقوسيا وبمجرد ان ضغط على مفتاح الضوء، انغلقت الدائرة الكهربائية المتصلة بقنبلة وتمكن زياد موقاصي رغم ذلك من أن يرى الضوء الأبيض الوهاج فقط. وبعد ذلك حولته العبوة الناسفة إلى أشلاء.

في نفس اليوم حاول أربعة اشخاص من «أيلول الأسود» نسف الشقة التي يسكن فيها السفير الاسرائيلي في نيقوسيا ولأنهم لم يتقنوا استعمال عشرين كيلوغرام ديناميت بشكل دائم، اخفقت العملية حيث انفجرت العبوة الناسفة واحدثت فتحة في المبنى، واصبحت سيارة الفدائيين خردة، وبعد ان اطلقوا الرصاص على ظهر احد الضباط القبرصيين، كان عليهم ان يختفوا بسرعة. ولكن تم ضبط ثلاثة من الأربعة الفلسطينيين رغم ذلك، وتمت ادانتهم ولكنهم نالوا العفو في نفس الوقت.

وحاولت فرقة انتحارية بعد نصف ساعة من الهجوم على مقر السفير خطف احدى الطائرات الاسرائيلية في مطار نيقوسيا حيث اخترق تسعة فدائيين باب الدخول بناقلتين. وحدث ذلك مع صرخة متوحشة فقام احد رجال الأمن الاسرائيليين بقتل اثنين من المهاجمين، واصيب ثلاثة آخرون وكذلك اثنين من رجال الشرطة القبرصية.

ووجد رجال الشرطة في إحدى الناقلتين هذا البيان الجاهز (نحن الطيارون الجدد، وقادة هذه الطائرة. نرجوكم ألا تضطرونا لاستخدام العنف. ابقوا في أماكنكم نحن نواب

«منظمة الشباب القومية العربية لتحرير فلسطين» ولن يقدروا حب الانسانية في قبرص: نحن نأسف لأن هذه المعركة تقع على جزيرتكم الجميلة. نحن لم نبدأها. نحن نحارب فقط لكي نستعيد بلادنا وبيوتنا).

بعد الخرطوم وقبرص اصبح المناخ مثالياً للانتقال الى خطة جريئة، تلك التي كان يجري تحضيرها منذ وقت طويل في الدوائر الاسرائيلية فقد خسر الفلسطينيون مرة أخرى من جديد تعاطف الرأي العام العالمي. واستطاعت اسرائيل وحدها ان تكسبه كانت صدفة خالصة ان يكون هناك مجرد ساعات قليلة بين احداث قبرص والضربة العظمى الموجهة ضد «أيلول الأسود» وهذا يوضح ان قبرص أيضاً ليست هي الفتيل الذي اشعل هذه العملية « ربيع الشباب» حيث أنه قبل ذلك بشهر بالفعل جرت مناقشة في الهيئات العليا للهجوم على مصنع اسلحة مقام حديثا لمنظمة التحرير بالقرب من مخيمات اللاجئين في صبرا وتدميره. وقد تعارك البعض في القوات الخاصة من الناحية الشكلية حول القيام بهذه المهمة وتطور النزاع بين فرقة «سايرات ماتكال» وبين قوات البحرية الخاصة.

وأخيرا تكلف لواء أركان حرب الوحدة الإنتحارية البحرية الاسرائيلية باتخاذ كل الاجراءات اللازمة. وقد كانت فرصة لاثبات الهيبة بالنسبة للعقيد قائد قوات البحرية ولذلك فقد مرن رجاله بمنتهى الشدة كما لم يفعل من قبل من أجل المهمة. وطلب بناء مشروع الدولة المعادية بالحجم الطبيعي على قاعدته البحرية. وكل يوم جمعة قبل ان يبدأ يوم السبت، يتم اقتحام مصنع الأسلحة مرة اخرى. ثم جاء موشى ديان وزير الدفاع وألغى العملية فجأة.

كانت هذه العملية بالنسبة له عملية من عدة عمليات انتقامية كان يريد ان يكون استخدام بيروث، عملية تظل ذكراها لدى المرء ليتحدث عنها لسنوات في الشرق الأوسط.

وهكذا كانت طريقة تفكير التخطيط الكلي في اسرائيل. فالخطط تشمل عدة اهداف وتقرر الاطاحة برأس «ايلول الاسود» ولم يكن لهذا الأمر سوى مايك هراري الذي اطلق ستة من رجاله الى بيروت على هيئة سائحين تحركوا ومسحوا بيروت منزلا منزلا بغية الوصول الى أغراضهم.

(٣)
موت شاعر

كان من هؤلاء الستة بلجيكي يبلغ من العمر ٣٥ سنة واسمه جلبرت ريمباود وصل الى بيروت في ابريل. واستأجر غرفة في فندق ساندس وتبعه السائح الألماني ويتر التنودر وكلاهما تصرف كما لو كان لا يعرف الآخر، وقد قاما بنزهات طويلة على الاقدام داخل المدينة وعلى الشاطىء وقد انغمس التنودر في هوايته وهي الصيد ليلا على شاطىء الحمام العسكري في بيروت. في ٦ ابريل جاء ثلاثة ضيوف جددا اثنان من الانكليز اسمهما اندرو ويشلو وكذلك البلجيكي جورج ادلر، وفي نفس اليوم وصل الأخير، الانكليزي اندروميكي وقد نزل بفندق اطلانطس. وقام رجال هاراري الستة ايضا

بجولات طويلة على الاقدام ورحلات استكشافية، وقد استأجروا سيارات اجرة وحجرات كثيرة. وسريعاً ما اصبحوا لا يلفتون الانظار داخل المدينة، نظرا للحياة المرحة في المدينة قبل الحرب. فقد تقبلتهم وانتموا اليها تماماً.

في صباح ٩ ابريل غادرت تسعة مراكب صاروخية من البحرية الاسرائيلية وكذلك مركبتان استطلاعيتان ميناء حيفا واتخذوا طريقهم إلى بيروت في الساعة ٢١. رسا الأسطول أمام الميناء المضيء جداً للمدينة العظمى شرق البحر المتوسط. ووقفت كل المحركات والرادار وأجهزة الاتصال العادية. وتم انزال اول قارب للانقاذ في الماء، فعملية ستبدأ في منتصف الليل. وامام الوحدات المنسقة مع بعضها تماما خمسة اهداف، لذلك كان لدى الكومبيوتر ايضا كالمعتاد ـ خمسة أسماء شيفرة ـ وأهم مهمة تتطلب تصفية أعضاء القيادة من أيلول الأسود وهم يوسف النجار، كمال عدوان، كمال ناصر. ومما أسف له الاسرائيليون أن علي حسن سلامة كان علي سفر. وسميت هذه العملية باسم Avivah.

ويتم تدمير المبنى المركب للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين على طريق الخرطوم على أساس أن هذا المبنى هو مقر اضافي بالنسبة لفتح ومصنع الأسلحة. وقد تم تنظيم احدى القوات الخاصة للهجوم على مستودع الذخيرة الحقيقي «لفتح» الذي يقع قريباً من ميناء بيروت. ولصرف الانتباه قامت أيضاً بالهجوم على معسكر ذخيرة «لفتح» شمال صيدا.

وفي منتصف الليل تماماً رست اثنتا عشرة مركبة برجية مع الوحدات التابعة لفرقة الملازم أول Sayeret Matkal على شاطىء الحمام العسكري ببيروت. هذه الوحدات التي قادها الملازم اول «ايهود باراك»، الذي اصبح فيما بعد لواء اركان حرب. وتواجد معهم ايضا جنود للمظلات. (وقد حقق احد افضل ضباط باراك، ويدعى «ميجور يوني ناتانيا هو» نصرا كبيرا عام ١٩٧٦ عند قيامه بتحرير الرهائن في المدينة الأوغندية عنتيبي).

وقف «سواح» هاراري بسياراتهم الاجرة بعيداً، واستقبلوا قوات الصفوة الذين انشقت عنهم المراكب وهم في ملابس الرياضيين في اوقات الفراغ.

كانت الحياة الجنونية المستهترة في بيروت لا تزال على قدم وساق، وعلى شارع الساحل نشوة تدهش سيارات السابحين في الخيال مساء. وهذا ليس غريباً ان يبدأ اعداد مفاخر الطعام للعشاء بعد منتصف الليل. لم ينتبه احد للسيارات الست. ثلاث منها اتجه الى طريق فردان والثلاث الآخرون الى طريق الخرطوم في حي الفاكهاني.

في الساعة ١,٢٩ كانت قوات «باراك» على اهبة الاستعداد. كان الرجال يحملون اسلحة بدون استثناء ومعهم كاتم للصوت مسدسات آلية طراز عيزر والمسدسات الصغيرة التي مع قوات القتل، طراز Mac 10 الأميركية. لم ير احد الأسلحة لانهم اخفوها تحت الجاكيتات الفضفاضة. كل فريق يحمل نوعا من الحمولات الناسفة معه ويحتاج المرء اليها لكي يتحاشى العقبات وعندما تصبح الحقائب فارغة، سيتم ملؤها بوثائق لمنظمة التحرير بطريقة خاصة للتمويه استخدمها «يهود باراك» قائد الوحدة. وقد ارتدى ثياب امرأة، وباروكة صفراء. وقد وصفه فيما بعد شهود العيان بالمبالغة الشرقية على انه ذو جمال يخطف الألباب. ودخل باراك وذراعه في ذراع الضابط موكى يوتزر الى منزل قائد منظمة التحرير. كل شيء هادىء، وعلى ما يبدو لم يكن هناك اي حراس خصوصيين

وبعض الروايات عن العملية تتحدث عن وجود اثنين من الحراس اللذين لم يلبثا ان تم التخلص منهما.

في الطابق السادس لهذا المبني يسكن يوسف النجار، الرئيس الرسمي «لأيلول الاسود» كان رجل «فتح» في الأيام الأولى. مولود في «جبنه» ولجأ الى غزة عام ١٩٤٨. وقاد هناك المقاومة العسكرية لمدة سبعة أعوام، هذا العامل البسيط كان معارضا آنذاك للقائد العظيم جمال عبد الناصر، ولذلك لم يذهب قط الى القاهرة، الى حيث ذهب كل قادة منظمة التحرير فيما بعد.

نزح الى الكويت ودول خليجية اخرى حيث التقى بأبو اياد، وانضم الى النواة القوية لعرفات. وعمل يوسف النجار ايضا حتى ١٩٦٧ في الخفاء، ثم استطاع بعد ذلك ان يتولى منصبا قيادياً ورسمياً أيضاً. وبسبب قسوته المطلقة وضعه عرفات وأبو اياد على قمة ايلول الاسود.

كانت شخصيته قوية جدا، لدرجة انه بالنسبة لعلي حسن سلامة في ايام النجار كان يظل دائما عند دور الرجل الثاني. هذه المشكلة انتهت في ١٠ ابريل ١٩٧٣. جرى اربعة ضباط اسرائيليين على السلالم ونسفوا الباب الى مسكن النجار المكون من خمس غرف. وقد حاول النجار الذي قام مفزوعاً من نومه العميق، الامساك بمدفعه الكلاشينكوف ولم يكن الأمر بهذه السهولة، لأن زوجته «مها» القت بنفسها أمامه لتحميه. خرجت عشرون طلقة من مسدس عوزي (Uzi) الخاص «بيوتي ناتانياهو» فقتله في الحال مع زوجته. وجمع المهاجمون كل ما استطاعت ان تصل اليه ايديهم من وثائق، وغادروا الشقة بمنتهى السرعة، مثلما جاؤوا. وفجأة انفتح الباب في احد المساكن المجاورة حيث تسكن ايطالية عمرها سبعة عشر عاما. وقبل ان تتفوه بكلمة، قابلتها الرصاصات القاتلة من اسلحة الاسرائيليين الذين فوجئوا بها.

وفي دور اسفل كان الفريقان الآخران قد دخلا الى سكن الضحايا التاليين فكمال عدوان يسكن في الطابق الثاني، وقد نشأ هذا المعماري السابق ايضا من جنبه وعمل لسنوات طويلة في قطاع غزة. كان واحدا من اهم اعضاء فتح واهتم جدا بالمقاومة الشعبية في الاراضي المحتلة. وهو ينتمي الى قيادة «أيلول الأسود». في تلك الليلة اختبأ في بادىء الأمر خلف ستارة. ثم اطلق الرصاص بمدفعه الكلاشينكوف على الاسرائيليين بدون جدوى اذ اصابته عدة رصاصات من القوات الاسرائيلية الخاصة في رأسه وصدره. وقد وقفت زوجته وطفله الى جانبه مضطربين، بينما ملأ الاسرائيليون ثلاث حقائب بأوراق منظمة التحرير. وكان كمال ناصر هو الشخص الثالث المستهدف، وهو متحدث باسم منظمة التحرير. كان مجتهداً بشكل متميز وكان ذلك من مكافأته بعد حادث ميونيخ. وعندما دخلت القوة الانتحارية اليه كان لا يزال جالساً على المكتب يمعن التفكير في مسودة الخطاب، الذي كان سيلقيه في اليوم التالي. فقام رجلان بتفريغ خزانة بندقيتهما في جسم ناصر. ثم فتشوا الشقة بحثاً عن الوثائق الهامة. في تلك الاثناء كانت القوات الاسرائيلية الموجودة امام المنتجع قد اشتبكت مع احدى دوريات البوليس اللبناني. ولم يعرف الثلاث حراس على الأمن اللبنانيين مع من يختلطون، وتم اغتيالهم في الحال. وحدث نفس الشيء مع عربة بوليس ثانية ظهرت فجأة امامهم.

وأسرعت بعد ذلك سيارات الشرطة الى الطريق بينما كانت الفرقة الاسرائيلية

عادت الى الشاطىء مرة اخرى حيث لاحت لها ستة مراكب برجية من الظلام، ونقلت باراك ورجاله مرة اخرى الى مراكبهم الصاروخية. استغرق تنفيذ العملية كلها حوالي ٢٩ دقيقة. ولو كان الاسرائيليون يعلمون ان الفدائيين الثلاثة الذين اطلق سراحهم عنوة بعد حادث ميونيخ موجودين بالفعل على بعد حوالي مائة متر فقط لكانت امور اخرى قد تغيرت.

ويتذكر ابو اياد ...

(قبل الهجوم الاسرائيلي بعشرة ايام، ذلك الهجوم الذي كلف كمال ناصر، ويوسف النجار وكمال عدوان حياتهم، تواعدنا نحن وعدة رجال من بينهم هؤلاء الثلاثة وكذلك ياسر عرفات في منزل كمال. كان الرجال الثلاثة الذين ماتوا كشهداء بالفعل، في نفس البيت كمال عدوان في الطابق الثاني، كمال ناصر في الثالث، يوسف النجار في السادس.

هل اوحي بشيء عن النهاية المأساوية، التي وقعت لهم؟ ومع ذلك بمجرد وصولي ادهشني انه لا يوجد لا حراس خصوصيين ولا اي احتياطات امن ولذا اشرت اليهم نصف مداعبا ونصف جاد:

«أنتم فعلاً غير حريصين! وعما قريب تأتي طائر هليكوبتر اسرائيلية تهبط فوق الأرض الفضاء غير المبنية امام بيتكم وتخطفكم»!.

بالطبع صادفت الدعابة ضحكا عاليا، الا ان عرفات ايضا ذكر لهم مرة اخرى بجدية، افعلوا شيئاً لضمان امنكم اكثر، وقد أجابوا بأنهم حرصاً على جيرانهم في البيت لا يريدون أن يضعوا كل ما هو غريب تحت الحراسة.

وقد اسفرت الصدفة عن ان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير، والتي ننتمي لها نحن الخمسة، قررت بصفة استثنائية الاجتماع في ٩ ابريل وكذلك ١٠ ابريل في بيروت، وليس في دمشق، بحكم العادة. انتهت الجلسة يوم ٩ ابريل في وقت متأخر جدا، وقد قضيت الليل كما اعتدت عند كمال ناصر. وبعد جلسة قبل الظهيرة في اليوم التالي، اقترح علي النجار وعدوان وناصر ان اتناول معهم وجبة الظهيرة في مطعم على الشاطىء. وفي العادة امتنع لدواعي امنية عن الدخول الى محلات عامة. وأنا لا اعرف ما الذي دفعني في هذا اليوم الى قبول الدعوة، ربما استشعرت على الاقل ان الضرورة تحتم علي ألا افارق رفاقي لمجرد ساعتين فقط. وبعد وقت الطعام الذي مر باستحسان والذي قضيناه في جو من المرح عدنا معاً إلى اللجنة التنفيذية للمنظمة مرة أخرى.

وبعد التاسعة مساء تقريبا انتهت المباحثات. ذهب يوسف النجار وكمال عدوان معا الى المنزل، واقترحت على كمال ناصر ان اقضي الليل في بيته. وكان من هول مفاجأتي ان اجابني في نبرة مليئة بالمزاح «افضل ان اموت، على ان ادعك تنام عندي» وبعد ذلك اوضح لي، ان عليه ان يؤلف قصيدة رثاء عن الشاعر «عيسى نخلة» الذي توفي لتوه، وقد يمنعه وجودي بالتأكيد من العمل.

ولذلك فقد ودعته، وأنا كلي أسف، وخطر ببالي ان علي ان اقوم بزيارة للثلاثة الناجين من عملية ميونيخ، وقررت ان اذهب اليهم لكي يسمعونني ايضا ملحمة الأوديسة التي قاموا بها. وفي الطريق الى هدفي لاحظت حول المبنى، الذي نقل اليه نايف حواتمة

مقر الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والذي يبعد حوالي عشرة امتار فقط عن البيت، الذي يسكن فيه الفدائيون، لاحظت حركة نشيطة، وتردد الى مسامعي، كما لو كان هنا عملية تسلح لمعركة. وردا على سؤال اجابني بعض الفدائيين للجبهة الديمقراطية، بأن رجالهم في حالة تأهب قصوى وأنهم يخشون هجوما من جورج حبش «قائد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

فأنطقني الغضب وقلت لهم بوضوح وصراحة. ما هو رأيي في مثل هذا النزاع، الذي لا معنى له بين منظمات المقاومة الشعبية، التي من الأفضل لها ان تدخر قوتها للمعركة ضد العدو المشترك.

بالطبع لم اعرف في هذه الحالة، مدى ما ستعطيني الأحداث من اقرار لرأي. كانت الساعة ٩,٣٠، ولم يأت على خاطر احد حتى ولو شرد ذهنه بعيدا، ان بعد ذلك بثلاث ساعات ستقوم قوات كوماندوز اسرائيلية وليست تلك التي تتبع جورج حبش باقتحام المكان.

وقام رجال نايف حواتمة على العكس من اتباع القواعد الاساسية للحرص بالمبيت في المبنى ذي الطوابق التسعة لأقسامهم الجماعية: قسم السلطة، القسم المالي، والصحافة وجزء من الأرشيف.

وقد ألهاني الحديث القصير الذي اجريته مع الثلاثة الناجين من ميونيخ عن مخاوفي للحظات. فقد استهواني تقريرهم المفصل عن مجرى العملية، وكذلك وصف التعذيب، الذي لاقوه في السجون الألمانية، حزنت جدا من سوء المعاملة التي نزلت بأحدهم وادت الى عاهة مستديمة له في العضو التناسلي. ثم طرحوا علي اسئلة عن الوضع الحالي، وفجأة سمعنا طلقات الرصاص، نظرت في الساعة كانت ٣٠,٠٠.

وبدأت أغضب من جديد أوضحت لرفاقي في الحديث أنه ربما يكون هناك قتال بين أتباع حبش وأتباع حواتمه. ولكن التبادل النيراني ازداد أكثر وأخيراً سمعنا انفجاراً مدوياً. وراودني لأول مرة الشك خاصة وان وابلاً من القنابل اليدوية سقط على مبنى الجبهة الديمقراطية.

انه غير محتمل، اجل وغير ممكن ان لدى الحزب المهاجم مدفع هاون، وشيئاً فشيئاً بدأت استوعب، ما الذي يجري هنا، عندما اقتحم حارس البيت، المتواجد انا فيه، المسكن علينا وهو يصرخ بصوت مفزوع: «اليهود! اليهود هنا»! كان جسده كله يرتعش ولم يقدر على النطق بكلمة اخرى.

ونبوءتي التي نطقت بها من عشرة ايام، ودون ان اكون انا نفسي قد ملت لتصديقها والاعتقاد فيها، قد تحققت.

الاسرائيليون موجودون حقا أمام بيتنا، وهل لو نجحوا في العثور على مقر الجبهة الديمقراطية، لن يعرفوا بعد ذلك، ان الأعضاء الثلاثة من فريق عملية ميونيخ يعيشون في الجوار؟ وان ياسر عرفات أيضاً يسكن بالقرب جداً؟ ولأننا مسلحون بالمسدسات الخفيفة فقط، قد لا نستطيع انا ورفاقي الثلاثة ان نفعل الكثير، فأخفينا انفسنا على سلالم البيت حيث الطابق الرابع وأحضر احدهم المصعد الى الطابق الخامس، حيث قام بتعطيله، بأن اوقف الباب. وبذلك كان المهاجمون مضطرون للنزول على اقدامهم. وقد ينتبهون الى مقاومتنا المسلحة لأننا قد عزمنا على ان ندافع حتى آخر طلقة.

وفجأة سمعنا انفجاراً مدوياً ثم تلته ضوضاء وضجيج، اعتقدنا أن مبنى الجبهة الديمقراطية قد انفجر بفعل الديناميت. وجرى أصدقائي إلى الشارع ليراقبوا الكوماندوز الاسرائيليين. الذين كانوا ينسحبون وهناك بعض الطلقات الفردية من اصدقائهم كتغطية لهم*.

كان أعداؤنا يرتدون زي الفدائيين، ولكنهم يتحدثون بالعبرية مع بعضهم، وجريت أنا أيضا إلى الشارع ووجدت أجساد الفدائيين الثلاثة خامدة، الذين حادثتهم أنا قبل ذلك بثلاث ساعات، لأنهم يتسلحون ضد الجبهة الشعبية. أما رفاقهم الذين كانوا داخل المبنى وقت الهجوم فكان جزء كبير منهم غير مصاب، لأنهم غادروا المنزل قبل النسف، لكي يقوموا بهجمات المقاومة.

عبرت الشارع وذهبت الى مسكن عرفات، هو ايضا لم يحدث له شيء، وقد حكى لي ان الاسرائيليين اطلقوا النار على البيت الذي يسكن هو فيه. ولكن اطلاق النار ما لبث ان توقف بسرعة، كان واضحا جدا ان المهاجمين لا يعرفون انه يسكن هناك. علاوة على ذلك فقد قام حراسه الخصوصيون بمقاومة عنيفة. وشارك بعض الفدائيين المحبوسين في الطابق السفلي بالمبنى بسبب مخالفات لا تذكر في ردع الجنود الاسرائيليين، تابع عرفات المعركة من فوق سطح المنزل وقاد رجاله من هناك بالاشارات.

لقد كان يعلم انني اقيم بأحد البيوت المجاورة اثناء المعركة، وكان مقتنعاً بأنني قد مت. وعندما رآني امامه، اهتز من اعماقه واحتضنني طويلا بين ذراعيه، واخبرني وهو ثائر بطريقة ملحوظة، عن الذي سمع به، من ان قوات الكوماندوز الاسرائيلية تسللت من الجنوب بالقرب من صيدا وبيروت، وهاجمت في الوقت نفسه مساكن يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر. والى هذه اللحظة لم يكن عرفات يعرف بعد هل تم خطفهم اما ماتوا. بعد ذلك بدقائق وقع النبأ كالصاعقة: رفاقنا الثلاثة مقتولون. عزمت على الفور الذهاب الى حيث مساكن الضحايا ونظرا للمخاطرة الكبيرة في ذلك، حاول عرفات ان يصرفني عن مرادي ولكن بدون جدوى. وقد تملكني الذعر عند النظرة التي ألقيتها على بيت كمال ناصر. ففي وسط الدخان الذي اثاره احد الصواريخ التي اطلقها الاسرائيليون قبل هجومهم اكتشفت صديقي راقداً على الأرض على هيئة صليب ومعالم فمه كما لو كان مسناً، وقد اخترقت لحمه أكثر من خمس عشرة رصاصة. فالقتلة خلال فعلتهم لم ينسوا انه مسيحي فمثلوا به، كما انه في الوقت نفسه المتحدث باسم منظمة التحرير. كان سريره والسرير الذي في غرفة النوم، الذي غالبا ما كنت أنام عليه، قد تهلهل من الثقوب، لكي يقتلوا بلا شك اي واحد، قد يكون حاول أن يختبيء تحته.

كان كمال يرتدي بيجاما، مما يدل على انه ربما فوجيء بالهجوم اثناء نومه وفي نفس اللحظة التي آوى فيها الى الفراش. كان شباك غرفته مفتوحا، كما لو كان قد حاول الهرب في باديء الأمر. وبعد ذلك ربما حاول الدفاع عن نفسه بمسدسه، لأننا وجدناه بجواره. ولكن مقاومته استغرقت وقتاً قصيراً، لأن المسدس كان ينقصه رصاصتين فقط. ولأنني اتذكر، كيف كنت اقول له غالباً على سبيل الدعابة.

(*) كان يضم هذا المبنى المؤلف من ٨ طبقات كل طبقة بشقتين، إضافة الى الجبهة الديمقراطية، مساكن للبنانيين قد قضوا ضحية الارهاب الاسرائيلي. (المترجم).

«أنت شاعر فقط ولم يكن لك ابدا ان تستعمل سلاحا في حياتك». فأنا لم اكن مخطئا أبداً في ذلك. ألم يلق حتفه في اللحظة التي كان يكتب فيها قصيدة وفاء؟.

اما الظروف التي ادت الى موت الرفيقين الآخرين، فنحن نعرفها بطريقة افضل على أساس اقوال عائلتيهما. وقد صرعت قوات الكوماندوز الاسرائيلية أولاً الفدائي الذي كان يقف للحراسة امام مدخل المبنى، بأحد المسدسات التي كان لها كاتم صوت، ثم صعدوا بعد ذلك بالمصعد الى الطابق السادس. وباستخدام عبوة ناسفة فتحوا عنوة باب مدخل بيت النجار الذي كان نائماً بالفعل، لأنه عادة ينام مبكراً. ولكن اطفاله - يوسف، البالغ من العمر ستة عشر عاما واخوته الأربعة - كانوا لا يزالون مستيقظين، كانوا يجلسون في حجرتهم لكتابة واجباتهم المدرسية. كان يوسف الصغير اول من جرى نحو الباب ووقف فجأة امام رجال الكوماندوز الاسرائيليين، الذين سألوه بالعربية:

«أين أبوك» وجرى الطفل من الفزع الذي تملكه الى حجرته وقفز من النافذة لكي يتزحلق على احدى ماسورات المجاري حتى السكن الموجود تحت، حيث بحث عن ملجأ هناك.

واعتكف النجار، الذي ايقظته الضوضاء في تلك الاثناء، في حجرة المعيشة التي تقع بين غرفة النوم والممر، واثناء محاولة الاسرائيليين تحطيم الباب، طالب زوجته ان تحضر له المسدس، ومع ذلك فقد دوت الرصاصات فجأة خلف الباب، الذي صدموه بأرجلهم فدفعوه، اضطرب النجار، واصيب بشدة فوقفت زوجته تحميه وهو يصرخ في وجههم «جبناء! خونة!» فوقفت بينهم وبينه ومع ذلك أطلقوا الرصاص بقسوة مرة أخرى على كليهما.

في نفس الوقت حاول اسرائيليون آخرون التسلل الى سكن كمال عدوان الذي يقع في الطابق الثاني. وكان لدى عدوان انذار مسبق حيث لا يزال يعمل، وقد اشتبه في الضوضاء التي على سلالم البيت وقد كاد يمسك بسلاحه الآلي عندما اقتحم المهاجمون بالفعل باب المدخل. وقبل ان يستطيع تحريك اصبعه على الزناد، تهشم من عدة رصاصات اطلقت عليه حيث اطلقت عليه مجموعة ثانية من الاسرائيليين الرصاص على ظهره وقد كانت هذه المجموعة خارج النافذة حيث تسلقت على احدى المواسير ودخلت من خلال شباك المطبخ. بينما زوجته وابنه، اللذان وقفا يرقبان هذه الجريمة البشعة في حيرة وبقيا سليمين من الاسرائيليين الذي صعدوا الى الطابق الثالث ليذبحوا ضحيتهم الثالثة، كمال ناصر.

وبعد عشرين دقيقة بالضبط انتهت العملية بأجزائها الاربعة وخسر الاسرائيليون فقط اثنين من رجالهم.

وقد حيا لواء اركان حرب دافيد الارز العائدين في اليوم التالي في حيفا: «ان اسرائيل لن تتسمك بعد ذلك بقاعدة الادارة القاصرة للحروب. فالمرء يستطيع ان يكسب الحرب ليس عن طريق الدفاع وحده. ولأننا ربما لا نستطيع منع الحرب فنحن نتطلع الى نصر حاسم وسريع، تماما كما كان في الماضي».

وقالت غولدا مائير بانتصار امام الكنيست: «انه لشيء رائع ان نقضي على القتلة، قبل ان يستطيعوا القتل من جديد».

حتى هي لم تكن تعرف ان اسرائيل لم تتح الفرصة لفدائيي ميونيخ ليتوسعوا في

ضربهم، وان اسرائيل لن تدع الفرصة لأن يحدث ذلك مرة ثانية ابدا. لقد تزلزلت أركان «أيلول الأسود» اذ في الشهور التالية نجح في عمليات ليس لها اهمية كبيرة كما في السابق.

ونقلت المنظمة اهم مكاتبها الى دمشق وغير قادتها مساكنهم وعاد البعض كنوع من الأمن الى مخيمات اللاجئين واحاطوا انفسهم بحراس خصوصيين اكثر، واصبحوا يقودون سيارات مدنية، تلك التي لا يستطيع المرء ان يعتبرها تابعة لمنظمة التحرير من اول نظرة، ونزحت اسر الأعضاء النشطين الى القاهرة او الى الخليج.

وجاء الدور مرة اخرى على فريق الاعدام الاسرائيلي في ١٧ يونيو حيث انفجرت سيارة ملغومة ونسفت اثنين من ايلول الاسود كانا ينويان نسف المهاجرين السوفيات الى النمسا والعضوان هما: عادل شيلي وعبد الهادي نقحاء.

(٤)
احداث ما قبل يوم كيبور

وتوالت الاحداث الدموية، التي مثلت مكاسب ثمينة للاسرائيليين. فقد استطلع الاسرائيليون من خلال الخلية السرية القيمة لعملية فردان على الشبكة الأوروبية «لأيلول الاسود» وترجموا العديد من الوثائق او حلوا شفرتها. وكان قسم هاراري يصطدم دائما من جديد باسم محمد بوضياء، الجزائري الذي يستقر في باريس. ولم يعد مجهولا بعد ذلك، وهو يعمل ظاهرياً كمدير للمسرح الطليعي الذي هو في الحقيقة ذو قيمة كبيرة بالنسبة «لأيلول الأسود».

كان بوضياء مسؤولا عن الاتصالات الخارجية للمنظمة حيث كان يتولى الاتصالات القوية مع المجموعات الثورية الدولية، مثل الجيش الأحمر الياباني، وعصابة بادر ماينهوف والجيش الجمهوري الايرلندي ولأن هناك عمليات تبادل في المعلومات والأسلحة فقد تم التبادل في عمليات الاخفاء، ومنتهى التفاهم فيما بينهم.

وكان بوضياء، الذي لديه صديقات مثل رئيسه علي حسن سلامة، أحب ذلك الرجل ان يرسل الفتيات الصغيرات في نزهة فدائية. فقد ارسل ثلاثة منهن بالفعل سنة ١٩٧١ الى اسرائيل، للقيام بهجمات هناك. تم إلقاء القبض عليهن وافشوا كل شيء عمن كلفهن بالمهمة.

وقد قالت إحداهن وتدعى ايفلين بارجير طبقاً لما جاء في محضر التحريات (هو لم يكن ممتازا، ولكنه يتمتع بخيال لدرجة أنه لا يخطر على قلب بشر، أنه يقول الحقيقة).

وهو نفسه لم يعد يفهم نفسه. فبعد ليلة قضاها مع واحدة من صديقاته في باريس، ركب محمد بوضياء في صباح يوم ٢٨ يونيو في سيارته الرينو ١٦ البيضاء وزار صديقة أخرى في أحد شوارع باريس الجانبية وفي تلك الأثناء وضع واحد من التكنولوجيين التابعين لهاراري قنبلة في سيارة بوضياء.

كانت آلية اشتعالها مرتبطة من خلال فتلة صغيرة بمفتاح القيادة. وذكر فيكتور اوستروفيسكي في مذكراته عن العملية ضد بوضياء (ان الجزائري اعتاد غالبا ان ينطلق بالسيارة وان يفتح الغطاء، وينظر تحت السيارة ويفحص ماسورة العادم ويقول: اوستروفيسكي (لذلك قرر رجال ميتسادا، ان يثبتوا الضغط في كرسيه. ولكن لأنهم كانوا يريدون، تجنب ان يشتبه الفرنسيون في الموساد، فقد تم وضع القنبلة هكذا، كما لو كانوا هم الذين فعلوا ذلك بأنفسهم. وحشوها بشرائح الحديد الحادة والصواميل. وتم تثبيت صفيحة معدنية صلبة تحت القنبلة، وذلك لكي تنفجر عند ممارسة الضغط عليها الى أعلى لا إلى أسفل).

وعندما ركب بوضياء كان لا يزال امامه عشر ثواني ليعيش. هكذا كان طول مدة التأجيل وقد كتب طالب اكاديمية الموساد اوستروفيسكي (مات على الفور، كانت القوة الناسفة كبيرة جدا لدرجة ان العديد من الصواميل والمسامير اخترقت جسده وثقبت سطح الوجنتين. واعتقد البوليس الفرنسي، المعروف بصلته بالجماعات الارهابية، اعتقد انه لقي حتفه من خلال الانفجار غير المتوقع لعبوة ناسفة كان هو شخصيا يقوم بنقلها).

وأصبحت ملامح جثته من الصعب تحديدها. ومن المحتمل انه في هذه الحادثة ايضا كان مايك هاراري وزيفي زامير حاضرين كشاهدي عيان لعملية الاعدام. والآن فقد «أيلول الأسود» بالفعل رجله الثاني في باريس وكان في عداد المشيعين ايضا ممثلون عن كي.جي.بي فقد عمل محمد بوضياء للروس كنوع من رجل الربط. وعندما لقي حتفه بذراع اسرائيل الواصلة، ارسل الروس على الفور خليفة آخر لنفس النوع الخاص. هو اليك راميزر ساتشيز والاسم المستعار كارلوس وقد غطى اوروبا لعقد من الزمان بالأعمال العنيفة حيث احتفظ خلالها بوظيفة خاصة لدى السلطات الفرنسية. وقد اقام الفانزويلي القصير بممارساته العنيفة للاغتيالات والتدمير بعد بضعة اعوام صرحا جعله يعزل علي حسن سلامة من على عرشه كأخطر رجل في العنف الدولي. وتنازل عرفات نفسه عن ذراعه الأيمن على اية حال، لأنه اتجه طبقاً للنظام الجديد لاستراتيجية المنظمة لعالم آخر من الظل هو الدبلوماسية. وهذه المرة طال الأميركيين بالذات في ١ يوليو ١٩٧٣ في عاصمتهم نفسها. فعندما عاد الملحق العسكري الاسرائيلي، العقيد يوسف آلون، واحدا من اشهر الطيارين في بلاده، من احدى الحفلات، الى بيته في احدى الضواحي الجميلة، وبمجرد ان ركب سيارته، ظهر الفدائيون التابعين «لأيلول الاسود» وقتلوه بخمس رصاصات. ووصف الارسال الاذاعي «لصوت فلسطين» الهجوم على انه انتقام لموت محمد بوضياء. وكتبت جريدة في بيروت: (الحقيقة ان ذراع الفلسطيني الذي وصل الى المركز الاميركي في واشنطن، هو دليل جديد على ان الشعب الفلسطيني لا يوقفه شيء - اي شيء مطلقاً - عن المضي في الحرب ضد أعدائه).

مثل هذه الكلمات القوية، والأعمال الخطيرة مثل اغتيال «آلون» اشعلت الاسرائيليين اكثر، من أن تجعلهم على استعداد للاستسلام. فبعد ان تمتعوا ببريق النجاح في عملية فردان لعدة ايام، واجهوا الحقيقة مرة اخرى. فهم لم ينجحوا حتى الآن في الوصول الى اهم اهدافهم، وهو بالضبط الوصول الى المخطط العبقري في «ايلول الأسود» علي حسن سلامة. كان «ابو حسن» كما يسميه اصدقاؤه مثل صاروخ الفانت

فقد ظهر في انباء ومصادر متعددة للموساد في نفس الوقت في أماكن مختلفة، ولم يستطع احد منهم ان يقول بالضبط، اين ابو حسن الحقيقي فقد كان بتحركه ومن خلال موهبته في التسلل في ادوار متعددة، يعد بالنسبة للاسرائيليين معجزة وقد اغضبهم هذا اكثر وأكثر.

ومنذ وفاة اقرب ثلاثة مساعدين له، اصبح ابو حسن هو المنفذ الخاص لعمليات «أيلول الأسود». وقد حمل هو وأبو أياد اللواء ولكن رئيس الأمن في منظمة التحرير كان لا يزال لديه العديد من الواجبات الأخرى: «فأيلول الأسود» مجرد قسم من الاقسام التي يرأسها. ولذلك فقد اطلق يد ابو حسن.

وقد استطاع رجال كثيرون الآن السيطرة عليه تماما. وحاولوا التصنت على مكالماته ـ التي لم تسفر عن الكثير، لأنه كان يرسل اخباره الهامة مع رسل خصوصيين ـ والتعرف على كل خطواته في الوقت المناسب ولأنه في الغالب، ما يكون هو مندفعا جدا. فقد زارته على سبيل المثال صديقة في اولم، سريعا ما تعلق بها جدا.

وهو يسافر من هناك الى شتوتغارت، واحيانا الى فرانكفورت ليلتقي بالأعضاء النشطين في شبكته الاوروبية. ومن المحتمل ان له اتصالات طيبة ايضا بعصابة بادر ماينهوف، التي تدربت قيادتها بالفعل في عام ١٩٧٠م في المعسكرات الأردنية التابعة لمنظمة التحرير. كان المجندون الاسرائيليون يريدون ان يروه مرة اخرى في حي المحطة في فرانكفورت. في اول يوليو وصل الى مكتب مايك هاراري انذار ملح من باريس. لقد ترك ابو حسن المانيا مرة اخرى ووصل الى باريس. وينام الآن كل يوم في مكان مختلف فمرة في فندق خمس نجوم ثم بعد ذلك في احد المنازل وفي بعض الأيام يختفي تماما.. وأعتقد الموساد بعد ذلك أنه يسكن مع النساء اللاتي يتعرف عليهن في نفس اليوم.. ونجح اخيرا متتبعوه في التصنت على ابو حسن لعدة ساعات. كان المنفذ الساحر يتحدث مع احد خلانه وقد اوضحت كل الظواهر ان الأمر متعلق بخطف طائرة وقبل ان تأتي اشارة دقيقة من تل ابيب توضح كيفية التعامل مع ابو حسن فقد القناصون اثره مرة اخرى فالفلسطيني لديه حاسة دقيقة تجاه الخطر وهي التي تقوده تماما مثل وحش الصياد ثم ظهر سلامة بعد ذلك في «ليلي» وعندما وصل «فريق القتل» ابعده عن الطريق للأبد.

اتجه الأثر الى هامبورغ ومن هناك مرة اخرى مدينة اخرى وكان هاراري وفريقه في اقصى درجات القلق فهم يحصلون دائما على انباء بأن «ايلول الأسود» سوف يضرب في احد البلاد الاسكندينافية فيه، وربما يكون الهدف كما تصور البعض سفارة اسرائيلية او مقر اقامة لسفير، وفي عيد الميلاد ١٩٧٢ كان هناك شاب فلسطيني معه اسلحة عديدة في أمتعته وقد تم القاء القبض عليه في مطار هيثرو بلندن وقد صرح فيما بعد بأن ترسانته المسلحة كانت من أجل هجوم على هدف اسرائيلي تحدد في احدى الدول الاسكندينافية. ودقت كل اجراس الانذار في تل ابيب عندما طار علي حسن سلامة الى «نورديز». وأصبحت محطات الموساد في شمال اوروبا في اقصى حالات الطوارىء، وسميت هذه الحالة في مصطلحات رجال المخابرات «نور الصباح».

في ١٠ يوليو ١٩٧٣ قام ثلاثة عملاء بنزهة على الاقدام في استوكهولم دان اربيل ونمساوي يدعى غوستاف ببستاور مولود في بولندا وقضى سنوات من حياته في

معسكرات التعذيب النازية، وكذلك فرنسي في شمال افريقيا باسم مزيف وقد وصلوا الى العاصمة السويدية التي كانت فيما مضى ملعباً للمنظمات السرية بكل انواعها. جاؤوا وهدفهم البحث عن (سلامة) وتأجير شقة لفريق القتل الذي سيصل فيما بعد، وقد صنع مايك هاراري من باب الحرص خمسة عشر مفتاحا متشابها للبيت.

في نفس الوقت في جنيف تم كليف عملاء الموساد في المكتب المحلي بمهمة عدم الاغفال عن القنصل الجزائري وأعوانه.

فهنا يعاود حسن سلامة الاتصال دائما ويذهب مراسلوه ويجيئون. ولفت أنظار الاسرائيليين رجل من شمال افريقيا يدعى كمال بنامانا، وعلموا انه رجل «أيلول الأسود» كما راقبوا باهتمام كيف صعد إلى طائرة متجهة إلى كوبنهاغن في ١٤ يوليو، قرأ هاراري الخبر مرة ومرة. ثم اخبر قيادته ان هذا قد يكون فألا حسنا فبنامانا ربما يكون في طريقه الى سلامة وعلى المرء ان يجد في اثره بلا كلل. وبعد ثلاثة ايام جاء النبأ التالي «الجزائري موجود في اوسلو». وعلى الفور تحول ثلاثي العملاء من ستوكهولم وقد اعطت القيادة السياسية لهذه اللجنة الغامضة «لجنة X» التي تأسست بعد عملية ميونيخ وأعطت هي وزيفي زامير الأمر ببدء العملية وشارك مايك هاراري في فريق الاعدام حيث أراد أن يقود بنفسه إلا أن نائبه افراهام جيهمر البالغ من العمر ٣٦ سنة، وهو يعد نوعا من رئيس أركان حرب في «فريق القتل» جاء رغم ذلك على رأس القائمة فسافر جيهمر بجواز سفر بريطاني مزيف برقم ٢٦٤٦٨٥ الصادر باسم ليسلي ادرياوم، فيما يوجد هناك ليسلي اوردين الحقيقي الذي يعمل دون ان يدري الحقيقي كمدرس. نشأ جيهمر في فلسطين، من أفضل رجال هاراري يبذلون قصارى جهدهم سواء في الاجازات او في العمليات التي تستغرق شهورا، لذلك وبصرف النظر عن الاستثناءات مثل سيلفيا رفائيل كان عليه أن يرجع.

أفضل مثال كان فتاة ساذجة - لا حول لها ولا قوة، تلك التي تم تجنيدها منذ اشهر قليلة - ماريانا جلادينكوف ابنة طبيب في استوكهولم. كانت السويدية الصغيرة البالغة من العمر ٢٥ عاماً مهندسة كومبيوتر والمائلة للسمنة والتي هاجرت الى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧، كانت في بداية تدريبها، وهي في الحقيقة تعلم بحالة الحرب حتى الدرس القادم فقط، وفي الحالات الاستثنائية كهذه الأفكار الموضوعة في الاعتبار كان هاراري يريد بالطبع ربط حقيقة الظل للانتفاع بها في الفريق، كما قبل صديقته البديعة الحسن ذات الشعر الأحمر «تمارا» في الفريق. كانت الشمس ترتفع فوق سطح البحر المتوسط عندما جمع اوتوبيس صغير للموساد في ١٨ يوليو العملاء الموجودين في اسرائيل. وقد يعتبر المرء المجموعة الصغيرة من الرجال والنساء هذه مجرد طاقم طائرة لذلك فهم لم يلفتوا الأنظار لدى وصولهم الى المطار. واثناء عملية الفحص التي جرت في الصباح الباكر على متن الطائرة فعل كل منهم هذا بنفسه وقاوم حاجته للنوم وكان مايك هاراري ينتظر في مقعد VIP المحجوز مرتدياً ثيابه بأناقة، متحمساً ومتحفزاً كما هو دائماً. وقام بتوزيع لمساته. وأقلعت الطائرة ونجمة داود على مؤخرتها إلى أوروبا. وقد سافر مايك هاراري كمواطن فرنسي باسم مزيف ورفيقته على أساس أنها زوجته ماري.

وسافر كل من ماريانا غلادينكوف، وسيلفيا رفائيل، وافراهام جيهمر وصديقه جونافان انجليي عبر زيوريخ والآخرين عبر امستردام الى اوسلو. كل منهم كان لديه

غلاف فيه ١٠٠٠ دولار اميركي و١٠٠٠ مارك الماني، و١٠٠٠ فرنك فرنسي ومسموح لهم في نفس الوقت بصرف جزء منه لأنهم عند مطارات الترانزيت عليهم من قبل التمويه ان يشتروا تذاكر للجزء التالي من الرحلة.

كان زيفي «شتابنيرغ» ينتظرهم في اوسلو. كان قد حجز غرفة في فندق بانورماسمر وعلى ما يبدو أنه المركز المقرر تحت نفس السقف يسكن كمال بيناماتا من جنيف وفي اليوم التالي كان على العملاء ان يتأكدوا ان العربي قد خرج ومع ذلك فمايك هاراري ونصف فريقه لم يفقدوا اثره. ولاحظ غوستاف بيستاور كيف اشترى بيناماتا من المحطة تذكرة الى مدينة تبعد حوالي ١٧٠ كلم وصعد الى القطار وعلى الفور جمع هاراري عملاءه دان اربيل، غوستاف بيستاور، سيلفيا رفائيل، والتي انضمت اليهم حديثا نوراهير وهي نمساوية سافرت بجواز سفر الماني مزيف وأرسلهم الى ليليهامر. وسافر بعد ذلك هو وتمارا في سيارة خاصة. كانت المجموعة الثالثة من الموساد تتكون من ماريانا غلادينكوف وافراهام جيهمر وجيف لوك سيفيتير وفرنسي آخر الذي لم يكن حتى الآن قد ظهر في الصورة واسمه رول كوبس وقد عرفا عن حالهما على انهما «داني وفرانسواز» وكوسين نشأ في الحقيقة في الأرجنتين ولم تقبل السويدية كلاهما، فهي لا تطيق جين لوك بسبب رائحة الكولونيا التي يستعملها. وظل جوناثان انجليي وزيفي شتاينبرغ في اوسلو مرة اخرى. واندس شتاينبرغ في مصلحة التليفونات.

جاء المنتقمون العشرة الى منطقة تقع على الخريطة فوق نهاية المدينة، وهي لا تشبه عالمهم المألوف في شيء. فليليهامر بتعدادها البالغ ٢٠٠٠٠٠ نسمة تعطي صورة متناغمة بحيث ان المرء قلما يتذكر ان هناك لحظة نادرة لاستخدام العنف على مدى عشر سنوات، في المدينة التي على الممر والتي تعيش على الصناعة، ولكن السياح هنا ايضا يشكلون اعداد ضخمة خاصة وإن هناك اهتماماً في المدينة الهادئة بالتسلية وتستحوذ العديد من الزائرين، ليعايشوا اعظم متحف في الهواء الطلق للاسكنديناقيين به ١٢٠ بناء قديم و٣٠٠٠٠ معرض للمعروضات القروية، ويجد محبو الفن في ليليهامر واحداً من اعظم معارض الدولة. وللرياضيين رياضات شتوية، وهناك ممر كطريق للجري مسافات طويلة يبلغ ٤٠٠ كيلومتر. واثنا عشر ممرا لرياضة التزحلق على الجليد، ومسابقات شيقة للمتعة، ومقدمات مثالية ايضا، استعدادا للأولمبيات الخاصة بالألعاب الشتوية القادمة.

ونأتي لذكرى يوم في صيف ١٩٧٣، عندما لعب عشرة اسرائيليين في الرماية في الغابة الغربية لليليهامر وتحت تغطيتهم من خلال اخبار ايجابية.

وصل فريق هاراري الى المحطة. كان اللاعبون المحترفون يشعرون بتوعك. والغرباء يلفتون الأنظار في ليليهامر، خاصة اولئك الذين يعيشون تحت شمس الجنوب. كانت منطقة الهدف تبعد مئات الأمتار. ويمر خلاله شارع فرعي، هذا الذي يذكر المرء بأنه في فرانسيسكو من ناحية المبدأ. وهناك شارع ذو اتجاه واحد يؤدي إما إلى أعلى الجبل وإما ألى أسفل البحر. والشارع الرئيسي يجري باتجاه الزاوية اليمنى خلال منطقة متنزهات. وفي الوسط تقوم بيوت مبنية على الطراز النرويجي من الخشب التي يضاف اليها بعض المحلات، وبعض المقاهي، وقليل من الفنادق.

وفي الطرف الشمالي من «ليليهامر» يعيش جزء كبير من السكان في بيوت بها عدة

شقق على وتيرة واحدة، تم بناؤها في عام ١٩٧٣. ومن الصعب الاختفاء هنا، ويعد في غاية التعقيد محاولة ملاحظة احد القتلة، ظن مايك هاراري ان النزهة الى «ليليهامر» هي نوع من الخبث الشديد لمنافسه سلامة، ولم يكن يتوقع مطلقا، ان يكتشفه العرب.

لم يكن لدى آربيل وبيستاور مشكلة في ايجاد بينامانا. كان يعيش في بنسيون، ليس ببعيد عن المحطة. وقد استأجرت «ماريانا غلادينكوف» و«رول كوسين» هناك ايضا سكنا لهما، وراقباه.

وانتشر الفريق كله في اليوم التالي لمراقبة بينامانا خلال نزهته. وقد فقدوا اثره لفترة. وبعد ذلك، في فترة بعد الظهر جلس على مقهى «كارولين» فجأة، عند مبنى البلدية تقريبا. ثم تحدث بطريقة أثارت ضجة مع عربي آخر حسن المظهر.

حملق غوستاف بيساور لدقيقة في الرجل الثاني، وقارن بين وجهه وبين الصورة الصغيرة التي يحملها معه عدة مرات. انه هو، انه الرجل، لا شك في هذا. واتسع انفعال القناص نظرا لهذا المنظر الجميل جدا. لم يأخذ بيساور معارضة رفاقه بعين الاعتبار، واعتبر انه اخيرا، يتعامل مع علي حسن سلامة بكل تأكيد، الذي يرمز الى اخطر فدائي في العالم. وقد وجد «فريق القتل» عدوهم الذي طالما بحثوا عنه اخيرا.

بعد برهة انفصل الرجلان. وابتعد سلامة بإحدى الدراجات. وغادر الرجل القادم من جنيف «ليليهامر» في اليوم التالي باكراً بعد الظهر.

وقد عادت سيلفيا رفائيل، وافراهام جيهمر ودان اربيل لمراقبته من جديد في اوسلو. وأعاد هاراري تنظيمهم من جديد في المساء.

وطبقا لتقرير دافيد تينين كان على هاراري ان يلتقي في نفس الليلة مع بينامانا. وكما يقول تينين، قام الاسرائيليون بالفعل بتجنيد الجزائري كعميل مزدوج تحت التهديد الوحشي. وقد عصره مايك هاراري بنفسه بعدد من الأسئلة. كان زعيم العملاء لديه شك حقيقي في القدرة على تحديد علي حسن سلامة. لأن العربي يبدو انه يعرف كل مكان في «ليليهامر» ولا يعامله احد على انه غريب. وعند مبادرة بينامانا، أجاب على الفور، وأكد على كل كلمة يقولها: «انه علي حسن سلامة!» فاستغرقت نظرات كلا الرجلين الى بعضهما حوالي ثانية.

ان ٢١ يوليو ١٩٧٣ يعد اسود يوم في تاريخ الموساد. في هذا اليوم يوم السبت سيحدث شيء، هذا الذي يضر بالاعتداد بالنفس لوكالة الصفوة في اسرائيل لسنوات. عاد مايك هاراري وصديقته تمارا من اوسلو مرة اخرى واستأجرا سكنا في فندق فيكتوريا.

فقد بدأ البحث عن سلامة من جديد. فقد اكتشفه «فريق التل» في محل جانبي كان يتحدث مع رجل ملتحى يبدو انه اوروبي. وقد توصلت ماريانا غلادينكوف، التي سرعان ما قفزت الى الماء بزي حمام استأجرته، سمعت انهما يتحدثان بالفرنسية. كان العملاء الآن يجدون وراء سلامة حيث ذهب مع سيدة حامل في اوتوبيس الى المنطقة الهابطة شمالا في نفس المنطقة واختفى كلاهما في احدى شقق منزل مكون من تسعة طوابق.

اوقف هاراري اربع سيارات في المنطقة وجعل ممرات ومخارج المنطقة في ليليهامر تحت الحراسة. وكان لدى كل واحد جهاز راديو ورقم للتحديد. ويتبدل

العملاء مرة كل ساعة. ولم يظل هذا غير مكشوف. في تلك الاثناء وصل مدد جديد. فقد جاء جوناثان انجلبي مع رجلين آخرين وتسجلا في الفندق. على انهما رولف باهر وجيرارد اميلي جورجز لافون اخذ باهر هوية يهودي الماني وسافر بجواز سفر مزيف.

أما باهر الحقيقي فقد ولد في كولونيا ۱۹۳۰ ولجأ الى فلسطين مع ابويه عبر ايطاليا. أما «لافوند» فقد انتحل شخصية يهودي فرنسي، مولود في ١٩٤٥. عاش في باريس في اللافاييت، وهاجر الى اسرائيل قبل ١٩٧١، ليعمل في احدى حارات اليهود في حيفا. لم يعرف الرجل، ان هناك رجلا يسافر من الموساد بشخصيته في كل انحاء العالم.

وهناك من وصل بعد ذلك في هذا اليوم: جنرال زيفي زامير، مدير الموساد، وكذلك معاون له وحارس خاص. وقد استقر كلاهما عند استراحة السيارات التي تبعد ٥٧ كيلومترا جنوبي «ليليهامر»، وهي عبارة عن فندق به دار استراحة على الطريق. كان زامير يحمل في هذه المرة اسم تاهي كانت الساعة ١٩، عندما خرج سلامة والسيدة الحامل مرة اخرى من البيت - من الواضح انها اخت من بيت الطلبة - وقد ذهبا سيرا على الأقدام ناحية داخل المدينة. كانت هي ترتدي معطف مطر اصفر، أما هو فكان يرتدي جاكيت جينز. كان هدفهما السينما التي في ميدان السوق حيث يجري عرض فيلم اميركي عن الحرب العالمية الثانية، في هذا الفيلم يجري تحرير جنرال اميركي من معسكر النازي واسم الفيلم «النسر الشجاع». وقد وصل خبر من تل ابيب الى قوات هاراري ان العملية يجب ان تنتهي في نفس اليوم. راجع كل رجال الموساد بحرص حساباتهم في الفنادق التي أقاموا بها وقابلوا بعضهم البعض في أماكنهم المحددة. وبعد ساعتين ونصف من عرض هوليود السينمائي خرج سلامة والسيدة التي معه من السينما. ذهبا الى محطة الأوتوبيس واتجاها مرة اخرى الى البيت.

كان كل رجال هاراري على أهبة الاستعداد. وبدأت النهاية المأساوية وقد سميت «ليليهامر» في اسرائيل بعد ذلك بكلمة «ليلة المرارة».

في شبه ظلمة لمنتصف الليل في النرويج رأى المحبان سيارة مازدا ٦١٦ تتهادى ببطء، لكنهما لم ينتبها اليها مرة اخرى. كان رولف باهر على عجلة القيادة. وعندما رأى الشخص المستهدف يمر، فرمل السيارة بدفعة عنيفة. وقفز رجل وسيدة من السيارة: هما جوناثان انجلبي وتنسارا.

ورفعا في الوقت نفسه سلاحهما وشخصاه على سلامة. وفي فزع صرخ قائلا: «لا». لكن الوقت كان متأخراً جداً. فقد أصابت الرصاصات الست الأولى بطنه. ولكنه استدار، يريد الهرب فأبت ساقاه. وأطلق قتلة هاراري ثماني رصاصات أخرى. واستقرت رصاصتان في المخ. اقتربت «تمارا» وأفرغت خزانة مسدسها من مسافة قريبة. وأومأ مايك هاراري، الذي كان يرقب العملية من سيارة فولفو، برأسه ممتناً.

وعلى بعد امتار قليلة وقف جيرارد لافونت مستعدا، للهجوم في حالة الضرورة. كانت الساعة ٢٢,٤٧. واستغرق الهجوم خمس عشرة ثانية بالضبط ثم قفز الجناة مرة اخرى في السيارة، وبعد خمس عشرة دقيقة، اعلن طبيب الطوارىء وفاة العربي.

غادر اعضاء الفريق النرويج من خلال طرق مختلفة. وبعد يومين كان كل الرجال في تل ابيب مرة اخرى - ظل فقط ستة من العملاء في اوسلو وهذا هو خطأهم. فعند

إعادة السيارة المؤجرة تم القاء القبض على ماريانا غلادينكوف ودان اربيل أولاً. وساق هذا البوليس الى سيلفيا رفائيل وافراهام جيهمر. وسقطت غلادينكوف كأول واحدة تلك التي كانت تنقصها الخبرة تماماً. بينما روى الآخرون قصصا اختلقوها بمنتهى الفن، ثم حكوا كل شيء. ثم روى دان اربيل الاسباب الخلفية وراء اقامته في النرويج. واكتشف البوليس كنتيجة لذلك رقم تليفون، قادهم الى مسكن احد التابعين للسفارة الاسرائيلية.

وهناك تم القاء القبض على ميشيل دورف اخيرا، العميل الذي كان مسؤولا عن الاتصالات بين اوسلو وتل ابيب، وكذلك كان معه لزيفي شتاينبرغ. بل ما هو أسوأ من ذلك. انه في صباح يوم الاثنين استطاع الاسرائيليون ان يعرفوا من قراءة الصحف النرويجية، من هو الذي قتلوه بمنتهى الوحشية في ليليهامر. فالذي ظنوا انه سلامة يدعى أحمد بوشكي من المغرب. وهو يعيش بالفعل في ليليهامر منذ اربع سنوات ويكسب قوته من العمل كجرسون في احد مراكز الاستشفاء. ويعمل هناك ايضا زوج امه كمدير. والسيدة الشقراء التي كانت بصحبته، هي ممرضة، وقد تزوجته واسمها توريل. وقد انجبت فيما بعد طفلهما الوحيد بعد بضعة اشهر، فتاة اسمتها مليكة.

وانفجر الانتصار الوهمي الكبير في مستقبل مايك هاراري مثل فقاعات الصابون. تواجد هو والجنرال زيفي مرة اخرى في اوسلو. وغادرا البلاد في هذا اليوم، بخفي حنين ـ وربما بمساعدة من زملاء في المنطقة. ومع ذلك حاولت الحكومة الاسرائيلية ان تنقذ نفسها بالكذب. فقد انكرت اي مشاركة للموساد في جريمة «ليليهامر». في الوقت نفسه كانت القنوات السرية لحكومة اوسلو تبذل قصارى جهدها، لمساعدة العملاء الاسرائيليين المقبوض عليهم.

في ٧ يناير ١٩٧٤ بدأت اكبر قضية في التاريخ النرويجي. وبعد ٢٩ يوما صدر الحكم: الحكم على «سيلفيا رفائيل» وافراهام بالسجن خمس سنوات ونصف. أما «دان اربيل» فالسجن خمس سنوات، وسنتين ونصف «لماريانا غلادينكوف» وسنة «لزفي شتاينبرغ». والافراج عن ميشيل دورف. وبعد سبعة اشهر افرج عن «شتاينبرغ» و«آربيل» اما «ماريانا غلادينكوف» فبعد خمسة عشر شهرا. وبعد ٢٢ شهرا عادت سيلفيا رفائيل الى اسرائيل مرة اخرى وكذلك «افراهام». العدالة على الطريق النرويجية.

وبعد هذا علم الاسرائيليون ان علي حسن سلامة كان موجودا بالفعل في اسكندينافيا أيام حادثة «ليليهامر» حيث قابل سائحين اوروبيين وعرب، اولا في استكهولم ثم في اوسلو. وعاد من هناك الى بيروت وقد قال سلامة في واحد من احاديثه النادرة. (عندما قتلوا بوشكي، كنت انا في اوروبا) كان بوشكي موظفا في Hallenbad ، لم يكن وجهه ولا هيئته تشبهني في شيء. ولكن المخابرات الاسرائيلية تستخدم رجالا للمهام الارهابية. وهي تحاول بكل طريقة، ان تقتل الفلسطينيين على سبيل الدعاية. فحياتي لم تكن آمنة بسبب مهارتي، ولكن بسبب الضعف الذي في المخابرات الاسرائيلية، التي هي قادرة فقط، على الضرب في كل مكان.

ومن يلحق به الضرر، لا يهتم وقتها بالتهكم والسخرية. ومع ذلك فإسرائيل محظوظة. وهذا يتعلق بدراما اخرى. كانت تجري احداثها بعيدا جدا عن «ليليهامر». ففي الوقت الذي اطلقت فيه قوات للموساد الرصاص على جرسون مغربي، نجح خمسة فدائيين من «ايلول الأسود» في السيطرة على طائرة تابعة للخطوط اليابانية للطيران.

كانت الجامبو النفاثة في طريقها من باريس الى طوكيو. وتتكون الفرقة المختلطة من ثلاثة فلسطينيين وياباني وعراقي مسيحي قال انه من اكوادور.

وقد بدأت المأساة عندما ارادت السيدة «كاتي جورج توماس» ان تستوضح من احد الركاب عن استخدام مقعدها في الدرجة الأولى.

وعندما امتدت يدها الى حقيبتها، التي كانت تحوي قنبلة يدوية، حلت عن خطأ منها صمام الأمان. ولم تلاحظ الفدائية ذلك. ووضعت الشنطة بالقنبلة على حجرها. ثوان وانفجرت القنبلة وتقطعت السيدة اربا كما اصيب المضيف.

في لحظات استولى الفدائيون الأربعة الآخرون على الطائرة. وقد اخبروا المحطة الأرضية التالية في قبرص، بأن رحلة طيران الخطوط اليابانية GAL 404 من الآن مرتبطة بعملية تبادل: الطائرة وركابها مقابل الافراج عن الياباني كوزو اوكاماتو (الذي نجا من عملية مطار اللد) وكذلك خمسة ملايين دولار اميركي. وسموا عمليتهم «جبل كرمل».

واعتقد الموساد ان الفرقة مكلفة بتدمير الطائرة فوق حيفا، اذا لم تنفذ مطالبهم. وقد انتقل الميل للاقتناص الى مرحلة الاستعداد. ولكن يبدو ان الفدائية القتيلة فقط هي التي تعلم الرد على هذا السلوك. فقد تحدث اليها علي حسن سلامة في مرحلة الاعداد على انفراد.

فيما بعد سارت الطائرة الجامبو في طريق ضال. لم يسمح لها بالهبوط في بيروت. كان الممر في البصرة قصيرا جدا، كما ان البحرين اظهرت القليل من الحفاوة. الا ان دبي استقبلت الطائرة. ووقفت هناك حتى ٢٤ يوليو وظهر ان المفاوضات لا جدوى منها حيث رفضت اليابان المطالب بشكل قاطع.

وبدأت الأوديسة من جديد هذه المرة عن البحرين، والسعودية، وابو ظبي وبيروت ودمشق وحتى بنغازي في ليبيا. باستثناء دمشق لم يتم قبول الطائرة في اي مكان لكي يتم تموينها. وقبل الهبوط في بنغازي بقليل اعلم الخاطفون الطيارين، بأن الركاب سيغادرون الطائرة في خلال دقيقتين، ثم بعد ذلك قد يتم نسفها في الجو. وهذا ما كان ايضا. وصادف الفدائيون لقاء الأبطال المعتاد من الليبيين. وبعد ذلك أعلن الليبيون: ربما يقدم قراصنة الجو الى المحاكمة.. ويبدو ان هذا رغم ذلك لم يكن يحدث أبداً ففي سنة ١٩٧٤ عاد الفدائيون الى وطنهم في دمشق.

وبين حادث ليليهامر ونشوب الحرب العربية ـ الاسرائيلية في يوم الاحتفال اليهودي، في سنة ١٩٧٣ لا تزال هناك ثلاث عمليات رائعة في طريق سلامة المقاوم.

في ٥ اغسطس هاجم فلسطينيان، كانا مسافرين من ليبيا الى اثينا، ركاب احدى طائرات TWA والتي كانت وجهتها تل ابيب. فعندما وصلوا الى المطار كان ضحاياهم قد صعدوا بالفعل. وفي غمرة الغضب اخرج الفدائيان مدفعيهما الكلاشينكوف وبعض القنابل اليدوية من الحقيبة وفتحا النار على طائرة تابعة لشركة T WA وراحلة الى نيويورك فلقى اميركيان مصرعهما، بينما اصيب ٥٥ آخرين. اكد الفدائيون ان هذا للانتقام من مقتل ابو يوسف. وطبقا للاجراءات المعتادة ـ والحكم بالاعدام ـ فقد تم نفي الفلسطينيين الى ليبيا. وبعد ذلك بعقد من الزمان تم إلقاء القبض على احد الفدائيين وهو في طريقه من روما الى برلين. واستفسرت بون في فيينا وواشنطن. لا احد يريده. وكذلك تخلص من العقاب العادل.

كان مسرح الأحداث التالي روما وباريس. احتل خمسة فدائيين في ٥ سبتمبر ١٩٧٣ حفل السفارة السعودية في العاصمة الفرنسية. واستطاعوا بذلك ان يمسكوا في قبضتهم ثلاثة عشر شخصا. وقد طالبوا بإطلاق سراح ابو داود من السجن الاردني. وبدأت حرب الاعصاب من جديد. في النهاية قبل الفدائيون، العرض الفرنسي بالسفر احرارا. وقد اطلقوا سراح كل الرهائن - إلا الدبلوماسيين السعوديين الأربعة - وصعدوا في احدى الطائرات التي ارسلتها من دمشق.

وطاروا بها الى الكويت وفي مطارهم هناك، نجحوا في السيطرة على طائرة كويتية. وحلقوا مع السعوديين الاربعة فوق عاصمتهم الرياض، وهددوا بإلقاء الرهائن من الطائرة. وهذا ما لم يقع احد تحت تأثيره ابدا. وعاد الجميع مرة اخرى الى الكويت. وبعد مفاوضات عنيفة استسلم الفدائيون في ٨ اكتوبر وتم تسليمهم الى المنظمة بعد ذلك بثلاثة ايام. كان لديهم الاستعداد للعمل من جديد. في يوم احتلال السفارة الباريسية فتش البوليس الايطالي شقة في روما. وهناك عثروا على العربي، الذي كان يخفي في دولابه، احد صواريخ سام ٧ القابلة للحمل، والتي تسمى ستريلا. كان هو واربعة آخرون من الفدائيين يريدون اصابة طائرة العال اثناء طيرانها. وادعى الطالب بأكاديمية الموساد «فيكتور اوستروفيسكي» ان رئيسة الوزراء غولدا مائير على متن الطائرة. وتم اعتقالهم والحكم عليهم أمام محكمة ايطالية بالسجن خمس سنوات وشهرين، وبعد ذلك تم الافراج عنهم مقابل الكفالة. وغالب الظن انهم عادوا الى ليبيا.

كان لدى الموساد في تلك الاثناء اضطراب شديد. فالنقاش حول مشروعية «فرق القتل» من الناحية الاخلاقية لقد قسم الموساد الى نصفين. احدهما يريد عدم التأثر بليليهامر والتمسك بالخطة القديمة واصطياد كل الفدائيين - لا سيما البرنس الأحمر - دون النظر للخسائر. والجانب الآخر يقول: نحن لا نريد امة من المجندين والقتلة السريين، فهذا يضر بدعوتنا. ولم ينجح التفكير التعليمي الأخير في مسعاه لذا وقع اول تمرد داخل الموساد، وترك عشرة رجال من اصحاب المراكز الكبرى الوكالة تحت ادانة مدوية.

وقد حددوا في خطاب مرير، للجنرال زيفي زامير ولغولدا مائير، دوافعهم وأهم الأسباب: ان القيادة بمثابة «حاميها حراميها» وان مايك هاراري على القمة وضع لجنة، للبحث في اسباب الفشل في «ليليهامر». وبالطبع لم يظهر ما يضر. وقد برئت ذمة هاراري وكل فريقه من اي ذنب. وعاد المرء للحياة اليومية. كأن شيئا لم يكن، وضعف الموساد بعد يوم كيبور. وجاء ٦ اكتوبر ليمثل ضعفا جديدا. حيث استرجعت القوات المصرية ٣٠ موقعاً في سيناء كانت قد احتلتها اسرائيل، وهاجمت سوريا الجولان: وكانت هذه الحرب بمثابة الكارثة على اسرائيل.

الفصل الثامن

جامعة الموساد

(١)
تدريبات الموساد

إنَ العمليات التي تقوم بها المخابرات الاسرائيلية تعد سرية ولا ينشر عنها شيء الا بعد فترة وغالباً في الصحف الأجنبية، وهكذا فهمت ايريكا تشامبرز في تلك الايام هذه الحقيقة. وطبقاً لما أدركته اريكا تشامبرز والتقاه المماثلون فلا يمكن للانسان ان يطرح اسئلة على الموساد. ولا يوجد متحدث رسمي للمخابرات، ففي التنظيمات الديمقراطية لا يوجد مكتب اتصال للصحافيين ليس فقط بوكالة المخابرات المركزية الاميركية، لكن في نفس الوقت لدى رجال مخابرات كي.جي.بي السوفياتية الغامضين السابقين على التوالي والتنظيمات التابعة لهم. وليس من السهل الحديث عن الموساد. وبالإضافة الى ذلك التنظيم المحافظ فإنه يمكن تسجيل التواريخ الشخصية لمدراء الموساد من اسرارهم الشخصية. ان من يعلن عن الاسماء، يعتبر خيانة عظمى ويلقى عقوبة قاسية. ولهذا السبب يدرك الكثيرون من المطلعين على بواطن الأمور مع من يمكن التعامل. ان الرئيس الحالي للموساد، والذي كان من الممكن ان يفشي اسرار هذا المنصب كان يتواجد بجانبه في احد الأيام مايك هاراري وفي الجوار توجد ادارته.

ان وكالة المخابرات المركزية تتبع وتغطي اخبار البيت الأبيض في واشنطن والـ «بي.ان.دي» مكتب المستشار الاتحادي لحكومة بون، والموساد مكتب القدس لرئيس الوزراء. وهناك تنتهي كل الطرق، حيث تلتقي عيون داود. بجانب هذا فإن رئيس الوزراء، نفسه من افراد الموساد المحالين الى التقاعد، يتجنب الكثير، مما يمكن للمخابرات ان تأتي به علانية. ونطقه بكلمة لا تعتبر قاطعة، لأنه يمسك بناحية المساومات والاستعداد لاضرار العواقب بالنسبة لاسرائيل، وافضل مثال لذلك كتاب فيكتور اوستروفيسكي الموساد والمثير للجدل، والذي اوجد ظهوره رغبة لدى رئيس الحكومة لايقاف هذا الانهيار الجليدي. وفي النهاية خسرت اسرائيل من عدة وجهات النظر.

هل توجد ثمة حقيقة الآن عن الموساد؟ وعندما تكون الاجابة بالايجاب، اين؟ ولأن وكالة المخابرات المركزية متواجدة في الغابات المحيطة بواشنطن، بالضبط في لانجلي، ـ فهذا ما يعرفه كل صبي بالغ في أميركا. وبالخوف والفضول كان المواطنون

السوفيات دائما وفي واقع الأمر ينظرون الى لوبيانكا المقر الرئيسي التاريخي للـ كي . جي . بي . وبعد انقلاب اغسطس ١٩٩١ احتشدوا كذلك امام المبنى السيىء السمعة واخذوا ينزلون التمثال الذين يزن اطنانا لمؤسس البوليس السري تشكا ـ والذي تحول الى الـ كي . جي . بي ـ من على قاعدته ذلك الذي يعرف لأول وهلة اين توجد الموساد، يعرف تماما صورة ادارة الاستخبارات الاسرائيلية؟ وحتى اواخر الثمانينات كانت الموساد متواجدة وسط مدينة تل ابيب، في أحد المباني العالية ذات المكاتب يسمى هادار دافنا . ويقع هذا المبنى في شارع الملك شاؤول، على نفس المستوى خلف مجموعة من المكاتب المماثلة، والتي تسمى بأسماء اميركية وآسيوية .

اما هذه الايام فإنها تخدم اغراضا اخرى، ومن هنا تتواجد رئاسة الموساد مع مركز تدريباتها «الميدراشا» . وتوجد اكاديمية الموساد بالقرب من الشارع الرئيسي الذي يعج بالكثير من الحركة من تل ابيب الى حيفا، بالضبط بالموقع، حيث يبدأ الطريق الدائري الى القدس . وبالقرب من المركز الرئيسي للموساد يقع «النادي الريفي»، وهو فندق معروف . والمكان الطبيعي للتدريب لوكالة التنمية الجديدة يعتبره الكثير من الاسرائيليين كمقر صيفي لرئيس الوزراء . وتطالب ميدراشا الموساد بإيجاد مؤسسة لها، حيث يمكن لرئيس الحكومة الحالي ان يستريح من متاعب وظيفته . وهكذا يدرك الانسان ويعود نفسه على حد سواء . وفي اثناء مدة دراسة اريكا تشامبرز كانت اسرائيل تحت رئاسة غولدا مائير، وأحياناً في عام ١٩٧٤، برئاسة اسحاق رابين .

وقد استمر التدريب لمعاوني الادارة الرئيسية للموساد في الستينات مرتين لمدة ستة اشهر . وبفترة قصيرة قبل مجيء اريكا تشامبرز امتدت الفترة الدراسية لسنتين كاملتين . وهذا ما تضمنته كتابة احد عملاء وكالة المخابرات المركزية في جريدة المخابرات حول الموساد وجاء فيها ما يلي : «إن دورة تدريبات الموساد تتضمن برنامجا استهلاليا لـ «العمليات الاساسية»، والتي يفكر فيها بالنسبة لافراد مرتبة الخدمة الفرعية، برنامج للعمليات الأساسية وبرنامج للعمليات الخاصة . ويجب على كافة الضباط المرشحين حضور برنامج لمدة اربعة شهور لـ «العمليات الاساسية»، وذلك قبل تمكنهم من دخول الخدمة . وتمتد فترة دورة التدريب في مجملها الى ما يقرب من سنتين، ومن المعتاد ان يتكون الفصل من اثني عشر رجلا . . والمدربون في برامج الموساد من المدرسين الدائمين والعاملين في المخابرات بعقود تدريس محدودة المدة وافراد من الرئاسة، تحت ادارة مدير الموساد ووزراء الادارات وتعالج المحاضرات النطاق الخاص المناسب» .

وفي الغالب فإن كافة العملاء من الذكور يجندون من داخل الوحدات الخاصة للجيش الاسرائيلي . . وهذا معناه، انهم من ذوي التدريبات الكاملة ولديهم الحافز الزائد . وبالنسبة للنساء فإن الترشيح يتم بشكل مماثل . فإنهن ايضا من الممكن ان يكون لهن خدمة قتالية مباشرة منتهية او بكل بساطة رسبن في الكفاءات الخاصة . والاستثناء الوحيد للكشف عن العملاء هو الصورة الذهنية التي قدمتها كل من اريكا تشامبرز وسيلفيا رافيل . لا بد وانهما قد تحررتا من الديانة اليهودية ومن ناحية اخرى لا بد وانهما غير اسرائيليتين وغير عسكريتين . وحيث ان سيلفيا رافيل كانت قد تسللت من قصر ملك الأردن، وهنا تتهاوى كما نشأت، ومجال الصورة العالمية مع مقر صاحب الجلالة

بباريس المناسبة، كما لو كانت صف ضابط اسرائيلي بكلمة عبرية، على قدر الامكان.
وتعتبر الشهور الأولى للتدريب جهداً جسمانياً للغاية. ويتدرب الطلبة على الدفاع من خلال العمليات القتالية. ويجرون كثيرا ويمارسون خليطا من تدريبات اللياقة. وبطبيعة الحال فإن العمل اليدوي الأول للعملاء يتعلق بالخطة التعليمية: استخدام الشيفرة، وإرسال التقارير، والملاحظة، والتمويه والخداع. وقد اسهب فيكتور اوستروفيسكي ذلك بوضوح في كتابه، حيث قال:
تخصص نقاط محددة للطلبة، يجب عليهم التخلي عنها عند وقت محدد، ويتخلون عن مأمورية محددة. وبعد ذلك يجب عليهم كتابة التقارير، سواء تبعهم احد او لم يتبعهم. وعندما يلقون بظلالهم، فعندئذ يجب عليهم إرسال التقاير، من الذي رأيت، ومتى، وكم من الناس وكيف يبدون. والطلبة، الذين يرسلون التقارير، لن يكونوا في الظل، بل يجب القول، اين ومتى كانت الملاحظة، كيف فحصوها وما هو السبب وراء عدم تتبعهم للتفسيرات..
وهكذا فإنه من الضروري العلم، بأن الانسان لن يلقى بظلاله، كما هو معروف، لكن يبدي ملاحظاته. وعندما يعتقد الانسان انه ألقى بظلاله، وهي ليست ظلالا، هنا لا يمكن للانسان اكمال عمله على اية حال.. وقد فسر لنا ايضا، ان المنازل التي نعيش فيها، بكل تأكيد ستكون منازلنا ولذا يجب علينا في الصباح، عندما نخرج، بالتأكيد، بأننا لا نلقي بظلالنا، وهكذا بالضبط، وعندما نحضر وبالنسبة لكافة العمليات والمقترحات التي تم تصورها خلال التدريب بالأكاديمية ومجال الاقامة ومساكننا الخاصة بالتأكيد هي المنازل.
وينقسم الطريق إلى قسمين رئيسيين. فالمألوف ان الانسان يقوم بوضع الخطط على الخريطة، ويترك موقعا ويختفي بطبيعة الحال الأماكن المكتظة. ويتناول البحث عن النقاط الاستراتيجية، وكذلك الأماكن الاستراتيجية، حيث يمكن ان يبرر توقفه ومن حيث يمكن ان يلقي نظرة عامة على الامتدادات، التي توصل اليها ولكن دون ان يرى نفسه. وبالتطابق، فإن طبيب الأسنان يستقبل مرضاه بالطابق الثالث من أحد المباني. وفي هذا الطابق توجد نافذة، والتي من خلالها يمكن ان يرمق المكان الذي يخرج منه اي شخص الى الشارع. وعندما يحصل الانسان على برنامج دراسي متعرج طفيف، ويجتازه، وعلى التو يدرك، إذا كان قد ألقى بظلاله أم لا. ومن النافذة سيرى الشخص المقتفى أثره، كيف رمقه وبعدئذ انتظره.
واذا ما ألقي الظل من جانب فريق ما، فإنني عندما اخرج من احد الفنادق سأجد نفسي محاطا. ومن ثم سأجري بسرعة ولمدة خمس دقائق، حتى افرق حلقتهم وبعدئذ اسير في خط متعرج الى احد المباني، وأبحث عن نقطة مراقبة واراقب، كيف سيتجمعون ثانية. وفيما بعد يجب علي في كل حادثة ان امتنع عن ممارسة العمل. ثم اركب احدى الحافلات، واتجه الى مكان آخر في المدينة ويتكرر عمل ذلك. وبكل تأكيد وببطء واعطيهم فرصة تتبعي.
وما يجب على الانسان ان يفعله عندما تلقى عليه الظلال؟ هي أن يترك المقتفى أثره، وعندما يمر هذا الأمر، فكيف يمكن للانسان وبالتأكيد عندئذ ان يراجعه؟ وبالمثل وفقا لذلك، ينظرون ثانية، وإنني متأكد تماماً، ستكون المراقبة، وبعدئذ أضع كل

الأنشطة التي تم تخطيطها للمرحلة الثالثة.. وكل واحد منا يحمل في جيبه قلنسوة صغيرة، وعندما نتأكد انه قد القيت الظلال علينا، نرتديها بسرعة. وحينذاك يجب على الانسان ان يتجه الى احد اكشاك الهاتف، ويختار رقما، ويقول اين هو، ويذكر ان الظلال القيت عليه ـ أو لم يحدث ـ ثم يتجه بعد ذلك الى المنزل حيث تناقش الحالة مع احد الطلبة في المنزل.

وهذا بالطبع يتعلق بتكتيك السلامة، والذي يجب على اريكا تشامبرز ان يكون في مقدورها ان تعرفه عن ظهر قلب خلال نشاطها الذي يكاد يكون في البرد. المراقبة الحادة ستكون مطلوبة ايضا. وهذا يمكن ان يحدث، وان يعرض المدرب فيلما وتتوقف الدورية عند بعض الأماكن. وعندئذ وفي الحال يطرح الأسئلة: من كانت تلك السيدة التي في آخر تسلسل؟ ماذا كانت تحمل خلال تواجدها في الموقع؟ كيف يمكن معرفة تحليل شخصيتها؟ كيف يمكن تفسير مسلكها؟ وهكذا يتم التساؤل حول كافة التفاصيل. ومرة اخرى يجب على اريكا تشامبرز ورفاق الدراسة دراسة التصوير الجوي، والصور الأسرية، واللوحات الفنية وطبع المواد الجوهرية، وينتقلون الى احدى الموائد، ويضعون المواضيع العديدة المفككة. وفي اللحظة الثالثة يضع المدرس قطعة قماش على المواد المختارة ويسأل عن الاشياء بالاشارة الى الأمثلة الموجودة على الجانب الشمالي للمائدة. ويجب على العملاء الصغار ان يكون لهم القدرة على الاستيعاب، بل وايضا يمكنهم وبسرعة البرق طبع أدق التفاصيل. ومن الأمور الهامة على وجه الخصوص، بإلقاء الظلال على الشخص المستهدف مع دمج الأحياء المجاورة. ولا يجلس عملاء الموساد وحيدين في احد المقاهي وينظرون من خلال ثقب بإحدى الجرائد ويتظاهرون بقراءتها بل يكونون الصداقات مع الفتيات الجميلات الجالسات حول المائدة المجاورة او مع احد كبار السن من الرجال الذي يكون في الحضيض، ويثيره للدردشة معه، ويضحك ويمزح. ولا يحدث لقاء بينهما بعد ذلك، وهنا تكون الصورة مناسبة تماما. وهذا بطبيعة الحال ما يجب تعلمه: ومن ثم يتم إرسال اريكا تشامبرز ورفاق الدراسة لمثل هذا التدريب على لعبة الحياة في تل أبيب ويجب ـ من وجهة نظر مدربهم ـ ان يتخلوا عن المقترحات الصعبة.

وقد كتب ديفيد تيفين في كتابه «فرق الهجوم» كيف تحدث الاثارة لدى عملاء الموساد الصغار من ذوي الهوية الظاهرة: «وتبدأ عملية الدراسة بمغامرات كاملة غير ضارة. ويمنح الطلبة جوازات سفر مزورة في مطار اللد، حيث يجب وصولهم ضمن ركاب احدى الدرجات السياحية وفي ذلك الوقت يصمدون للاختبار، لكي يدركوا، اذا ما كان بإمكانهم الالتفاف دون اي دلالات على الانفعالات العصبية لدى مرورهم خلال رقابة الجوازات (دون تخمين على الاطلاق). وبعد ذلك يتعلم العملاء فن التسلل. ومنذ البداية فإنها ليست خطرة. وبأي وسيلة سيتم انتقاء التنظيم العسكري او مراكز نقل السلاح الجوي، ويطلب من الدارسين، بعد ذلك ان يلقوا نظرة عامة على نسبة الاتساع لتحديدها، وبناء على ذلك يجدون السبل، لسبر أغوار المبنى المختص. ويقوم في نفس الوقت احد القادة من «شين بيت» بالتدريس، بأن إحدى الجماعات الارهابية في تلك الليلة المحددة تخطط للقيام بغارة. وهكذا يجد الطلبة انفسهم اثناء «التدريب» محاصرين بالخطر او اطلاق النيران.

ان تلك الاقتراحات تعتبر تقليدية بالنسبة لتدريبات الموساد. وحتى الآن فإن العميل الأسطورة فولفجانج لوتس، وهو يهودي الماني، والذي تظاهر بأنه نازي في مصر، لا بد وانهم اجازوه في الاختبار من بداية الستينات. انه لم يتعلم فقط نظام المودس والشيفرة، بل ايضا كافة القواعد البسيطة للتآمر والمراقبة المكثفة. وقد أهله ذكاؤه ليكون احسن برهان، فقد نجح، في تجارة نقل معدات السلاح الاسرائيلي الثقيلة وفي مرة ثانية قام بشحن عبوات متفجرة عن طريق مكتب بن غوريون، ولقد أعجب به المديرون.

(٢)
الأداء الداخلي للموساد

ان الاتصال العدواني بالعدو هو أهم وسائل المخابرات الخارجية الاسرائيلية. ومن ثم فإن من المهم، ان يكون العميل على دراية جيدة بإطلاق النيران. وفي الحال وفي وقت مبكر يتدرب على استخدام السلاح الأوتوماتيكي. وكل فرد لديه مسدسه الشخصي وفي الغالب يكون من طراز برتا عيار ٢٢، بل ويجب ايضا ان يكون بإمكانه التعامل وبوثوق تام بمدفع الهاون من طراز عوزي علاوة على ذلك لا بد وان يكون على دراية صحيحة بالمواد المتفجرة. واريكا تشامبرز من وجهة النظر تلك ليست استثناء، ولها ان تعرف ذلك، وعلى عكس الكثيرين، وكيف يمكنها استخدامه فيما بعد. ويتوقع ان يكون عميل الموساد ذا وضوح ذاتي، لكي يدافع عن نفسه دون سلاح، ويمكنه ان يحدث جرحاً خطيراً لعدوه، كما يتعلم ايضا اشكال النماذج القتالية الآسيوية الصارمة على وجه الخصوص.

والنصف الثاني من البرنامج الدراسي يكون حول المعلومات العملية وحول الأماكن الممكنة فيما بعد. ويجب ان يتعلم طالب الموساد كيف يمكن ان يؤلف بنفسه الاسطورة ويعيش فيها تماما. وفوق هذا يكون لديه ملايين التفصيلات حول الحياة اليومية في احدى البلاد، وعلى سبيل المثال جمهورية المانيا الاتحادية. وفي كل وقت يكون هناك نداء كيف سيتم تسديد ايصال التيار، كم تكلف تذكرة الترام في مدينة هلينستر، وإن الألمان الشماليين يمكن كبحهم بسهولة أكثر. ويتعلم العميل الذي يغرس في منطقة الراين او سبري، كيف يمكن الحكم على الألمان بالمفهوم الذاتي، وماذا يختارون عند الاقتراح السياسي. ولماذا لم تنته حرب معاداة السامية. وتبدأ العملية بأعمال فنية صغيرة: إحضار تذكرة سفر بمترو الانفاق من اتحاد المواصلات بميونيخ من الماكينة الذاتية وينتهي بدورة من جوازات السفر الألمانية المزورة. ومن يرسل من رجال الموساد الى المانيا، يعرف الاحساس المرهف لاتحاد كرة القدم والثغرات في التسجيل. ويعرف ايضا اي المراكز الشرقية المساعدة للجماعة اليهودية او اي اخوة في العقيدة في خدمة جميع الأجناس ـ ما يسمون سانيام ـ ويثق بهم واي منهم يمكنه من ترك البلد التي لم يتعرف عليها. ان الاسرائيليين لديهم استعداد لجمع الحقائق والتي بقياسها لا يمكن تقديم تخيلات عن الألمان.

وبالطبع ستكون هناك قيمة كبرى لهذا المقر ليس لأن من يعملون بالموساد من الصفوة المطلقة فقط. ففي جيش اسرائيل اشياء اخرى، بخلاف الدرجة الجامعية.

ويجب على رجال الموساد ان يكون في مقدورهم اصابة الهدف، ومع هذا لا يسمح ان تكون البطولات باستخدام المسدس. فالألعاب الرومانية هي اوج الأولويات الاساسية. وهذا ما لاحظه ايضا الزملاء الأميركيون. وقد دونت ادارة الخبرة التابعة لوكالة المخابرات المركزية في صحيفة الموساد السرية: «وبعض ضباط الموساد الشبان، الذين ربما في نطاق مبنى الأكاديمية لضعفهم في اللغات الأجنبية، يرسلون الى الجامعات في الخارج: حيث يكون العمل للوصول الى اعلى الانجازات في نفس الوقت كتمويه لنشاطهم المؤثر بجانب متابعة الدراسة. فضلا عن هذا فإنه من أحد اهداف عمل الاستخبارات والأمن، ان يكون كل ضابط فصيح اللسان في التحدث باللغة العربية، وهكذا توجد برامج دراسية مكثفة لمدة تسعة اشهر لدراسة اللغة العربية من جميع اقسام الاستخبارات الثلاثة على مدار العام في الأماكن المتاخمة لتل ابيب.. وكذلك فإن ضباط الموساد، الذين يخطئون في العمليات العربية، يجتازون امتحانا للتدريب اللغوي في اللغة العربية تماما مثل ضباط شين بيت. وبالنسبة لتدريباتهم الأخرى يعمل ضباط الموساد لمدة عامين في دوائر الادارة الاسرائيلية، وهكذا تتطور مهارتهم اللغوية، قبل وصولهم الى مواقعهم في الخارج.

وأول رحلات الى الخارج يمكن ان تكون من خلال برامج تدريبية. وتستخدم الموساد عملاء شبانا واوراقا مزورة واولها وثيقة ومأمورية سفر الى القاهرة عن طريق باريس، وهناك يتم تبديل جوازات سفرهم ويجب اعطائهم خلسة بطاقات هوية جديدة. وفجأة وفي وقت قصير قبل اقلاع الطائرة من باريس الى القاهرة، ينادى عليه في المطار باسمه الحقيقي وهنا يتواجد رجلان يكونان في الانتظار داخل شباك الاستعلامات وعندئذ يلقى بعميل الموساد الشاب عديم الخبرة داخل أحد المكاتب ويؤخذ بأسئلة شائكة. ومن ثم يجب ان يسيطر على دوره في كل موقف ولا يسمح له بعمل اي خطأ بلغة منمقة ولا يسمح له بأن يقع فريسة للخوف كطفل يحتاج للحماية من السفارة الاسرائيلية.

«ماالذي سيحدث له في الأيام التالية؟ من الممكن أن يكون كريهاً جداً وكئيباً. ومن الممكن أن يوضع في الحبس، ويحقق معه دون توقف، بل وربما يعذب بشدة بدنياً. أو ربما من المحتمل إذا ما أصبح مدعى عليه أن توضع المخدرات في حقيبته ويكون من معاوني تجار المخدرات. ما الذي يجب عليه أن يفعله في مثل تلك الظروف؟ لهذا الغرض هل يجب عليه ان يستعطف لالحاقه للعمل بالسفارة الاسرائيلية حيث يتلقى المساعدة، ام يجب عليه ان يروي لرجال الشرطة، انه بالتأكيد شاب يهودي لطيف، وبالمناسبة يستكمل طلبه الأول؟ وبعد ذلك ربما يثق فيهم بل ويقول «استمعوا أيها السادة، إن معي جواز سفر مزوراً، وأنا لست ممن تبحثون عنه» هل ينبغي ان يفعل ذلك؟

وعندما يضمن العميل الشاب كل احساساته بعدئذ لا ينبث ببنت شفة ولا يقول شيئاً البتة. وبعد تلك الامتحانات القاسية، التي يجب ان يمر بها، ربما يتم استخدامه ولكن بعد امتحان آخر اكثر قسوة.

وحينئذ يعرف ان رؤساءه الجدد سيكونون مسرورين عندما يكتشفون، المدى الذي وصلت اليه مقاومته بالضبط، وكيف انه في ظل كافة الظروف الصعبة من الضغط والتوتر الشديدين صمد. وبعد ذلك ربما يحتجز لمدة اسبوع وبكل تأكيد في أحد المنازل غير

العادية وبالضبط في أحد ضواحي باريس ثم يطلق سراحه فجأة وفجأة يضحك الرجال الذين ضايقوه وضربوه لمدة اسبوع او اسبوعين، من فوق الكتف ويقولون له، إنه الآن قد أصبح جاهزاً للتوجه إلى القاهرة.

وتبدأ المأمورية الاصلية. وهنا يجب على العميل الذي تم توظيفه ان يبقى في القاهرة مدة ثلاثة اسابيع وبأي وسيلة يجمع المعلومات، والتي تزكي وظيفته. كما يجب عليه ان يلبس جلدا جديدا ليصبح اسطورة. ومن خلال نظام لا يكل يجب أن يتواجد داخل اجنحة مدينة عربية كبيرة. ولا يسمح له بالسقوط البغيض وأولاً وقبل كل شيء الا يقع في اي وقت داخل دائرة الخوف. وبكل حواسه يجب عليه ان يكيف ظروف الأخطار ويبعدها عن ذهنه. وعلى اي حال فإن رجل الموساد سيحاول التعرف على الكثير من المصريين المهمين بقدر الامكان، «ليستخلص» على كل الاستفسارات.

ولدى العودة الى اسرائيل، يتخذ اولا مكانا غير رسمي في باريس. ومن ثم يصل الى تقييم الخطوة النظرية. وهنا يحكم اذا ما كان العميل قد تم اختياره لاحدى مهام الموساد أم لا. واذا كان الرد بالإيجاب عندئذ يسمح له بالالتحاق ببرنامج تعليمي خاص وبالتأكيد ستكون الوظيفة في جيبه. اما اذا كانت بالنفي، عندئذ يقسم بأنه لن يتحدث اطلاقاً طوال حياته بأن تلقى تدريباً مع الموساد وكذلك فإن العملاء الذين عملوا لسنوات طويلة يصفون انفسهم بأنهم ينتمون الى وزارة الدفاع وان الآخرين يمارسون مهنة مناسبة. وعلى سبيل المثال فقد وجد فيكتور اوستروفيسكي نفسه في منتصف الثمانينات في هذا الموقف؛ وبعد فضيحة السلاح انتقم لنفسه وألف كتاباً عن الموساد. وكان الضرر غير محدود. وهكذا لا يمكن أن يتحدث إلا بنسبة تتراوح بين عشرة الى خمسة عشر بالمائة فقط عن فترة التدريب في الموساد.

ان إعداد العملاء يفترض الالتزام بمتابعة الدراسة. وعن مؤلف كتاب المخابرات المركزية الأميركية المجهول حول جهاز المخابرات الاسرائيلية يقول: «تتبع اجهزة المخابرات الثلاثة في مجملها مدرسة للتقدم في القدس، والثانية - حتى الوصول الى برنامج دراسي خاص لمدة ثلاثة اشهر حول المشكلات السياسية العالمية، الأهداف السياسية والاقتصادية لاسرائيل، وسائل المساعدة الفنية للعمليات والمعلومات الأكثر حداثة ازاء ما تقترحه اجهزة المخابرات الاجنبية». وكل المسؤولين، الذين يقفون في منتصف عملهم، يجب ان يزوروا مدرسة التقدم تلك، وذلك عندما يعودون من احد الأعمال في الخارج. كما يجب ان يتم تسجيل ما يقرب من اربعين الى خمسين دارساً في كل برنامج دراسي. ويجلس اعضاء التدريس سويا كممثلين لمدارس المخابرات الثلاث ويخضعون مباشرة لمدير الموساد. ويأمر رئيس الوزراء او احد كبار المسؤولين الآخرين بفض الدراسة وذلك بعد امتحان يقيني.

يطلق على العملاء الشبان اسماء مستعارة، حتى يمكنهم السفر الى اسرائيل، دون اكتشاف لهم. (وكانت اريكا تشامبرز نفسها على اي حال منذ وقت بدايتها مع اوراق الموساد المزيفة باسم روث آلوني).

ومن خلال تلك الاسماء الاسرائيلية العالمية فإن الموضوع يتعلق بترتيب الحيل الكثيرة للموساد. ويوجد الكثير من امثال «روث آلوني». ويمكن استخدام الاسم دون غيره في نفس اليوم في بلاد كثيرة. وفي كل حالة فردية بطبيعة الحال يمكن ان تتعامل به

عميلة أخرى. وعلى اية حال فإن العدو يكون في اعلى درجات الارتباك خاصة في محاولة استشفاف اعماق اللعب مع «روث آلوني». وفي الخطوات الاخرى دائما ما تعود تلك الانكليزية الى اسمها الحقيقي، لأنها في الأصل كانت معدة للانتقام من علي حسن سلامة.

ومن الحلقة الدرامية الحرة للموساد وبالنسبة لهذه النقطة يتم الحصول على جوازات سفر لفترة لا تزيد عن ثلاثة ايام. وبعد تلك الفترة، فمن السهل بمكان، الانكار خلال استفسارات البوليس الدولي حول التزوير او الاستجواب اللحظي من جانب سلطات البوليس الوطني. ومثل جوازات السفر تلك الضئيلة القيمة فإن معظمها يكتشف بها اسماء ذات استخدام يومي شاق وبهذا تكون زائفة تماما، والأمر الأكثر اجهادا ما يعاني منه الفني للبيانات الشخصية «النصف دائمة» وعليه تجمع الموساد هويات حقيقية، والتي تتخلى عن استخدامها بأي وسيلة ذات يوم. وكما ظهر في الأمثلة السابقة، فإنه يمكن لليهود المهاجرين الى اسرائيل استخدام أحد الأسماء وتواريخ جوازات السفر وهو لا يعرف كل الاشياء فالتواريخ المستخدمة غير قانونية. فقد سافرت سيلفيا رافيل باسم باتريشيا روكبرو إلى جميع أنحاء العالم مع العلم بأن باتريشيا روكبرو الأصلية الكندية الجنسية لم يكن لديها اية فكرة على الاطلاق. لقد احاطتها سحب كثيفة، عندماواجهت الحديث عن الصورة طبق الأصل منها. وبطبيعة الحال فإن صاحب الاسم الأصلي ومسار حياته سيكون ضئيلاً ولا يعرف التبرم او حتى الموت في اماكن بعيدة. وبعدئذ تهتم الموساد كذلك بالشك الدائم ويجب على العميل الذي يحمل احد تلك الأسماء ان يلتحم بمنهج الحياة حتى يختبر أدق التفاصيل. ويتم تخزين آلاف التواريخ، لكي يخفي حامل الاسم الجديد بيانات الاسم موضوع المناقشة دون مبرر معقول وقد أحس مايك هاراري في بعض الاحيان، بأنه يقدم خدمة جيدة باستخدام اسم ادوارد مستانيسلاس لاسكير. وصاحب الاسم الأصلي لاسكير ذاته لم يشاهد منذ عام ١٩٧٢. ومثل تلك الارتباطات ستكون مثالة فيما بعد، عندما تصل المواجهة بين اريكا تشامبرز وعلي حسن سلامة الى ذروتها.

ومن اكثر المصاريف الاحتمالية التي تدفعها الموساد، هي تلك التي يتم بها تعيين الافراد واصحاب الخبرة. فإن احد الألمان المبدعين، وسنطلق عليه اسم جينتر شميدت، احتكر لنفسه احد بيوت الاجازات في قبرص. وفي هذا الموضع عرض أوراقاً المانية مزيفة. وشيئا فشيئا تعرف علي جيرانه، واصبح بالتدليس «صديق الدراسة القديم» فتردد على زيارتهم وأقام معهم عالماً ظاهرياً كبيراً. وأخذ يقص على الجميع أنه يمتلك مؤسسة فنية في ديسلدورف. وفي الوقت الذي كان فيه يجهز منزله في قبرص، عرض احد المتخصصين في الموساد شراء معرض ديسلدورف على الفور.

وباسم جينتر شميدت طلب تصريح عمل واصبحت الشركة الظاهرية حقيقة. وعاد جينتر شميدت الى المانيا ونظم نفسه حسب وجوده الجديد وبوسيلة ما ضاعت اوراق اثبات الشخصية المزورة. ولم يعد لديه وثيقة الميلاد. لقد اختفت خلال فوضى الحرب. وعلى سبيل المثال فقد أثبت صاحب المعرض انه من مدينة ستراوسبورج بشرق المانيا. وهكذا يستقر جينتر شميدت حاليا في ديسلدورف. واعلن عن تأسيس شركة للتصدير والاستيراد، تشتغل بالتجارة مع الدول العربية. وربما يكون قد أسس فرعاً له

في عمان. وهكذا تمكن من بدء العمل الحقيقي.

وبالنسبة لأناس من امثال جينتر شميدت استرد جواز سفر وفقاً للأوراق الأصلية. ومن ثم يقول فيكتور اوستروفيسكي:

«تواصل الموساد داخل قبو الأكاديمية اقامة مصنع صغير ومعمل كيماوي، حيث يمكن عمل مختلف أنواع الأوراق. ويعمل الكيميائيون على توحيد تحليل الأوراق الأصلية ويكتشفون المزيج المضبوط، بخصوص نسخ الأوراق اللازمة لانتاج النسخ المطلوبة. ويتم تخزين رزم الورق في مخازن ذات درجات حرارة محددة ويحتفظ برطوبة الجو. ويوضع على ارفف التخزين الأوراق الخاصة بجوازات سفر معظم بلدان العالم.. وعندما قمت بزيارة المصنع كطالب شاهدت أكواماً من جوازات السفر الكندية على بياض. وكان هناك اكثر من ١٠٠٠٠ جواز. ولا اظن ان تلك الكمية ـ، انه على اي حال يحتمل الاعلان عن فقدها ـ على الأقل لوسائل الاعلام.

وعند وصول العديد من المهاجرين الى اسرائيل يطلب منهم اذا كانوا يودون تسليم جوازات سفرهم، لإنقاذ اليهود. واي شخص، قادم مباشرة من الأرجنتين ليستقر في اسرائيل، وغالباً لا يكون لديه ما يعترض عليه لدرجة انه يقدم جواز سفره الأرجنتيني طواعية، وهكذا يضاف هذا الجواز الى كتلة الجوازات الأخرى، ليعيد الى الذاكرة تلك المكتبة التي يتواجد بها عدة آلاف من جوازات السفر. والمدن، وحتى الاحياء، والتي تحمل اسماء يهودية او غير يهودية تصنف جميعها وفقا للقدم وتثبت التواريخ باستخدام الكومبيوتر. ولدى الموساد ايضا مجموعة كبيرة من اختام جوازات السفر والامضاءات، والتي تثبت في سجل الاداء اليومي. والكثير من تلك العلامات يتم تجميعها بمساعدة البوليس، والذي يفحص الجوازات من آن لآخر ويمكنه تصوير الأختام المختلفة، قبل اعادتها الى اصحابها.

ويحدث ان ينتهي سريان الختم ذاته بالجوازات المزورة وبصورة دقيقة. وعلى سبيل المثال عندما حمل جواز سفري على ختم في أثينا في أحد الأيام المحددة، تعمل الوحدة ان يتحدث عن الوقت الصحيح للطائرة في قوائمها وفقا للختم والإمضاء، وهكذا يتم الاتصال بأي شخص في اثينا، واي موظف يمكن ان يقدم خدمة للحصول على معلومات صحيحة. وهذا ما يجعلهم يفتخرون بأعمالهم تلك».

(٣)
مأمورية اريكا

جواز السفر يملأ عادة بأكثر من عشرين ختماً، ويقولون انه لا تخطىء أي عملية تتم بوثيقة مزورة. وعلى سبيل المثال سأحصل على وثيقة مزورة، واضافة معلومات عامة عن يوم اذكر فيه انني كنت في اثينا، وكيف كان الطقس، وماذا عن عناوين الصحف، وعن اي شيء كانت تدور الأحاديث على وجه العموم، واين كنت امضي الليل، وماذا كنت افعل هناك وهكذا.

وعندما يتم تخريب احدى العمليات بعد العديد من صدور الأوامر الفنية، عندئذ يجب التعامل كثيرا مع غير البالغين من الناس. وعلى الفور تحيط الموساد نفسها بهالة

متميزة بأعلى درجات الكمال، وهي على اتم استعداد لتكون من افضل اجهزة المخابرات في العالم، وهكذا فإن العديد من الخبراء يضعون فوق رؤوسهم هذا التاج، ولهذا السبب فإنهم ينسون عن رضا، ان ذراع داود الطويلة كان لها وقع اقدام اخيلوس، التي كان من الصعب جعلها خفية. وهكذا فإنها تخرج لجمع المعلومات الحقيقية والتي يمكن ان تكون سرية من العالم العربي وتشارك الغرب في نفس المسار.

ويتعامل عملاء الموساد الاسرائيليون مع اخوتهم الساميين باشمئزاز وينظرون اليهم وكأنهم اجسام غريبة ويشكلون تهديدا وعداوة، وانهم اهداف لكراهيتهم. وتلك ليست من القواعد الجيدة للأبحاث غير المتميزة. وكذلك فإن الكثير من المحاولات التي قام بها الاسرائيليون كانت بغية استكشاف العالم العربي. وكان جهل الموساد يجعلها تخطو بخطوات «شديدة السرية» وتبعا لذلك فلم تكن تقع في المخاطر، حيث ان المعلومات الرديئة سترفع نقاب الشبهات. كما ان اسطورة المخابرات المعصومة عن الخطأ، التي يتعهد بها الانسان ويستمتع ببهجتها، ستصاب بالضرر.

وحيث ان القليل من الاسرائيليين يعرفون ما هو الجاسوس السري، تكشف ذلك قبل حرب ١٩٧٣ وحرب ١٩٨٢ ومباشرة خلال ازمة الكويت وما تبعها من عملية «عاصفة الصحراء»، وحيث كانت دبابات صدام حسين مستعدة للدوران، احتفل رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية، الجنرال امنون شاهاك، بدون مبالاة بحفل زفافه. ثم قام برحلة شهر العسل مع قرينته الجديدة. وفيما كان الاسرائيليون خلال الأشهر التالية يشيرون الى دورهم المفترض ان يدعم تدابير المعلومات السرية حول ملاحظات العراق، اتسع نطاق خيبة الأمل نسبيا لدى الشركاء الأميركيين. وقد قال احد رجال المخابرات في واشنطن: «ان ما وضعه الاسرائيليون امامنا على المائدة، كان فضيحة. وهكذا لم نتمكن من كسب الحرب».

لقد كانت اريكا تشامبرز متلهفة على المأمورية. لقد شعرت في قرارة نفسها بالتحدي والتوهج، ان مأموريتها الجديدة تعتبر من الأنواع التي تجلب الامتاع الداخلي، والتي كانت تبحث عنها لفترة طويلة. ويمكنها ان تحيا حياة طيبة بكل ما فيها من مدلولات لكي تفعل شيئا لرفاهية اليهود وفي نفس الوقت تكسب مالاً وفيراً، حيث انها وظيفة أكاديمية أو من الممكن أن تكون نشاطاً إدارياً. وبهذا العمل اجتازت كافة الامتحانات حيث حصلت من رئيسها مايك هاراري على هدية كبيرة في صينية. ومن ثم كانت تمهد لمأمورية اكثر طموحا، تمناها لها الموساد. يجب عليها ان تصطاد علي حسن سلامة، بكافة الوسائل وبأي ثمن. وعلى اي حال عليها ان تمعن النظر، ومن الأفضل ان تكون رغبتها هي الأقوى، وعليها ان توجدها وفي نهاية الأمر كانت تعرف بالضبط ان غريزة القنص وتصيد سلامة يجب ان تصل الى حالة من الهوس لديها.

لقد درست تلك الانكليزية كل الملفات الخاصة بزعيم الفداء الفلسطيني وأخذت في تتبع ادق التفاصيل، وأخذت تبحث بنفسها على الدوام تنقلاته في العالم. ودرست صوره، وغاصت في دراسة تفاصيل وجهه المرح. ان كلمات الخبير سلامة التي يضعها مدرسوها تحت نظرهم، وعلى رأسهم مايك هاراري، لها صداها في أذنيها. وكيف انه لم يسبق للاسرائيليين التعامل مع عدو رهيب. انه لا يبدو مثل هؤلاء العرب الذين يأتون من البلاد الثرية ولهم كروش ضخمة ولحية كثة، لقد كان متوهجا، وماكرا، ولا يثير

الشك، ومدركا لأغراضه. ويؤكد جواسيس اسرائيل داخل منظمة التحرير الفلسطينية ان علي حسن سلامة من الممكن أن يكون قاسياً، ولكنه مع ذلك فطن وجذاب وإن أي امرأة تلتف تماماً مع اصبعه. واعتقدت اريكا تشامبرز انه فاتن للنساء، وابتسمت بدهاء لهذا الاستنتاج.

وقد اذاعت اخبار «السرية الصارمة» اسرار حياة الأمير الأحمر. انه تخرج من احدى المؤسسات التعليمية وهو ابن لاحدى الأسر ذات الموارد المالية الضخمة ولا يحتاج الى اي شيء.

ويأتي ذلك الصعود المفاجىء لأبو حسن سلامة في منظمة التحرير الفلسطينية متلازماً وصعود عرفات السريع. وهو معروف على وجه الدقة في اوروبا، وفوق كل ذلك في المانيا. ويتحدث سلامة الفرنسية بطلاقة، وإلى حد ما الألمانية والانكليزية متوسطة. وشبكته في اوروبا دائماً ما تكون شاعرية وفي نفس الوقت تتعاون مع جماعة الجيش الأحمر الايرلندي ـ ويتقابل سلامة شخصيا معهم وقليلا وبصورة منتظمة مع الزعيم الايرلندي سيموس كوستيللور ـ ومع الفريق الأحمر الايطالي، والانفصاليين الباسك من منظمة ايتا E.T.A علاوة على ذلك فإنه يستفيد من حرية حركة الدبلوماسيين العرب، وعلى رأسهم الليبي والجزائري. وينقلون له السلاح، والمواد المتفجرة والأوراق المزورة، والتعاليم للفدائيين العاملين معه في اوروبا. وهنا يمكن لجماعة منظمة (أيلول الأسود) في حالة الحاجة يجدون المأوى ويختفون لبضعة ايام، وذلك قبل عودتهم الى بلدانهم في الشرق الأوسط والكثير من اسلحتهم تبقى، على سبيل المثال في ايدي الجيش الأحمر الايرلندي.

ويسجل الاسرائيليون في قوائمهم، بأن الأسلحة التي استخدمت في مخططات القتل للأردنيين الخمسة في بريل بالقرب من كولونيا ومحاولة قتل السفير الأردني في لندن تتبع اصلا لتفويض من احد الليبيين. ويقول مصدر آخر للأخبار، بأن علي حسن سلامة يتوقف في فترات قصيرة في جنيف، لأن تلك المدينة تعتبر مكاناً له قيمته واهميته في استراتيجية منظمة «أيلول الأسود». وتعتقد اريكا تشامبرز انه لا بد وان تكون السمة الدولية وحياد سويسرا، هي التي تجذبه، وتقول لنفسها ممكن ان يكون أيضا المال، كما اكتشفت، لأنه دائماً ما يقوم بزيارة البنوك السويسرية. ويحظى علي حسن سلامة، وليس غيره بثقة «الكبار» كما يسمى عرفات في بعض الأحيان داخل منظمة التحرير الفلسطينية. ومن ثم يغرق الجميع بملايين الدولارات. ويقوم بمساعدته فرانسيس آرنود، وهو نازي جديد ورئيس البنك التجاري الغربي في جنيف.

ويهوى الزعيم الفدائي توزيع الأموال بملء يديه. كما انه يدلك النساء، ويستمرىء دغدغة الأعصاب بلغة الروليت وأحيانا يشرب كثيرا حتى يروي عطشه. وتنظر جبهته الى الآخرين كأنهم فدائيين مكلفين ويتصرفون على نحو غير لائق، ويقضون الليالي مصوبين نظرات رزينة على طول الحدود الاسرائيلية ويضربون جيش الدولة اليهودية بما يصيبهم اصابات دموية قاتلة. انه من مدمني ارتياد النوادي والاستمتاع بحياته، حيث توجد انجازات تصويب خداعة. وقد استقر في احدى المرات في مكتبه بمنطقة الفاكهاني وبالقرب من اسرته ـ وفي ذات الوقت ولد ابنه الثاني اسامة ـ وبعدئذ لم ينم ليلة ثانية في سريره. انه دائم تغيير الشقق كما يغير الآخرون قمصانهم. وليس بعجيب، أن يصل

متعقبه في وقت متأخر. وفي طرق تعامله لا يمكن معرفة اي تخطيط. ولذا تحتم البقاء مدة عام، حتى اصبحت كلاب هاراري البوليسية مدربة تدريباً جيداً بما فيه الكفاية، ليحيطوا به ويحسبوا الخطوات الممكنة التالية بالنسبة للاقتراب منه.

في تحليل لماكينة احد محللي ادارة معاداة الارهاب «التخطيط والتنسيق المؤثر» الاسرائيلية: «ان علي حسن سلامة يمثل على وجه الخصوص شكل الألمان». وهذا الاحساس يبدو انه توارثه عن الأب وهذا ما يجذبه الى النساء والألمانيات على وجه الدقة. ومن هنا نشأت معه فكرة التعاون مع الألمان ودعوتهم لزيارة الشرق الأوسط حيث قامت رحلة سياحية من برلين الغربية، يوم ٨ يونيو ١٩٧٠ متوجهة الى بيروت. ومنذ ذلك الحين ولدت قيادة عصابة بادر ماينهوف. ولاتقان العمل قام رجل سلامة المدعو سعد الدين بشراء التذاكر من مكتب كريم للسياحة في برلين الغربية، وذلك رغبة في مشايعة الثورة العالمية وفي نفس الوقت الحاجة الى التدريب على استخدام مدفع الكلاشينكوف.

وفي بيروت خضعت المجموعة لرجال الكوماندوز، والتي يمكن تحمل تأثير محامي الارهاب هورست مالر بصعوبة، وهنا استطاع واحد فقط من الالمان الثلاثة تقديم مستنداته الشخصية. بجانب هذا لم يكن هناك مجال للشك بخاتم التأشيرة. كما انه كان على المجموعة ان توطد اقدامها، وعن طريق المنظمة الفلسطينية يتم انقاذهم مرة اخرى ويسافرون عبر دمشق الى الأردن. والمحطة النهائية كانت معسكراً للتدريب تابعا لمنظمة فتح، يقع بين عمان والحدود الاسرائيلية، وفي هذا المكان الصحراوي الحجري القفر، لزم عليهم ان يقضوا اسبوعاً للتحدث حول العلاقات الأولية في عملية التعاون بين الفريقين.

وعاد رسول منظمة فتح سعد الدين الى برلين وقام بتسليم جوازات سفر دولة الامارات العربية المتحدة، والتي كانت من انتاج ورشة التزوير في الرصد، الى مجموعة سياحية ثانية. ويوجد في تلك الأوراق صور أشخاص ليسوا بأقل اهمية مثل اندرياس بادر واورليك ماينهوف. وفي يوم ٢٢ يونيو ١٩٧٠ قامت هذه المجموعة وغيرها بالسفر جواً من برلين الشرقية الى دمشق. وللتجديد كان لزاماً على أفراد الخدمات الأمنية في منظمة التحرير الفلسطينية التدخل لكي يمكن إدخال الرفاق الألمان الغربيين بسلام الى الأراضي العربية حيث سافروا في اليوم التالي الى عمان. وبعد حفل استقبال عسكري في القيادة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية توجهوا الى سجل الضيوف. وبالنسبة لكل ارهابي الماني، لا بد من تخزين المعلومات بسجل البطاقات. علاوة على ذلك تعمل منظمة فتح على تجهيز صور جواز السفر: ومع كل الحرص فإن العملية المضادة لقائد عملية منظمة «ايلول الأسود» والتي جرت في ابريل ١٩٧٣، اوقعت هذه المستندات في ايدي الاسرائيليين.

ويتم ضم الرفاق القادمين من الخلايا السرية ببرلين في المعسكر الصحراوي حيث يرتدون ملابس القتال الخضراء وقلنسوات من نفس اللون. وعلى هذا فقد دون مؤرخ ماينهوف ستيفان اوست، ان اندرياس بادر كان الوحيد الذي استمر يرتدي بنطلونه الجلدي. وهكذا قرر بعد ذلك التجول في المنطقة الخشنة. وبخلاف ذلك قام بالتخطيط في اول مساء مع هورسف مالر والاهتمام بعدم التجاوب داخل قوات حرب العصابات.

ومع مجموعة لاثني عشر حليفاً رفضت التدريبات المنظمة وكذلك الطعام البدائي، وعلى الأغلب المعلبات المهربة من وكالة الاغاثة والتشغيل الدولية (اونروا). وكان يجب على احدى الفتيات وبحماس ان تبتهل للحصول على الكوكاكولا من احدى الماكينات الأوتوماتيكية.

ويصف ستيفان اوست هذه الحالة المنافية: «نقوم في الصباح في تمام الساعة السادسة ونتناول الشاي القوي الحلو، وتبدأ التدريبات لشوط الصمود. وبعدئذ نتخذ وضع التدريب على إطلاق النار وفقاً للخطة، وحمل السلاح والمدفع الرشاش وأيضاً مدفع الهوزر للخنادق. ويتم تسليح الجميع بمدفع الكلاشينكوف الروسي الصنع، وفي المساء يعلق على وسادة السرير. وكذلك يتم التدريب على التسليح بالقنابل اليدوية. وحصل اورليك ماينهوف في احد الايام على قنبلة يدوية روسية الصنع ذات مقبض. وأوضح له المدرب كيف يمكن للمرء ان يفك الكبسولة، وبعدئذ يجذب حلقة الانطلاق. وجذب اورليك، وبدأت القنبلة تنفث بسهولة وانتشر الدخان. وبدلا من قذفها اخذ ينظر اورليك الى القنبلة اليدوية في يده وتساءل: ماذا يجب علي ان افعل الآن؟ «وصر أحدهم بطريقة تدل على التملق. وبوقت قليل قبل الانفجار القى اورليك بهذا الشيء المخيف لعدة امتار قليلة وتوجه الجميع خلف كومة من الصخور للتغطية».

وعندما اصيب هؤلاء الألمان بالقلق عبر الحواجز، وخلال ذلك أطلق مدربهم الجزائري النيران مما يتعارض مع قواعد نظم «بادر» الخفيفة المستهدفة. ومن ثم، وكما قال، بأن مدينة رجال العصابات لا تمت بصلة الى التدريب: وعندما ينكب الزائر على أول دور في التدريب وكذلك التعرف على حياة الشقاء في مخيمات الفلسطينيين يأتي الكفيل المحلي للزيارة: علي حسن سلامة ويسرد خلال الزيارة تقارير النضال المسلح التي تخدم الشعب الفلسطيني المقهور. ورغم ذلك يهتم بإثارة النزاع حول احتياجات حياتهم اليومية، وبسرعة تسوء الأمور. وبالتأكيد سوف توجه الانتقادات الى السياح السياسيين.

ويقوم زميلهم في النزاع بيتر هومان بالتعاون مع سلامة ضد بقية الرفاق. وهكذا ينتهي صبر العربي. وبالتأكيد، وبكل بشاشة يصطحب الألمان مرة اخرى الى المنزل. وفي الحال وبسرعة علاوة على ذلك يجب على القادمين من برلين الثوريين اصحاب الأهداف النبيلة، ويعتذر سلامة عن مساعدتهم رغماً عن ارادة منظمته الشهيرة ايلول الأسود. وتظل علامة حسن سلامة بالمانيا لغزاً تحير الموساد.

الفصل التاسع

بين غصن الزيتون ومدفع الكلاشينكوف

خرجت اسرائيل من حرب اكتوبر ١٩٧٣ مهزومة، وكان شهر ديسمبر ١٩٧٣ شهر الأحزان حين توفي اكثر من ٢٤١٢ فرداً إسرائيلياً كضحايا لحرب اكتوبر، وكان موت ديفيد بـن غوريون في هذا الشهر هو قمة الأحزان.

وبدأت جولات وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر بين مصر والسعودية والأردن وسوريا، ولبنان واسرائيل، وقد تباحث مع كل حكومة حول السلام وتلطيف التوتر في العلاقات وساير اقتراح الرئيس المصري أنور السادات الى الدعوة لعقد مؤتمر خاص بالشرق الأوسط في جنيف.

ولقد تشاور العرب في الجزائر قبل ذلك بأسابيع ومن ثم قاموا بتحليل الموقف وقد تم التوصل الى صيغة رسمية من السادات. كانت مفاجأة للجميع: ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وكان ذلك الاختلاف الجوهري مع الملك حسين، الذي كان يدعي لنفسه هذا الحق، وانه يمثل مصالح الفلسطينيين. وأهم تأثير على هذا كانت تلك المعطيات، وهو ان منظمة التحرير الفلسطينية ستصل في احد الايام لأن تكون الأغلبية. واصبحت الآن تقف على قدميها، حيث تم اعتراف الجامعة العربية بها باعتبارها ذات مسؤولية.

والآن اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية من الناحية الجوهرية اقوى على المستوى السياسي. وفي شهر ديسمبر ١٩٧٣ مهدت القوى الكبرى لفترة ذوبان الجليد. وكانت دولتا الجبهة الهامتين، سوريا ومصر، توافقان حتى ذلك التاريخ على أهمية فحوى القرار الدولي ٣٣٨، والذي جاء فيه «مباشرة وفي خط مواز لمفاوضات وقف القتال بين الاطراف المتقاتلة تحت الحماية المناسبة»، والهدف كما جاء في تفسير القرار ٣٣٨، «عودة السلام الدائم والعادل في الشرق الأوسط» ولم يرق ذلك للجناح العسكري بمنظمة التحرير الفلسطينية على الاطلاق. فبعد يوم من تأكيد اللجنة المركزية على القرار رقم ٣٣٨ الدولي، اقر مجلس وزراء عرفات العملي الاستمرار في «الكفاح المسلح» ضد المنشآت الصهيونية بناء على رغبة «الثورة الفلسطينية».

وهكذا في يوم ٢٥ نوفمبر بدأ اول عمل لمواجهة العمل الفدائي الفلسطيني الحديث. وكانت هناك طائرة جامبو نفاثة تابعة للخطوط الملكية الهولندية في طريقها من بيروت الى نيودلهي وطوكيو وعلى متنها من العراق ثلاثة رجال من جماعة غير معروفة «الشباب العربي الوطني لتحرير فلسطين» كما كان هناك ٢٤٤ راكبا، ١٧ من افراد

الحراسة. وقد اجبر القائد على الهبوط في دمشق. وقد رفض السوريون تزويد الطائرة العملاقة بالوقود. وقد اضطر الفلسطينيون الثلاثة الطيران مرة اخرى الى نيقوسيا. وقد طلب قراصنة الجو من السلطات القبرصية اطلاق سراح سبعة من الفدائيين، في بداية ابريل من نفس العام - كان هناك مخطط محاولتين - واحدة ضد اقامة سفراء اسرائيل، واخرى على المطار الاسرائيلي. ورفضت قبرص، ومع ذلك يوم ٦ ديسمبر اصدرت عفوا عن الفدائيين وطاروا الى القاهرة.

وتكررت عملية اختطاف طائرة الجامبو. وكانت المحطتان التاليتان في طرابلس ليبيا ولافالتا مالطة. وهكذا تم اطلاق سراح المسافرين ومعهم ثماني مضيفات.

وفي اليوم التالي، ٢٨ نوفمبر، طارت الطائرة وعليها عشرة من أعضاء الحراسة وأحد الرهائن، نائب رئيس شركة KLM مرة أخرى إلى نيودلهي، وقد بذل الهولنديون الكثير خلال كل يوم. وتحت الضغط وعدت الشركة بألا تنقل اي سلاح بعد ذلك الى اسرائيل. واضافة الى هذا اكدت حكومة لاهاي للعالم العربي بأنها لن تعطي تراخيص مرور لليهود السوفيات في طريقهم الى اسرائيل، وبخلاف هذا ألا تسمح هولندا بمرور اي اسلحة او متطوعين لاسرائيل ورفض اي تصاريح دخول البلاد. وعاد الكوماندوز الى دبي. وهناك اذعنوا بألا يعوقوا الرحلات الى الخارج. وظاهرياً استسلم الفدائيون لمنظمة التحرير الفلسطينية في ابو ظبي.

وهناك ايضا احد العرب الثوريين هو رئيس ليبيا معمر القذافي. فهو لم تتم استشارته عندما دخل اخوانه في شهر اكتوبر الحرب ضد اسرائيل. قدم الأموال الى المصريين وانتهى القتال بأسرع مما كان يتصور - ورغم كل ما يقال - كانت مرة اخرى مصلحة العرب. والآن عليه أن ينفق الأموال من أجل مواصلة الحرب «واذا لزم الأمر لألف عام». ومن محاسن الصدف، فإن ليبيا معترف بها من الجبهة الشعبية ومن منظمة (أيلول الأسود) بأنها العميل والكفيل. وفي دوائر الخلايا السرية في بيروت ودمشق يأخذون الدولارات من القذافي بكل سرور ويقدمون على شرفه عمليات جديدة.

مكان الجريمة مطار روما لينواردو دافيشي (فيومتيشيني) اليوم: ١٧ ديسمبر ١٩٧٣. سرعان ما يتقابل اربعة من العرب قادمين من مدريد وآخرون قادمون من طرابلس. وداخل حقائب المسافرين القادمين من ليبيا يكتشف رجال الجمارك بعض الأسلحة. وفي اللحظة التالية يخرج العرب الآخرون مدافع الكلاشينكوف من الحقائب ويطلقون النيران بصورة جنونية دون تبصر داخل صالة المطار المزدحمة. وبعد لحظة من الهلع يرد البوليس الايطالي على النيران بالمثل. ويقبض الفدائيون على ستة من ملاحي المطار ويسحبونهم معهم الى طائرة ٧٠٧ تابعة لشركة بان اميركان كانت راسية في المطار. وبعد فترة وجيزة وجدت تلك الطائرة نفسها بعد الاقلاع متجهة الى بيروت وطهران. وقد ألقى الفدائيون قنبلتين فوسفوريتين في الكابينة وسرعان ما اشتعلت النيران في الطائرة. وقد احترق اربعة من المسؤولين المغاربة كانوا ينوون القيام بزيارة رسمية لطهران، واربعة عشر اميركياً من العاملين في شركة النفط العربية الأميركية. أما الـ ١٤ مسافراً الباقين فقد عاشوا، وقد اصيبوا في بعض أجزاء من اجسامهم بجراح خطيرة.

وحتى هذه اللحظة كان مجموع من ماتوا من البشر ٢٩ فرداً أما الـ ١٨ الباقين فقد أصيبوا بجراح. وجرى الفدائيون وعرفوا عن أنفسهم فيما بعد بأنهم احدى المنظمات

الذاتية وكيف انهم اختطفوا طائرة شركة بان اميركان الجامبو ومعهم رهائنهم الى احدى طائرات البوينغ ٧٣٧ التابعة لشركة لوفتهانزا، والتي كانت على وشك الاقلاع بعد دقائق قليلة الى ميونيخ. وقد اطلقوا النار على احد رجال البوليس الايطالي ورجل ثان خارج الطائرة. وباصطحاب خمسة افراد من الرهائن الستة نجحوا في احتلال الطائرة. وأجبر الفلسطينيون قائد الطائرة اللوفتهانزا جوكروز على التوجه الى بيروت. ورفض اللبنانيون هبوط الطائرة، وواصلت الطائرة طريقها الى اثينا. وهناك طالبوا الافراج عن رفيقين من منظمة «ايلول الأسود» واللذين قاما باغتيال الركاب الذين كانوا في انتظار طائرة الخطوط الجوية العالمية وكان الفدائيان السجينان مترددين وقد صرحا انهما ينتميان لجماعة اخرى مثل مختطفي طائرة اللوفتهانزا.

وأثناء التفاوض، طلبوا من أحد الركاب، وكان يجلس في آخر صف، ببشاشة بأن يتقدم إلى الأمام. وأطاع متردداً. وقد أخفى الفدائيون ضحيتهم خلف احدى الستائر وسقطت طلقتان. ومات الرجل وألقي بالجثة خارج الطائرة. لقد كان الفدائيون عصبيون جداً وأخذوا يطلقون النار مراراً وتكراراً فيما حولهم. وأكدوا في مواجهة شركائهم في الحوار في مطار اثينا، انهم قد تخلصوا من مساعدي الطيار وثلاثة مسافرين آخرين. ومع ذلك لم يكن ذلك صحيحاً. وحيث أنهم لم يكونوا على علم بأي تقدم، لذا أجبروا الطيار بالاتجاه الى دمشق. وهناك سيتم تزويد الطائرة بالوقود وتزود والأطعمة وستكون المحطة التالية الكويت. واستسلم الفدائيون وأطلقوا سراح بقية الرهائن. وبطبيعة الحال كان لا بد من تأمين سراحهم بمرافقة الحراس لهم.

ومع هذا فإن تلك الخطة لم تختف كلية. وعندما طار الفدائيون يوم ٢ مارس ١٩٧٤ من الكويت إلى القاهرة سيلقي البوليس المصري القبض عليهم. وطلبوا طائرة جديدة ـ حدث يوم ٢٢ نوفمبر ـ من أجل الضغط لاطلاق صراح هؤلاء الكوماندوز. وطار الفدائيون الخمسة الى تونس.

وتقابلوا في النهاية مرة اخرى يوم ٧ ديسمبر في مكان خروجهم الأصلي: طرابلس ليبيا. وفي ذات الوقت جاء فدائيان آخران أطلق سراحهما من أحد سجون هولندا إلى ليبيا. وخلال التحقيق معهما في الكويت وصلت أنباء سارة من روما عن خلفية العملية. أنهم أصلاً كانوا مكلفين باختطاف طائرة هنري كيسنجر في بيروت. وحيث انه قد تم كشف الخطة، تم إرسال أحد الرجال إلى روما. إن المقصد الفدائي كما كان مخططا له العمل على إعاقة مؤتمر السلام في جنيف. ويقرر الفلسطينيون ان الأوامر بتكليفهم بهذه المأمورية وصلتهم من أحد الدبلوماسيين الليبيين وبخلاف هذا فإن الأسلحة كانت ستنقل داخل الحقيبة الدبلوماسية الليبية كما قرر الليبيون تأمين حياة أسر كل المنتمين الى جماعات الكوماندوز. وتلك كانت الشبكة الاجتماعية لايداع الأموال العربية.

وعرف فيما بعد، ان نحس «منظمة الشباب العربي الوطني لتحرير فلسطين» عدم الولاء الحزبي لمنظمة (ايلول الاسود). وعلى قمتها يوجد المنشق عن منظمة فتح احمد عبد الغفور، واسمه الحركي ابو محمود الذي دار من وراء ظهر عرفات واصبح الآن يستمع الى اوامر القذافي. وعبد الغفور، علاوة على ذلك فإنه صديق للمعارض ابو نضال، المنظم للعمليات الفدائية في روما. وبكبرياء وغرور عاد بعدئذ الى بيروت لقضاء بضعة ايام. وهناك تقابل مع رؤسائه السابقين، ومن بينهم ابو اياد وعلي حسن

سلامة وقد وجها اليه اللوم بصورة استبدادية ازاء التعامل مع مصالح منظمة سبتمبر (ايلول الأسود). وفي يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٤ قامت فرقة تنفيذ الاعدام التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية بقتل عبد الغفور. لمْ تكن عملية قتل عشوائية، بل عصيان وكما يلي: العديد من رجاله قاموا بعملية قتل مماثلة بعدم اكتراث قتلوا فيما بعد ابا نضال. وقد سحب الراديكاليون داخل منظمة التحرير الفلسطينية كافة السجلات لاعاقة التوصل الى عقد سلام بين العرب واسرائيل. وأخذوا يقلقون من التدفق المعتدل المتزايد حول عرفات. وقد كونت اربعة منظمات ما يسمى «بجبهة الرفض» والمتحدث الرسمي باسم هذه المنظمة هو الدكتور جورج حبش من الجبهة الشعبية والشريك في الخصومة الأسبق احمد جبريل (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة). وفي تصريح لهما عبر اذاعة بغداد في شهر يوليو ١٩٧٤ اعلنا «ان المحادثات مع العدو الصهيوني ستعتبر من جهتنا بمثابة خطوة كبرى في سبيل الاذعان للعدو، والاعتراف به وقبوله، وانه انكار لحق الشعب الفلسطيني الاختباري. ومثل هذه الوقفة الانهزامية ستبعدنا عن اهداف الثورة العربية والميثاق الوطني الفلسطيني». وهذا ما يفكر فيه الفلسطينيون أولاً، وما أشاروا اليه منذ ثلاثة اشهر ونصف..

وفي يوم ١١ ابريل ١٩٧٤ اقتحمت وحدة من رجال الكوماندوز من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مستوطنة كريات شيمونا الاسرائيلية، والتي تقع على الحدود اللبنانية. وقد فتح الفدائيون الثلاثة النيران وقتلوا ١٨ شخصاً من بينهم ثمانية أطفال وخمس نساء وصرح أحد اعضاء المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأن هذه العملية ما هي إلا بداية لحملة القوى الثورية داخل اسرائيل و «اعاقة الحل السلمي العربي الأسرائيلي». وفي يوم ١٥ مايو ١٩٧٤ قامت احدى وحدات الكوماندوز التابعة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بزعامة نايف حواتمه بمهاجمة مستوطنة معالوت، على بعد ثمانية كيلومترات من الحدود الجنوبية اللبنانية. وعلى ذلك فقد مات ٢٥ اسرائيلياً، من بينهم ٢١ من اطفال المدارس وجرح ٦٠ طفلا. وصرح نايف حواتمة في أحد الايام ان العملية كانت تستهدف انشطة هنري كيسنجر. وكما جاء في كلمات حواتمة، فإن وزير الخارجية الأميركي مستمر في عملية تهدف الى تصفية قضيتنا، وبعد ذلك قالت غولدا مائير ان هذا يوم مرير على دولتنا.

(٢)
الأمير الأحمر

وفي يوم ٢٣ مايو (أيار) اجتازت مجموعة اخرى من وحدات الكوماندوز الحدود الشمالية للدولة اليهودية. وكانت قوات الأمن الاسرائيلية تقوم بأعمال الحراسة. وقد قتل ستة فدائيين، وأسر اثنان وبعدئذ في يوم ١٣ يونيو هاجم الفدائيون التابعون للقيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مستعمرة كيبوتز شامير في الشمال. واصابوا اربع نساء، وذلك قبل مصرعهم. وفي يوم ٢٤ يونيو اقتحم ثلاثة من مقاتلي فتح بلدة نهاريا الساحلية وقد قتلوا اربعة اسرائيليين من بينهم طفلان وبعدما تم مصرعهم. وكما في كل

تلك الحالات يرد الاسرائيليون بجسامة حيث تقوم طائراتهم بمهاجمة مراكز النقل الفلسطينية جنوب لبنان، وتدك مدفعيتهم المواقع والمخيمات فيما وراء الحدود الشمالية

وجاء شهر يوليو ١٩٧٤ ومعه خطرة سياسية جديدة هامة، فقد اعلن الملك فيصل، ملك المملكة العربية السعودية بأنه سيزور منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين فيما اتفق الملك حسين ملك الأردن والسادات رئيس مصر على ان منظمة التحرير الفلسطينية هي «الممثل الشرعي للفلسطينيين باستثناء الفلسطينيين الذين يعيشون في المملكة الهاشمية».

وكذلك اعلن ان عرفات سيحضر قمة الجامعة العربية في الرباط يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٧٤، والتي حققت نجاحا كبيرا اذ جاء في البيان الختامي «تقر القمة حقوق الشعب الفلسطيني، وتحرير الأراضي الفلسطينية وقيام سلطة وطنية مستقلة برئاسة منظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الذاتية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني».

ولم يتحدث أحد كثيراً عن المقاتلين الاثني عشر التابعين لمنظمة (ايلول الأسود)، الذين وصلوا الى الرباط بتكليف من ابي نضال لقتل ملك الأردن. وقد تم للبوليس المغربي القبض على وحدتي الكوماندوز في الوقت المناسب باسلحتهم وقد أعلنوا أنهم جاؤوا من اسبانيا ولم يتحدث أحد كثيراً عن المفتي الحسيني. هذا الرجل العجوز العظيم والزعيم الفلسطيني في الثلاثينات، والذي مات في ذلك العام عن سن يبلغ ٧٩ عاما، شاعراً بالمرارة والنسيان.

وفي لحظة تحرك الشعب الفلسطيني الى اتجاه آخر تماما. وأخذت نظراتهم تتجه في ذلك الوقت الى زعيمهم الحالي. وفي يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ دخل ياسر عرفات بكبرياء في ردائه العسكري ومسدسه امام الوفود المجتمعين في الأمم المتحدة بنيويورك. واستمرت كلمته لمدة تسعين دقيقة، وقد استقبل بحماس بالغ من مندوبي الدول العربية ودول العالم الثالث الأخرى، وقد طالب «أبو عمار» إلغاء دولة اسرائيل، واقامة دولة ديمقراطية تتكون من العقائد الدينية الثلاث الاسلام والمسيحية واليهودية. وفي حالة رفض اسرائيل لهذا العرض، (هكذا كانت رؤية رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الدبلوماسية عندئذ) فسرعان ما يمكن ان نفكر الجميع في الارهاب الجديد الشديد الخطورة وفيما يلي النقاط الجوهرية في خطاب عرفات التاريخي:

«إنني أوضح هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطيني وكقائد للثورة الفلسطينية، انني عندما اتحدث عن آمالنا المشتركة بأنني اتحدث بشأن مستقبل فلسطين، ربجهدنا المشترك مع كل اليهود، الذين يعيشون حالياً في فلسطين ويريدون ان يعيشوا معنا على ارض فلسطين في سلام ودون تمييز عنصري، وبوصفي رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيساً للثورة الفلسطينية فإنني ادعو كل يهودي على حدة ان يتخلى عن وعود الصهيونية والقيادة الاسرائيلية المضللة. وهذا لا يمكن ان يعود على اليهود بشيء آخر سوى الاستمرار في سفك الدماء وحروب لانهائية. ونحن ندعو اليهود ان يخرجوا من عزلتهم. كما أننا نقدم لهم عرضاً عظيماً اننا نريد ان نعيش معهم في فلسطين الديمقراطية في إطار التعايش السلمي الحقيقي.

وكرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية فإنني اقول اننا لا نريد سفك قطرة دم اكثر من هذا لليهود والعرب والحرب غير ضرورية بعد السلام الحقيقي، المبني على الحقوق الوطنية وجهد وآمال شعوبنا.

وكرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية أناشدكم واتقدم لكم بصفحات نضالنا من أجل تحقيق حق تقرير المصير.. وأناشدكم ان تعملوا ايضاً على إعادة شعبنا الذي طرد قهراً، وتحت ضغط السلاح ودون حق. وبعودة شعبنا الى وطنه ومنازله، وليستمتع بأشجار حقوله وحقوقه ويعيش في سلام، ومن ثم يتقاسمون نهج المدنية البشرية.

وانني أناشدكم بإمكانية اقامة شعبنا لسلطته الوطنية المستقلة ووجوده الوطني على ارضنا. ولقد جئت اليوم ومعي غصن من زيتون في يد وسلاح الثورة في اليد الأخرى فلا تدعوني اسقط غصن الزيتون من يدي».

وفرح الفلسطينيون في مخيمات اللاجئين في لبنان، والأردن وسوريا وحتى تلفزيون بيروت قدم خدمة عن طريق الاتصال بالقمر الصناعي مع نيويورك ونقل دخول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية على الهواء مباشرة. وانتابت الفدائيين نشوة الفرح، واندفعوا امام المنازل يطلقون النار في الهواء من مدافع الكلاشينكوف.

وقد أقرت الجمعية العمومية مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشات المشكلة الفلسطينية وحصلت على ١٠٥ اصوات بالموافقة (من بينهم ايطاليا، وفرنسا وايرلندا) وأصوات بعدم الموافقة (اسرائيل، بوليفيا، جمهورية الدومينكان والولايات المتحدة الأميركية، وامتناع ٢٠) من بينهم المانيا الاتحادية، انكلترا، وهولندا، وفي تحقيق لأحد المسؤولين أشار الى ان وزير خارجية اسرائيل ذكر بأن هذا القرار غير قانوني، وإن منظمة التحرير ليست منظمة تحرير وطنية، بل منظمة ارهابية وقال يوسف تبكو، مندوب اسرائيل لدى المنظمة الدولية «ستتعقب اسرائيل القتلة من منظمة التحرير الفلسطينية ولن تسمح اسرائيل في اي جزء من فلسطين ان تصل اليه سلطة منظمة التحرير الفلسطينية ولن تتمكن منظمة التحرير الفلسطينية من إكراه العرب الفلسطينيين. ولن تتحمل نفاذ صبر يهود اسرائيل».

وقد ألمح تبكو لما ادركه من خطاب عرفات عن اليد الثانية ولهذا السبب فإن وفد الأردن غادر القاعة محتجاً. وعموما كان هنالك خارج اسوار الأمم المتحدة ضوضاء كثيرة. وفي الوقت الذي كان يتحدث فيه عرفات تظاهر المئات من اليهود وقالوا ان تهديدات منظماتهم الراديكالية لم يكن حقيقياً. وغادر عرفات نيويورك؛ ثم بعد اسابيع احتجت اكبر جالية يهودية خارج اسرائيل على التصفيق الذي استمر فترة طويلة وعلى رئيس الاجتماع العام، عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر، والذي تعامل مع عرفات كرئيس دولة وقدمه على انه «الضابط المنوط بالثورة الفلسطينية».

وفي عصر نفس اليوم رد سفير اسرائيل، تبكو بلهجة شديدة «لقد قتل النازيون ملايين اليهود في معسكرات الابادة والتي كان مكتوبا على بواباتها «العمل يصنع الحرية». لقد قتل عرفات الأطفال اليهود ويحاول الآن، ان يقهر الدولة اليهودية بحجة فلسطين الديمقراطية. ان قتلة الرياضيين في دورة العاب ميونيخ، ومذابح الأطفال في معالوت، وقتلة الدبلوماسيين في الخرطوم لا ينتمون وبكل بساطة لهذا المجتمع الدولي!».

وفي المساء دعا السفير عصمت عبد المجيد، الذي اصبح فيما بعد وزير خارجية بلاده، الى حفل استقبال لعرفات وما يزيد عن ١٠٠ فرد من وفد منظمة التحرير الفلسطينية الى قاعة الطعام في المبنى الرئيسي للأمم المتحدة وتلك كانت افضل نعمة، ولذا فإنها تعتبر اشبه بالاعداد لحفلات النصر. ووقف خلف عرفات العديد من الأصدقاء المقربين. وأخذ واحد منهم يراقب المحيطين به بفخر ولم يبعد رئيس الاجتماع عن عينيه لحظة واحدة. وفي الحال ومن خلال احدى اشاراته أوضح كيف يقترب رجلا المعارضة كلا منهما بالآخر. إنه علي حسن سلامة الأمير الأحمر.

لقد عهد اليه عرفات مباشرة بمهمة جديدة هي رئاسة الأمن والمخابرات التابعة لمنظمة فتح وقوات الحرس الداخلي «القوة ١٧» وهي القوة التي يطلق عليها عرفات اسم «المنتمين الى قيصر روما القديمة».

ووظيفة الأمير الأحمر في منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن تخطيها. ويظهر عرفات تعاطفاً لا حدود له لمقترحات تابعه التي يعرضها دائماً. ان ما يمتع سلامة الى حد كبير بإغراءات الحياة حيث يشاهد دائما وهو في حالة سمو وعظمة مما أوجب دخوله في نزاع حاد مع أبو أياد. وبسبب الاحتجاج ظل ابو اياد بعيدا عن ضجيج وجلبة نيويورك.

وهكذا ابتعد عن التجهيزات الاضافية، التي بكل تأكيد تثيره بصورة مفاجئة. وكانت هنالك اتصالات غير مباشرة وغير متماسكة بين علي حسن سلامة ورئيس قسم المخابرات المركزية الأميركية في بيروت روبرت سي آمبيس، حتى عام ١٩٦٩. وبالمثل في لانجلي مركز رئاسة المخابرات المركزية الأميركية، كان رئيس المخابرات يستعيد تعبيرات سلامة ويتحدث العربية بطلاقة. وفي عام ١٩٧٠ امكن وقف هذا الاتصال لفترة حيث طار احد رجال المخابرات المركزية الأميركية المتحمسين من واشنطن الى روما ليدعو علي حسن سلامة لينضم اليهم كعميل بأجر. لقد كانت تلك غلطة. من الصعب ان نعيد الأوضاع الطيبة الى ما كانت عليه مرة ثانية وكما هو الحال في أغلب الأحيان، فقد تجاوز الأميركي التقدير ومهارته في الاقناع. وكان هذا النوع من أحاديث الاتصالات منافية للعقل تماما ويتناقض مع العقلية العربية.

وبعد فترة وفي مقابلة صحفية قال: «ان ارتباطنا بالثورة أقوى مما هو موجود في اي وكالة في دولة ما، ويعقد الاختيار الاصلي في أعمال الاستخبارات.. ان شعبنا يتفاعل ويتحرك بصورة افضل مع العالم تماما مثل السمك في الماء وبدون اي تأثير للأشياء المادية. وهناك الكثير من الناس من جنسيات مختلفة يتماثلون مع قضيتنا ويعملون معنا، وهذا هو الواقع، حيث نتفوق على المنظمات الأخرى. ومن ناحية اخرى فإن الاسرائيليين لهم ميزة ينفردون بها، انه بإمكانهم ان يثقوا في اليهود الأميركيين او الفرنسيين او الألمان والتي يتماثلون فيها مع قضيتهم. وهناك منظمات اخرى تثق إلى حد كبير بالتكنولوجيا والمال. وتثق شبكتنا في العنصر البشري. اننا نتعامل مع الشعب الذي يتعاون معنا، وليس لعملاء».

ان ابا حسن يشبه تماما رجل البوليس السري الذي يأتي بالمعلومات ولذا يجب القضاء على محاولته. هل كان بالإمكان تجنب مذبحة ميونيخ، عندما قضى علي حسن سلامة فترة طويلة هناك وبالذات في حالة النهج المتعاطف والتحلل من الارتباط مع وكالة المخابرات المركزية.

وفي ظل التوقف الكامل للاستخبار وتطلب مجلس الأمن القومي لا بد من تعميق العلاقات بين وكالة المخابرات المركزية ومنظمة التحرير الفلسطينية وذلك بعد عملية الخرطوم. وفي بعض الأحيان يتم التلميح الى مخطط احتمالي لإغتيال الرئيس ريتشارد نيكسون. وقد وجدت مخابرات منظمة التحرير الفلسطينية في الطلب الأميركي، انها تتعامل مع نصيحة زائفة من أحد الليبيين. وقد عرف بهذه العلاقة الأمنية فقط عدد قليل من الناس في واشنطن ولم يعرف بها الاسرائيليون لفترة طويلة، ودخل هنري كيسنجر في جدال كلامي مع الاسرائيليين بألا يتحدث مع رجال عرفات. وعلى هذا تم إقناع كل من نيل ندي لينغستون وقيدها الخبيران الأميركيان للعمليات المضادة للارهاب، «بأن واشنطن قد دفعت لمنظمة التحرير الفلسطينية نوعا من مصاريف الحماية». وفي كل حالة ظل سفراء اميركا في بيروت وغيرها من عواصم دول الشرق الأوسط الأخرى دون ان يصيبهم اذى. وكان يجب في هذه الحالة اولا ان يعرض على نشاط البحث تقويم الارهابيين من الشيعة.

وبالضبط فإن ما هو اقل اهمية مثل مصاريف الحماية هي العلاقات الشخصية بين سلامة وآمليس. وقد تقابل روبرت آمليس مع الفلسطينيين لأول مرة في الكويت.. كان عميل المخابرات المركزية الأميركية الضخمة الحية والممتلئة بالدهون، فلبس في معظم الأوقات نظارة داكنة، وكان سلامة ذي الطلعة الوسيمة يشبهه في المظهر الخارجي الى حد قليل. وغوصا في اعماق الاثنين تطورت الصداقة الرجولية، والتي انتهت فجأة بوفاة سلامة. وقد ذكر تالكوت سيلي، وهو دبلوماسي اميركي كان الرئيس جيرالد فورد قد أرسله الى بيروت عام ١٩٧٦ كمبعوث شخصي «لقد كان سلامة هو حلقة الاتصال الرئيسية لنا، وكان يتبادل معنا المعلومات ولذلك استطاعت السفارات ان تعمل بكد لمواجهة اتخاذ الاجراءات الدفاعية «وعلى سبيل المثال كان يتم تعقيد خطط سفر السفراء».

ان هذا اللقاء الحاسم، وقع اثناء زيارة عرفات لنيويورك، وقد تحسن وضع سلامة في مواجهة الأميركي ولقد اتفق الأمير الأحمر في الرأي مع احد ممثلي وكالة المخابرات المركزية الأميركية المهمين وبالامكان ان يتم مرة اخرى مع آمليس، في فندق وولدورف استوريا في بارك افنيو مانهاتن ويعيد المشارك في اللقاء الى الذاكرة ما جاء في موضوع المحادثات «يجب تخلي عرفات ومنظمة فتح عن الأعمال الارهابية العالمية خارج اسرائيل. ولقد كان آلن واضحا، ان الهم الذاتي لعرفات يمكن أن يكون مسؤولا عن الأعمال الفردية لكل فلسطيني. وبالنسبة للحركات المضادة فإن الولايات المتحدة الأميركية كانت على استعداد للاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين. هذا ما كان يقال».

ومن الممكن ان تحتاج منظمة التحرير الفلسطينية في أحد الأيام الى شريك قوي. وعلى هذا يرضي عرفات وبكل سرور العرض الأميركي ويأمل على أن يكون ذراعه اليمين، ابو حسن، رجل الاتصالات المستقبلية وسيصل العمل المشترك الى خطوته المؤثرة بعد وصول بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ الى المستوى المتوقع لها.

وفوراً بعد اسبوع من لقاء نيويورك عادت كل الظروف القديمة مرة اخرى. فقد قامت احدى وحدات الكوماندوز التابعة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بمهاجمة مستوطنة بيت شيبن شمال اسرائيل. وقد اقتحم ثلاثة من الفدائيين احد المنازل السكنية

وقتلوا اربعة من المدنيين، وذلك قبل ان تصطادهم احدى الوحدات الاسرائيلية لمكافحة الارهاب. وبعد يومين دخلت «منظمة الشباب العربي الوطني» التي توجهها ليبيا مرة اخرى خطوط القتال. تسلق اربعة من مقاتليها فوق سور مطار دبي ولمعرفتهم لهدفهم اقتربوا من احدى طائرات شركة الخطوط الجوية البريطانية والتي كانت في طريقها مباشرة الى كالكتا، وسنغافورة ويورفي، والتي كانت تزود بالوقود. وفي الحال فتح المربع الفدائي نيران المدافع الأوتوماتيكية وجرحوا احد المضيفين الهنود في ظهره. كما قام المهاجمون بأخذ ٢٢ مسافراً ١٣ من أفراد الحرس و١٢ من أفراد الخدمة الأرضية كرهائن.

وعندما بدأت الخطة المعتادة، طالب الفدائيون بالافراج عن ثلاثة عشر من رفاقهم المعرضين للخطر في السجون المصرية ـ قتلة الخرطوم وروما ـ واثنين من الفدائيين المحتجزين في هولندا. وقد هددوا بنسف الطائرة في الجو، اذا لم يتم الاستجابة الى طلباتهم وبعد ذلك عقدوا العزم على مغادرة دبي وبعد توقف اثناء الطيران في طرابلس ليبيا، وبعد ذلك هبطت الطائرة في تونس. وهناك تم الافراج عن اربع من الرهائن ومن ثم سمح لثلاثة عشر بمغادرة الطائرة، لموافقة مصر. وايضا اعلنت هولندا الافراج عن الفدائيين المسجونين.

وفي هذه الأيام كان هناك العديد من الاحتقان والضغط البشري ـ لقد كان ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤ وقد أقر السكرتير العام للأمم المتحدة حق الفلسطينيين الذي لا يمكن التنازل عنه لتقرير المصير والعودة الى وطنهم. وطالبت كافة الدول والمنظمات الدولية صدور قرار حماية ودعم نضال وحق الفلسطينيين. وفي قرار آخر حصلت منظمة التحرير الفلسطينية على حقها في ان تكون مراقبا في الأمم المتحدة.

وعند غروب شمس اليوم التالي كانت طائرة الخطوط الجوية البريطانية المختطفة ما زالت قابعة في تونس. وفي الساعات التالية حدث مشهد مثير. فقد اعتقد الفدائيون في ذلك الوقت ان مصر لا تلبي رغباتهم. ولذا هاجموا أحد الركاب الألمان ويدعى كيهل والبالغ من العمر ٤٣ سنة، وأطلقوا رصاصة على رأسه. ثم ألقوا بجثته على ارض المطار. كما هددوا بتنفيذ احكام اعدام اخرى. وبعد يومين كان قد اطلق سراح بقية الفدائيين في القاهرة. وطالب محتجز الطائرة بحق اللجوء السياسي الى تونس وقد ضمنوا له ذلك.

وفي يوم ٢٧ نوفمبر اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية، ان ٢٦ من الاشخاص الذين لهم صلة باحتجاز تلك الطائرة قد تم القبض عليهم وأن هؤلاء الاشخاص سيقدمون الى المحاكمة العلنية. وفي اعقاب هذا التصريح سلمت تونس احد عشر فدائياً لمنظمة التحرير الفلسطينية. وبنهاية شهر يناير ١٩٧٥ اعلنت منظمة عرفات كلمتها. وكما جاء في الاعلان الرسمي ان هؤلاء حكم عليهم بالاعدام، وفي تطور مهم بعد ذلك اكد ابو اياد ان هذه الأفعال لن تتكرر مرة اخرى.

الفصل العاشر

ان اللّه يعفو، اما اسرائيل فلا

(١)
كارلوس يظهر

مع بدايات عام ١٩٧٥ كانت منظمة ايلول الاسود لم يعد لها وجود عملي، ورغم ذلك كان مايك هاراري، ورفاقه مطالبون بضرورة قطع الذراع الطويلة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وحيث ان هناك احدى فرق المطافىء لن يتم تسريح رجالها، وعندما لم يكن لديها عملية اطفاء واحدة مباشرة لبضع اسابيع، يظل «غضب الرب» مستمرا استعدادا للخطر. واسرائيل، بجانب الولايات المتحدة الأميركية من اهم اهداف الارهاب الدولي ولم يتغير ذلك حتى اليوم. ورغم هذا فإن مايك هاراري يشعر برضاء قليل عن عمله تماما مثل رؤسائه. «لقد أنجزت عملي، عندما مات علي حسن سلامة، كنا ملتزمين بأوامر غولدا مائير، وحتى عندما كنا على وشك اختطافه من عشر سنوات، كان لاسرائيل حساباً مفتوحاً مع سلامة، وستسويه اسرائيل». وفي بعض الأحيان تهدد احدى الوصايا الغاضبة القديمة لمدير العمليات الخاصة بالموساد بالقهر والاستسلام. وبعدئذ يعيد الى الذاكرة سطحيته النرويجية ودائما تجعله يشعر بالتوبيخ انه لم يترك ذلك النادل المغربي يدخل الامتحان، وهكذا، كما يقول لنفسه.

ان مايك هاراري رجل من الجرانيت، عديم الاكتراث لا يؤمن بصلاح البشر، تحل به الأرواح الشريرة ومع هذا لم يعد يشغله الموت الجماعي. الا ان الأمير الأحمر ما زال له حسابه. انه عدوه الشخصي، ويجب محاربته، وفيما مضى كان لا بد من حفر قبر له ليضعه فيه، وألا يتخلى عن الخدمة المؤثرة في الموساد. ومع ذلك فما زال ملاك الانتقام غير المقدس يحتفظ بكلمته.

فضلا عن هذا فإن رجال هاراري يهتمون بشكل مكثف برئيس الأمن الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية، لدرجة انهم على فترات يرون خطراً كبيراً. ويعكفون على الدراسة بدهشة، الكيفية التي تؤدي الى ترويض منظمة التحرير الفلسطينية. وتذيع منظمة التحرير الفلسطينية من دمشق انها ستنفذ حكم الاعدام دفعة واحدة في جميع المتهمين باختطاف الطائرة، ممن ثبت ان اعمالهم ادت الى مصرع البشر. أما فيما يتعلق بالعمليات غير الدموية فإنه سيحكم على المتهمين بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاماً. فضلا عن هذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية قامت بنقل الصحفيين الغربيين الى

احد العقارات على بعد ٢٥ كيلومترا جنوب دمشق حيث تتم المحاكمة. وقاد الفلسطينيون بكبرياء امامهم مجموعة منظمة خفيفة الحركة من المسجونين في حوادث خطف الطائرات. وكان هاراري مبسوطاً، وهو يستمع الى الأخبار التي وصلته من الحدود الاسرائيلية على بعد ٥٥ كيلومترا من دمشق، وكانت اشياء مثيرة.

ورغم تلك الحركة فإنه يفلت من هذا التغيير ما حدث من تطورات في الارهاب العالمي. ففي نفس الوقت فإن علي حسن سلامة هو افضل عدو اذ له مريدوه امثال الارهابي الذي اصبح العالم يبحث عنه وهو اليش راميرز سانكيز، من فنزويلا واسمه المستعار «كارلوس» وقد ولد هذا الارهابي عام ١٩٤٩، وقد ارسله ابوه، المحامي والشيوعي المتحمس، اولا الى مدارس في كاركاس ولندن، وفي عام ١٩٦٨ التحق سانكيز للدراسة بجامعة باتريس لومومبا بموسكو، وهي من الكوادر الحديدية التي تعمل على تنمية الايديولوجية الناقصة خارج العالم الثالث. وكان لفتى اميركا اللاتينية المندرج الوصفات اهتمامات مماثلة للشاب سلامة. وهو يعتني كثيرا بالفتيات الجميلات والمطاعم الفخمة والملابس الغالية مثل دراسته وفي وقت كانت الثورة العالمية ما زالت مرتبطة بالدولة السوفياتية. وقد علم سانكيز المدلل والمغرور بـ «حرب تحرير فلسطين» وقد اهتم بهذا الأمر، فقد ولد فيه هذا المشهد شيئا ما.

وبدأ كارلوس قصة الارهاب عام ١٩٧١. وقد انضم الى الزعيم الفلسطيني المتطرف وديع حداد. ويرأس الدكتور حداد المركز العلمي بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهو نوع من وحدات الكوماندوز الخاصة التابعة للجبهة الشعبية التي يرأسها جورج حبش. ووصل الرفاق المتعاطفون من فنزويلا الى لبنان وأتموا دراسة تدريبية لمدة ثلاثة اشهر. وعن طريق الرياضة اليومية اختفى كرشه. وتعلم كيفية اطلاق النيران والقنابل، وإخفاء المؤامرات وكل شيء يمكن من معلومات عن العدو. وقد علمه الفلسطينيون اختطاف الطائرات وأخذ الرهائن. ويعتبر اليش راميرز سانكيز طالبا ناجحا يمكن تحمله وتعلم الكثير وبسرعة. والآن اصبح في مقدوره ان يأخذ مكانه في حرب الخفاء.

وفي عام ١٩٧٢ اخذ يتجول بين باريس ولندن جيئة وذهابا، ويقوم بتدبير المساكن السرية ومستودعات السلاح، وأهداف اصابة العملاء. ومن وقت لآخر كانت وحدة وديع حداد بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعمل مع منظمة علي حسن سلامة «ايلول الأسود». وبشكل دائم. كانا يكملان بعضهما البعض.

في اول الأمر عمل كارلوس تحت رئاسة محمد بوضياء، الذي كان يشارك حداد ـ سلامة مقر اقامتهما بباريس. وحتى هذه اللحظة كانت اهم مهمة لبوضياء هي الاحتفاظ بالاتصال بكافة المنظمات الارهابية الاوروبية تقريبا. وكان الكوماندوز في ايطاليا، واليونان وتركيا وجمهورية المانيا الاتحادية يحصلون على الأموال والسلاح من الفلسطينيين المقيمين. وبالنسبة لحركات العدو استطاع العرب وضع الثقة لدى اصدقائهم الأوروبيين للدعم العملي. وفي يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٣ اخفى رجال هاراري، كما كان مخططا من قبل، قنبلة شديدة في سيارة محمد بوضياء. وفحص الجزائري السيارة كعادته، ولكنه لم يكتشف اي شيء غير عادي. وركب السيارة ولكنه طار في الهواء بفرقعة قوية. وكان تابعه يدعى اليش راميرز سانكيز. ومن ثم اخذ يعمل من

الصباح الى المساء على تجنيد ارهابيين من المخربشين. وبعد ذلك ولهذا السبب برز احد الألمان البارزين في الجناح الدولي للخلايا الثورية بفرانكفورت وعلى الأخص في المظهر.

وفي يوم ١٣ يناير ١٩٧٥ اعلن كارلوس الحرب على اسرائيل وهاراري الذي لا يمكن تجنبه مع اخصائييه المتعددي الجوانب. ومن ثم قام رجلان غليظان من جماعة كوماندوز محمد بوضياء، باستئجار سيارة بيجو بيضاء ٥٠٤ واتجها الى مطار اورلي بباريس، وفكا ربطة عنق مدفعين واطلقا النيران على طائرة بوينغ ٧٠٧ تابعة لشركة العال، وخلال الدقائق القليلة التالية طارت وعليها ١٣٦ مسافرا الى نيويورك ومونتريال. ولم تصب القذيفة الطائرة الاسرائيلية بل اصابت طائرة D.C9٢٠٩ من بلغراد وللقدر فقد كانت يوغوسلافيا في ذلك الحين من الدول المهتمة التي تساند المجموعة التي تلتف حول كارلوس والقضية الفلسطينية. وأصابت القذيفة الثانية احد المباني الادارية. وهرب المجندون وفي المساء اتصل شخص مجهول بوكالة رويتر للأنباء وقال: «في المرة التالية سنصيب هدفنا».

ومرت ستة ايام. ورغم حشد البوليس لما يقرب من ٧٥٠ رجلا من رجال الحراسة في مطار اورلي، ظهر ثلاثة من رجال كارلوس وفكوا لفافة المدافع وقاموا بالتصويب على احدى طائرات العال، والتي كانت في طريقها من باريس الى تل ابيب. ولما اكتشفهم البوليس، قام رجلان بفتح النيران من المدافع الرشاشة وايضا بالقنابل اليدوية. وتحول الأمر الى معركة صغيرة جرح فيها احد الفدائيين والعديد من العابرين وملاحي المطار. اما العربيان الآخران فقد اخذا عشرة افراد كرهائن واختفوا داخل احد المغاسل.

وكانت اول اسئلة وجهت اليهم، عما اذا كان من يحتجزونهم أميركيين ام اسرائيليين. ومع هذا فقد كانوا من البرتغاليين والفرنسيين. واستمرت المفاوضات ثمانية عشرة ساعة بين الفدائيين وفريق مكون من الممثل الشخصي لوزير الداخلية الفرنسي والسفير المصري. واستقر الرأي في اليوم التالي. وسمحت فرنسا بخروج الفدائيين دون اعاقة. ولمدة تزيد عن اربعة عشرة ساعة اخذت احدى طائرات شركة ايرفرانس تلف وتدور فوق اوروبا والشرق الأوسط قبل ان يصرح العراق عن استعداده لاستقبال الفدائيين. وسرعان ما أكدت بغداد ان هذا العمل يتم بناء على دوافع انسانية واصبح لاسرائيل عدو استخباري جديد على مستوى عال، يجب ان يوجه اليه عناية خاصة جدا.

وكان عام ١٩٧٥ بالنسبة لكارلوس من أهم الأعوام لارتفاع نسبة عمله الفدائي. وفي يوم ٢١ ديسمبر هاجم هو ورجاله وكانوا يطلقون على انفسهم في هذا الوقت اسم «جيش الثورة العربية». مؤتمر الوزراء الأوبيك في فيينا. أخذوا ٢٧ رهينة. وبعد يوم ونصف غادر الفدائيون النمسا ومعهم وزراء النفط. وانتهت الحادثة في الجزائر. لقد حقق كارلوس هدف حياته. لقد اصبح ذي شهرة عالمية.

فضلا عن هذا فقد كان امام منظمة فتح ايضا مشكلة، فقد استمر برنامجهم السلمي لثلاثة ارباع العام. وفي يوم ٥ ديسمبر ١٩٧٥ رسي ثمانية فدائيين في قاربين من المطاط على ساحل تل ابيب. كانوا يريدون مركزا محليا للشباب. وفي آخر لحظة شاهدوا رجال البوليس الذين عرفوهم في الحال ومن ثم طلبوا التعزيزات. وبدأ افراد الكوماندوز

يهيجون ويطلقون الرصاص عليهم واحتلوا فندق سافواي الواقع بالقرب منهم وفي الوقت الذي اخذ فيه الفلسطينيون عشرة رهائن، ونجحوا في أخذ ثلاثين آخرين من النوافذ والأبواب الخلفية واستمر تبادل النيران لمدة ساعة ونصف. وبعدئذ قدم الفدائيون طلباتهم: اطلاق سراح عشرة من المشايعين لهم وكبير الأساقفة هيلاريون كابوتشي، الذي يساعد بتهريب الأسلحة لمنظمة التحرير الفلسطينية داخل اسرائيل. وطالب كوماندوز منظمة فتح، بخلاف هذا، طائرة تنقلهم الى دمشق فيما بعد.

واستمر الحصار. وكانت اسرائيل تتلاعب بالوقت. وأصدر إسحاق رابين اوامره في منتصف الليل بمهاجمة الفندق. واحتاجت القوات الاسرائيلية الخاصة بالضبط خمسة عشر دقيقة. وحدث ما يلي: سبعة فدائيين وثلاثة جنود وثمانية من الرهائن لقوا مصرعهم. وجرح الشركاء الآخرون جميعهم. وقد اصاب الفندق ضرر كبير. وفي حوالي الظهر تم اكتشاف الفدائي الذي ظل على قيد الحياة. وهو شاب يبلغ من العمر ٢٣ عاما ومن بلدة بيرسبع، وذلك عن طريق عملية التطهير. وأسرت البحرية الاسرائيلية السفينة الأم للقاربين المطاطين. وبعد ذلك ألقت القبض على فلسطيني آخر وأحضر الاثنان أمام مؤتمر صحفي اللذين قالا ان الهدف هو تحطيم عملية السلام التي بدأها هنري كيسنجر والتي توقفت بالفعل يوم ٢٣ مارس بسبب خلافات بين مصر واسرائيل.

(٢)

في يوم ١٩٧٥/٤/٢٣ بدأت مأساة مؤلمة في الشرق الاوسط بالمقارنة مع تطابقات القانون الشائعة لهذه المنطقة الملعونة من العالم هي تلك البواعث السابقة غير الضارة. فلقد اصيب احد قادة ميليشيات حزب الكتائب بطلق ناري ارداه قتيلا بسبب بعض المناقشات. وفي الحال قام احد الكوماندوز القتلة من اتباع كميل شمعون زعيم المارونية وشق طريقه من مخيم اللاجئين في صبرا إلى عين الرمانة شرقي بيروت وهاجم اتوبيسا يستقله فلسطينيون قتل منهم ٢٧ فرداً وجرح ١٩ آخرين. وفي الأيام الثلاثة التالية كان هنالك اكثر من ٣٠٠ قتيلا. وتم التوصل الى اتفاق سريع لوقف اطلاق النيران ولكنه لم يستمر الا فترة قصيرة وألقى ياسر عرفات باللوم على حزب الكتائب واتهم عملاء «الاستعمار والصهيونية». ووجه المسيحيون الاتهام الى الفلسطينيين واعداءهم من المسلمين واليساريين.

فضلا عن هذا فإن هنالك عوامل كثيرة تسهم في قيام الحرب الأهلية اللبنانية حيث كان يعيش في «سويسرا الشرق الأوسط» دولة الارز السعيدة لبنان ما يقرب من ٣٥٠٠٠٠ فلسطيني وذلك في عام ١٩٧٥. وكان ينظر اليهم على انهم جسم غريب خطير، وانهم بمثابة قوة دفع تتسبب في احداث عدم الاستقرار للدولة كلها. ومن ثم فلم يستفاد مما كان يسمى «اتفاق القاهرة» لعام ١٩٦٩ والذي وضع اساس التعايش السلمي بين اللبنانيين والفلسطينيين ولم يساو هذا البيان الورق الذي كتب عليه. فبمجرد ان خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن اصبحت كوحش البحر الذي يحتل لبنان. وهكذا تواجدت الخلفية. والأمر الثاني الذي اخذ يتزايد كان له علاقة بالصراعات بين الجماعات الدينية. وكان آخر تعداد لسكان جبل لبنان عام ١٩٣٢ عندما كان عدد المسيحيين اكثر من

المسلمين. وبعدئذ فإن الأقلية المسيحية اصرت على ان تظل النسبة كما تم تسجيلها في الثلاثينات والأربعينات. وفي عام ١٩٤٣ اجتمعت القوى السياسية والاجتماعية ووافقوا على الميثاق الوطني وقد نظم كيفية تقسيم الوظائف علانية وفقاً لقرار مناسب. وسمح للمسيحيين بتولي رئاسة الدولة، والقائد الأعلى للجيش ونسبة ٥١٪ من النواب. وكانت الجماعة الثانية السنيون. ومن بين صفوفهم كان رئيس الوزراء منذ عام ١٩٤٣. اما الشيعة يختصون برئاسة البرلمان.

الا ان تجربة التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين انهارت عام ١٩٥٨ من جراء اثارة عبد الناصر القومية العربية خاصة عندما ازداد المسلمون ثقة بالنفس. وبعد اتحاد مصر وسوريا والثورة في العراق بدأت الحرب الأهلية في لبنان واستطاع الرئيس كميل شمعون بمساعدة ١٠٠٠٠ رجل من البحرية الأميركية ايقافها. وعن طريق برنامج سابق موال للغرب دخل اللبنانيون في حيز الدائرة لعام ١٩٧٥. لقد كانت الدولة على الدوام عنيّدة ولم يوقظ ذلك اية ضغينة ونكران للجميل. ثم خرجت الكلمات تلو الأخرى، وارتكب الإثم تلو الآخر ودخلت الأديان في حروب ضد بعضها، والميليشيات وجماعات المصالح الأجنبية، بل وأيضاً العائلات الكبيرة القوية التي أفلست والممالك الحديثة شرقاً وغرباً.

ان الحرب الدموية اللبنانية وكافة اوجهها الشاذة تسببت في سفك الكثير من دماء هذا الشعب الصغير الذي اصيب بسوء حظ كبير. وبدءا من عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٩١ مات في هذا التفكك، بسبب القوة وخداع الرجال ومحاولة السيطرة على الدولة بقوة السلاح ما يزيد عن ١٠٠٠٠ فرد. بجانب هذا فإن عدد الجرحى، ومن هم بلا مأوى، واللاجئين، القلقين والذين تحطموا جسمانيا من اللبنانيين لم تتضمنه الاحصائيات.

وهكذا أصبح الشرق الأوسط مرة اخرى وسط النيران. ولم يكن يرى أي انسان اية وصفة مؤثرة لإطفاء تلك النار. ومباشرة فإنه في سقطة لبنان يثور الشك، انه لا يوجد طرف من اطراف النزاع ولسنوات عدة على وجه العموم اهتمامات بخلق السلام. ومن ثم فإن الحرب الأهلية اللبنانية استغلتها القوى الموجودة في المنطقة وكذلك القوى المتواجدة داخل البلاد. ومن ضمنها كذلك ممثلو الحروب في الصراع العربي الاسرائيلي.

وهكذا كان الموقف، عندما انهت اريكا تشامبرز تدريبها كعميلة للموساد في الجزائر في اوائل عام ١٩٧٥ ورسمياً داخل دائرة «الكيدون» التي تولى رئاستها مايك هاراري لاصطياد سلامة. وفهمت مأموريتها الكبرى، وعلمت انها ستكون ولفترة زمنية طويلة في عملية بحث عن ابرة في كومة قش. وفي تلك الاثناء كان على تلك الانكليزية الشابة ان تتخلى عن اوهام الحياة وان تصبح المرأة ذات الـ ٢٧ عاما ذات دوي عال، وألا تشعر باي استعلاء، وعليها ان تدور حول الحياة والموت، وعليها ان تتسلل لاصطياد الأمير الأحمر ـ او تفنى. لم يكن أمامها اختيار اكثر من هذا ـ ان الوصول إلى قرار هو النهاية الحتمية. وكانت تشامبرز تعرف أيضاً: انها عمليتها الوحيدة. وعلى هذا الاساس سيسمح لها بالاحتفاظ باسمها الأصلي. ولا يجب عليها ان تنزلق في الهوية الأجنبية بل تموت باسمها الأصلي بقدر الامكان. ويؤكد لها رؤساؤها انه بالامكان ان تعود الى عمل تم انجازه، حيث انه لن تكون هناك من تدعى اريكا تشامبرز بعد ذلك.

وفي نفس الوقت اشار الى ان زيفي تزامير السجين في ميونيخ وليلهامر الذي حكم عليه بالسجن غيابيا في الخطوط الأمامية لحرب اكتوبر قد اعفيا من الخدمة. وفي هذا الوقت اصبح للموساد مدير جديد اللواء بتسحاق هوفي. ويعتبر القائد السابق من قوات الكوماندوز الاسرائيلية في الشمال من الشخصيات العظيمة. وقد حذر من تحركات القوات السورية قبل احتفالات عيد الغفران (يوم كيبور)، وطالب دون جدوى تعزيز وحدته بالذات، ورغم هذا، وما ان بدأت الحرب، فقد بذل اقصى جهده. وقد استعاد جنود هوفي جبل حرمون ومرتفعات الجولان. ولقد استحسن رابين رئيس الوزراء هذا الانجاز، ولقد صمم ان يكون عام ١٩٧٤ هو عام صديقه الشاب بتسحاق هوفي.

ولد هذا الجنرال عام ١٩٥٧، في فلسطين. وان رجالا بهذا المنشأ يطلق عليهم اسم الصابرا، وكان هوفي أول شخصية تكون على رأس المخابرات الخارجية. وفي رئاسة الموساد تقابل مع مجموعة كاملة من الرتب المماثلة ومن بينهم مايك هاراري. كما كان يشترك مع الكثيرين منهم من القوات الخاصة للبالماخ التابع للهاجانا من أول يوم بعد حرب الاستقلال. أما هاراري فقد شق طريقه في العمليات السرية غير المرتبة. وبطبيعة الحال فقد اشاروا الى ذلك الضابط ذي الوجه المستدير الذي عمل مع السكان الفلاحين في حرب سيناء ومع العصابات المسلحة عام ١٩٦٧. ومن وجهة نظر هاراري المعارضة فإن هوفي لم يولد للعمل في المخابرات. لقد ظل وعلى الدوام مجرد جندي وكان تقييمه انه خاضع لمرؤوسيه. وكان ينظر اليه على انه غريب على أعمال المؤامرات وازدواجية الأرض.

وقد وجه اريس فولات في كتابه عن الموساد نقداً إلى أحد رجال المخابرات الألمان، سبق وان تعرف عليه هاراري خلال حديث عمل. وقد قال الاسرائيلي: «لا تتحدث بسرعة، استمع فقط، تجنب كل ما يدعو إلى التراخي»؛ «وبكل تأكيد فكلما طالت المحادثة كلما أثرت في ذلك الرجل». ولم يفلت من تلك الملاحظة، لقد كان يبعث على السرور، وانني اعتقد ان تبعيته لمرؤوسيه ليس بها ما يضحك كثيراً - ان هوفي رجل، له تأثيره وقد وصل فولات الى رأيه الخاص: «ان لهوفي بصمته على ما تتمتع به المنظمة من ذكاء، وكان ظاهرة خارقة في التفكير، وفي المواجهة الصلدة للساقطات». وقد رثى أحد العملاء «انهيار» الرؤساء، وأجاب بأسلوب سليم: «واذا ما حدث، وليس أمامك أية فرص أخرى، فهذا خطأ آخر».

لقد كان كل من هوفي وهاراري يتبادلان نفس العداوة. وكانت العداوة لمنظمة التحرير الفلسطينية ولمصر لا يمكن تصورها. وقد وجه احد العاملين معهما انتقادا لهذا التقرير: «وهنا مكمن الخطر، بسبب تقديره لخطر منظمة التحرير الفلسطينية». بجانب هذا فقد كان هناك أصدقاء كثيرون لهوفي بين الفلسطينيين، والذين - ينفرد في ذلك الحين لتحقيق عمله - يخبرونه بأنباء كافة الهجمات الجديدة. ومن ثم تلك الهجمات المضادة للموساد «دائرة شيطانية». وفي هذا الموقف بطبيعة الحال ليس هناك شيء على الاطلاق يمكن التفكير فيه، لتأخير عملية اصطياد علي حسن سلامة. هذا ما كان يفكر فيه الصقور، وكانت اريكا تشامبرز هي امرأة تلك الساعة.

وعلى أي حال بدأت في أوائل مايو ١٩٧٥، دعت أصدقائها وعلى الأخص رفاق النهج التثقيفي، وقد قصت على الجميع الذين لم يسمح لهم معرفة اي شيء بالضبط.

بعضاً من مأموريتها الهامة في الخارج بل وأيضاً عن عودتها إلى وطنها الأصلي، انكلترا وكان يجب عليها هدم كافة الجسور وألا تسمح بتملك الكثير، فقط الذي تشير إليه اسرائيل. وعلى الفور تنتقل للتعامل مع العدو ـ وكما تعلم ـ ربما استمر ذلك أعواما وذلك قبل ان يسمح لها بالعودة للاستمرارية في عملها. وبعد فترة قصيرة ستقوم مرة اخرى بزيارة وطنها، وفي الحال تنسق اعمالها وتكوّن علاقات شخصية. ومع هذا، ووفقا للتخطيطات العامة للاستخبار في الموساد، لا يسمح بإفسادها.

وطارت اريكا تشامبرز من تل أبيب الى لندن يوم ٢٢ مايو، وكانت تحمل معها حقيبة صغيرة. ولقد تشربت بسمرة انثوية خفيفة بسبب سفرها منذ ست سنوات، فقد تأثرت كانكليزية شابة من العودة من إجازة للاستحمام في البحر الأحمر. لقد سبق لها ان جندت في صفوف رعايا صاحبة الجلالة وتخلت عن جواز سفرها في كاتيرا. وفي ذلك الوقت وجدت نفسها وحيدة ـ ومعها تأشيرة دخول اسرائيل.

وجدت اريكا نفسها مجبرة على السير في الطريق الصحيح، وألا تسافر من مكانها الى سانت اوليفز كورت، حيث تلتقي امها التي تحبها اكثر من اي شيء. وكان تدريبها في الموساد دائما ما يتميز بنفس الاتجاه انه غير مسموح ان تعرقل العلاقات الأسرية خلال اي عملية. لذا يجب عليها ان تتجه الى مسافات بعيدة، وان تتحكم في سلوكها وظروف حياتها. ومن ناحية المبدأ فإن القاعدة هي الأخذ في الحسبان رئيس العملاء. وهذا الرئيس هو الذي يكون عوضا عن الأب، والأم، وقس الاعتراف، كما إنه هو الشريك المخلص في الموساد.

ولمدة الليالي الأربع الأولى اوت اريكا تشامبرز في أحد الفنادق الصغيرة. لقد كان فيما سبق بنسيونا لتقديم النوم والطعام على غرار النظام البريطاني اشبه بمصنع تصنيع معجنات المواد الكيماوية. وفي تلك الحجرة الضيقة لم تشعر بأية رفاهية، ولكنها كانت في حاجة اليها حتى تجد شقة مؤثثة تأثيثاً مناسباً. ثم مضت اول يوم في البحث عن سكن وزيارة مفاجئة قصيرة للأماكن المألوفة. وحاولت اريكا تشامبرز الحصول على خاصيتها في لندن مرة اخرى. ولهذا السبب لم يتعلق الموضوع فقط بسيرك بيكاديلي والقوس الرخام، ومنتزه هولندا وسانت اولفيفيز كوت. لندن هذا كل ما فيها. وفي جميع الحالات قارنت بين اوستراليا واسرائيل. حقيقة انها تقريباً في بلد اجنبي. ان التناقض حقيقة حزين.

استغلت عميلة الموساد احد الاحياء جنوب شرق لندن، في ريتشموند. لقد كان موقعاً سكنياً دقيقاً، ومن هنا تستغرق المسافة للوصول إلى محطة ريتشموند بوسائل النقل المفتوحة من وسط المدينة العالمية ساعة واحدة. وبالتاكسي او الحافلة حتى ريتشموند هيل كورت ٥٢ تستغرق عشر دقائق اخرى. وهنا المكان هادىء ينحني المسكن التقليدي الى حد ما على شكل حذوة الفرس حتى يمكن الوصول اليه. ويتكون الدور الأرضي من الحجارة البيضاء الثقيلة، وباقي المبنى من القرميد الأحمر المحروق. والنوافذ مطلية باللون الأبيض، وكان الايجار الشهري يصل إلى ١٩٥ جنيهاً استرلينياً، وبسرعة استأجرته.

وما ان تم التوصل الى حل لتلك المشكلة، حتى قامت اريكا تشامبرز يوم ٣٠ مايو ١٩٧٥ بزيارة احد مكاتب جوازات السفر بلندن. وبسرعة طلبت سحب جواز

سفرها الخاص والذي ما زال ساري المفعول ولمدة سبع سنوات من مكتب المندوب السامي البريطاني في كانسبر. وكما نرى «فإنني كثيرة السفر الى الشرق الأوسط. ويوجد بجواز سفري خاتم اسرائيل. وللأسف فإن هذا لا يسمح لي القيام برحلات الى اي دولة عربية. وهكذا فإنني في حاجة الى جواز سفر جديد بواسطته يمكنني زيارة الدول العربية ترى هل هذا ممكن؟» ان هذا ممكن، كما انه سريع جدا. ان اريكا تشامبرز، التي في نفس الوقت يمكن اعتبارها طالبة سابقة تدرك اهدافها، حصلت على وثيقة سفر حديثة تحت رقم مسلسل B 025948 وكان سريان هذا الجواز حتى ٣٠ مايو ١٩٨٥، وهي مدة كافية لاصطياد علي حسن سلامة. والآن يجب على اريكا أن تهتم بـ «اسطورتها» وتبعا لذلك امكانية السلامة واختبار المواد الغذائية. وهكذا طارت الى جمهوريه المانيا الاتحادية في شهر يونيو، بالضبط الى جامعة ارلانجن الحرة. ويوجد في نيرنبرخ، المدينة المجاورة، واحدة من اشهر الجامعات المعروفة في البلاد. وارلانجن بخلاف ذلك ضاحية دراسة يفضلها الشباب العرب. وهكذا فقد سمع صوت اريكا عاليا خلال مناقشتها وهي تجلس قبالة الأستاذ الدكتور فولفي يخ هيتروث من معهد الجغرافيا التابع للجامعة والواقع في شارع كوخشتراسه بارلانجن. «لقد أوصاني أستاذي الأسبق الأستاذ مالكولم فاجستاف بأن أتصل بك. لقد درست لمدة ثلاث سنوات في ساوتهامبتون كما هو واضح من مستنداتي وآخر امتحان اديته هناك كان للحصول على شهادة الثانوية. ولكنني للأسف لم احصل عليها. وحيث انني ارغب في تحسين وظيفتي، في هذه الحالة علي ان اواصل دراستي عندكم وفي النهاية أحصل على درجة علمية. ولهذا عولت على الحضور الى ارلانجن، حتى يمكنني ان أعمل على تحسين لغتي الألمانية. وبخلاف هذا فإن لي اهتمامات كثيرة بالشرق الإسلامي. وهناك وبكل تأكيد لكم ارتباطات عديدة. وهذا ما اريد ان أتمكن منه حقيقة، وبنهاية دراستي أعمل في الدول العربية.» سيطر على استاذ الارنجن انطباع ايجابي مؤثر من زيارة تلك الشابة. فمالكولم فاجستاف من الأساتذة المعروفين بعلمهم من سادتها متين كما انه زميل بجانب ذلك فإن بقية المناقشة لها صداها الذي يعول عليه، مما جعل هيتروث يدخل في حديث طويل. وحيث ان الاستاذ، هو عميد الكلية هذه الأيام، فقد تذكر: «ان لها تأثيراً مباشراً، كما أنها جميلة ولطيفة. ان السيدة تشامبرز تفهم الجغرافيا الفيزيقية جيداً. ولقد تحدثنا قليلاً في مجال خبرتها، والتي يمكن مقارنتها بالتساؤل حول سريان الأنهار الانكليزية في الأقاليم الجافة.» وبالنسبة للتساؤل حول «المكان الذي يمكنها أن تعمل فيه، فقد أشارت أول الأمر إلى مصر». وعندما كانت تسرد مراجعة قصيرة لحياتها، ذكرت تلك الانكليزية كذلك أخباراً عن السنين التي قضتها في العمل مع إدارة التنمية الوطنية بكاتيرا. وقد قالت انه في ذلك الوقت كانت تعمل فيه، على توسيع معلوماتها العملية التي لا تتلقى عليها أجرا.

لقد تأثر الاستاذ هيتروث، ومن ثم وعدها، انه شخصياً سيستعمل كامل نفوذه لايجاد مكان لهذه الزائرة. ان طلبها بالتدرج في مجال التدريب الواعي، كما ان كافة الدعامات اللازمة تحققت بجامعة الارنجن يوم ١٧ يونيو. وقد، قام الاستاذ هيتروث بوضع كافة المواد ـ وكذلك تم ضم شهادة النجاح بسادنهاميتون ـ الخاصة بلجنة التدريج، وسرعان ما تم الاعتراف بامتحان الثانوية الذي دخلته اريكا تشامبرز. وهذا كان

كثيرا مثل فترة الامتحان، مع ذلك فلم يحدث اتفاق على الدبلوم الألماني او امتحان شهادة الدولة، ان درجة الماجستير لا يمكن للأكاديمية ان تعطيها والمعهد مسمى بالكيمياء غير العضوية ولكن د. بيرنز وجد الحل في نهاية المطاف.

(٣)
مشروع اريكا

كان على الطالبة اريكا أن تقدم ثلاث طبعات من امتحانها. ووصلها يوم ٣ يونيو خطابا جاء فيه رد جامعة ارلانجن الى عنوان اريكا تشامبرز: جرينيورجتيج ٤ فرانكفورت على نهر الماين وتسلمت الرد في فندق ماين، سكن من النوع البسيط، وجاء في الخطاب ان الدراسة لدى الأستاذ هيتروث اصبحت حقيقة مقررة. ولذا يجب على اريكا تشامبرز مع ذلك حضور فصلين دراسيين اساسيين ومنهجاً دراسياً سابقاً. وفضلا عن هذا فإنها في حاجة الى تحقيق عمل كتابي، متكافىء تماما مع اعمال امتحان الدولة العادية لاساتذة الجغرافيا بالمدارس الثانوية. وحتى يومنا هذا لم ترد اريكا تشامبرز على عرض جامعة ارلانجن.

لقد قامت عميلة المخابرات حتى تلك اللحظة بما فيه الكفاية من أجل حقها المدني الظاهري وعادت الى لندن وبدأت في منتصف شهر يوليو تأثيث شقتها في ريتشموند مرة اخرى. وخلال الشهرين التاليين اختفت عن الظهور حيث كان يبدو انها تسافر كثيرا في تلك الحقبة الزمنية. وقد ظهر انها لا تستخدم جواز سفرها الجديد باعتبارها اريكا تشامبرز، ولكن لفترة زمنية تتواجد (روث الوني). وهكذا تترك وراءها القليل من الأثر. انها ستكون في حاجة الى جواز السفر البريطاني الرسمي فيما بعد، حتى وجودها الرسمي بما فيه الكفاية ولم يستثنى من هذا، ان تقوم اريكا تشامبرز في عز اوقات صيف ١٩٧٥ بزيارة اسرائيل مرة اخرى. وللضرورة القصوى عادت مرة اخرى الى فرانكفورت يوم ٢٦ اغسطس.

قضت الفتاة الانكليزية شهرا كاملا في عاصمة البنوك، وخلال الأسابيع الاربعة تلك ما زال هناك عملاً سرياً للمخابرات، وكانت اريكا تشامبرز تتصرف كسائحة ولم تظهر اي نشاط من الممكن اكتشافه. هل كانت الموساد تتوقع مرور علي حسن سلامة؟ هل حصلت على معلومات من داخل منظمة التحرير الفلسطينية، انه كما هو الحال في الغالب، سيحضر الى مدينة الماين؟ هل كانت اريكا تشاهد المناظر في فرانكفورت بين ساكسهاوزن والأنوار الحمراء على محطة السكك الحديدية الرئيسية وحدها ام ان مايك هاراري قد ارسل كل فريق الهجوم، المكون من ١٦ فرداً؟ ان فرانكفورت ليست مدينة ليلهامر، بل مدينة ذات ثقافات متعددة، ومن ثم من المحتمل الا يسقط المئات من صفوة عملاء الموساد. هل هرب علي حسن سلامة، استاذ التنكر والخداع بعد تجدد محاولة قتله؟ مايك هاراري واريكا تشامبرز الوحيدان اللذان يمكنهما الاجابة عن تلك التساؤلات، ولكنهما لا يفكران في ذلك الموضوع.

وبدأت اريكا يوم ١ اكتوبر تثبت وجودها الصحيح والوطيد. ثم تسرعت في السفر من فرانكفورت الى فيسبادن، وهي من المدن الألمانية المناسبة للعلاج والتي يوجد بها

الكثير من عطايا الامبراطور وليام، والتي تعتبر عاصمة ولاية هليسن، وبخلاف ذلك فإنها ذات اهمية راسخة، وفيسبادن، التي وصل تعداد سكانها عام ١٩٧٥ ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ نسمة، تقع عند مركز اتصال المواصلات لمدينة فرانكفورت، وخلال فترة زمنية قصيرة يمكن للانسان ان يصل الى كولونيا وبون. وهذه المدينة غير مستقرة، وبقايا الترن، ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون كافياً. والذي حققته مهمة اريكا من قلة المعلومات توجد ادارة الجريمة الاتحادية في فيسبادن التي من مهامها الأساسية فيما بين الأمور الأخرى مكافحة الارهاب. وهو هدف، يجب الاهتمام بتشابكه فيما بعد.

وفي اول يوم استأجرت اريكا تشامبرز مرة أخرى حجرة في أحد الفنادق، وكان هذا الفندق يسمى الباني ويقع عند ملتقى شارعي جايسبرج ـ كابلين. واذا ما اراد الانسان من هنا التحليق عالياً فوق نيروبرج يشاهد بعد دقائق قليلة المناظر الجميلة لترونبرج المصنوعة من الخرسانة والزجاج وهذه هي مباني إدارة الجريمة الاتحادية. ولذا فإن بعض الخطوات تختفي في منطقة المشاة بفيسبادن. وفي الواقع فإن الفندق يبدو من الخارج كأنه قديم الى حد ما. وكان لا بد من ان تسقط اريكا في حنين الانكليز إلى وطنهم. وفندق الباني هذا من الأماكن التي يأوي اليه الناس. انه جدير بالثناء فهو ليس دون المستوى ويمكن للإنسان أن يصمد في هذا المكان لبضعة أسابيع.

وفي اليوم التالي حصلت الانكليزية على وعد بالاقامة من ادارة معونة الأجانب بمدينة فيسبادن. وهنا قامت بملء طلب، وقد لاحظت في احد الأعمدة المطبوعة مدة الاقامة المطلوبة: من اربع الى خمس سنوات. وتحدد الوظيفة المطلوبة لتكسب البحث عن عمل. وتزيد، ان لديها النية، في الدراسة في جامعة فرانكفورت ولدى سؤالها عن مصدر التمويل، اجابت اريكا تشامبرز: عن طريق التوفير. وقلب الحكم صفحات جواز سفرها اللندني الجديد ببطء. وقد تأكدت كافة الطلبات الشخصية. وفيما يتعلق بآخر عنوان سكني: لندن، ريتشموند هيل ٥٢. وبالضبط وبعد أسبوع سمحت فيسبادن دون اية مشكلات بمنحها تصريح اقامة قانونية لمدة خمس سنوات. وطبقا للقانون رقم ٨٣٣ ـ ٣٢٠٦٠٢ يتم ترحيلها. ومرة اخرى عليها الحصول وبسرعة كما هو الحال في اي وقت على محل للسكن. انها قطعاً ليست من اسرائيل، بل جاءت من انكلترا. انها وجهة نظرها لمدربي الموساد.

ومن جديد بدأت اريكا تشامبرز بمشروعها. وبعد ايام قلائل من تسجيلها في فيسبادن قامت بزيارة جامعة فرانكفورت. وعن طريق توصية احد اساتذتها الخبراء قامت بأداء نفس اللعبة التي سبق ولعبتها في ارلانجن، ولم تلح في تفصيل كافة الأمور بصورة مكثفة. ومن الناحية الجوهرية اشارت الى انها مولعة بدراسة الجغرافيا في فرانكفورت. وكان الأستاذ جازماً، فطلب أن يراها بعد أسابيع تجلس في احدى محاضراته. وفي نفس الوقت وضعها طموحها الأكاديمي مع ذلك ضمن حدود ولذا لم تجازف في الظهور في هذا المجال بعد ذلك.

وفي يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٧٥ حان الوقت بالنسبة لاريكا لكي تغير العنوان. وفي النهاية وجدت ما كانت تبحث عنه لعدة اسابيع شقة في موقع ممتاز، مع امكانية ان تكون مجهولة الاسم. والعنوان الجديد هو فيلهامشتراسه ٥٢. وتلك هي الضاحية المركزية واغلاها، فهو شارع النبلاء، وسكن الاشخاص المحترمين حيث انه يطلق عليه اسم «دي

ري».
وانتقلت اريكا الى مبنى فخم يتكون من ٢٥٠ شقة ومعرض فسيح يسمى «فصول السنة الاربعة» له توقعات رنانة، «مجال للزبائن الطموحين». ويوجد مباشرة بجوار «فصول السنة الاربعة» الغراند اوتيل الشهير «ناسوار هوف» وقبالته يقع الكوربارك، ومسرح الدولة، وكازينو فيسبادن. وفي هذا الوقت كانت اريكا ميالة للتظاهر بأنها من الصعب ارضائها، مما كان يتناسب مع ذلك المكان.

وكان هناك اعلان في الاحياء المجاورة التي تتصف بالحياة ذات المستوى العالي يقول: «شارع، يتجه جنوبا الى جبال الالب. اشجار اللوب، الزهور، العاب الماء، المقاهي، نوافذ عرض متناسقة، طرق عامة وبشر» اليوم كما كان الحال عليه منذ ١٠٠ عام. اللقاء في فيلهامشتراسة. هنا الرشاقة، جوائز الرق، الوان واستعراضات، تتوحد وتتفق مع جزء من الكياسة. تلك كانت المستأجرة الجديدة بخلاف ما تدفعه شهريا كقيمة استحقاق بما يوازي مبلغ ٨٣٥,٥٠ مارك. ومع ابرام عقد مع شركة العقارات المحدودة، فقد اصبحت اعباءها حقيقة اذ عليها ان تقدم مبلغ ١٢٥٢,٥٠ ماركاً كضمان وقد سمحت لها الموساد بأن تدفع المصاريف بالكامل.

وعلى وجه العموم فإن العملاء يكونون في اوضاع خاصة وكانت اريكا تشامبرز في وضع خاص ويدفع لها بسخاء. وكانت تتسلم شهريا ٣٠٠٠ دولار اميركي للمتطلبات الشخصية. بجانب هذا كانت تتلقى كافة التكاليف الثابتة، كالايجار ومصاريف السفر. وفي نفس الوقت، كان مخصصا في دفاتر حسابات الموساد ما يقرب من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ دولار شهريا لحسابات الأجور. وهذا ينطبق على خمسة فروع للتغطية العادية الشائعة في اسرائيل. وقد ذكر مراسل مجلة التايم ديفيد تينين فيما مضى ان قمة المعطيات، هي ان عملاء الخلايا السرية الاسرائيلية «وحتى لحظة اعتزالهم الخدمة قلما يكونون مؤهلين أصحاء أو عصبيين، للاحتفاظ بالمراكز المناسبة». وقد تناول بحث تينين: «يشعر الكثير من اعضاء كوماندوز فرق الاعدام في هذا الكفاح بأحاسيس شيطانية من أجل السلطة والسلطة المضادة، بالتوتر والاكتئاب وامراض القلب. وبخلاف هذا يشعر من يشيخون بالفزع السريع، ويبدو على ابناء الثلاثين وكأنهم قد بلغوا الأربعين. وقد ذكر احد الجناة الاسرائيليين ومع موت كل فرد تشعر بالذنب تجاهه، يموت شيء ما بداخلك».

وكأمر عادي فإن الموساد لا تسمح بتمويل عمليات حوادث الطيران التي تتم عن عمد. وبدون علمها، فإن اريكا تشامبرز قبل استئجار شقة فيسبادن عليها ان تأخذ لها اسما سبق فحصه جيدا، عن طريق مكتب الاستعلامات وهو وليس ميللر. وفي التقرير الذي قدم لمجلس ادارة المنزل جاء فيه ان المستأجرة تحصل على إعانة لتساعدها على المعيشة. كما انه لا في ماينز ولا في فرانكفورت يمكن للانسان ان يستقر في تسجيله في الجامعة. ومع هذا فلم تهتم الانكليزية بهذه النهاية.

وقد اتمت اريكا تشامبرز عملها بشكل منسق، فضلا عن انها رتبت ايجاد صندوق بريد (رقم ١٩٥٢)، لأجل ان يكون عنوانها في حالات استثنائية لدى السلطات او البنوك معروفاً. كما انها افتتحت لها حساباً في درسون بنك والبنك التجاري. وخلال السنة التي اقامتها في فيسبادن كان البيان المحاسبي بالنسبة لآخر رقم «رصيد مدين» وأعلى رقم في

الغالب كان له اهميته: وقلما لا يبين ان حساب رصيد الدائن من وإلى ٢٢٠٠٠ مارك. وكانت القيمة ثابتة كما حددها اتحاد البنوك السويسرية. وكان المرسل منه احدى المنظمات المصرفية التابعة للموساد، وهي مؤسسة لمساعدة الأطفال في جنيف A.S.E.Dمساعدة وحماية الأطفال. وهذا الاتحاد جاء بناء على تعليمات مايك هاراري الخاصة بأريكا من أجل اصطياد علي حسن سلامة. وفي يوم ١١ يوليو ١٩٧٥ قامت بتسوية حسابها في جنيف ١/١٣٤١٥. وكان ان تقدم لها المخطط لذلك التقرير وهو رجل له تأثيره من أهالي الجنوب يدعى جيلبرت رومو، عنوانه: كيس ١١٢٧١، مونت ساكرو، روما. وعندما يتتبع الانسان ذلك، من المحتمل ان يرسو عند صندوق بريد ليس بعيدا عن شارع الملك شاؤول في مدينة تل أبيب.

(٤)

اريكا تستعد

وللمرة الثانية استطاعت اريكا تشامبرز أن تحقق معجزتها. ففي يوم ٢٢ ابريل ١٩٧٦ توجهت الى ادارة تراخيص القيادة بمدينة فيسبادن للحصول على رخصة قيادة جديدة من الدرجة ٣: رقم ٧٦/٣١٥٩. ومن ثم عليها ان تعيد كتابة رخصتها الانكليزية السارية المفعول بصيغة اخرى. وفي شهر اكتوبر ١٩٧٧ حصلت على عرض بتعديل اضافي في رخصتها البريطانية تحت رقم مسلسل تشامب CHAMB ٤٥٢١٠٨ Emqat . وعلى هذا يمكنها استخدامها منذ ذلك اليوم، وهي صالحة المفعول حتى سنة ٢٠١٨. وفقط: حسب العنوان، الذي قدمته للحصول على رخصة القيادة الانكليزية تلك، لن يجد اي انسان من تدعى اريكا تشامبرز والعنوان هو: ١١٤ كينغ هنري روود، لندن ان دبليو٣.

ان المطلعين على بواطن الأمور داخل الموساد كانوا مقتنعين تماماً، ان اريكا تشامبرز خلال الفترة الزمنية التي قضتها في فيسبادن لم تكن لتنتظر سوى الكلمة الشيفرية لكي تقوم بدورها ضد الأمير الأحمر التابع لعرفات. لقد كانت في الواقع مثل العديد من عملاء الموساد الآخرين، على اية حال، مرتبطة باقتفاء اثر العدو، وهذا معناه انه يجب عليها ان تكثر من السفر في مدينة بون المترامية الأطراف، لكي تستوضح معرفة اماكن سكن الدبلوماسيين العرب او المشبوهين. فضلا عن هذا فإن جواسيس الموساد يتجسسون على السفارات في جميع انحاء العالم. كما انهم يراقبون الشرقيين، والذين يكونون محل شبهة، ومنظمة التحرير الفلسطينية، او من ينتمي اليها من المنظمات المماثلة للعدو. وكثيرا ما اشترت أشخاصاً من الطرف الآخر وتوجههم بنفسها. ومثل تلك الاستقبالات يتعهد بها ضباط دارسون ومتخصصون من الموساد، ويطلق عليها اسم كاتساس. وبالنسبة لاريكا تشامبرز فإن هذه المهمة لم تدخل في مثل تلك التساؤلات. ان ما فعلته في يوم عملها الألماني كثير جدا فقد امكنها الوصول الى معلومات هامة من ضمن برنامج التدريب الدائم للعميلة. لا يسمح لاريكا تشامبرز ان تعرض نفسها للخطر ولهذا السبب عليها الابتعاد حيث العدو. وكذلك يجب عليها ألا تنسى ما تعلمته من علوم على ايدي الميدراشا.

وفي الوقت الذي يستفيد فيه هاراري من افضل عملائه المتواجدين في المانيا،

وضعت اسطورتها وسرعة خاطرها وكل المتغيرات لاحتمال القيام بدورها ضد سلامة. ويبدأ سيل الأحداث المثيرة داخل فرع المخابرات. سيكون الأمير الأحمر الشخصية الرئيسية في تمثيلية منظمة التحرير الفلسطينية مع الأميركيين.

لقد كان وقتاً عصيباً حتى بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية. ففي عام ١٩٧٣ فوجئت واشنطن باندلاع حرب يوم الغفران. إن الشرق الأوسط في ذلك الوقت على اية حال بالنسبة للأميركيين اشبه بفيتنام. لقد كانت هناك في حالة حيرة من حرب مليئة بالأحزان، حيث كانت آلتها العسكرية محاصرة. ان كشف النقاب عن جرائم الحرب يؤكد اهداف القتال. اولا في عام ١٩٧٥ سمعت صوت السلاح. وعلى الجبهة الداخلية لم يستطع ريتشارد نيكسون الهروب من فضيحة ووترغيت. ولذا كان عليه ان يستقيل. وبتطهير الأروقة من القوة لم تسلم وكالة المخابرات المركزية، كونها لصيقة الصلة بالبيت الأبيض. فضلا عن هذا فقد ازيح رئيسها ريتشارد هليمس عام ١٩٧٣. وظل خلفه جيمس شليزنجر مدة خمسة اشهر فقط وهي فترة عمله. كما تم إحالة ٢٠٠٠ من العاملين من كافة المستويات كثيراً أو قليلاً قسراً إلى المعاش.

وبعدئذ ولد العهد (القصير) لوليام كولبي خبير الاستخبارات، والذي يتكون ماضيه من سلسلة طويلة من العمليات وأهم معلوماته: ان العالم يتغير بسرعة تماماً مثل وكالة المخابرات المركزية. ان بقاء جهازه السري والذي ينتمي اليه منذ الحرب العالمية الأخيرة اصبح على كف عفريت.

وقد تولى جيرالد فورد يوم ٩ اغسطس ١٩٧٤، رئاسة الولايات المتحدة الأميركية. وبناء على طلب فورد تمت غربلة افراد سراديب وكالة المخابرات المركزية ومعاقبة «الوكالة». وقد تم الأخذ في الاعتبار عدد «الأفراد» من اهل الخبرة غير القانونيين من الخمسينات والستينات، وعلى سبيل المثال محاولة قتل رؤساء الدول، ومن بينهم فيدل كاسترو. وأصبحت الفضيحة تلو الأخرى علانية: احداث عدم استقرار لحكومة النيري في شيلي، ومحاولة نيكسون عن طريق وكالة المخابرات المركزية اغتيال الباحث في فضيحة ووترغيت، والمرافعة غير القانونية للمعادين لحرب فيتنام عن طريق المخابرات والجزء الأكبر من فترة عمل كولبي ألقيت عليه الظلال بسبب الانتقادات التي كانت توجه اليه. وقد حذف هذا التعليق. وأصبحت وكالة المخابرات المركزية اشبه بمريض في غرفة الانعاش. ان الشعب الأميركي، المرتاب من الناحية التقليدية في مواجهة المخابرات أخذ يهلل مستحسناً.

ووفقاً لإعادة بناء مؤسسة الاستخبارات، فإن ويليام كولبي سيحال الى المعاش. وفي يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٥ خلف جورج بوش الرئيس فورد. وهكذا بدأ رئيس مكتبه في لانجلي مركزه في يناير ١٩٧٦. وفي كل الأوقات كانت استطلاعات وكالة المخابرات المركزية تركز اهتمامها على القوة العالمية الأخرى، على الاتحاد السوفياتي. وفي هذا الوقت كانت محادثات معاهدة نزع السلاح الاستراتيجي الأول (سولت) في بدايتها. وهكذا وكأن القدر قدر بوش لهذه المعاهدة، لكن الوكالة كانت والى حد ما في حالة استرخاء لتزويده بالمعلومات. وكان ينظر الى هذا الصاعد من مواطني تكساس باحترام، كما انه كان يعاقب كل من تفوه بكذب قبل توليه مهام منصبه، ومن ثم فإنه سيستفيد من مجال نفوذه الكبير، لكي يحقق مركزه السياسي. ان جورج بوش من النوع السياسي

الهادىء، والذي عمل على ايجاد الاستقرار الأخلاقي الداخلي لوكالة المخابرات المركزية. وذلك كان من الأمور التي أوجدت له شعبية كمدير لوكالة المخابرات المركزية منذ ايام الرائد الأسطوري آلن دبليو دلاس.

كسب جيمي كارتر، مزارع الفول السوداني ذو الأخلاق الجيدة ومن مواطني جورجيا، انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٦، وكان أمامه ثلاث فضائح اساسية في البيت الأبيض: ووترغيت، فيتنام ووكالة المخابرات المركزية. وقد اعتزل جورج بوش وظيفته في نفس الوقت الذي ترك فيه فورد منصبه الرئاسي. وقد استدعى جيمي كارتر الفائز بمنصب الرئاسة الأدميرال سانسفيلد تيرنر، الذي كان يلازمه على مقعد الدراسة في الأكاديمية البحرية في انابوليس. وقد تم استدعاء تيرنر من نابولي، حيث كان يرأس الجناح الجنوبي للناتو (حلف شمال الأطلسي)، الى صومعة نفوذه في لانجلي. ومنذ البداية لم يكن محبوبا، ولذا فقد كان يعتبره منافسوه في واشنطن دخيلاً عليهم. وهكذا نشأت ازمة جديدة داخل وكالة المخابرات المركزية. وفي الحال اخذت الهمسات تدور حول الافلاس التالي: اولاها في ايران، حيث هروب الشاه واستعداد الخميني للعودة.

وقيل بعد وقت قصير ان المخابرات المركزية كانت تمر بحالة من الرعب. وفي بداية الأمر تذكرت ان عملياتها في الشرق الأوسط كانت تستخدم ما يشبه العصا في الضباب. بجانب هذا فإن معظم المعلومات التي حصلت عليها المخابرات في لانجلي لم تضلها عن طريق الافراد العاملين معها، تقريبا كانت عن طريق الموساد. كانت مغامراتها تتم بالقرب من الطرف الآخر. وبعد ذلك استشارت رجالاً أمثال علي حسن سلامة. وكان يبدو ان مهامها في ذلك الوقت تلقى نجاحاً. وفي خلال الأشهر بعد خطابه أمام الأمم المتحدة زار عرفات موسكو. وكان يقف وراءه كالمعتاد علي حسن سلامة. وقد حقق قادة الكرملين تأثيراً مناسباً لاخلاص الابن لأبيه.

كانت رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية تتملق الاتحاد السوفياتي علانية وسراً الأميركيين. وأول صحفي ينجح في ان يكون له حرية جزئية داخل محور بيروت - واشنطن، هو ديفيد اجناتيوس، وكان يعمل كمراسل لجريدة وول ستريت جورنال في الشرق الأوسط في الثمانينات. وقد اكتشف ان رئيس قسم وكالة المخابرات المركزية في بيروت روبرت امليس أول من اوجد علاقات مع علي حسن سلامة «كنت مكلفاً من قبل مجلس الأمن القومي وكنت أريد أن أقدم له فرصة حيث كانوا يدعون دائما ان صوتهم لا يسمع في واشنطن. أما الآن فقد واتتهم اللحظة المناسبة. وكان الرئيس على استعداد ليستمع» كان ذلك قبل عملية ميونيخ وغيرها الكثير من الهجمات الدموية.

وقد ألقى الاتصال ظلاله كما سجل أوائل منتصف عام ١٩٧٣، وفيما يتعلق بمؤتمر والدورف استوريا، بعد خطاب عرفات امام الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٧٤، فقد تعمقت تلك الاتصالات. وعن طريقها فشل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في محاولة الحصول على اعتراف رسمي من الولايات المتحدة الأميركية. لقد كانت بكل ما للكلمة من معنى نتيجة خاطئة. لقد كانت وكالة المخابرات المركزية تبحث عن نوع من التعاون الأمني خاصة وهي تقدر خطر الهجمات الإرهابية السابقة.

وصل أعلى درجات الحوار الأميركي الفلسطيني ذروته عام ١٩٧٦، في الوقت الذي كان المواطنون الأميركيون مهددون من الحرب اللبنانية. وفي يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٦

تم ترحيل مجموع العاملين في السفارة ببيروت. وكان علي حسن سلامة رئيس امن عرفات لم يزل في موقعه حتى انه كان مكلفا بتسفير الأميركيين دون اي احتكاك. ومن ثم فإن الرئيس جيرالد فورد صرح بذلك علانية. وفي احدى المقابلات الصحفية مع ياسر عرفات قال: «لقد وصلني خطاب من هنري كيسنجر، خطاب رسمي جاء فيه انه يوم الشكر لمنظمة التحرير الفلسطينية والوحدة الفلسطينية لما بذلوه من جهد وحماية لحياة الأميركيين».

لذا لزم أولاً وقبل كل شيء تقدير زعيم الفداء علي حسن سلامة. انه مجرد لافتة لمنظمته، هذا فيما يتعلق بالمظهر السياسي. وفي ذات الوقت كان يقوم بإنشاء جهاز سري للقوة الضاربة، والذي كان يشرف عليه عام ١٩٧٦ وهو «القوة ١٧»، بجانب هذا فقد كان سلامة مؤثراً في صفوف الشيعة والكثير منهم تخصص فيما بعد في فرقة «حماية الأرواح» وتفجير القنابل الأتوماتيكية. وسرعان ما بدأت تلك القوات التي يزيد تعدادها عن ٤٠٠ رجل بالاهتمام بالحماية الشخصية للقيادة الجماعية لمنظمة فتح، وفي وقت الفراغ، التدريب على أصعب أنواع المقاومة. ومن ثم كان عليهم التعامل مع «القوة ١٧» والصفوة، كمّا طلب سلامة المساعدة الخارجية من اصدقائه في اوروبا الشرقية. وهكذا أرسلت وزارة أمن الدولة والسلامة الرومانية بجمهورية المانيا الديمقراطية الخبراء من رجال الشرطة وتحت قيادتهم ترك سلامة الفرقة التي تسمى «حماية الأرواح» واستخدم «القوة ١٧».

ويؤكد الكاتب البريطاني ريتشارد ديكون، الخبير بشؤون المخابرات ان الموساد هاجمت شقة الأمير الأحمر في بيروت في منتصف عام ١٩٧٥ وهذا الهجوم على شقة سلامة كان بالشراسة التي لا تتحملها الأعين. وفي احدى الليالي اعتقد أحد الرجال أنه قد تم تحديد فرقة الخطوط المحددة بسلامة بواسطة سلاح التلسكوب الذي يضرب الاهداف بدقة متناهية وثم قام بالتصويب على الهدف. وهكذا أحدثت القنبلة ثقباً في إحدى البنايات. وبكل تأكيد فإن الذي اكتشف تلك الحادثة هو (يكون) حيث أشار إلى الحيل والتكتيكات المضادة التي تم استخدامها التي كانت تهدف من حين لآخر لإضعاف الطرف الآخر.

وفي الأشهر التي تلت الحرب اللبنانية حاولت منظمة التحرير الفلسطينية بقدر الإمكان أن تحصل على ايرادات بديلة. كما أن الفلسطينيين كانوا يسيطرون على الموانيء اللبنانية ويحصلون على ضرائب عن كل صفقة تجارية. كما شاركوا بأنفسهم في عمليات تهريب السلاح والسلع الكمالية. وفي يوم ٢٠ يناير ١٩٧٦ أحبطت «الفرقة ١٧» بقيادة علي حسن سلامة أكبر انقلاب وقد جمع كل من تيل سي. ليفبخستون وديفيد هالفي تلك الوقائع.

قامت مجموعة من أفراد الكوماندوز مكونة من ٢٠ رجلاً باقتحام احدى الكنائس الكاثوليكية في المنطقة المجاورة للـ «بنك البريطاني للشرق الأوسط» فضلا عن هذا كان لا بد من تسليم خزائن البنك الى الفدائيين. كما انهم استخدموا معهم فريق تحطيم الخزائن الحديدية الكورسيكي. وعلى هذا يقومون بفتح الخزانة الفولاذية ومن ثم يتم مكافأتهم بشهر. ويوجد في هذا البنك نقود سائلة، وذهب ومجوهرات بما يوازي ٦٠٠ مليون دولار. وهكذا يتم نقل الغنيمة في سيارة نقل وتحت قيادة عرفات، وابو اياد،

وعلي حسن سلامة ومن ثم بالطائرة إلى جنيف وداخل البنوك السويسرية يتم وضع الغنائم. وكانت عملية السطو على المؤسسات المالية في أول سنة للحرب الأهلية تقريبا هي لعنة الشعب اللبناني.

وفيما يتعلق بـ «الفرقة ١٧» فإنها تخضع فقط لأوامر عرفات، وهي مخلصة له الى النهاية. وكان منفذ كل أمر هما علي حسن سلامة ونائبه محمد الناطور (ابو طيب). وفي المراكز التي ثبتت فيها كلاهما، كان يتم انتخاب ابو حسن وابو طيب لقطاع القيادة وكان لسلامة مطلق الحرية. وكان يوافق على جميع اشكال الاستخبارات، اذا ما كانت في صالح القضية، ويناقش العلاقات المتأزمة مع المسيحيين اللبنانيين. وكذلك مع بشير الجميل، على سبيل المثال صديقه وقائد الميليشا المسيحية «القوات اللبنانية». وقد ذكر كريم بقرادوني الزعيم الأيديولوجي لمعسكر المسيحيين في كتابه الذي نشر عام ١٩٩١ الحديث الذي دار مع عرفات. وقد ذكر انه في عام ١٩٧٧ «لقد كلفت افضل اصدقائي ابا حسن والذي اثق فيه ثقة كاملة، في تحسين العلاقات معكم». وفيما بعد كان هنالك العديد من اللقاءات السرية حيث كان الفلسطينيون واللبنانيون يناقشون الموقف الراهن للحرب الأهلية، ودائما ما كان سلامة يرأس وفد منظمة التحرير الفلسطينية.

ولكن لا يحدث كل شيء كما نريد عادة. ويشهد على ذلك الانهيار الذي حدث يوم ١٦ يونيو ١٩٧٦. ففي ذلك اليوم هاجمت مجموعة صغيرة منشقة لا يعرف عنها الا القليل وتحمل اسم «حزب العمل الاشتراكي العربي» السفير الأميركي الجديد في لبنان، فرانسيس تي ميلوي، والملحق التجاري روبرت تي وورانج والسائق اللبناني وقت ان كانوا متجهين لزيارة عمل للرئيس اللبناني الجديد الياس سركيس في الجزء الشرقي من بيروت.

(٥)
بادرماينهوف على الخط

وفي اليوم التالي وجد الرجال الثلاثة قتلى وعلى ذلك قامت «القوة ١٧» التابعة لسلامة بالبحث رسمياً في هذه الواقعة وألقت القبض على المشتبه فيهم. واعترف ثمانية رجال. ولكن النهاية الأخيرة لا يتم التصريح بها رغم ذلك.

وهكذا اهتمت الحكومة الأميركية ووكالة المخابرات المركزية بمشكلاتها الخاصة ولم يكن لديها الوقت للبحث عن وفاة الدبلوماسي بصورة عادية في لبنان. وكلما كانت الوثائق السرية لرئيس «الفرقة ١٧» كلما كانت المسؤولية، وكان رد الفعل لدى واشنطن قليلا. ويعتقد خبراء الشرق الأوسط ان عملية القتل الثلاثية لميلوي ورفاقه كانت عملية ثأر بطريقة غير مباشرة. وعلى الفور تتبع الأميركيون مسيرة عسكرية للسوريين لحماية المسيحيين وتقسيم لبنان. ان ضحية تلك العملية اصبحوا الآن هم الفلسطينيون والذين سيصبح نصفهم في الأوقات التي تلي ذلك صعباً للغاية. ويوضح ذلك نبذ عرفات وسلامة، سوياً ذلك العمل الدموي، وبعد فترة قصيرة ظهرت سيارة السفير الكاديلاك في جنوب لبنان. وكان داخلها فدائيو «الفرقة ١٧».

وبعد فترة قصيرة من مصرع ميلوي تقابل علي حسن سلامة مع رئيس قسم المخابرات المركزية روبرت امليس. علاوة على ذلك ادعى ان مشكلة الأجنحة المعتدلة

بمنظمة التحرير الفلسطينية تقبع في محيط العناصر الراديكالية. وطالب سلامة ان تتدخل وكالة المخابرات المركزية بوسائلها في النضال ضد المتشددين وأراد امليس أن تحمى تلك الفكرة وأرسل مكتوبا ملائما الى رئاسته.

وفي خريف ١٩٧٦ حدث لقاء جديد، ولكن هذه المرة بين سلامة وسلف امليس في العمل، تشارلز ووترمان. وقد حكى الزعيم الفلسطيني القوي رواية مشوقة: «لقد رجانا الروس، ان نختطفكم وبعدئذ نكلف بالفحص القضائي. والآن فإنني اعتقد، ان هذا الموضوع على أحسن الفروض قد حدث من وراء ظهورنا، حتى يظهر اننا لنا ضلع في عملية الاختطاف، وان الروس ليس لهم ضلع في ذلك». وفي لانجلي وباستثناء ذلك، فإن هذا المقصد جاء نتيجة لمخالفة الاتفاق المكتوب بين جهازي المخابرات: ألا يهاجم العملاء عملاء الطرف الآخر. وقد ادرك تشارلز ووترمان طلب سلامة الشاذ. وعلى هذا غادر بيروت لمدة شهر واحد.

وفي يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٦ ظهر ما لم يكن متوقعا: اطلق الرصاص على علي حسن سلامة علانية في الشارع. واستقرت رصاصة في معدته. وقد تخلف عنها جرح خطير. ويؤكد الاسرائيليون ان الموضوع يتعلق بخلاف داخل صفوف الفلسطينيين، ليس للموساد دخل فيه. ولم تعلن منظمة التحرير الفلسطينية اي شيء. وجاء في تقرير لمجلة شترن في المقابل: «لقد انتظرت الموساد الفرصة المناسبة. وقد توصلت اليها يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٦، بينما كان علي يسير بمفرده في بيروت. ومن رصاصتين من الاسرائيليين، تم تحطيمه وهكذا واتاها الحظ. وكان على مقربة تقف سيارة احدى المستشفيات التي نقلته في الحال الى المستشفى. وكان لا بد من اجراء عملية جراحية وبعدها استرد صحته» وبعد الاستفسارات التي دارت في واشنطن، جاء الرد، انه بعد تلك الاجراءات لم يعرف شيء تماما.

ولراحة زعيم الفداء البالغ من العمر ٣٥ عاما دعاه صديقه العامل بوكالة المخابرات المركزية لزيارة الولايات المتحدة الأميركية. ومن الناحية الرسمية فإن ذلك يعطي انطباعاً بأنها هدية لـ «حماية ووترمان ومركز المخابرات الأميركية في بيروت» ونقل سلامة الاعارة بكل سرور. وحضر مع صديقته الجديدة، ملكة جمال العالم جورجينا رزق. وتنحدر تلك الفتاة البالغة من العمر ٢٣ عاما من مؤسسة المال المسيحية في العاصمة اللبنانية. اهتم ابوها الشرقي وامها المجرية بهذا الخليط غير العادي. ومنذ نعومة طفولتها وجورجينا جميلة. ومن ثم كان من المؤكد انها ستفوز بلقب ملكة جمال العالم. وفي سنة السادسة عشرة انتخبت ملكة جمال لبنان وبعد سنتين ملكة جمال العالم. وفي ميامي بيتش كانت العربية الوحيدة التي تدخل المسابقة. وفي نهاية المنافسة أعلنت هي وملكة جمال اسرائيل ايتي اورجاد إلى وسائل الاعلام: «إننا هنا بسبب الجمال وليس بسبب السياسة» وقد تم تدريبها على تلك الجمل في وطنها. وهكذا أصبحت جورجينا نجمة كبيرة، ليس فقط في لبنان، ولكن ايضا في العالم العربي أجمع، امرأة يحلم بها جميع الرجال. كانت أجمل امرأة في العالم والتي فرض سمعتها شعبها.

لقد كانت جورجينا رزق ملكة الليل قبل حرب لبنان. كانت تعتبر فتاة اعلان «كازينو لبنان» وتشارك في الأفلام والدعاية السياحية وترتدي احدث الأزياء الباريسية في

عروض الموضة. وخلال تنقلاتها الدعائية عرفت العالم. وكان الجميع في كل مكان يريدون التعرف على الفتاة ذات الشعر الطويل الأسود والعيون الخضراء والفم الكبير البسام حتى جيمي كارتر، الذي كان في ذلك الوقت حاكماً لولاية جورجيا. وكانت ترتدي فستان سهرة أسود اللون بدون أكمام. وفي النهاية أحرزت جورجينا جولة من النصر للدعاية اللبنانية في البرازيل والمكسيك وفنزويلا.

وفي حفلة عشاء تحررية مع الأصدقاء الذين تقابلت معهم كان بينهم علي حسن سلامة. كان علي ونائبه محمد الناطور (ابو طيب) وكان كل منهما يعمل على توطيد مركزه، ومن ثم انتخب ابو حسن وابو طيب للمراكز القيادية في منظمة فتح. وكان لسلامة كما سبق مطلق الحرية في التصرف. وكان هو الذي يتفق بشأن كافة انواع الاستخبارات عندما يعهد اليه بتنفيذ العمل، كما أنه اقام علاقات مع المسيحيين اللبنانيين.

وفي صباح كتبت جورجينا تقول: «لقد دخل علي حسن حياتي كريح عاصف. كان سنه ٣٥ عاما يرتدي قميصاً أسود اللون وسروالاً أسود وكان يبدو عليه الضيق ويخرج منه إشعاع فطري. وتقابلت نظراتنا وقد عرفت أنها مسلطة على سلامة، الذي قطعا لا يتلاءم مع العالم باعتباره مقاتل فلسطيني». لقد وجد المرأة التي تتناسب مع حياته. ان زواجه من زوجته الأولى، والذي تم عن طريق أسرته، كانت تشعره بالملل.

لقد خلق الاثنان، جورجينا وعلي لبعضهما، ومن ثم كانت كل علاقاتها الأخرى غير عادية ومبالغ فيها. إنه الحب من أول نظرة، وهذا قرب الاثنين من بعضهما لعرى لا تنفصم. لقد كانت قصة تشبه قصص ألف ليلة وليلة، مملوءة بالخيال، نادراً ما يدبرها الانسان.

وفي شهر ديسمبر ١٩٧٦ سافر الحبيبان دون ملاحظة الموساد الى نيويورك. واستقبلهما روبرت امليس، الذي صعد إلى رئاسة إدارة الشرق الأوسط بوكالة المخابرات المركزية، باليخت لدى وصولهما. وقضى علي حسن وجورجينا اسبوعاً مؤثراً في نيواورليانز وبعد ذلك سافرا الى لوس انجلوس. وهناك كان في انتظارهما تشارلز ووترمان، المضيف الآخر. وانتهى بهما المطاف بقضاء اجازة اضافية في جزر (هاواي) الرومانسية.

ويسرد الصحفي الأميركي وخبير الموساد ديفيد هالفي بقية القصة فيقول: «ذكر نائب سابق لبوب امليس، انه في وقت لاحق حذر مسؤول على مستوى عال في المخابرات الاسرائيلية رئيس قسم المخابرات المركزية بباريس «آلان ودلف» قائلا: «إننا ما زلنا في قتال مع سلامة. وطالما انكم لا تذكرون لنا شيئاً، فإننا سوف ننفذ خططنا إلى أبعد الحدود». وكان لهذا التحذير الصريح من الاسرائيليين تأثيره لكي يضع وكالة المخابرات في ازمة. ولم يفهم ما اذا كان ذلك مجرد خداع اسرائيلي، لكي يجدوا الحقيقة، أم أنهم يريدون حقيقة أن يتصيدوه. وعندما تشرح وكالة المخابرات المركزية علاقتها بسلامة علانية، وعندئذ لا بد ان تذكر، انه بناء على وعد هنري كيسنجر لاسرائيل وقد قطعت على نفسها ألا تتحاور مع منظمة التحرير الفلسطينية، طالما انها لم تتخل عن الارهاب وان تقبل قراري الأمم المتحدة رقمي ٢٤٢ و٣٣٨ دون شروط. ومن ناحية اخرى فإنها ستفقد افضل مصادرها في الشرق الأوسط، وذلك في حالة عدم ذكر

اي شيء لاسرائيل. وفي النهاية قال وولف شفاهة بناء على تعليمات من أمليس للاسرائيليين، ان سلامة ليس من رجال وكالة المخابرات المركزية. ومن ثم أنهيا الموضوع دون مناقشات اخرى.

وقد عرف الاسرائيليون حقيقة، ان الرفاق في لانجلي قريبون جداً من سلامة ويمكنهم الوصول اليه، وانه بالنسبة لهم سيكون في مأمن. وفي ادارة الشرق الاوسط في لانجلي انهمر فيما بعد وابل من النقد لاحدى السلوكيات الخاصة، وكان على مقر وولف بباريس، كما كان يسمى، أن يتخذ موقفاً واضحاً ويقدم حماية افضل لسلامة. وفي اسرائيل اخذوا تلك المحادثة بين وكالة المخابرات المركزية والموساد، حتى ان الموساد انكرت انها سبق لها وحذرت وكالة المخابرات المركزية بسبب سلامة. وقد قال ضابط كبير سابق في الموساد من ادارة العمليات: «انه ليس من وسائلنا ان نخطر وكالة المخابرات المركزية او الحكومة الروسية بعملياتنا التي تم التخطيط لها».

والتناقض الظاهر لخلفية احدى الروايات من ظلال العالم للمخابرات: في شهر يناير ١٩٧٨ تقابل مندوب الموساد مع مندوب لوكالة المخابرات المركزية في اليوم المخصص لمكافحة الارهاب في لندن. ومن خلال حديث قصير دار الحديث مرة اخرى حول الأمير الأحمر. «اتركوه وشأنه ليرتاح» هذا ما قال الأميركيون. وكان الرد الاسرائيلي شهادة تصديق كاملة: «وعلى ذلك ألا يكون لنا رأي يؤخذ في الاعتبار. انكم تعلمون الذي فعله معنا، وانتم تعرفون قواعد عملنا ليس هناك من سبيل لتغيير مصيره. ان الرب يغفر اما اسرائيل فلا».. ولذا كان لزاماً على الأميركيين ان يحسموا الموضوع بشكل يدعو الى الحيرة.

وبالنسبة لاريكا تشامبرز التي كانت تمهد لتواجدها في المانيا، لزم عليها الا تعلم تلك التفاصيل. ولذلك فإن مايك هاراري، رئيسها كان دائما يحتفظ بالنظرة العامة، ويتركها دون ان يعرفها عن العمليات الكبرى ضد الأمير الأحمر. وكانت الاستخبارات ومؤامراتها، تعرض عرضاً سافراً منذ أيام غولدا مائير. ونظراً لذلك، وبالنسبة لما حدث في ميونيخ فقد فاز رئيس وزراء اسرائيلي جديد ـ في شهر مايو ١٩٧٨ فازت كتلة الليكود برئاسة مناحيم بيغن في الانتخابات التاسعة للكنيست وخسر حزب العمل ـ وقد كان بيغن ورئيس الموساد لتسجامه هوفي يكرهان منظمة التحرير الفلسطينية. وعلى هذا فإن كل الأعمال الاجرامية لا بد وان تكون مفعولة أساساً من اللجنة س.

وجاء في كتاب لوسي ميلمان خبير الموساد، معلومات جيدة عن قصص الاستخبارات: عندما كان لزاماً على الموساد ان تهدىء من عملية اصطياد سلامة، يعود مناحيم بيغن مرة أخرى ويعلن عنها. ومن ناحية المبدأ فلم يكن هناك باعث حقيقي. فبالنسبة له كانت مسألة كبرياء وشرف وبالتأكيد فإنها مسألة محاولة ثأرية قديمة.

وكان موضوع اصطياد ابو حسن في ازدياد، لأنه بعد نهاية سنوات ارهاب سلامة كانت اسرائيل تهدد من جميع الجوانب. ففي يوم ٢٧ يونيو ١٩٧٦ حلقت طائرة ايرباص تابعة لايرفرانس وعلى متنها ٢٥٧ مسافراً من تل ابيب الى باريس، وهبطت في اثينا لاستراحة قصيرة تبدأ بعدها رحلتها من جديد وهنا اختطفها سبعة افراد من الكوماندوز التابعين للجبهة الشعبية. وتوجهوا بالعودة إلى ليبيا للتزود بالوقود. وبعد ذلك رفضت السلطات السودانية السماح بهبوط الايرباص، واضطر قائد الطائرة ان يتجه الى عينتبي

في اوغندا. وقد علم المسافرون الذين اعتراهم الخوف ومعظمهم من اليهود، ان «فرقة شي جيفارا التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» هي التي قامت بهذا العمل وان الطائرة الفرنسية سيعاد تعميدها في «حيفا» وكان على قراصنة الجو أن يوجهوا حديثهم بالأرقام فقط ولذلك كان من الصعب التعرف على هويتهم.
وفي اوغندا كان هناك ثلاثة آخرون من الفدائيين على استعداد. وطالب الفدائيون العشرة من جنود عيدي امين امدادهم بسلاح اضافي وان يستريحوا، بينما يحرس الأوغنديون الرهائن. وفي اول تصريح لهم طالبت «فرقة شي جيفارا» اطلاق سراح ٥٣ فدائياً في سجون اسرائيل، والمانيا، وفرنسا، وسويسرا، وكينيا. وكانت قائمة الأسماء تتضمن اسم احدى صديقات كارلوس، وكذلك عدد من أعضاء عصابة بادر ماينهوف، وايضا كوزو اوكاموتوا الباقي على قيد الحياة من عملية مطار تل ابيب. فضلا عن هذا فإن جميع المساجين يجب أن يستقلوا الطائرة الى عينتبي، وهناك يتم تبادلهم مع رهائن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ولأن الرعاية صعبة فقد تم اطلاق سراح ٤٧ امرأة، وطفل وكبار السن يوم ٣٠ يونيو.
وفي اسرائيل انعقد اجتماع لمناقشة الأزمة قد استمع اليها خبراء الارهاب في الموساد. وقد ذكر احدهم انه بناء على خبرته، فإن عيدي امين سيسافر الى مورشيس لحضور مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية. وقد اقترح من جانبه فكرة جنونية كبرى وهي اختطاف الديكتاتور الأفريقي الأسود. وقد رفضت تلك الفكرة. فضلاً عن هذا فإن الاقتراح بسفر موشيه ديان الى كامبالا للتفاوض لم يدم طويلاً. وفي النهاية تقدم احد بنوع من الاستراتيجية...
وفي اليوم التالي تظاهرت اسرائيل بأنها ستتفاوض مع المختطفين. كان ذلك يوم ٣ يوليو. وقد أفرج الفدائيون عن مائة رهينة. أما جميع اليهود فلا بد من بقائهم الى النهاية.
وفي نفس اليوم وصلت الطائرة القادمة من نيروبي وتصادف وجود طائرة وسط افريقيا المعتادة التأخير الى بيروت. ونزل منها عدد قليل فقط من الركاب. وقد اسرعوا الى الجوازات والجمرك. وكان احد مضيفي الطائرة اسمر البشرة، ايطالي الجنسية. استفسر عن الأعمال التجارية التي يمكن عملها في اوغندا، كما اشار ايضا الى المستندات المناسبة، التي يمكن عن طريقها ان يعمل كمندوب لاحدى الشركات، التي تتاجر في بعض المنتجات مثل السكر والقهوة. وكان تأثيره لطيفاً وأخذ يلقي بعض النكات طوال فترة الانتظار. وكانت لغته الانكليزية تلائم نبرته الايطالية. وطوال تلك الفترة لم يغب هذ الايطالي نظره عن نهاية المطار حيث كانت تقف طائرة الرهائن رقم ١٣٩ التابعة لايرفرانس.
وبعد دقائق كان رجل الأعمال سيسافر الى مساحة ثلاثين كيلومتراً تقريباً من كامبالا. ودون أن يضيع وقته، تقابل مع العديد من رجال الأعمال الأردنيين والأفارقة، ممن كانوا قد وصلوا في اليوم السابق.
وفي يوم ٢ يوليو، وكان يوم الجمعة، عاد الايطالي إلى كينيا مرة أخرى. وفي نيروبي كان في انتظاره مجموعة من الناس، كان بينهم بعض العسكريين. وقد تشاور التاجر الايطالي وأحد الرجال عن المجموعة والذي كان يرافق الضباط على بعد مائة

متر، مع عدد من الكينيين. وكان المشاركون في الحرب على وجه العموم يعملون في وزارة الدفاع والطيران، وفي الشرطة والمخابرات الكينية. وفي المساء أجرى الايطالي حديثاً تليفونياً طويلاً مع كامبالا وتل ابيب.

وقد علم في ذات الوقت، ان المختطفين كرروا طلبهم وهم اضافة الى ذلك يطالبون بمبلغ قدره خمسة ملايين دولار اميركي للافراج عن الطائرة. وفي نفس الوقت التقط الاسرائيليون حديثاً تليفونياً فيما بين رئيس وحدات الكوماندوز الخاصة التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ووديع حداد ورجاله. وقد تحدث وديع من مقديشيو مع كامبالا. وقد وضع حداد في ذهن رجاله العشرة ان يغتالوا الرهائن اليهود، وذلك عندما تحدث المقاومة للرفاق دون احتكاك على مسرح العمليات. بالتأكيد التصنت من جانب المخابرات الاسرائيلية ما يدعو للسرور. ومن ثم فإن «عملية وميض البرق» ستكون مناسبة.

وفي مساء الأحد، ٤ يوليو، كان الايطالي واصدقاؤه الضباط، وبعض الأفراد الآخرين ينتظرون وقد فقد صبرهم، ينتظرون في الساحة الأمامية لمطار نيروبي. ومن ثم أجرى أحدهم استشارة لاسلكية وكان الضابط في ذلك الوقت منغمساً في التجهيزات العسكرية. وكانت تلك التجهيزات مميزة بالنسبة له. وفي إحدى الحدائق المجاورة كانت توجد طائرة بوينغ ٧٠٧ دون علامات، على انها مستشفى طائر. وقد بدا ان رجل الأعمال الايطالي هو الوحيد، من بين الجميع بأنه في حالة استرخاء ولا يظهر عليه اية علامات تدل على العصبية.

وفي تلك الاثناء هبطت ثلاث طائرات نقل اسرائيلية في مطار عنتيبي، وتحت قيادة اللواء دان شيموسه والماجور جوناتان نتانياهور.

هاجمت القوات الاسرائيلية الخاصة المبنى، وخلال ٣٥ دقيقة وهي مدة المعركة قتلوا الفدائيين وعددا من الجنود الأوغنديين. وتم انقاذ الرهائن واخذوهم الى الطائرة. وقبل الشروع في الطيران دمروا احدى عشرة طائرة ميج مقاتلة من سلاح عيدي امين الجوي، حتى لا تحدث مفاجأة غير مقبولة فيما بعد في الجو.

وبعد منتصف الليل بخمس عشرة دقيقة هبطت طائرة نقل يونانية مموهة اللون طراز «هيركلتر» على الممر الجوي لمطار نيروبي. وامام الطائرة البوينغ ٧٠٧ التي كانت في الانتظار فتحت ابوابها. وللدهشة كانت تحمل مستشفى عسكريا متنقلا. وبعد دقائق كانت الطائرة البوينغ محلقة في الهواء واتخذت مسارها الى اسرائيل. وبينما كانت الطائرة تزود بالوقود، حلقت في الجو طائرتان اخريان من نفس النوع. وبعد اربعين دقيقة اخرى كان السرب بأجمعه متجهاً مرة أخرى إلى اسرائيل.

وكذلك غادر رجل الأعمال الايطالي واصدقاؤه كينيا. لقد كان مايك هاراري، والذي كعادته قاد اسرائيل في عمليات إنقاذ ناجحة قام بالمشاركة فيها. وقد انعم عليه رئيس الوزراء لما قام به من دور في عينتبي اعلى وسام اسرائيلي، يمكن ان يحصل عليه عميل مخابرات. ويبدو ان ذلك ووفقاً لقرار علني، أعلن عن ذلك في حفل في تل أبيب.

وببداية عام ١٩٧٧، تذكر العالم مرة أخرى عملية ميونيخ. ففي ٧ يناير قبضت المخابرات الفرنسية على رئيس المشاركين في عملية ميونيخ ابو داود، في احد فنادق

باريس. وكان ينتحل اسم يوسف راجي مناسب ويحمل جواز سفر عراقي وقد حضر على رأس وفد فلسطيني قبل اربعة ايام من مصرع محمود صالح الموظف لدى منظمة التحرير الفلسطينية عند مرافقة بيرلاشيز حيث كان في آخر الموكب. واشتكى ابو داود من خلال المفاوضات غير الودية عن طريق البوليس الفرنسي واشار الى التعهد بحرية المواكب الذي صدر عن طريق السفارة في بيروت. وفي مقابل هذا اشار الفرنسيون الى أمر القبض الدولي الصادر من المحامي العام في ميونيخ. وفي الحال تحركت حكومات ليبيا، والعراق والجزائر وطالبوا بإطلاق سراح موظف منظمة التحرير الفلسطينية.

وأبدى الاسرائيليون اهتمامهم بأبي داود، كما طالبوا السلطات الألمانية بتسليمه لهم. وفجأة، في يوم ١١ يناير، أطلق سراحه على أساس أن الحكم كان باطلاً. ثم أعطاه الفرنسيون تذكرة بالدرجة الأولى الى الجزائر. وفي تصريح اذاعته باريس جاء فيه ان اسانيد المانيا غير كافية. في حين ظهر ان ذلك حقاً. وفي وقت رفضت فيه اميركا واسرائيل، بارك الاتحاد السوفياتي.

ذكر ابو اياد في مذكراته التي ظهرت فيما بعد في تفاصيل الواقعة في فرنسا: ان اذاعة آخر الأنباء الفرنسية كانت تتضمن تجول بعض العناصر، ممن كانوا في مقابل ذلك يخفون ولاءهم لبلدهم. وكان من المؤكد ان ابو اياد، مقتنع تماماً، «ان وكالة المخابرات المركزية والموساد فيما سبق من الأعضاء المتفقين مع السلطات الفرنسية ألا يكونوا منحازين، ومن ثم كان هدفهم المتميز ثابتاً، في جلب عدم الثقة في سياسة جيسكار ديستان في الشرق الأوسط». وأكثر من هذا ذكر ابو اياد: وفي إحدى الحالات كان ثابتا، عند تتبع الارهاب الاسرائيلي يؤكد البوليس الفرنسي، انهم كانوا يتعجلون القبض على ابي داود ـ قول رفيق ـ دون حماس زائد. ومن ثم كانت ترتكب الاعتداءات على حياة افراد المكتب الفلسطيني وبدون أجر، وعلى الأقل تم قتل أربعة من قادة حركة المقاومة في باريس على ايدي عملاء الموساد ومع ذلك لم يقبض على اي واحد من الجناة وهكذا كانت السياسة المترددة لكلا الجانبين.

وكالعادة دائما، كان علي حسن سلامة، عندما يحب، يتوقف عن العمليات المثيرة. وبعد إجازته في اميركا تقابل تكراراً مع تشارلز ووترمان من وكالة المخابرات المركزية.

وحيث ان ذراع عرفات اليمنى لم يترك زوجته الأولى بالانفصال كان يقضي كل دقيقة من وقت فراغه مع جورجينا رزق. فضلا عن هذا فإن ملكة الجمال ذاتها كانت نشطة وكانت تنطلق من عرض لأزياء الموديلات الى الآخر، وكانت تحضر يوميا الحفلات باعتبارها رمزاً للجمال اللبناني. لقد كانت تعيش في عالم لانهائي بعيداً عن بلدها. وكان الاثنان يشاهدان وهما مرتبطان من وجهة نظر كل منهما للآخر، ولم يشكلا أية مشكلات لأحد. وفي يوم ٨ يونيو ١٩٧٧ تزوج علي حسن سلامة من جورجينا رزق. وبالكاد تلفت تلك الواقعة الأنظار، ولم يشترك سوى شقيقها واثنان من شهود الزواج، وقد ارتدت فستان ابيض اللون طويلاً ووضعت في شعرها زهرة من فصيلة السرخسيات. ولهذا المناسبة ارتدى سلامة بدلة صيفية بيضاء وكان ذلك استثناء عن قاعدته، وهي ان يرتدي بدلة سوداء. وهكذا اصبحت جورجينا زوجة سلامة الثانية.

كانت اريكا تشامبرز تعيش كما سبق في شقة فارهة في فيسبادن. وكان لها مطلق

الحرية فيما تفعله بالكامل. وكان مايك هاراري راضيا عنها، كما كان يعرف وليس على الدوام، كم كان في مقدورها ان تكون نشطة في القيام بدورها، لكي تصطاد علي حسن سلامة. ونادراً ما كان الأمير الأحمر يغادر بيروت. وفي المانيا في كثير من الأحيان يشاهد لفترات طويلة. انه من النوع المثير حيث كان يهرب من جمهورية المانيا الاتحادية. وتابعت اريكا تشامبرز خريف عام ١٩٧٧، باهتمام وظيفي كبير، وكانت كلمة السر شيللر، مدغشقر وشتافهايم.

وفي يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٧ تقابلت مع رئيس المستخدمين هانس مارتن شيللر في طريقه الى مسكنه في كولونيا برقم ١٠ «راشد ورفشتراسه». وكانت سيارته والسيارة المرافقة والتي بها ثلاثة من موظفي الشرطة تلف في اتجاه فيستر ـ شتاتز ـ شتراسة وكانت الساعة تقترب من ١٧,٢٨. لقد كان بالطريق عدد من الاشجار علاوة على انه طريق اتجاه واحد. وفجأة اصطدمت سيارة مرسيدس بأحد الأعمدة المائلة، حتى وسط الممشى الأيمن. وفي نفس الوقت كانت عربة اطفال زرقاء اللون على نفس المسار. وكان على سائق شيللر ان يفرمل السيارة تماما. ولم يتمكن قناصو الأفراد المفاجئين ان ينتهزوا الوقت المناسب واصطدموا بصندوقة أول سيارة. وخلال اللحظات التالية فتح خمسة من الأفراد النيران من رشاشاتهم وغيرها من الأسلحة. وجذب شيللر خارج سيارته وزج به داخل سيارة من طراز ڤولكس ڤاكن. وقتل المهاجمون سائق شيللر وموظفي الشرطة الثلاثة. وهكذا بدأت أكبر عملية معقدة في تاريخ قضاء جمهورية المانيا الاتحادية.

وطالب الكوماندوز زجفريدهاوستر بالافراج عن أحد عشر فرداً من التابعين لجماعة بادر ـ ماينهوف والمنظمة التابعة لها «حزب الجيش الأحمر» RAF. وبعد ٣٩ يوما من عملية شد الحبل بين سلطات الأمن وجماعة حزب الجيش الأحمر تم اختطاف طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا كانت في طريقها من مالكورا الى فرانكفورت يوم ١٣ اكتوبر. وكان الخاطفون رجلان وامرأتان، ينتمون للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وكانوا يطلقون على انفسهم اسم «وحدة كوماندوز الشهيدة حليمة».

هبطت طائرة اللوفتهانزا البوينغ ٧٣٧ في روما، وقبرص، والبحرين ودبي، وعدن وبعد ذلك في مقديشو بالصومال. وفي يوم ١٨ اكتوبر، في تمام الساعة ٠٥,٠، قامت احدى وحدات الكوماندوز التابعة لـ GGG9 بالهجوم على الطائرة. وتم الافراج عن الرهائن، وقتل ثلاثة من الخاطفين وبعد ساعات قليلة اقتيد اندرياس بادر، وجودرون انسلين وجان كارل راسب الى زنزانتهم تحت حراسة مشددة الى سجن شتامهايم في شتوتغارت وهو سجن ملائم للانتحار. فيما بقيت امجراد ميللر والتي كانت في مقتبل العمر على قيد الحياة. وبعد ذلك في يوم ١٩ اكتوبر وجدت جثة هانس مارتن شيللر في الميلهاوزن.

الوقت هو الخريف في المانيا. جلست عميلة الموساد اريكا تشامبرز فترة طويلة تتطالع إحدى الجرائد وتتمعن في صورها، وتدرس احدى الأخبار بالتفصيل. واعتقدت انها ربما تعرف اللغة الألمانية، وكذلك الموقف المخيف الذي أوجدتها اسرائيل فيه الآن، اصبحت تعيش وسط مناخ الارهاب. أما بالنسبة لاصطياد علي حسن سلامة فإن له جولة أخرى.

الفصل الحادي عشر

عملية علي حسن سلامة

(١)
ما بعد السلام مع مصر

كان عام ١٩٧٧ من اخطر الأعوام في تاريخ اسرائيل، حيث اتفق السادات وبيغن على صيغة للسلام والتعايش.

لقد كان محور اهتمام بيغن هو العمل على اتخاذ اجراءات بناء الثقة. وهذا ما تم التوصل اليه، فقد بدأت مبادرة انور السادات وسافر الى تل ابيب يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٧. وبعد يوم تحدث امام الكنيست واعلن حق اسرائيل في الوجود دون شروط. «لا مزيد من الحروب ولا مزيد من اراقة الدماء ولا تهديدات!» وساد الفرح والسلام كلا من اسرائيل ومصر. وهنا ظهر السخط والعداوة في باقي الدول العربية الأخرى ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقاموا بعزل القوة الزائدة بمعسكرهم وأسسوا ما يسمى بجبهة الرفض. أما السودان، والصومال، وعمان فكانت الدول الوحيدة التي ظلت مخلصة لمصر.

وبكل تأكيد فإن مناحيم بيغن كان من المحافظين المتحجري القلوب كسلفه ومع هذا كانت لديه فرصة فريدة الحدوث لاسرائيل. وتحمس الرئيس الأميركي جيمي كارتر. وتتبع الريح التي ادت الى التغيير وتخلى عن فكرته السابقة بعقد مؤتمر شرق اوسطي كبير مع منظمة التحرير الفلسطينية وساند عملية الاسراع في الحوار الاسرائيلي المصري. وبينما كان يتم التشاور في المحادثات الثنائية والتي وصلت الى طريق مسدود في صيف ١٩٧٧، وحيث وجه الدعوة الى طرفي المحادثات للتوجه الى الولايات المتحدة الأميركية وقد وصل اطراف الحوار في شهر سبتمبر. واستقبلهم المضيف مسلما عليهم بالأيدي. وفي يوم ١٧ سبتمبر اتفق بيغن والسادات على ما يسمى اتفاق كامب ديفيد. واحتفظت هذه الوثيقة الحساسة بهذا الاسم حيث انه تم الحوار بشأنها في المقر الريفي للرئيس الأميركي. وقد ادت كامب ديفيد الى التوصل الى معاهدة سلام، والتي احتفل بيغن والسادات بتوقيعها في واشنطن يوم ٩ مارس ١٩٧٩.

وفي الوقت الذي بات فيه الشعور بالسرور كبيراً، تبين للعالم ان رئيس الوزراء بيغن وبخطى هائلة وسريعة يمهد للاستيطان في الأراضي المحتلة. ووفقا لمشروع لارسل شارون وزير الزراعة الايطالي، فإنه خلال عشرين عاما لا بد من توطين ما لا يقل عن اثني مليون يهودي على طول ٦٥٠ كيلومترا من الحدود اللبنانية وحتى المنطقة الجنوبية من سيناء وبما ان الشريك الأميركي وافق على كامل ما تضمنته خطة الاستيطان،

فقد قاومها بغضب شديد. وتحدث جيمي كارتر، بأدب كعادته دائما عن الأعمال غير القانونية وقال وزير خارجيته سايروس فانس ان الاستيطان يتناقض مع القانون الدولي. وكما يحدث عادة احتج العالم وواصلت اسرائيل عملها، فالدولة اليهودية لا تنثني عن منهجها الذي تتميز به.

أصيب الفلسطينيون بصدمة وكل ما أمكنهم أن يعملوه هو أن يجعلوا وسائل الاعلام تفهم بلاغتهم العسكرية. وطالب الدكتور جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية في حديث له مع مجلة شترن عام ١٩٧٧ مواصلة الكفاح المسلح: «وحيث ان شعبنا بدون وساطة خاصة حتى ولو من جانب سوريا ولبنان والأردن أصبح مشتتاً، فمن ثم فإنه له الحق، محاسبة اسرائيل من هناك.. ولا يوجد أمام اللاجئين سوى طريق واحد: لا بد من ان يجتازوا الحدود ويحاربوا اسرائيل».

وحيث ان السلام بين مصر واسرائيل أصبح واضحاً، كان هنالك حديث لروبرت بغافر مراسل مجلة شترن وكانت كلماته مع ابو اياد القوية كما يلي: «حسنا كلما كان الهجوم ضدنا قاسيا، كلما كان هجومنا أشد. إن اتفاق السلام ما هو إلا فرقعة وتلك ليست أول خيانة للقضية الفلسطينية. لقد أرادت الحكومات العربية أن تحررنا بجيوشها عام ١٩٤٨. لكن ماذا حدث؟ لقد نزعوا سلاحنا وأعطوا اسرائيل المزيد من الأرض كما كانت تفكر فيه الأمم المتحدة..!!

وصحح ابو اياد قائلا، ان السادات «لن يعيش طويلا حتى يتمتع بثمار مغامرته». وسأل مراسل مجلة شترن عن معنى ذلك «لن يستمر نظامه والنظام هو السادات».. وفي النهاية تساءل بغايفر عما اذا كانت منظمة ايلول الأسود ستعاود نشاطها الدولي؟ أجاب ابو اياد مؤسس منظمة أيلول الأسود مبيناً: «بعد احداث سبتمبر ١٩٧٠ في الأردن اصيب الشعب الفلسطيني بقنوط عميق. ومن ثم وجد الشاب الفلسطيني نفسه منهاراً يواجه اجراءات تأديبية. ونفس هذا الشعور بالاحباط عاد الى الوجود مرة اخرى الآن بما فعله السادات ومن الممكن ان تصبح منظمة ايلول الأسود نشطة مرة أخرى». وفيما كان المشاركون في المقابلة الصحفية يتداولون في موضوع الشرق الأوسط، كان ياسر عرفات يعلن المعارك ضد اسرائيل في «أرضنا المحتلة».

وفي يوم ١١ مارس ١٩٧٨ عادت الأعمال الفدائية مرة اخرى الى ابعد من هذا الحد. فقد رست وحدة من كوماندوز منظمة فتح في قاربين من المطاط في هجوم ساحلي على بعد ٣٥ كيلومتراً جنوب حيفا. وغادر ثلاثة عشر من الفدائيين المركب الأم، ومع ذلك غرق اثنان. كانوا مسلحين كما لو كانوا يريدون كسب الأرض كلها. ومن بين ترسانة اسلحتهم كانوا يحملون مدافع هاون عيار ٥٢ ملليمتر وصواريخ مضادة للدبابات وكان أول من أطلقت المجموعة عليه الرصاص سائحاً اميركياً، ثم ـ على طريق السيارات تل أبيب ـ حيفا ـ على ركاب سيارة اجرة وفي النهاية على العديد من المستعمرين من ركاب الحافلات. وقاموا بإجبار السائق على الدوران والاتجاه بهم إلى تل أبيب. وعلى اي حال خلال الدقائق الأولى فتح الفدائيون النار على سيارة قادمة في الاتجاه المعاكس. وبعد ذلك اوقفوا حافلة وقتلوا الركاب وأخذوا من بقي منهم على قيد الحياة رهائن. وكان من بينهم ثلاثون طفلا، كانوا في رحلة الفزع تجاه الجنوب. ومرة أخرى أوقفوا سيارة اجرة واختطفوا ستة افراد آخرين.

وخلال رحلة الفزع اصطدمت الحافلة بأحد حواجز الشرطة وفي النهاية كانوا تحت سيادة اكاديمية الموساد على مقربة من اثني عشر كيلومترا شمال تل أبيب، تحت حراسة مشددة لاحدى الوحدات الخاصة. وهنا بدأ قتال مرير بين الفدائيين والشرطة وجنود الجيش. ونتج عن عملية الاشتباك ١٧ قتيلاً من الرهائن. وتفجر الخطر وفي الحال اصبح الجو متأججا ومشتعلا. وعلى ذلك فقد تم قتل ٢١ شخصا آخرين. واصبح مجموع الموتى ٤٦ اسرائيليا، وجرح ٨٥ كما استشهد تسعة من الفلسطينيين.

ويقول الاحياء ان هدفهم كان الاستيلاء على احد الفنادق واطلاق سراح الياباني كوزو اوكاموتو والعديد من المساجين. وكان اسم مجموعة الكوماندوز «الشهيد كمال عدوان» وهو واحد من قادة «منظمة ايلول الأسود» الثلاثة وقد قتل أثناء العملية الاسرائيلية المسماة «عملية فيردوس» في شهر ابريل ١٩٧٣، ولذا فإنهم يعيدون ذكراه.

وبعد اربعة ايام دخلت القوات الاسرائيلية الجنوب اللبناني وقامت باحتواء نقاط الحراسة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية فيما بين الحدود ونهر الليطاني ودمروها. ويغوص الشرق الأوسط بإرهاب لا يمكن احتماله، ففي يوم ٢٠ مايو من نفس العام هاجم ثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين شباك حجز التذاكر لشركة العال بمطار اورلي بباريس. وقد قتل ثلاثة منهم، وهرب الاثنان الآخران. وقد تحملت منظمة غير معروفة تسمت بـ «منظمة ابناء جنوب لبنان» مسؤولية هذا العمل، فإن تلك العملية كانت انتقاما من اسرائيل لعدوانها على الحدود الجنوبية اللبنانية.

في اوائل عام ١٩٧٨ جاءت ايريكا ماريا تشامبرز، الطالبة المستديمة والعضو في منظمة مساعدة الطفولة لأول مرة الى بيروت. وبالنسبة لها فقد كان ذلك خطراً غير عادي وعالماً جديداً وغريباً عليها. لقد كانت تعد لذلك طوال العام. وقرأت الكثير عن لبنان ومركزه السياسي في العالم. لقد علمت الكثير من خلال خروجها للتمشية خلال الشوارع المملوءة دائما بالعوائق التي لا تتيح تعلم إلا القليل. ولقد تعودت على السرعة وفي النهاية كان لديها الوقت الكافي، وكذلك مايك هاراري الموجود على مقربة مناسبة، وهكذا فإن اسرائيل البعيدة لن تمارس ضغتها اللانهائي عليها.

لا توجد مدينة مماثلة في العالم في العشرين سنة الأخيرة قاست مثل بيروت. لقد كان تتابعاً دائماً للفصول مضافاً إليه جرعات متميزة من السماء وفي مقابل ذلك خواتم من الجحيم. ولزهاء عقدين من الزمان فإن «سويسرا الشرق الأوسط» لبنان الحر، كانت تحلم حتى ذلك اليوم بالانفتاح على العالم. انها تذكر نفسها بذلك اليوم عندما كان «الافيتجرالد» في احتفالات بعلبك يقف على خشبة المسرح وأمام عيونه الأفلاطونية كان يتحرك العرض المسرحي لـ «كازينو لبنان»، لدرجة ان العرب لم يكن في مقدورهم ان يشبعوا من رؤيتها.

وفي أغلب الأحيان كانت هناك تشكيلات سخيفة تتناول منه مشروباتها في بار فندق سان جورج الأسطوري. والحديث كان بين تجار السلاح والصحفيين والدبلوماسيين ومتصيدي الثراء واصحاب الضياع والكثير الكثير من الجواسيس. وفي هذا المكان حضر كيم فيلبي الغامض وأخذ يسرف في الانفاق. وفي عام ١٩٧٥ تلاشى فندق سان جورج في الهواء وهنا كان قد حان وقت نهايته، حيث أن معظم الطيور الخاطفة

للأبصار تشتاق الى البحث عن كل ما هو بعيد.

وحتى تلك اللحظة لم يكن الفدائيون والسوريون والمسيحيون، والدروز وفيما بعد الشيعة والعديد من الأجانب لم يسبق لهم الاتفاق. ومن ثم انطلقوا يحارب بعضهم البعض وضد المدنيين اللبنانيين العزل من السلاح نسبياً. وعلى مدار السنة انضم اليهم العديد من الحلفاء. وأخذ العديد من سكان بيروت يضطلعون بتجارة الحرب المكثفة. ودائما كان الجزء الأكبر من الـ ٧٥٠٠٠٠ نسمة متعوداً على الهرب. والذين كانوا يعودون للبقاء في بلفاست الشرق الأوسط كانوا ممن يتصفون بالشجاعة. ولم يفقدوا الأمل والكثيرون كانوا يفارقونها والدموع في أعينهم فقد كانوا يلقون حباً عميقاً لبيروت. وتدرن غلاظ القلوب لأول مرة، عندما دخلوا في منتصف الثمانينات وهم في خطر يصمدون في جحور تحت الأرض.

لقد كانت بيروت دائما اشبه بالعقار الذي يجذب الناس ونادراً ما يبيدهم. وفي نهاية السبعينات كتب المراسل الألماني بمنطقة الشرق الأوسط «كارل بوخالا» عن احدى الصيغ البسيطة وكلها غير ضارة إنه لمن الأمور المدهشة لتلك الأمراض فإنها لا تعكس حياة تلك المدينة وسكانها فإن أهالي بيروت من الطراز القديم، فلا يكادوا يرون احد افلام الحروب الكئيبة وما ان يصبحوا مفعمين من الحرب، يمكنهم خلال دقائق قليلة اخرى ان يتعايشوا سويا.

وكذلك كان الحال، فإن «اريكا تشامبرز» ذات الشعر القصير المتحرر وتأملاتها في فيسبادن تصل الى منطقة التكفل السياسي بالمدينة. وعلى الفور وفي ايام معيشتها الأولى، كانت كما وصفها كارل بوخالا في الزبد ويتشانونج (جريدة جنوب المانيا).

تقع منطقة «الحمراء» في القطاع الغربي من بيروت افخم شارع في المدينة وخلال اليوم تكون هناك امواج طاغية من حركة مرور السيارات عبر الشارع ويجلس الكسالى يحتسون البيرة او القهوة حول الموائد المتراصة على مقاهي الرصيف. إلا انه سرعان ما يحل الظلام وتصبح «الحمراء» في حالة ممات. وبعد الساعة التاسعة مساء تمر سيارة اجرة عندما تسنح الفرصة، ومن الناحية العملية لا يوجد الكثير من المشاة. وعندما يهبط الظلام يبدأ وقت العناصر المسلحة غير القانونية عصابات تتستر بالمنظمات السياسية، يسطون ويقتلون، ويسلبون وتقريبا ينتفضون كل ليلة على الحمراء ويطلقون الرصاص في الشوارع المجاورة، وتدوي المتفجرات، ويسود قانون مدافع الهاون.

لم يشعر أهالي بيروت بالجوع إطلاقاً، ولم يحدث حتى أيام الحرب الأهلية شعور بأن المواد الغذائية الكثيرة من المحتمل ان تنقص. إلا أنه هذه الأيام رغم الحذر الواضح حول السوبر ماركت الغالي بكل تأكيد فالسلع والمواد الغذائية والأطعمة اللذيذة من جميع انحاء العالم مكتظة كما كانت متواجدة فيما سبق. فخذ الخنزير الدانماركي والكافيار الروسي، بجانب الجبن الفرنسي والزبدة الألماني والشاي الصيني والشامبانيا الفرنسي. وبالنسبة للأطعمة المحلية ذات الطعم الجميل يمكن للضيف ان يقطع الرأي فيها، او كصحن اسكتلندي او السمك النرويجي المدخن. وقد انسحبت البنوك الدولية وقطعت اوصال ثلاثة ارباع

المجموعات الصناعية، وكان هناك الارهاب وتجارة الترانزيت ـ المصدر الرئيسي لدخل لبنان ـ وصل الى حالة توقف تام منذ بداية الحرب الأهلية.

ومن بين الأمور الأخرى التي كان يتم عملها إن رجال الأعمال اللبنانيين كانوا يزيدون من اسعار محلاتهم وخاصة في الأوقات السيئة. والآن ومع القتال الدائر في الشوارع وفي حالة الهجوم الجوي فإن تلك المحلات تغلق لبضع ساعات. وهكذا تنشأ الخسارة وبعد ذلك وبكل تأكيد يتم ترميمها. إن الحياة تحت رحمة البارود التي تعيشها بيروت رخيصة وتدعو الى الرهبة، حيث ان الدولة غير المتواجدة لا تحصل أية ضرائب وحيث المال غير متوافر دائماً تنهار القيمة ومن ثم فإن زجاجة الويسكي او سيجارة يصل ثمنها الى اثني عشر ماركا، فإن ذلك ليس معناه ندرتها. إن الاقتصاد يستمر على ايدي تجار المفرق.

ان أكبر الأعمال تزدهر في الخفاء. وهذا يسير الى التزين بالحرير وسيارات المرسيدس الليموزين الكبيرة الحديثة الصنع، والساعات الذهبية التي تساوي ٢٠٠٠٠ مارك من سويسرا. وكذلك الفيلات المزينة بالرخام. ان من يستطيع تحقيق ذلك دائما هم وللعجب كثيرون والذين دائما يستفيدون مما هو افضل. انها نظرية لبنانية قديمة. إن تطور هذه الرؤية لها ميزتها الخاصة مع الحاصلين على مؤهلات جامعية اميركية وفرنسية، والذين يحبون مطالعة الصحف والمجون. وبنهاية عطلة الأسبوع تتباهى أجمل فتيات لبنان داخل فندق (سمرلاند) ويرتدين بكيني تانجا الضيق ويتلون دون تكلف تحت اشعة الشمس.

ويعرف سكان بيروت بطبيعة الحال كيف يقتربون وكيف يتفادون القنابل اليدوية الطائشة. علاوة على ذلك فإنهم يعرفون ايضا ان لديهم رؤية اختطاف او بسبب طلقات الرصاص الشديدة لا ينتابهم الهلع، حيث انهم وبسرعة يتجهون الى قبرص. لماذا يحدث ذلك؟ وهكذا تستمر الحياة. وتتجه اللبنانيات الجميلات واصدقاءهن للسهر من علية القوم الى شرق بيروت حيث يوجد القطاع المسيحي، ويلعبون الغولف والتنس، ويرقصون بالليل في صالات الديسكو وينتخبون بانتظام ملكات الجمال.

وفي تلك الدوائر حيث لا يعرف انقطاع للماء والتيار الكهربائي وحيث يتم توصيل الأطفال الى مدارسهم داخل سيارات مرسيدس مصفحة في حراسة مسلحة تسليحاً قوياً، تماماً كما يعيش رؤساء العمل حيث يجلسون في بعض الأحيان مع الرئيس العاجز في جلسات مجلس الوزراء ليتخذوا القرارات، والتي نادرا بالرغم من ذلك ما يتحقق العمل بها فيتم تسجيلها فقط بغض النظر عن مصالح اسرهم وعقائدهم الدينية والميليشيات التابعة لهم. ويقول مثل لبناني قديم ان كل سياسي على استعداد ان يشعل النيران في هذه البلاد، فقط عندما يشعل سيجارته.

كانت اريكا تشامبرز تنظر الى كل ذلك بعين أخرى. فقد كان أمامها مهمة يجب أن تنجزها، ومن ثم فإن كل وسيلة تكون ممكنة. وتظاهرت بتجاوبها الاجتماعي عندما كانت ترى عشرات الآلاف من الفارين من القصف الاسرائيلي ومن قصف القنابل الذي لا ينقطع على الجزء الشرقي من العاصمة الممزقة وهكذا احتل العديد من الفلسطينيين العديد من المساكن التي فر أصحابها او مستأجروها بسبب الحرب الكريهة وعلى النقيض من ذلك فإن المساكن التي لم يتم بناؤها أصبحت ملاذاً لربع سكان بيروت الفقراء. وكان يشغل كل حجرة من أجل النوم من عشرة افراد او ما يزيد عن ذلك. وهذا هو الوسط، الذي كان يتم فيه تحييد القتلة. ولم يعرف الذين استسلموا للحرب اي شيء على الاطلاق. وقد بدأوا حياتهم الوظيفية بأعداد تتراوح بين اربعة عشر او خمسة عشر مع منظمة التحرير الفلسطينية او الميليشات الأخرى وينتهون بالموت في حصار لأحد الشوارع او في بعض الاحيان في قتال حقيقي حول ربع المدينة نصف المهدم.

واتخذت الشابة الانكليزية طريقها من خلال المؤسسات الفلسطينية وكأنها في زيارة لعالم صغير للمؤسسة الاشتراكية. وتدير منظمة التحرير الفلسطينية مستشفى «الهلال الأحمر» الذي يديره فتحي شقيق عرفات، وهي مؤسسة للرحمة وتسمى «الصامد» ويعني الاسم بالكامل «مشغل لأطفال شهداء الثورة الفلسطينية». وفي هذا الحد بدعت بقولها: «انني ادعى اريكا تشامبرز لقد حضرت من المانيا وانني أعمل مع إحدى المنظمات التي تتطلب مساعدة الأطفال. انني أرغب في رؤية بعض الاشياء التي لديكم ولأجد طريقة ما، لكي نتمكن من مساعدتكم ومساعدة القضية الفلسطينية». وكانت كثيراً ما تكرر هذا القول وكأنها تقريبا تعتقد ذلك.

وتستقبل منظمة التحرير الفلسطينية العديد من الزوار من جميع أنحاء العالم. ويقابل معظمهم ياسر عرفات بجانب ذلك فإن عدداً ليس بالقليل منهم ينتمي إلى جماعة التضامن الدولي حيث في إطار هذا البرنامج يتم استعراض الورش، وملاجيء الايتام والمؤسسات الصحفية. ولهذا فإن السيدة الشابة الصديقة لا تتعجب كثيراً. ويدير الهلال الأحمر مدرسة رعاية المرضى، والمعمل المركزي وبنك الدم وفي ادارة اخرى يرقد الحرس الذين في حاجة الى الأجهزة التعويضية نتيجة لنضالهم، بجانب ذلك فإن المعاقين يتمتعون بالعلاج الطبيعي وبكل كبرياء تقدم منظمة التحرير الفلسطينية اثباتا لعملها الاجتماعي او ادارة برامج السكرتارية في مخيمات اللاجئين أو إلقاء المحاضرات عن الاجراءات الصحية.

وفي احد ملاجيء الأطفال، وفي بيت الأطفال الصامدين (بيت الصمود) يوجد اولاد قبل كل شيء من بقي على الحياة من مخيم تل الزعتر الذي استمر حصاره ٥٣ يوما عام ١٩٧٦. ولقد صمد مئات الأطفال امام تلك المذبحة. والآن يعيشون في ظل نظام خاص «الأم البديلة» و«الأسرة البديلة» وبين الحين والآخر فإن ثمانية اطفال تتولاهم احدى الأمهات ليتم العناية بهم في كنف اسري. والكثير من الامهات يأتين من المخيم الذي انهار. ولذا فإنه بإمكانهن أن يتخلصن من المشكلات التي يعاني منها الأطفال. فكل واحدة منهن تعاني من نفس الصدمة. فمناظر الفزع توجد على اشكال مصغرة والتي ترسم بألوان الماء، وتعلق على الجدران. وهذه الصور تشير الى المعتدي والخاسر، والموت والأحزان. وبالنسبة للزائر فإنه سيستمع الى ترانيم الأحزان. انها حالات كئيبة

لضياع الوطن والدم والأرواح، والتي يضحي بها الانسان في كل وقت من أجل فلسطين المحتلة. وعلى النقيض من ذلك فإن الأطفال يفعلون كل شيء مثل ما يفعله من هم في سنهم في المناطق المحيطة بهم من اليهود. ويتحركون في اللعب، ويتعلمون العزف على إحدى الآلات الموسيقية ويتدربون على الرقصات القديمة.

وقد انشئت مؤسسة الصامد عام ١٩٦٩م وبخلاف ذلك فإن المؤسسة تقدم خدماتها عن طيب خاطر وامداد من ينتمون اليها بمستلزمات المعيشة. وتنتج الصامد المنسوجات والملابس ذات الزينة التقليدية وكل ما تصنع من الخشب والمعدن، والزجاج والسيراميك كما توجد ادارة للأفلام. كما تتيح الصامد السلع الاستهلاكية والتي تعتبر من اللوازم اليومية وايضا الماكينات، وتعتبر تلك المؤسسة كنموذج للاقتصاد الفلسطيني المأمول. وعلى أي حال فإن الشتات من اهالي بيروت يبيعون منتجاتهم تقريباً لجميع دول العالم الثالث، والدول العربية واوروبا وترسل الصامد مساعدات للتنمية في الدول الأفريقية الفقيرة. بجانب هذا فإنها تهتم هناك بالمشروعات الزراعية، وهكذا تكون صداقات عديدة.

لقد التقت اريكا تشامبرز، التي تختفي وراء حماية الموساد الخادعة حول شبكة الخدمات الاجتماعية الفلسطينية بجانب تأثيرها الشخصي ومعلوماتها القيمة. وبعد زيارة اخيرة للتضامن مع منظمة المرأة الفلسطينية حققت اريكا توازناً ايجابياً ناجحاً لنفسها واشترت تذكرة العودة بالطائرة الى المانيا وكان لزاماً عليها يوماً أن تجعل رحلتها علانية وأن تقصد استشارة رئاستها بأسلوب تكتيكي. بخلاف هذا فقد حان الوقت، مرة أخرى لتغير موقعها، ولذا فإنه يستلزم وجود أسطورة وتفكير استراتيجي خاص. وبعد اختبار كولينا تقرر وضع تكتيك جديد والذي تدركه سلطات الأمم الألمانية ولأول مرة بعد عام.

وفي يوم ١٢ مايو ١٩٧٨ اخطرت اريكا تشامبرز الجهاز الاداري لمدينة ڤيسبادن بعنوانها في كولونيا رقم ٣ جريفشتراسه. وقبل ذلك بأيام وخلال أشهر قليلة كانت قد استأجرت شقة صغيرة في أحد المساكن القديمة بجريفشتراسعه. وفي جريفشتراسه، غير بعيد عن مبنى التلفزيون توجد مجموعة مجهولة من المباني السكنية لا روح فيها، كالتي كان الانسان يحب ان يبنيها في السبعينات. وبكثير من الخرسانة والنوافذ الزجاجية كانت تعلو تلك المباني وفتحات تلو الأخرى مع امكانية شغلها بالكثير من المستأجرين. إنها امبراطورية ذات مروج طويلة معتمة تعلو عدة طوابق. والناس، الذين يعيشون هنا ما هم إلا مجرد أرقام وليس من الثورة ان يعرفوا جيرانهم وهذا هو السبب في أن عملاء المخابرات والارهابيين يحق لهم وبكل سرور السكن هنا ومن ثم يجب ان تسكن هنا اريكا تشامبرز برقم ٣ جيريفشتراسه. وهنا كان رقمها ٢٢.

وفي الحال وحيث ان الانكليزية يجب عليها الحصول على وعد مناسب من ادارة وجمعية الاسكان الحديثة ـ شركة محدودة ـ برقم ١ جريفشتراسه بخصوص الشقة وللحصول على تصريح جديد من مكتب الاستعلامات. وقد جاء رجل الشرطة السرية ليرحل بالنتيجة التالية: «ان السيدة تشامبرز تتراخى في نشاطها الوظيفي اليومي، ورغم ذلك لم تستطع بالبحث العريض ان تحصل على اية خبرة». لقد كان ذلك بمثابة شهادة فقر للموساد، عندما يرى السيد بيرجل من كولونيا تلك العملية.

وبهذه الكيفية يأتي رفض مكتب الاستعلامات، ولذا وجب على المستأجرة اتخاذ

اجراءات أخرى. وتحركت اريكا تشامبرز نحو الاجراء البديل وهو اما أن تقدم شهادة بدخلها أو الالتزام بضمان أبوها. وكان هذا البديل مشكلة. أولاً يجب عليها أن تقدم شهادة بالدخل من المصنع المزيف التابع للموساد؛ وفي النهاية كان عليها الا تتقدم لأي مكان في المانيا وألا تظهر بمظهرها الخادع ولو لمرة واحدة. وبهذه الفكرة لا بد من أن ترجو أبيها ماركوس مستعطفة، المستعد علاوة على ذلك لتحمل الصراع (فقط على جثماني) كان ذلك تفكير اريكا: انني لن أفعل شيئا معه وبخلاف ذلك لا يجب ان يعلم شيئا عن مكاني وعن عملي.

وقد رفضت كلا الاحتمالين وفكرت في بديل آخر. وحيث ان جمعية الاسكان ترغب في التأخير فلا بد من وجود وسيلة اخرى لذا يجب على اريكا تشامبرز ان تضع مبلغ ٦٠٠٠ مارك كضمان، وهذا المبلغ وايجار نصف شهر ٥٢٥ ماركاً دفعتها بشيك وهي تبتسم ابتسامة تدل على المودة. بعد ذلك يسمح لها باستلام مفتاح السكن.

هذا وقد احتاجت اريكا تشامبرز شهر مايو ١٩٧٨ بأكمله، لكي تجهز سكنها ٢٢. وقد كررت ركوبها كافة طراز ڤولكس ڤاغن عن طريق مكاتب تأجير السيارات ونقلت متاعها من سكن ڤيسبادن بعد اخطار صاحبه بتركها له. وقد لاحظ صاحب المسكن والذي كان يدعى ميللر ان السيدة الشابة كانت في ذلك الحين تمتلك العديد من الكتب الخاصة. لقد كانت لديه ملاحظة جيدة، وقد تعجب في نفس اللحظة من وجود جهاز استقبال للموجات القصيرة طراز «زينيت» مع اريكا، فضلاً عن هذا فإن صاحب المسكن كان من هواة الاذاعة على الهواء المدمنين وذلك في أوقات فراغ لتكوين صداقات، كما أنه يعرف، أنه بالتعامل مع الأجهزة الحساسة الغالبة على وجه الخصوص، يمكن للانسان استقبال البرقيات التي لا صوت لها. وعلى هذا تحدث بفضول مع المستأجرة الجديدة ولكنها جعلته لا يعي شيئا. لقد حصلت على جهاز الاستقبال من أحد الأصدقاء المخلصين وفي الحقيقة فإنها تستمع الى البرامج الموسيقية من اذاعة لوكسمبورغ. وكان على ميللر ان يصدقها وهو صاحب السكن. وشعرت بأنه كان لا بد من فهم وشرح عملية استخدام هذا الجهاز المعقد.

(٢)
سيدة الموساد

وما ان استطاعت عميلة الموساد أن تؤجر سكناً في كولونيا، حتى بدأت كما كانت فترة تواجدها في فيسبادن في تدبير ميكانيكية الدفاع عن مجال عملها، وعلى هذا استأجرت صندوق بريد لدى احد مكاتب البريد في كولونيا برقم ٣٠٠٣٦٤. وفي يوم ٢٢ مايو استشارت احد الرجال ويسمى اندريه بوجارت في عمل توكيل. وفي مكتب التليفونات الذي يقع على بعد يقل عن مائة متر من جريفشتراسه، طلبت خطاً تليفونياً. وقد تم تركيبه في وقت قصير بنمرة ٥٢٠١٤١. وفي شهر اكتوبر حصلت على جهاز للرد على المحادثات التليفونية أوتوماتيكيا. وفي الفرع التالي لبنك درسدن دبرت العميلة لها حسابا تحت رقم: ٨٤٧٢٥٢١٩/٠١. وهكذا يأتيها المال من جنيف الى كولونيا. وهذا الحساب المصرفي مهم جدا وكان الرصيد في بعض الأحيان يصل الى ١٠٠٠٠ مارك.

وهكذا تمكنت اريكا تشامبرز ان تدير منزلها وان تتجنب الا تكون مقبولة هنا. وكانت تدفع كافة الايصالات بشكل منتظم ودون اية مشكلات. وبالنسبة للالتزامات النظامية فإنها لا تنساها، كما كانت تحافظ على استمرارية مهمتها.

ونادرا ما كانت اريكا تشامبرز تتواجد في سكنها في كولونيا. وقد لاحظ ذلك صاحب المنزل الشديد الملاحظة وسألها في هذا الأمر فقالت له انها كثيراً ما تسافر الى الوطن الى انكلترا، وحيث أن مجموعة المباني المتواجدة في جريفشتراسه تحمل أرقاماً فردية من واحد الى خمسة بجانب كونها أبراجاً مجهولة للقوم، لذلك فإن مستأجروها سرعان ما يغيرونها. وفي هذه الايام لم يعد هناك الكثير من السكان برقم ٣ جريفشتراسه، كما كان معروفا على وجه العموم.

وكيفما اتفق فقد كانت الفتاة ذات الثلاثين عاما تشاهد في عام ١٩٧٨م مرات عديدة في بيروت. وفي معظم الأوقات كانت تبقى لمدة تقرب من الاسبوعين وكانت تجازف في كل زمان ومكان بتسقط الأخبار ولم تكوّن صداقات مع أحد. وفي معظم الأحوال كانت تهتم بالفلسطينيين. ومن ثم كانت دائمة زيارة المؤسسة الاجتماعية. وقد صرفت ما يقرب من آلاف الليرات اللبنانية على ملاجىء الايتام، وتقابلت مع فتحي عرفات من الهلال الأحمر واكدت للجميع، انها تتفهم كفاح الشعب الفلسطيني كثيرا. وفي بعض الأحيان كانت تتجول في حدود شارع مدام كوري، وتظل واقفة بجوار الكلاب والقطط، وتربت بيدها على الشعر الخشن للحيوانات المتوحشة والتي تتغذى على ما تحضره لهم معها في السلة البلاستيك وعندما تُسأل عن اسمها ومنشأها، تقول انها Penelope من المانيا. وفي النهاية تبتسم لتلك الدعابة ولكن القليل الذين يفهمونها.

ان الجزء الصاخب من مدينة بيروت يقع بجنب الفتاة الانكليزية الشابة. وهناك ليس بعيداً عن شارع مدام كوري، كان علي حسن سلامة، وزوجته جورجينا تحت حراسة مشددة من «القوة ١٧» يتلكآن داخل سكنهما الغالي المسدل الستائر. وأصبح الثوري غير المستقر مستقراً، مع زوجة احلامه، وكان ذلك بفعل الجراح الكثيرة التي اصيب بها والتي كانت ستودي بحياته في النهاية.

والآن يعرف صائده مايك هاراري، اين يمكن ان يجده ولأول مرة ولأكثر من عشر سنوات يكون للأمير الأحمر عنوانا واصبح الصيد متوقعاً له النجاح أكثر من ذي قبل. وهاراري الذي كان يطيل التفكير في استراتيجيته. في تل أبيب أصبح في وضع راسخ لأن فرقة الصيد لا تنظر في الوهم لأنه سرعان ما سيكون جادا.

لقد تغير المظهر الجانبي لأبي حسن كثيراً جداً. فبعد أن كان شاباً وسيماً مستهتراً يتحول إلى سياسي جاد، مما يجعل الكثير من المراقبين يتوقعون مستقبلاً عظيماً لمنظمة التحرير الفلسطينية. فمقابلاته الصحفية وآراؤه ليست انطباعاً عن الكراهية كما كانت من قبل، بل تدل على الارادة، والتحام منطقي وان يدرك التفاصيل بين شعبه. وقد أدلى بحديث عام ١٩٧٥ لنادية ستيفان المحررة بمجلة «موندي مورننغ» البيروتية قال فيه: «في المرحلة الأولى لكفاحنا لآبائي، خرجت قيادتنا من الأرض وفي يومنا هذا فإننا نناضل من خارج بلادنا. ان الظروف تجبرنا على أن يكون مركز قيادة ثورتنا موجود خارج البلاد. وفي الوقت الذي نتواجد فيه خارج فلسطين، فإننا سنأتي بالمشكلة الى هنا على أن نجنب وطننا اية احداث مما هو حادث اليوم في لبنان».

ويقول الدبلوماسي علي حسن سلامة: «انه بالنسبة لمصير الفلسطينيين فإن ذلك يمكن ان يكون سبب الحرب الأهلية اللبنانية. ومن ثم فإنه سيعمل على منع هذا الانطباع «ان الجهل يخلق العداوة. والكثير من أهالي بيروت الشرقية لا بد من اقناعهم بذلك وان هذا يشكل تهديدا لهم. ومن ثم فإننا نجدهم دائما في وضع دفاعي. كما انهم يعتقدون حقا، اننا نريد الاستيلاء على لبنان. ولذا يجب علينا ان نوضح، اننا نحب لبنان. اننا نحارب دفاعا عن لبنان.. واذا ما كنا قد أصبحنا بوهميين، فليس لدينا فرصة تسمح لنا بالخروج، وللوصول الى تهدئة او انهاء للقتال.. فإنه من المناسب لنا ان نتفرغ للدفاع عن النفس، واننا نعلم دائما ان الحوار وحده هو المهم».

وفي مقابلة اخرى مع مجلة موندي مورننغ كانت حججه دائماً أكثر ازدهاراً: «عندما لا تصل الأطراف المتناحرة إلى اتفاق فإنه لن يكون بإمكانهم بناء البلاد على أساس جديد.. ان لبنان ملك لجميع اللبنانيين. ولذا يجب ان تتحلى بقناع الحب، والعاطفة والشعر والجمال. كل انسان يحب لبنان جميلاً. فلنتفق أولاً حتى نعيد البناء ثانية. والبحث عن حوار لا يأتي بشيء». وبالضبط فإن مثل تلك الآراء تخلق الأصدقاء على الجانب العدائي التقليدي، فيما يتعلق بالمسيحيين في شرق بيروت.. انهم يعرضون عليه الحماية، لطريق العودة بكبرياء. ومع كل فرصة مناسبة يمتدح الكتائبيون زعيم منظمة التحرير الفلسطينية باعتباره «خصم شريف» وفي نفس الوقت فإنهم يعلمون تماماً انه حالة مستثناة وان رفاقه يعيشون موجات من الخصام الكريه. ومن ناحية المبدأ فإن المعسكرين غير متصالحين.

وحيث ان المؤلفين وخبير الأمن مايكل بارتسوهار واتيان هاير يقدمان تحليلا لرئيس «الفرقة ١٧» يؤكدان على أنه منذ زواجه من جورجينا رزق فإن التفكير في الموت المبكر لا يحل محله شيء آخر. «إنني أعلم أنني سأموت، سأقتل، سأسقط في احدى المعارك» ائتمن أحد أصدقائه من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بهذا الحديث. ثم قال في وقت آخر «ان الحرب ليست برحلة سياحية. والموت حق بجميع ما يضفيه من ظلال، ذلك ما درج عليه الاخصائيون الفلسطينيون منذ فترة قريبة». ومن خلال المقابلة الصحفية التي تفضل بها مع الصحفية نادية ستيفان من مجلة موندي مورننغ. استمعت الى افكار مكفهرة مماثلة. فعندما يموت يوماً ما، فإنه يجب على أولاده مواصلة النضال، تماماً مثل أبيهم الذي لا يعلم كيف سيتابعون ذلك.

وعندما اموت، فلن يكون هناك مجال للحزن، انني أكره الأحزان ان الأحزان تعني الخمول، والثورة لا يمكنها تحقيق ذلك. آمل ان الشعب الذي يتبع المثال الذي وضعه لم يقل فيها شيء بعد: لقد فعل ابو حسن ذلك او فعله الآخرون. ويجب ان يتساءلوا: ما الذي فعله أبو حسن في هذا الموقف، عندما كان لا يزال حياً؟ ويتذكر عبد الله فرنجي، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وعضو منظمة فتح جملة اخرى ائتمنه عليها «انني لن اسمح ابدا أن يقتلني احد، دون ان اقتل الجاني». ولكن.. لم تتحقق تلك الأمنية.

ظل عملاء كثيرون للموساد عام ١٩٧٨ يعملون باستقلال كل منهم عن الآخر في بيروت وفي نفس الوقت يقومون بدراسة عادة رئيس الأمن سلامة الحياتية. وكانت اريكا تشامبرز عن قرب حيث انها تمكنت من التحرك خلال دوائر منظمة التحرير الفلسطينية

متظاهرة بالشغف. ثم ضد ما لم يكن في الحسبان، وما لم تكن على استعداد له. انه يقف امامها لقد تعرفت عليه في أقل من ثانية وركزت عليه نظراتها. ان أعصاب اريكا تشامبرز قوية، وهذا ما يمكنها أن تظهره في مثل تلك اللحظات دائماً. إن الشاب سلامة الذي يبلغ من العمر ٣٧ عاماً، أصبح إلى حد ما كئيباً بجانب حبه لمعبودته جورجينا.

تواعد علي حسن سلامة واريكا تشامبرز على اللقاء عند حمام السباحة بأحد الفنادق والذي كانت تدعي الانكليزية السكن فيه «كورال بيتش» (شاطىء المرجان) بمنطقة الجناح. ويوجد هذا الفندق الاربع نجوم على بعد امتار قليلة من سمرلاند انترناشيونال الشهير وعندما يركب الانسان السيارة بشارع الساحل إلى المطار، يمر عليه مباشرة ومع ذلك لا يرى الكثير بسبب كثرة الأنشطة التي تحدث على جانب البحر. انه مبنى ابيض اللون مكون من ثلاثة طوابق، يحيط به حمام السباحة الكبير والذي يتخذ شكل حدوة الحصان تقريبا تتجه كل غرفه الـ ٩٥ صوب المسبح المضاء باللون الأخضر. ومن هنا يمكن إلقاء نظرة على البحر وأمام الحوض تصطف الموائد الواحدة تلو الأخرى، والتي من خلال المظلات الشمسية تحتفظ بالظلال. هذا ما تعلن عنه دعاية «كورال بيتش».

يعتبر علي حسن سلامة من الرياضيين المتحمسين وهو يفضل الفندق، وها هو ذا هنا - قبالة السمرلاند - ولا يوجد من يقدم الأطعمة على الصينية والـ سمرلاند المجاور تم بناؤه اثناء الحرب الشديدة في ٧٦/١٩٧٥ وهو مبنى كبير بكل وضوح ويؤمه العديد من الزوار الأجانب وخلال عطلات الأسبوع وايام الاجازات علاوة على اللبنانيين متيسري الحال. كما انه يكشف للأمير الأحمر ايضا المخاطر الأمنية. وكأمر عادي يوجد بالقرب منه اثنان او ثلاث عربات تحمل مجموعة حتى قمتها بالملابس العسكرية. وهو يعلم انه يحتاجها حتى لا يكون هناك أي وهم بقصد الاسرائيليين منذ وقت ليلهامر. والآن وبعد ذلك وعندما نتمكن من القيام بأي غزو، فإنه سيكون خفيفاً.

ومن بين نزواته الرجولية ايجاد مكان مناسب للألعاب، وعلى هذا كان علي حسن سلامة يحجز حجرة بصورة مستديمة في الكثير من فنادق بيروت الفخمة وكان يستخدمها لفترات قصيرة مع سيدات العائلات الراقية في المدينة ويعتني بهن لدرجة انه لم يكن لديه مسكنا يأوي اليه مما يجعله محط اعجاب عام.

والآن فقد تقابل مع اريكا تشامبرز ولقد أعجبته ليس لأنها من النوع الفائق الجمال، بل لأنها ايقظت فيه روح الصياد. وبخلاف ذلك فإنه يبدو انها مستعدة لتكون كذلك. ويقوم حراسه بتأمين موقف السيارات وبهو الفندق، وبين السلم والمماشي. اما في الحجرة فإنه يكون وحيدا وقد تواجها في الدور الأرضي، وبطبيعة الحال لإلقاء نظرة على حمام السباحة. ان ما يحدث الآن، ما هو إلا مجرد تفكير ولكن دون ملاحظة احد ان علي حسن سلامة واريكا يرقدان سوياً. وهذا لم يحدث مرة واحدة، بل عدة مرات. ولا بد وأن يكون أحد كبار القادة في منظمة التحرير الفلسطينية قد علم بذلك. لقد قضت المدعوة تشامبرز أوقاتاً عديدة معه في «الكورال بيتش». وقد تم بحث هذه الحقيقة داخل منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها من الأسرار الكبرى، هذا ولا يعرف الكثير عن تلك العلاقة السرية. ولكن هناك فرداً واحداً متأكد من ذلك قد قدمت اريكا تشامبرز كل اساليبها الرائعة من الخداع. وكانت تظهر له اهتمامها بحراسته وتهدىء

حاسته السابقة للخطر. وبكل تأكيد لم يتحدث ابو حسن عن العمليات السرية او الاعتراف بدوره في عملية ميونيخ. ولم تسأله عن الكتاب الوحيد الذي قرأه بجانب القرآن. ألا وهو ملحمة «الجذور» السوداء. لقد تأثر به وذلك لأن اسم الكتاب يطابق تماما شعبه وماضيه. ولم يبق هناك من البدائل الكثيرة ليملأ الوقت العادي.

وخلال ذلك كان لزاماً على اريكا أن تفكر بطريقة مثل «دنيا». وكانت تتشوق أن تسأل حبيبها وقد كبتت الرغبة لأنها من المحتمل ان تكون جبانة. لقد كانت دنيا عميلة اسرائيلية اسطورية. لقد كانت تدخل وتخرج من بيت أسرة قائد منظمة التحرير الفلسطينية. ولدت دنيا في عمان عام ١٩٣٥. وفيما بعد درست الطب، وجندتها الموساد في اوروبا عام ١٩٧٢ وأصبحت محل ثقة أنشطة الوكالة خلال عام من الدراسة السريعة. وبعد ذلك انتظمت في ممارسة الطب في بيروت وقامت دنيا بعلاج اللبنانيين والفلسطينيين ومعظمهم من مخيمات الجنوب. وخلال فترة نشاطها تلك اكتشفت العديد من المؤسسات العسكرية القوية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية وكذلك المراكز الطبية. وقامت دنيا بإرسال معلومات قيمة مهدت للإسرائيليين إمكانية القيام بالعديد من الهجمات. وكانت اسطورتها كاملة وبنيت على التضامن مع القضية الفلسطينية.

بجانب هذا فقد التزمت بأن تعمل كحاضنة أطفال لدى علي حسن سلامة وأثناء غياب سلامة قامت بتصوير الأوراق السرية وأرسلتها إلى تل أبيب وبجانب تلك الوثائق قائمة بأسماء مقاتلي منظمة «أيلول الأسود» بأسمائهم المستعارة والعمليات المستقبلية ومن ثم استطاع الاسرائيليون عرقلة الهجمات. وعندما كانت تجمع نجاحها، وبدون تدبير أخبرت أحد أصدقائها اللبنانيين عن حياتها المزدوجة فقام باخطار ادارة الأمن وهكذا قبض عليها وسلمت لمنظمة التحرير الفلسطينية وقت ان كانت اريكا تشامبرز تمكث في بيروت، وجدت دنيا داخل أحد الكهوف البدائية بالقرب من صيدا، حيث كان محكوما عليها بالسجن مدة خمس سنوات، وفي شهر فبراير ١٩٨٠ تمت مقايضة اثنان من قوات منظمة التحرير الفلسطينية مقابل الطبيبة دنيا. وهي اليوم تعمل كطبيبة في شمال اسرائيل.

وداخل رئاسة الموساد كان الرجال يعملون المقارنات لأهمية الهدف من مقتل سلامة، وفقا للأنباء الجديدة القادمة من بيروت. وهنا تعجب أحدهم، «كيف انه رياضي يستحم في فندق كورال بيتش».

ويتدرب على رياضة الكاراتيه القتالية، ويتدرب كل يوم على اصابة الهدف باستخدام المسدس وكحد ادنى فإنه كان يذهب الى حمام السونا مرة كل اسبوع. وهذا ما يقوله الآخرون، السونا، وتم تجميع قائمة بجميع مراكز اللياقة البدنية وحمامات الغطس ونوادي الكاراتيه والسونا المتواجدة في العاصمة اللبنانية. وهكذا أصبحت مجموعة كاملة من العملاء في حالة ضياع، السباحة طوال نهار كامل، يكدحون ويضربون دون هوادة بحافة اليد.

تضاءل توزيع المسلك الهجومي لعملاء مايك هاراري، حيث قام احدهم بتغيير مواعيد السونا حيث توجه الى حمام البخار بعد وقت العصر. إنها زيارة خفيفة حيث لا يمكن تمييز المكان. لأن بعض الزوار احدث نقصا في الماء وكان البخار يخف، ولا يكاد يفرك العميل الاسرائيلي، عينيه حتى يفاجأ بعلي حسن سلامة عاري الجسد امامه.

ويصيح مايك هاراري مكهربا وهو يستمع الى التفاصيل. وعلى هذا فقد استوعبت الجماعات المختلفة من «فريق الهجوم» وسائل العمل.

قام أحد صناع القنابل بمعاينة مكان العمل في «النادي الرياضي» في «انترناشيونال اوتيل» ببيروت وبحث عن المكان المثالي لإخفاء الحمولة. وقام آخر بارتياد طرق الهروب والكشف عنها. وفي آخر لحظة اتفق على تهدئة العملية. وفي اللجنة «س» كان يشك البعض بهذه الكيفية فإن الانفجار الشديد قد يؤدي الى تمزيق العديد من اللبنانيين المدنيين. وعلى هذا قام مايك هاراري كما يقال بعمل على مستوى القرارات السياسية وطلب البحث عن طريقة آمنة اخرى. وبسرعة فكر في اريكا تشامبرز.

وهكذا رؤى ان تتواجد في كولونيا لفترة زمنية حتى خريف عام ١٩٧٨م. ورغم التجهيزات للهجوم على السونا قامت بتنظيم عمليتها الخاصة بها، والتي يتحرك فيها الأفراد باستقلال تام عن الفريق الآخر. وقبل رحيلها الأخير من بيروت وجدت شقة مناسبة كانت تريد استئجارها دون شروط. لقد وجدت تلك الشقة في الدور الثامن في أحد المنازل الجانبية بشارع لبنان. غير بعيد عن شارع مدام كوري. ومن النافذة يمكن للانسان ان يلقي نظرة فاحصة على المبنى الذي يعيش فيه علي حسن سلامة وجورجينا رزق. وبخلاف ذلك يمكن رؤية الشوارع المخيطة. وفي المحاولة الثانية، كانت تحاول أن تجد مسكناً بجوار أبي حسن. سكن عاينته قبل شهر وهو يواجه سكن سلامة مباشرة.

وفي الأسبوع الأخير من شهر اكتوبر تحدثت كثيرا من خلال الخط التليفوني ببيروت رقم ٣٦٢١٣٩ وعلى الطرف كان يرد عليها دائما انيس عساف. انه صاحب العقار الذي تستأجر احدى شققه. وأخيرا ان مربية الأطفال القادمة من كولونيا التي يفكر فيها سيتم الاتفاق معها سريعا ويستمر الحوار بينهما دائما ثلاث دقائق فقط. وآخر اتصال بعساف كان يوم ٢٦ اكتوبر.

وفي يوم ٢١ نوفمبر قامت اريكا تشامبرز بزيارة افضل من تثق بهم في فرانكفورت ـ ماين. وكان ضمن قائمة فحوصها بالنسبة للأيام التي ستقضيها الاتصال بمكتب شركة الخطوط الجوية اللبنانية ـ خطوط الشرق الأوسط حيث قامت بشراء تذكرة طيران فرانكفورت ـ بيروت ـ فرانكفورت. ولم تضيع عميلة الموساد الفرصة فتطلب من خدمات البريد الاتحادي ان يوقظها يوم ٢٣ نوفمبر حتى لا تضيع منها الطائرة. وفي تمام الساعة الرابعة صباحا جاءتها المكالمة التليفونية. وصلت المسافرة الى فرانكفورت في الوقت المضبوط وأسرعت في الصعود الى الطائرة التابعة لخطوط الطيران اللبناني على الرحلة ٢١٦. وكان مكانها حسب قائمة المسافرين برقم ٢٠.

وايضا في شهر نوفمبر استلمت السكن بمنزل السيد عساف. وفي يوم ١٠ ديسمبر وقعت على عقد لمدة عام باسم منظمة مساعدة الطفولة.

ولم يكن بالشقة اي اثاث، حصلت على مستلزماتها بالتقسيط ولهذا كان لا بد من انجاز عقد الايجار. سكنت اريكا تشامبرز في شقتها الجديدة بمفردها، ولم تشاهد إطلاقاً مع أي رفيق من الرجال. وعادة كانت تحضر الساعة العاشرة صباحا وتغادر المبنى بعد الظهر حوالي الساعة الرابعة. وكانت العميلة تنام في فندقها المحبوب «كورال بيتش».

وفي الوقت المناسب قامت الطالبة السابقة باخطار مايك هاراري بالموقف وكان

عنوان الاتصال منظمة الطفولة والمعروفة باسم جيلبرت ريموند، صندوق بريد ١١٢٧١، موقف ساكرو، روما/ ايطاليا.

وفي ذلك الوقت قامت اريكا تشامبرز بزيارة مكتب اليونيسف (صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة) في بيروت وتقدمت للتعرف على أحد مؤسسي الفرع المحلي «جمعية مساعدة وإنقاذ الطفولة».

وبعد ما يقرب من اسبوعين قفلت سيدة الموساد عائدة الى منطقة الانطلاق ثانية. وتتبعت باهتمام بالغ الأخبار العالمية. لقد توفيت رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مائير يوم ٨ ديسمبر ١٩٧٨ وهي المرأة التي اصدرت حكم الاعدام على علي حسن سلامة. وبعد يومين حصل مناحيم بيغن وانور السادات على جائزة نوبل للسلام. وقد ارسل الرئيس المصري من ينوب عنه لهذه المناسبة.

كان العالم في كل مكان يتسابق للاحتفال بعيد الميلاد، ولم تمر تلك المناسبة دون ان يكون لها أثر على الانكليزية. ولذا قررت ان تقوم بعمل شيء طيب، ولذا توجهت الى المدينة القديمة للتسويق. وفي شركة كولونيا لمتعهدي الملابس «شركة بوجيز» انفقت كثيرا. وباختيار سليم وذوق جيد اشترت بلوفر وبلوزة مناسبة ودفعت مبلغا كبيرا يقدر بـ ٥٢٧ ماركاً.

ومرت اعياد الميلاد وختام العام، دون ان يحدث شيء لأريكا تشامبرز. وكانت تعلم ان الاستعدادات الطويلة لعملية ضد الأمير الأحمر ما زالت في الهواء وفي المنزل في اسرائيل تم اتخاذ القرار يوم ٢ يناير. وكان الاسم السري الخاص بالعملية «النجم زار» وكانت الفكرة لها مدلول مزدوج. ومن ثم فإن العملية ستحدث يوم الاحتفال بعيد احد الأنبياء الأربعة الكبار الذين ذكروا في العهد القديم. وهو لا يعتقد بالخلاص الكامل للشعب اليهودي، وعلى هذا فإنه يريد من كل الأخوة المؤمنين وبقدر الامكان وبوضوح ان يحموا انفسهم من الهلاك.

وكلمة النجم زار لها بالعبرية معنيان «زهرة لكم ـ غريب لكم» وتعني قدرا محددا من الخبز ـ وكلمة زار يمكن ان تشير الى العدد. وهذا يعني استعارة الاسم لأعمال التجسس السرية العالمية للموساد.

وفي يوم ١٠ يناير طلب هاراري القيام بمهمة سرية. وفي كولونيا اشترت اريكا تذكرة سفر فرانكفورت ـ بيروت ـ جنيف ـ فرانكفورت.

وفي يوم ١٣ يناير كانت متجهة الى لبنان. ووصلت في الموعد المحدد الى شباك الحجز. كان رقمها داخل طائرة طيران الشرق الأوسط المسافرة رقم سبعة. وفي يوم ١٤ يناير استأجرت سيارة فولكس فاغن غولف من شركة لبنان كار في بيروت ولكنها سرعان ما أعادتها.

وفي اليوم التالي كانت تجلس معظم وقتها امام النافذة في سكنها وبانتظام تنظر من خلال المنظار المكبر على نفس الزوجين في سيارتهما بنية اللون طراز شيفروليه ستيشن التي تأتي من منطقة الصنوبرة من خلال شوارع فردان ومدام كوري بسرعة من مقر رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في منطقة الفاكهاني. وكان يستعمل في تنقلاته سيارتين.

وكانت تضع امامها قائمة وتدون الملاحظات بالأوقات المضبوطة لسير السيارتين وكانت السيارتان تمران اربع مرات كل يوم. لابد وان الأمير الأحمر رجل اقتصادي

حتى انه يعود الى بيته وقت الغداء ولا بد ان يكون ذلك قدره الأخير. لقد بدأ العد التنازلي للأيام العشرة الأخيرة في حياة علي حسن سلامة.

نادرا ما كان احد ينظر الى لبنان في تلك الايام، لقد كان العالم يتابع مأساة شاه ايران «ملك الملوك» رضا بهلوي. وفي يوم١٦ يناير غادر بلاده للأبد. وفي الوقت الذي كانت تتناقل فيه وسائل الاعلام اخبار الفوضى اليومية في طهران كانت الشبكة تشد حول علي حسن سلامة وفي نفس الوقت وحيث كان يؤمن بالقضاء والقدر، فقد رفض ان يذكر الدليل على الجدران. لقد كان الأصدقاء الأميركيون يحذرونه دائما من اشرار الموساد. ولذا ارسلوا اليه سيارة شيفروليه ضد الرصاص وجهاز ارسال لحرسه الخصوصي. والآن، ففي شهر يناير ١٩٧٩، انتشرت الاشاعات عن امكان حدوث شيء ما.

ودقت الساعة.. في يوم ١٧ يناير سافر انكليزي يبلغ من العمر حوالي اربعين عاما يدعى بيتر سكريفر من باريس الى بيروت. كان نحيفا ويبدو من مظهره انه ذو تدريب جسماني كامل. يبلغ طوله ١,٨٤م، وكان رقم جواز سفره البريطاني ٢٦٠٨٩٦، ويقطن في لندن برقم ١١ باروتزميد روود. ولما سئل عن سبب سفره إلى بيروت جاب بأنها زيارة ود كيفية وللتجارة وهو يبتسم ابتسامة خفيفة ثم استقل سيارة أجرة واتجه الى «رويال غاردن اوتيل» في حي الحمرا التجاري وكان يرتدي بدلة رمادية اللون ونظارة وأسنانه تبرز من بين شفته العليا ولحيته.

وفي نفس اليوم تقابل مع رونالد كولبرج. وهذا الكندي طوله ١,٧٠م ويبلغ عمره من ٢٥ إلى ٢٧ عاماً كما انه أيضاً نحيفاً. وجهه مستدير وشعره كستنائي اللون، وشفته العليا ولحيته كشة مثل سكريفر. وعند مكتب الجوازات، ذكر انه يتحدث الانكليزية. ثم قام رونالد كولبرج بملء بطاقة السفر. ولد في فانكوفر على الشاطيء الغربي الكندي عام ١٩٥٤ وعنوانه هناك: شارع بيرنباي ١٢٥٦. والعيب الجسماني الوحيد لديه هو انه لا وجود لهذا العنوان واستقل سيارة اجرة أوصلته الى فندق البحر المتوسط ويقع هذا الفندق في مواجهة البحر مباشرة.

وفي صباح اليوم التالي توجه بيتر سكريفر ولأول مرة لشركة لبنان لتأجير السيارات. وكان قد اتصل بهم يوم ١٣ يناير - تليفونياً من لندن - لكي يتم ترتيب سيارة له. وهكذا تم إحضار السيارة، وقدم الانكليزي جواز سفره وشيكاً سياحياً، سبق سحبه عام ١٩٧٨ في بانيستوك هامبشير. وفي الوقت الذي رشف فيه القهوة التركية المرة، تم اعداد اوراق السيارة. وكانت طراز فولكس فاغن غولف، تحمل لوحة رقم ٣٥٢٢٨٢.

وفي نفس الوقت تواجد رونالد كولبرج بشركة لبنان لتأجير السيارات وكان قد سبق ان حجز سيارته عن طريق التليفون من زيورخ. سيارة طراز سيمكا تحمل لوحة رقم ٣٥٦٩٦٥ وقدم كولبرج شيكاً سياحياً دولياً رقم ٩٣٠١٤ مسحوب عام ١٩٧٨ في كندا وتقريباً عند الظهر تقابل الأجنبيان كما لو كان اللقاء مصادفة داخل المدينة. تبادلا سوياً بعض الجمل ثم افترقا ثانية.

فضلاً عن هذا فقد استقبلت شركة لبنان لتأجير السيارات عملاء آخرين. وبعد يوم، وكان الجمعة، ١٩ يناير، دخلت اريكا تشامبرز مركز الشركة. أخذت تتحدث عن اعصابها المنهارة، وكانت بذلك تعني انها في حاجة ملحة الى الراحة وهواء الجبل. وهنا

انطلق موظف شركة تأجير السيارات يعدد اسماء بعض القرى الجبلية المناسبة للراحة. وقامت الانكليزية شيكاً سياحياً، رقم ٤٥٦٩، والذي ـ كما ظهر فيما بعد ـ كان زائفاً كلية. واستلمت اريكا تشامبرز سيارة طراز داتسون خضراء اللون ووعدت بإعادتها مرة اخرى بنهاية عطلة الأسبوع وركبت السيارة ولكنها لم تذهب الى الجبال، بل أوقفت السيارة على بعد امتار قليلة من سكنها بشارع اللبان.

وفي نفس اليوم ارسل «كريم باقرادوني» من الميليشيات المسيحية للقوات اللبنانية تحذيراً وصله من الرئيس المقبل بشير الجميل. وفي المساء اتصل بجورجينا، ولقد اندهشت «اننا نفكر ما الذي يمكننا عمله؟ هل يجب ان نغير المنزل. ان هذا المبنى العالي يجعلني عصبية. وربما وجب على حراسنا ان يبحثوا في المنازل المحيطة بنا. وقد قال علي حسن، لا، لن نفعل شيئا لقد اصبح متعبا من كثرة الهروب وقد اعتقد ان هذا هو المصير المسبق للعديد من ابناء الشرق».

لقد كانت تلك كلمات الأرملة بعدما يزيد عن عشر سنوات في مقابلة صحفية مع أكبر الصحف الاسرائيلية اليومية، يديعوت احرانوت.

وفي يوم السبت وكان ٢٠ يناير قامت منظمة مايك هاراري بجولة كبرى. وفي لبنان الدولة العلمانية كانت تقترب عطلة نهاية الأسبوع. وفي اسرائيل كان يوم إجازة. وقد احضر خبراء المفرقعات التابعين للموساد خمسين كيلوغراما من مادة الـ «تي. ان. تي» (ثالث نترات التوليد) من إحدى القواعد البحرية شمال كازريا، كما تم إعداد ثلاثة قوارب صواريخ سريعة طراز «سار ٤» من مركز إعادة تطوير السفن في شربورج. وكان هدف العملية محاطاً بالسرية الصارمة. وكان عدد غير كثير من القادة يعلمون بتلك العملية.

(٣)
اريكا تمارس أعمالها

ظلت اريكا تشامبرز تلاحظ حركة المرور اليومية. ووجدت نفسها تنتظر يوميا من ١٠ الى ١٦ ساعة بالسكن. وفي ذات الوقت حصلت على نوع جديد من أجهزة الارسال، وحدة صغيرة سهلة بأزرار، جهاز يتحكم في تفجير القنابل عن بعد. وفي المساء كانت تنام الانكليزية في «فندق بريستول» القريب نسبياً وهو فندق فخم، ومنه يمكنها السير على الأقدام لمسافة غير بعيدة، وكان مسكنها هو نفسه دائماً. لقد كانت هادئة تماماً وثابتة. وهكذا كانت تفكر على الدوام «خلال ثلاثة ايام سينتهي كل شيء. وبعد ذلك سيختفي هذا التوتر وهذا الضغط الفظيع، ويمكنني العودة إلى الوطن اسرائيل».

وبالنسبة لبيتر سكريفر ورونالد كولبرج فإن بيروت تعتبر بلداً جديداً. وقد استغلا يومهما، بأن يتعرفا على المدينة جيداً، وأولاً وقبل كل شيء سبل الهرب. ولا بد من التخطيط لكافة الاحتمالات. وفي النهاية الا يكون هناك اية حوادث.

من هما عميلا الموساد؟ بالنسبة لبيتر سكريفر فإن الأمر يتعلق بالشكل الفني. فجواز سفره مزيف بالكامل، ففي انكلترا لا يوجد من يطابق تواريخ جواز سفر سكريفر.

وهذا ما يجعله يعمل بصورة جيدة في بيروت. وفوق كل شيء فإن سكريفر متواجد في هذا المكان لبضعة ايام فقط ومن ثم لم يحن الوقت لمراجعة الخطة. وجواز سفر سكريفر تعدد الاضافات السهلة لعمل الموساد. انه عبارة عن أوراق مهملة. انه شيء آخر بالنسبة لزملائه. فهو اسطورة معقدة. وقد بحث رونالد كولبرج خلال اقامته في بيروت عن مؤسسة تجارية لبيع السلع المنزلية وتقدم اليها باعتباره مندوبا عن احدى الشركات التجارية الكبرى الهامة وبعدئذ ترك بطاقة زيارات بها التعريف التالي:

ريجنت شيڤيلد انترناشيونال
اكبر اسم في صناعة السكاكين
فار منجدال - نيويورك ١١٧٣٥
الولايات المتحدة الأميركية
رونالد ام. كولبرج
مندوب معتمد
ميتلهوفن ٦٦
هولندا
صندوق بريد ٣٣٥٣ روتردام
هاتف ٥٠٩٨٣٣ (٠١٠)
تلكس ٢٦٤٠١

وتقريبا فإن اريكا تشامبرز، والتي حصلت على هويتها في المانيا، من المحتمل ان تكون هي التي زرعت هذا العميل في هولندا ليعمل من هناك. والخطأ الوحيد هنا: ان بطاقة الزيارة الخاصة كانت مطبوعة في اسرائيل، حيث انها تحمل خطأ مطبعياً لا يحدث في هولندا. فلا وجود لميتلهوفن بل ميرلهوفن، وهي توجد في Ijssel. والرمز البريدي هو ٢٩٠٠ وليس AB ٢٩٠٠. بجانب هذا فإن هذا التاريخ لا يدركه أحد في بيروت لكي يفحصه بسهولة. وفي اوروبا بالامكان احضار بطاقة زيارات خاطئة من أجل تقويض احدى العمليات.

ووفقا للعنوان المعطى في هولندا، فقد تواجدت في عام ١٩٧٩ شركة خدمات التلكس الدولية. وكان صاحب هذا المشروع على معرفة برونالد ام. كولبرج. فقد كنا نتعامل معه حتى يونيو ١٩٧٨ وقد وصلنا برقيات لاسلكية باسمه ونقوم بدورنا بتوصيلها. وبخلاف ذلك فإن الكثير من الناس يتصلون بنا تليفونياً ويكلفوننا بمأموريات باسم كولبرج. وعلى سبيل المثال كان يوجد رجل باسم جان بيرتو. وقد ذكر لي ان له منزلاً في بروكسل. وكان يكتب خدمات التلكس الدولية ويقوم بتوصيل البرقيات اللاسلكية الخاصة بكولبرج الى صندوق بريد رقم ٣٣٥٣ في روتردام فيما بعد.

وكان عملاء كولبرج يدفعون ثمن انجاز الأعمال لحسابه في انحاء بنوك هولندا بروتردام. وحيث فتح الحساب، قدم جواز سفر كندياً برقم ١٠٤٢٧٧ صادر بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٧٧ في فانكوفر. وقد ولد كولبرج هذا بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٥٤ في فانكوفر، ويقطن في روتردام، هويلد شهرات رقم ٣٥، واختفى في نوفمبر ١٩٧٨. وعندما قام البنك بإرسال مستخرج حسابه على العنوان البريدي، وصله الشعار يقول «المرسل اليه غير معروف». وليس هناك من يجيب. ان هذا العنوان الذي كان يتعامل عليه يخص

إحدى المؤسسات التجارية النفطية. وفي احدى زياراته تعهد كولبرج بأن عنوانه الجديد هو صندوق بريد ٣٣٥٣. وعن طريق هذا العنوان وبمساعدة العنوان الآخر يمكن الاتصال به: روتردام زود مسترات ٦٥. وبالتأكيد فإن كل سكن كان خاليا، فقد فر شبح الموساد.

وهنا تأتي المفاجأة حيث يتواجد شخص ثان يدعى رونالد ام. كولبرج، ينتظر كافة حسابات الشخص الأول وهذا الشخص الثاني ـ وبالضبط كولبرج ـ كان يبلغ من العمر ٢٥ عاما في ذلك الحين، وبكل وضوح اضخم من ذلك الشخص الذي يحمل اسمه ويعمل لدى المخابرات، له شعر اسود، ويلبس نظارة. انه يهودي ارثوذكسي، ولديه جوازا سفر احدهما كندي ويحمل رقم ١٠٤٢٧٧، وجواز آخر اسرائيلي. والجواز الكندي صادر بتاريخ يناير ١٩٧٧، يوم واحد قبل سفر كولبرج الى اسرائيل للالتحاق بجامعة بار ـ الآن بتل ابيب لدراسة علم الأحياء (البيولوجيا). وفي شهر سبتمبر ١٩٧٧ لا بد وأن يسلم جواز سفره، فقد طلب من أحد وكلاء الشحن توصيل ثلاجة عبر الجمارك الاسرائيلية. وقد استغرقت الاجراءات أسبوعاً. وفي نوفمبر ١٩٧٧ اشترى كولبرج غسالة آلية لنفسه. ومرة اخرى طلب وكيل الشحن جواز السفر. لقد كانت تلك ساعة الموساد ومن يعملون في التزوير لديها.

وتواجد كولبرج الحقيقي في شهر يناير ١٩٧٩ في جامعته وكان يحضر المحاضرات اليومية ويستعد لامتحاناته، والتي كانت ستعقد في شهر يونيو. وتقريبا كان يمضي كل مساء في شقته في ريهوف هايبليون برماتجان. وقطعا استطاع كولبرج فيما بين ١٧، ٢١ يناير ان يتواجد في بيروت. اما هذا اليوم فلا يجب عليه السفر الى لبنان قط لكي يمنع سوء الفهم.

وفي مساء احد أيام الاحاد وفي تلك الاثناء وكان الوقت ظلاما، غادرت ثلاثة قوارب صواريخ سريعة نقاطها في ميناء حيفا. وكانت الجيل الثاني للقوارب السريعة الاسرائيلية واول ما صنع في البلاد نفسها وقد تم تزويدها بأحدث وافضل النظم طراز «سارع4» من صواريخ البحر حابريل وهاربون، ومدفع فولكان ـ فلانكس، والمدفعية الميكانيكية الثقيلة. وكان لـ «سارع» لولب دوارة يمكنه بمساعدة الطائرات العمودية من مراقبة الأفق. وكل قارب مزود بأجهزة حرب الكترونية. وداخل مركز معلومات القتال CIC قلب السفينة حاملة اللواء، يجلس قائد البحرية الحربية الصغيرة، كابتن حايم شاكيد، ومعه ملاح اسمر اللون على مشارف الخمسينات من عمره، يحتسي القهوة التركية: انه مايك هاراري. وقد اراد رئيس فرقة كوماندوز الاغتيالات التابعة للموساد ان يحيا للوصول الى انتصار حي كما انه يريد كما كان من ذي قبل ان يتتبع بنفسه، الكيفية التي سيموت بها عدوه.

وبعد ساعات عدة من السفر تجاه الشمال وقفت القافلة امام بيروت ووقف هاراري على الكوبري واخذ يدرس من خلال منظاره الليلي القوي اضواء المدينة الكثيرة، وقام رجال الضفادع البحرية بعمل دورتين للبداية بالقوارب المطاط. كانت الساعة الثالثة، وهذا هو الوقت المناسب قبل ان يخرج صيادو السمك اللبنانيين الى البحر، حيث يربض العميلان في أحد مناطق الشاطىء بين بيروت واحضان جونيه. وكان رجال الضفادع البشرية يرتدون البدل المطاطية ويتناولون مدافع الهاون طراز اوزي بعد ان فكوا

امانها في الظلام.
وتحدث أحدهم من خلال الميكروفون. وتلا ذلك الرد وبسرعة. ومن حطام احد الشوارع المرصوفة بالزلط تلألأ لوقت قصير ضوء احمر - ابيض - احمر - احمر. وبعد بضع ثوان خرجت سيارة فولكس فاغن زرقاء اللون من بين الكثبان الرملية ووصلت الى مكان جنود البحرية. ونزل بيتر سكريفر ورونالد كولبرج وتناولا الطرود الثقيلة. ثم قاما بتكويمها فوق ظهر السيارة وانصرفا دون الكثير من الكلمات. وبعد ثوان كان قاربا المطاط - علاوة على ذلك - في طريق العودة الى السفينة الأم. واستدارت القافلة وطافت البحر فيما بين لبنان وجزيرة قبرص.
وفي ادارة اركان حرب المعركة قدم رئيس الضفادع البشرية تقريرا الى الضابط الذي كان يصغي في صمت وكذلك ضيفه المدني. ثم اشار برأسه مقرا وبعد ذلك دخل الى كابينته حيث كان يتمنى ان ينام لمدة ساعة. وفي بيروت تم تكويم المادة المتفجرة وتبلغ حوالي الخمسة عشر كيلوغراما من مادة تي. ان. تي تحت المقعد الأمامي والمقعد الخلفي للسيارة التي استأجراها ويديراها بجهاز تحكم عن بعد. وحتى اليوم لم يعرف أحد اذا ما كان سكريفر وكولبرج قاما بهذا العمل بمفردهما ام ان هناك أحد خبراء المفرقعات من الموساد قد ساعدهما. لقد مر وقت طويل هنا على هذه المكيدة، ولذا وجب ان يجلس كل واحد ويده ممسكة بالمقبض. وما إن انتهت التجهيزات العينية، حتى قاما بإيقاف السيارة أمام منزل انيس عساف، حيث تسكن اريكا تشامبرز من الناحية الرسمية.
وفي صباح يوم ٢٢ يناير سدد بيتر سكريفر ايصال الفندق وذكر انه سيسافر في هذا اليوم الى عمان. وفي الحقيقة فقد استقل سيارة اجرة الى المطار ولدى شركة طيران قبرص حدد اتجاهه الى لارنكا. لقد كان يوماً بارداً من أيام الشتاء، وكانت السحب العالية ترتطم فوق البحر أمام بيروت وعصفت ريح باردة بأبراج المساكن في المدينة. وكذلك لم ينم رونالد كولبرج هذا الصباح طويلاً. بجانب هذا فإنه غادر فندق البحر المتوسط وركب سيارته طراز سيمكا واتجه إلى شرق المدينة. وفي جونيه حجز غرفة في «فندق مونتمار» انتظاراً لحدوث التطورات. والآن كان كل شيء بيد اريكا تشامبرز.
وبالنسبة لعلي حسن سلامة فإن اليوم مر عادياً، رغم أنه وصله مرة أخرى تحذير من الأميركيين. وجاء التحذير على صورة قصاصة من الورق الخطية، عن طريق المكتب اللبناني الثاني (الأمن العام). قرأ المذكرة ثم وضعها في أحد جيوب سترته. وقد وجدت هذه القصاصة في المكان الذي مات فيه بالفعل.
كان ينتظر وصول الأمير الأحمر الى دمشق في ذلك المساء. حيث كانت ستعقد الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني للتشاور. لقد كان منعطفاً هاماً لاتخاذ القرارات. لقد أرادت منظمة فتح ان تعقد اتفاقاً معتدلاً مع الجبهة الشعبية الراديكالية وعلى أية حال فقد كان ذلك هو الحل السياسي الثاني الذي يتم مناقشته من أجل فلسطين. وقد اراد عرفات ان يحضر منافسه الأبدي/ حبش ويقبل تلك الصيغة، وان تنفصل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن جبهة الرفض. وبخلاف ذلك ادانة اتفاقيات كامب ديفيد، والتي تم توقيعها بعد اسابيع قليلة. ولقد كانت مناقشة جادة وانفعالية.
وقد ذكر ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الحين: «لقد كان الاسرائيليون

على علم تام بالأنباء. لقد كانت عملية الوحدة تلك داخل منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة شوكة في العيون. وعليه فقد تقرر اغتيال ابي حسن. وقد ذكر موضوع آخر تفصيلاً، ان الاسرائيليين لم يستطيعوا تحمل العلاقة الخاصة بين سلامة ووكالة المخابرات المركزية ومن حين لآخر كانوا يدخلون في الوسط الى ان قتلوا الفلسطيني الحر. ان الحقيقة مقبولة كما هي في اغلب الأحيان، ومن الناحية الجوهرية بسيطة. وفي النهاية كانت فرقة مايك هاراري في وضع الهجوم. لقد اقتربت نهاية سبع سنوات وراء الصيد. وهكذا سوف يتم تحقيق الأمر الذي لا يلغى على الاطلاق.

رجع علي حسن سلامة إلى المنزل عصراً، من أجل التجهيزات الأخيرة للسفر لحضور اجتماع دمشق. وبخلاف هذا كان عليه ان يتوقف في شقة أمه في غرب بيروت، لكي يقدم تهنئته لابنة أخيه جهاد بمناسبة عيد ميلادها. لقد كانت الساعة تشير الى ١٥,٤٥ بالضبط، حيث ودع أبو حسن زوجته جورجينا . وضع يده لفترة قصيرة على بطنها الحامل منذ خمسة أشهر وأخذ يناكف الأم الحامل باحدى نكاته: «ستكون فتاة». «كلا أجابته أجمل امرأة في لبنان إني أتحمل ذلك من أجل أن يكون صبياً». سيكون لدي علي الصغير، يشبهك تماماً. «وأنا أريد طفلة صغيرة تكون جميلة مثلك». كانت أشبه باليمامة دائماً مثل أول يوم.

أخذ أبو حسن مكانه بجوار رفيق سفره جميل السائق متخذاً طريقه إلى منعطف الطريق عند الساحة. وقد جلس ثلاثة من الحراس في المقعد الخلفي. وتبعتهم السيارة الثانية وبها خمسة أفراد آخرين من الحرس الخاص وينظرون نظرات خاصة، وكانوا من «القوة ١٧». وكان ذلك نفس الطريق الذي يجتازه دائماً حتى يصل الى شارع البقاع على بعد ١,٥٠ متراً. وعند احدى الانحناءات في شارع البقاع سارت سيارة غريبة بين السيارة الشفيروليه والسيارة الثانية وتسبب ذلك في وجود مسافة بين سيارتي منظمة التحرير الفلسطينية بما يقرب من عشرة أمتار.

كانت اريكا تشامبرز تجلس أمام نافذتها وتراقب، كيف كانت تقترب من السيارة الأميركية الرائعة لعدو دولة اسرائيل رقم واحد. وقد لاحظت أيضاً المسافة الضئيلة للسيارة التالية، والذي أصبح في ذلك الوقت متداخلاً. لقد أصبح ذلك متساوياً بالنسبة لها في تلك اللحظة لا بد وأن تقاوم النيران المستعرة. من يدري، متى سيكون الاحتمال التالي بالقضاء نهائياً على ذلك الرجل الذي اقترب بسرعة مفاجئة. وبيد هادئة أسكت بجهاز الارسال الصغير وقدرت الأبعاد ما زال هناك ١٠٠ متر ـ ٥٠ متر ـ ٣٠ متراً ـ ٢٠ متراً. والآن أصبحت السيارة الشيفروليه في نفس مستوى السيارة الفولكس فاغن المتواجدة في موقف السيارات!! الآن، وبسرعة لا إدراكية قوصت اصبعها وضغطت على الزر إلى أسفل. وفتحت فمها متزامنة مع موجة الضغط التالية.

وخلال اجزاء من الثانية هزت المتفجرات القوية الحي. واشتعل الشارع باللهيب. وتطايرت السيارة والجثث ممزقة في الهواء. ونزفت دماء الناس وتصايحوا فوق الأرصفة الجانبية. وتحطم العديد من النوافذ. وفي المكان الذي كانت فيه السيارة وجدت قنبلة شديدة الانفجار. وبدا المكان كما لو كان مكاناً بعد المعركة، إلا أنه بالنسبة لبيروت ليس أمراً غير عادي.

وقف هاراري أمام تلسكوب ثقيل الوزن لسفينة العلم لقوارب الصواريخ

الاسرائيلية البحرية الصغيرة السريعة. وعلى أي حال ومنذ لحظة أخذ يراقب الطرف الشمالي لبيروت، حيث تقع أحياء الصنوبرة والحمراء. وفجأة صعدت إلى أعلى سحابة كبيرة من التراب والدخان. وهنا تعلق رئيس العملاء بالتلسكوب، كما لو كان قد أصبح كبيراً. وبالطبع أمكن أن يرى الكثير. وكانت جورجينا رزق تقف أيضاً في شرفة منزلها الفخم. لقد سمعت الانفجار وشاهدت في ذلك الوقت سحب الدخان، وسمعت صفارات سيارات الاسعاف التي كانت تجلجل. وكان أول ما فكرت فيه «لقد قتلوك! لقد فعلوها معك». وكانت الساعة ١٥,٥٥.

امتلأ شارع البقاع بفوضى لا مثيل لها، لم يصب الحراس الخمسة في السيارة الثانية باي ضرر ولكنهم كانوا يتحركون بصعوبة. لقد تحطمت سيارة أبو حسن بالكامل. ولكن يبدو أنه ما زال حياً. وبسرعة كان لا بد من إحضاره إلى مستشفى الجامعة الأميركية. ومع ذلك فكل ما استطاعه الأطباء في ذلك الوقت إثبات وفاته. لقد التصقت قطعة معدنية بمخه. والذي حدث بعد ذلك هو اخطار قوات أمن منظمة التحرير الفلسطينية والشرطة اللبنانية. وكان لا بد من تجميع جهدهما، وان يتشاور الطرفان. وقد اشارت اخبار البحث ان هنالك حوالي سبعة الى عشرة اشخاص متوفين وما يقرب من ثمانية عشر آخرين جرحى. ويضاف الى الجثث التي تم عدها الخمسة رفاق السيارة الشيفروليه. وتشير كل المظاهر ان الشخصين اللذين كانا في السيارة التابعة قد نجيا. ويقول احد التقارير ان العديد من عابري السبيل وأحد العاملين بمركز سيارات الأجرة، والذين وجدوا في الشوارع المجاورة كانوا ضمن الضحايا.

واختفت الجانية بخطوات مسرعة بعد دقائق من الانفجار. وكان آخر من رآها، ولمرة واحدة هو صاحب البيت. وبعد وقت قليل اقتحم مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية التابعين للأمن بأسلحتهم الثقيلة، كافة المنازل المجاورة وتفتيشها. وقد وجد بمكان الحادث اللوحة المعدنية لاحدى السيارات وتحمل رقم ٣٥٣٢٨٢ ـ انها تخص سيارة بيتر سكريفر.

سارت اريكا تشامبرز بالسيارة التي استأجرتها في عدة طرق في اتجاه المنطقة الشرقية من المدينة. وفي حي بجونيه تقابلت مع رونالد كولبرج الزائف. وهناك انتظرا في فندقهما ليلة كانا فيها مسهدا الجفون. وبعد ذلك سارا بالسيارتين الى الشاطىء حيث اوقفا السيارتين. وبعد منتصف الليل بقليل اقتربت سفينة قوارب الصواريخ مرة اخرى من الساحل. ومن جديد عاد رجال الضفادع البشرية بقواربهم الدائرية الى الشاطىء واخذوا معهم العميلين. لم يكن هناك من يقلق عليها مثل مايك هاراري. واحتضن جندي الموساد المحنك اريكا تشامبرز بين ذراعيه، فنادراً ما كانت تصعد على ظهر السفينة. وقالت بفرح «مايك، لقد مات». وانضمت السفينة مرة أخرى الى القافلة واتخذت طريقا مختصرا الى حيفا.

وفي مساء اليوم التالي في اكاديمية الموساد اقاموا احتفالا كبيرا. ووقفت اريكا تشامبرز في المنتصف واصبحت تحصل على مرتب الآن من الموساد واستأذنت في التصرف فيما اقتصدته من مال على حياتها الخاصة. وكذلك غادر مايك هاراري مكتبه في الموساد ليتقاعد.

تسلم عرفات رسالة الشؤم عن موت أفضل رجاله أثناء جلوسه في قاعة الرفض

بفندق «ميريديان» بدمشق. تلقى الخبر بحزن شديد ولكنه لم يذرف الدموع. ثم أنهى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المؤتمر واختفى مع حراسه ومستشاريه لكي يركزوا، عما أذا كان هذا العمل مكيدة فردية، اما انه، كما كان عام ١٩٧٣، عدوان آخر على قادة منظمة التحرير الفلسطينية من قبل الاسرائيليين. وأعلنت المنظمة تفسيراً لذلك، انه رد فعل اسرائيلي لعملية ميونيخ: «ان القتلة لن يفروا».

جرت مراسم جنازة ابو حسن بصورة مثيرة وأحيط قبر شهداء منظمة التحرير الفلسطينية بالقرب من مخيمات شاتيلا بأشجار الصنوبر. وكان ذلك اليوم اجازة تعطيل مدرسية بالنسبة لأطفال المسلمين في بيروت الغربية. وعرفات نفسه حمل الكفن. وسالت الدموع على لحيته المرتعشة، وقت ان كانت بقية رفات «أحد أولاده المحبوبين» (كان عرفات يشير إلى سلامة) توارى التراب.

أطلقت الأعيرة، وصيحات الثأر خلال هذا المشهد وقام مايقرب من ٥٠,٠٠٠ فلسطيني بتوديع علي حسن سلامة، والذي كان، في مقدمة رجال المقاومة بمنظمة فتح، والذي عن مهامه السرية نادراً ما كانوا يعرفون شيئاً. وكان الكثيرون منهم يقبضون وهم ينظرون بغضب الى عدسات التلفزيون. اننا نواري شهيد التراب! كان ذلك صدى صوت ياسر عرفات الحاد النغمة. «إلى اللقاء أيها البطل استقر مكانك في كبرياء! سنكمل مسيرتنا في الطريق إلى فلسطين»!.

كانت تقف بجواره أرملة سلامة الأولى، أم حسن، ومعها ولداها. أما الأرملة الأخرى، جورجينا رزق، غير مسموح لها بالتواجد وفقا للقواعد الاسلامية. وكان حسن سلامة، أكبر أولاد الميت، يرتدي ملابس الفدائيين خلال الجنازة. وكانت الكوفية تتدلى فوق كتفيه. وكان الشاب يمسك في يده مدفع كلاشينكوف، وضعه أحدهم في يده. كما قال عرفات الذي يتحرك بألم ممسكاً بذراعه: ان قصة عائلة سلامة ستظهر مرة اخرى.

وانفجرت اول قنبلة يوم ٢٨ يناير، انتقاما لمصرع علي حسن سلامة. وكان مسرح العملية سوق مدينة نتانيا المزدحم. قتل اثنان، وجرح ٤٣ آخرون، العين بالعين، والسن بالسن هذا هو قانون المنطقة.

كانت كولونيا تحتفل بالكرنفال السنوي، حيث كانت المواطنة اريكا تشامبرز تتظاهر برحيلها غير المرئي. لقد كانت تتعرض لاجراءات شاذة بالرغم من أنها تشير الى ذراع الموساد الطويلة. وفي شهر يناير قبل أن تتصيد اريكا ابو حسن وتطيح به، تحدثت امرأة عجوز كان يبدو عليها انها موظفة بمكتب بريد كولونيا - ارينفيلد. لقد دفعت مصاريف صندوق بريد اريكا مضاعفا ولم يكن «مشروطا أن يظل مستمرا». هذا وسيتم استعادة احدى المصاريف فيما بعد.

وفي يوم ١ فبراير ١٩٧٩ ارسلت اريكا تشامبرز رسالة الى ادارة مسكنها. وقد اخطرتهم بإنهاء ايجار الشقة (٢٢) ورجتهم بإعادة الضمان الى حسابها المصرفي ببنك درسدن. وفيما بعد لمدة طويلة، يوم ١٣ يونيو استلم بنك درسدن من كولونيا خطاباً مكتوباً على الآلة الكاتبة مرسلا من زيورنخ - من اريكا تشامبرز. وطلبت العميلة بعض حسابها المصرفي وتحويل الرصيد الجاري ٦٣٠٠ مارك من الحساب المصرفي الى مجموعة البنوك السويسرية في زيوريخ. وطالبت بأن ينتهي ذلك بأقصى سرعة.

وتلا ذلك خطوة اخرى في شهر سبتمبر ١٩٧٩. فقد افتتحت اريكا تشامبرز

الباب الرابع

حقبة الثمانينات

الفصل الثاني عشر

انتحاريو منظمة التحرير في مواجهة المانيا

(١)
المنظمة بعد اغتيال ابو حسن سلامة

تسببت وفاة علي حسن سلامة في توتر شديد لدى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، حيث كان ياسر عرفات يعد (ابو حسن سلامة) بمثابة ابنه الوحيد، ومن هنا كانت الخسارة شديدة له. ورغم هذه الخسائر فإن نائبه (بعد رحيله) تولى قيادة القوة الخاصة (القوة ١٧) اما القائد محمد ناطور، والذي يكنى بأبي الطيب، فإنه يعد خليفة لأبو حسن. فلديه ولزيادة التأكيد جهاز امن كاف من مدة طويلة، ليعرف ما يجب عليه ان يفعله ورغم ذلك فقد استمر زهاء اعوام ثلاثة، حتى يقبل القيادة صراحة. ومن ثم اكد لعرفات وهو يستمع اليه دون شرط، بأن مركزه قد اصبح في ذلك الوقت قوياً.

وفي ذلك الوقت وحتى عام ١٩٨٢ كان «للقوة ١٧» مطلق الحرية للعمل على حماية موقع عرفات وذلك في مواجهة بشاعة ما يحدث من تحطيم في لبنان، بجانب ذلك فلم يكن لدى اي انسان وقت للعمليات السرية عبر مجال الشرق الأوسط. والحالة المستثناة من هذه القاعدة ما كان لا بد وأن يحدث خلال ثلاثة اشهر من استشهاد ابو حسن. انها محاولة للثأر. ومن حيث انه اثناء اقامة اريكا تشامبرز في بيروت كانت تثابر على تقديم بطاقة الزيارات التي تحمل عنوانها، في كولونيا، كما كانت تركز وبسرعة على انها مرسلة من قبل المخابرات الألمانية، للتدريب على الثأر لعملية الأولمبياد. وتلك مبالغة في تقدير النوايا والامكانيات الألمانية.

ويدور داخل دوائر الأمن في بيروت انه المحتمل ان تكون كولونيا مراكز للإدارة الثمانية لحماية النظام وأن فيسبادن مركزا مماثلا لادارة الجرائم الاتحادية. وبعد هذا فما زال عنوان سكن اريكا تشامبرز في الحالتين بجوار هذه الادارات. لقد تبخرت حسابات الاسرائيليين وقد انصب السخط الفلسطيني المتميز ضد جمهورية المانيا الاتحادية وبصورة اقل ضد اسرائيل التي تحظى بالحماية الحميدة. ولو انه في ذلك تقدم عدالة فرانجي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية باحتجاج شديد اللهجة بخصوص موضوع اريكا تشامبرز، وتقصي الحقيقة مع القاء الضوء على هذا الموضوع، وانهاء استراتيجية المقاومة للقوات السابقة التابعة لأبي الحسن وهجومها على الألمان. ورغم هذا حدث، كما يقول أحد رجال قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، شيء آخر. لقد أراد أبو الطيب أن يكون لنفسه صورة شخصية. لقد كان ذلك الدافع الفوري الافتراضي لديه، أن يقوم بتوجيه مجموعة مكونة من ثمانية رجال.

وفي شهر مارس عام ١٩٧٩ تقابل ممثل ادارة الجريمة الاتحادية في بيروت مع رجل امن عرفات هايل عبد الحميد، ويطلق عليه اسم ابو الهول، وأحد ممثلي ابو جهاد المسمى امين الهندي. وكان هذا الاتصال مبشرا بآمال عديدة، حيث تم ترقية ابو الهول ليأخذ مكانه في المانيا. لقد كان هذا الفلسطيني من بين اللاجئين إلى سوريا من صفد مع اسرته وحضر الى جمهورية المانيا الاتحادية بعد اثني عشر عاما. وقام بتأسيس مكتب محلي تابع لمنظمة فتح، ودرس في جامعة فرانكفورت وذهب الى مصر عام ١٩٦٤، ليمضي فترة زمنية يعمل كهمزة وصل بين منظمة التحرير، وبين الزعيم المصري عبد الناصر. وفيما بعد، وفي لبنان تم ترقيته الى اللجنة المركزية لمنظمة فتح واصبح عام ١٩٧٧ رئيساً «لاتحاد الأمن». وكان عمله مع منظمة فتح مطابقا لذلك الدور الذي كان يقوم به ابو اياد في منظمة التحرير الفلسطينية. فيما عدا ذلك فقد كان يعتبر كمنافس لعلي حسن سلامة.

غادر الزائران القادمان من ڤيسبادن، وهما نائب الرئيس الدكتورت جنيتر ارمش ومدير ادارة الارهاب، جينتر شايشر العاصمة اللبنانية ولديهما شعور طيب. لقد استطاعا ان يجعلا رجال عرفات ان يفهموا، ان اريكا تشامبرز قد ماتت بالنسبة لحماية النظام وبالنسبة لادارة الاجرام الاتحادية، وفي نفس الوقت فإنهما يسعيان بدأب لقيام تعاون امني مشترك. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية - من الناحية الفعلية على اقل تقدير - ترغب في الدخول في هدنة لوقف القتال مع جمهورية المانيا الاتحادية وان تقوم ادارة الجريمة الاتحادية B.K.Aبمساندة تعقب الارهابيين الالمان. وكان من اهتمامات منظمة التحرير الفلسطينية الحصول على الاعتراف الدولي. ومن ثم قامت الحكومة برئاسة المستشار الاتحادي هيلموت شميدت بدراسة العلاقات الشاملة مع منظمة التحرير. وللتسهيل تلقى تصريح من منظمة التحرير يقول «ان العلاقات الخاصة لجمهورية المانيا الاتحادية واسرائيل ستكون مقبولة لدى اطراف المحادثات» (دكتور جينتر ارميش).

لم يشك احد في ذلك الحين، من الذي سيتتبع اللعبة المزدوجة، ودفعة واحدة بعد زيارة موظفا الشرطة الكبيران ستتم مراقبة روابط المانيا الاتحادية فيما يتعلق بجمهورية المانيا الديمقراطية. وفي احد الأنباء الشاملة لوزارة الداخلية، من خلال ثمانية أمثلة يمكن الحصول عليها من الوزير اريك ميلكه ومعاونه انه في منتصف شهر مارس عام ١٩٧٩ قدمت الادارة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية عرضاً في مذكرة الى سفير المانيا الديمقراطية في بيروت، للتفاوض على تنفيذ نهج تدريب تثقيفي لكادرات شرطة منظمة التحرير الفلسطينية. وخلال محادثات سفير جمهورية المانيا الديمقراطية في لبنان والتي بدأت في بيروت في شهر ابريل ١٩٧٩ مع عرفات طالب بدعم المشكلات الأمنية، خصوصا في مجالات تدريبات الجيش والأمن والشرطة.

واكثر من هذا: وبالمثل في بداية شهر ابريل ١٩٧٩، توجه عضو اتحاد امن منظمة التحرير الفلسطينية، ابو هشام، يطلب الى سفير جمهورية المانيا الديمقراطية في لبنان، بالمشاركة في مشاورات رسمية مع MFS و«أمن منظمة التحرير الفلسطينية» لتنظيم عمل مشترك فعال. وقد اراد ابو هشام الحصول على معلومات عن المصالح الأميركية والاسرائيلية في اوروبا الغربية من جمهورية المانيا الاتحادية. كما طالب بمساعدة المخابرات لتمكين كادرات منظمة التحرير الفلسطينية من العبور. كما طالب احدهم

المساعدة في تحقيق بعض المهام الخاصة. ورغم هذا كان لزاماً على جمهورية المانيا الديمقراطية ان تختار ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدراسة الأفرع التالية التدريب على استخدام الأسلحة اليدوية، تدريب افراد الإبادة، تنظيم العمليات الخاصة.

وكانت الرغبة الأخرى لمنظمة التحرير الفلسطينية المساعدة في عدم ايجاد تجهيزات فنية والكترونية، الاعداد لأماكن السلاح اليدوي وفرق الابادة والمساعدة في تسهيل العمل في اوروبا الغربية. وقد تلى ذلك بيان مشترك. صرح ابو هشام، في رسالة لأحد اعضاء اللجنة المركزية التابعة لمنظمة فتح، بعدم التعامل مع ابو اياد، إلا بموافقة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية عرفات. وفوق هذا وطبقاً للأسس السياسية فإن عرفات سيكون ممثلا لمنظمة التحرير الفلسطينية في جمهورية المانيا الاتحادية بخلاف هذا التعاون المشترك.

وفي شهر يونيو ١٩٧٩ توصلوا الى اتفاق حول التعاون الأمني.

وفي أحد التقارير للإدارة الرئيسية «أ»، الادارة ٣، فقد تم تدوين اقوال الوزير ميلكه. ان «الوزير المشارك... قال انه من وجهة نظره فإن جوهر الدعم والى حد كبير يتماثل مع امكانياتنا. إنه يؤكد الاستعداد لاستخدام السفن لشحن المواد الناسفة والقنابل اليدوية بالكميات المطلوبة وفوق ذلك يلي تسليم نوعية من أسلحة الدفاع القوية صناعة غربية مع ذخيرتها والالتماس الآخر، خاص بمجال التكنيك الفني الفعال، تجهيز المواد شديدة الانفجار وتدريب الكادرات، وهذا يتماثل مع امكانياتنا المناسبة. أما المواقع، التي لا تتوافر في جمهورية المانيا الديمقراطية الى آخره... بالامكان تدبيرها هنا ـ كما تم الاتفاق على تلك الاستعدادات ـ من ناحيتنا أما عن الكيفية فإن الاستعدادات ستكون وفقاً للإتفاق المتبادل لما جاء في وعدنا» وهكذا تكون لغة المتعاطفين.

(٢)
روما مرة أخرى

وبالعودة الى شهر مارس ١٩٧٩ في ذلك الوقت قوي الشك لدى جمهورية المانيا الاتحادية، بأن الاسرائيليين وراء مسألة اريكا تشامبرز وانهم بكثير من الجهد وضعوا علامة زائفة «حولنا لكي نضع القيود امام مسار منظمة التحرير الفلسطينية». ويؤكد الدكتور هورست هرولد رئيس ادارة الجريمة الاتحادية ذلك تماما وطالب وزير الداخلية في ذلك الحين جيرارت باوم بالتكليف بعمل تقصي للحقائق. وقد أشار إلى الفقرة ٦ بند ٢ من لائحة قانون العقوبات: «ان قانون العقوبات الألماني يؤكد انه مستقل عن القانون الجنائي، للأعمال التالية، والتي ترتكب في الخارج.. الطاقة النووية: المواد الناسفة».. وبالاضافة الى ذلك وبطبيعة الحال ينتشر الشك بشأن التمهيد للعمل الاجرامي في جمهورية المانيا الاتحادية.

بعد هذا فإن اريكا تشامبرز لم تكن تتعامل بغيرة وعاطفة المحبين، بل عن طريق ذراع اسرائيل الطويلة، ولذلك فإن فرصة القبض عليها، تشبه من يقبض على شيء لا وجود له. بالاضافة الى هذا وبصورة صعبة حدثت العلاقات الخاصة بين المانيا واسرائيل، حيث كان كل طلب اسرائيل من الجانب الألماني يعيد وبسرعة الى الذاكرة

احزان الابادة الجماعية. والأساس الثالث لتقويض التقصي بشأن اريكا تشامبرز قدمته منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها بنهجها حربها الرابعة عشر، والذي ارسلته مباشرة بعد مباحثات السلام مع ادارة الاجرام الاتحادية ضد المانيا في البداية.

وفي الوقت الذي كان فيه المدعي العام في كولونيا يسرع مثابراً في نقص الحقائق حول «الشكوك في المشاركة في احدى جرائم المتفجرات» (رقم الاحالة ١٢١ سنة قضائية ٧٩/٣٢) ضد عميلة الموساد، تقابل ابو الطيب وخمسة فلسطينيين اخرين يوم ٢٠ ابريل ١٩٧٩ في برلين الشرقية. وقد كان في متاعهم شنطة مملوءة بالحلوى العربية. وكانوا ينقلون في شنطتين بجانب الفستق واربعة عشر رغيفا وجد ١١,٨١ كيلوغراما من المواد الناسفة ـ خليط من «النيتروجلسرين نيتروتسيلولوز» ـ ويقوم الفدائيون بتوزيع المواد الخطرة بالتساوي في القطاع الغربي من المدينة. ولو كان رجال الدولة في برلين قد سبق تحذيرهم، لكانوا وجدوا المادة المتفجرة اولا عند الهجوم الثاني، في احد صناديق البريد عند محطة سكك حديد حديقة الحيوان.

وفي يوم ٢٤ ابريل تتبعت شرطة برلين اربعة من الفدائيين الى احد معسكرات دفع المواد القذائف في شتجليتس والقوا القبض عليهم هناك. وبالنسبة للفلسطينيين الثلاثة الآخرين فقد وقعوا في يد الشرطة في الصباح الباكر ليوم ٢٦ ابريل في موابيت روشتكر شتراسه. بعد يوم طويل من المراقبة أمسك موظفو ادارة الاجرام السيارة المرسيدس الحمراء، والتي جلس فيها باقي فرقة ابو الطيب. وقد عرف هدفهم، اصطياد خزان الوقود التابع لشركة ماباناف في برلين ـ لانكفيتس في الجو وكذلك الهجوم على احدى طائرات شركة العال في فرانكفورت. وكدعامة للأمن استطاع المستجوب ان يعرف ان الفدائيين كانوا يخططون ايضا للقيام بهجوم ضد رئيس المعبد اليهودي، هايفتس جالينسكي.

وكان عدد الكوماندوز في برلين ثمانية افراد. وكان اثنان منهم يعيشان وحتى هذه اللحظة منذ سنتين في المدينة المقسمة. وكان مرخصاً للشاب حسن الحارثي البالغ من العمر ٢٧ عاما للعمل بإحدى رياض الأطفال والفلسطيني الثاني واسمه الأول ابراهيم كان متزوجاً من المدعوة هانس الألمانية الجنسية. والآن فإن القائد ابو الطيب، والذي يحظى بحماية أمن الدولة، وفي الغالب كان محتجزا في المنطقة الشرقية، فقد فر من اجراءات القبض عليه. وقد وجدت صوره لدى إدارة حفظ النظام في برلين، تشير إلى المكان الذي يقف عنده خليفة سلامة. وخلال عملية مراقبة المجموعة الفدائية ومن على بعد كبير ـ من هنا الى حائط برلين ـ تم التقاط صور لهم.

هذا وقد تم تهريب مجموعة برلين بواسطة حسن الحارثي. ويقول عبد الله فرانجي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية: «لقد كان هذا الرجل يهودي لبناني وأحد عملاء اسرائيل. وخلال احد الاجتماعات في برلين عام ١٩٧٨ اراد ان يرديني قتيلاً. وفي ذلك الحين قام رجالنا بنزع سلاحه». ان دور الحارثي المتقلب يوم ١٠ مايو ١٩٧٩، اثناء الاجتماع ضد كوماندوز منظمة فتح كان واضحاً في توجيه الاتهام الى مناصريه، واعفائه من السجن وتسليمه جواز سفره وتعديه ـ رغم الالتزام بالتسجيل ـ ويختفي من برلين دون ان يترك أثراً. ومن عملية برلين يتجدد المعنى: فبعد ان ادين الحارثي ذات مرة في بيروت قيل بأنه جاسوس اسرائيلي. وكما قيل فإن أمه وأخيه. مواطنان اسرائيليان.

وقد جاء في المجلة الاسبوعية دي تسايت وبعد نصف عام نغمة تهكمية: «في كثير من الأحيان كان يشار، ان حسن الحارثي اعترف بالكامل قبل دخوله برلين في شهر ابريل عند طلب التعويض البنكي بأنه قد تم غرس فرقة تابعة للموساد بدرجة كبيرة».

ويعتبر الحارثي رجل اسرائيل العبقري، المغروس في المانيا الاتحادية، او انه بالضبط عميل عبقري استفزازي من تل ابيب، ام انه فقط يبحث عن المأزق على حدة؟ وفي كلتا الحالتين توجد الحقيقة، والتي لا يتجاوب معها الاسرائيليون في حينه، للتمهيد للتوافق الظاهري بين الألمان والفلسطينيين وفريق التحريات السري لأحداث قلق لاريكا تشامبرز.

فيما عدا ذلك فقد وجد عام ١٩٩١ في جريدة ستازي، ان اجراءات ذلك الحين كانت تفوق وصف رؤية الجزء الشرقي. كما ان المعلومات السرية للادارة XXII بتاريخ ٢١ مايو ١٩٩١ (سرية للغاية) تفيد بكل تأكيد ان رجل عرفات في يومه، عبد الله فرنجي، كان على علم بأخبار الدسيسة التي كانت على وشك الوقوع بوقت مبكر، وبكل وضوح فقد تبين دور ابو الطيب، والتفكير في توقفه في برلين الغربية.

وقد كتب وزير أمن الدولة بالحرف: قبل التحقق من الهجوم بالمواد الناسفة والذي سبق التخطيط له كان رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، وعن طريق ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في جمهورية المانيا الاتحادية، عبد الله فرنجي، على علم بترتيباتها. وهكذا وقبل القبض على الفلسطينيين السبعة المكلفين بانجاز المهمة تسلم فرنجي الرد من عرفات، والذي جاء فيه ما يلي: ان القوة (١٧) خططت للعملية دون علم منظمة فتح، لذا يرجى بسرعة رجوع ابو الطيب الى بيروت لتقديم تقارير تفصيلية عن أعماله، وإدانة جميع الأعمال في برلين الغربية.

علاوة على هذا فإن المجموعة الثانية تجاهلت الموساد معلوماتها السرية. وهنا تعاملت مع الرجال الستة، والذين يتلقون الأوامر من أبي وليد العراقي، رئيس قسم الجوازات بمنظمة فتح، للقيام بضربتهم. لقد تلقى المزود المتكلف الأناقة التكليف بمهمته مباشرة من ابي اياد. ومن ثم غادر بيروت وستة من شركائه المتواطئين معه ومعهم عشرين جواز سفر ورخص قيادة ايرانية، وفرنسية وقبرصية. والدليل المثير يرجع الى احد الجوازات والتي تنتمي الى نفس المسلسل الخاص بثريا انصاري المختطفة لطائرة لوفتهانزا والأوراق المستخدمة في عملية مقديشو. والدليل على ان منظمة فتح حظيت بمساعدة ضئيلة.

هبط فريق الكوماندوز في روما واستقروا في فندق «ميدتشي». وهناك استبدل الرجال جوازات سفرهم. وقام ابو وليد (الاسم المدون في جواز السفر مالم سيجان) بإصدار التعليمات لرجاله. ومع ابو رعد (محمد حماد)، وعبد الرحمن باشكار ورياض خاليج سافروا إلى فيينا وهناك استلموا خمسين كيلوغراماً من المواد الناسفة، وبأربعين كيلوغراما اتجه سيجان وحماد إلى المانيا في تمام الساعة الثامنة. وظل باشكار وخاليج في العاصمة النمساوية وانتظرا هناك ومعهما العشرة كيلوغرامات المتبقية كاحتياطي استراتيجي لأية تطورات اخرى. اما الرجل الخامس والسادس، محمد يوسف واسماعيل البابا، فقد طارا دون سلاح او مواد ناسفة من روما الى امستردام. وعندما غادر الفلسطينيون الستة روما، علمت الموساد بالأنباء في حينه، وبعد ساعات علمت

مخابرات المانيا الاتحادية.

وصل ابو وليد وابو رعد حدود بفاريا يوم ٢٦ ابريل عبر ممر باساو ـ اخلايتن. وفي هذه اللحظة كانوا في انتظارهما. وانتهى اول تفتيش مستهدف لسياراتهما دون الوصول الى نتيجة. وفي النهاية اكتشف رجال الشرطة أربعين كيلوغراماً من المواد الناسفة واحد عشر جواز سفر. وتم اكتشاف المستندات داخل احد أجهزة اللاسلكي. ورغم السرور بالنجاح شعرت سلطات الأمن الالمانية بالازعاج. وفي النهاية تم ابطال مفعول المواد الناسفة وفي احدى اللحظات لم يعرف احد، ان المواد الخطرة ما زالت متواجدة في فيينا. بجانب هذا فإن كافة جوازات سفر اعضاء الجماعة التي كانت امامهم يمكن للفلسطينيين الآخرين الاستيلاء عليها. وفي يوم ٢٩ ابريل اقترب الاثنان المدعو ابي يوسف والبابا على الحدود الهولندية ـ الألمانية بإحدى شباك الشرطة وقد قبض على الأثنين عند ممر الثن.

وفي ذات الوقت قبض على ابي داود، وهو من اهم المشاركين في منظمة ايلول الأسود، في عملية الهجوم على الأولمبياد، في موقعة برلين الشرقية. وكان صديق الشهيد ابو حسن قد وصل يوم ٢٧ ابريل وظل هناك حتى اول مايو. وقد تعرفت عليه الادارة XXII لأمن الدولة رغم الاسم المزيف الذي يحمله «منصور القوقلي». وقد لاحظ خبراء الارهاب في ادارة العمال والفلاحين ومن إحدى المعلومات السرية، ان ابا داود خلال ذلك الوقت كان ليشارك بنشاط في التخطيط والاستعداد للقيام بأعمال ارهابية في جمهورية المانيا الاتحادية. وقد تقابل منظمو المخطط في هامبورج، وقد ألقت أجهزة الشرطة في جمهورية المانيا الاتحادية القبض على اربعة فلسطينيين في شهر ابريل ١٩٧٩ وقت ان كانوا يجهزون لعملهم.

ومرة اخرى ظهر اسم معروف: «وأيضا خلال الاقامة الأخيرة لأبي داود في جمهورية المانيا الديمقراطية كان يعمل في وضوح للتخطيط لعمل جديد. وكان يعمل في نطاق ضيق مع امين الهندي..» وخلال اسابيع قليلة مضت، تفاوض ممثل منظمة التحرير الفلسطينية هذا مع زوار من ادارة الجريمة الاتحادية. وفي ذلك الحين اتفق معهم للبحث عن ابا داود والمطلوب في جميع انحاء جمهورية المانيا الاتحادية. وكان في ذلك الوقت يحمل جواز سفر مغربي مزور ويطلق على نفسه اسم محمد غلاب.

وحيث انه تم التعرف على ما كان ينوي ان يندفع اليه المقاتلون الاربعة كان الثنائي المتواجد في فيينا في حالة هياج شديد. واتصل باشكار وخاليج بأبي اياد في بيروت وسألاه عما يفعلان وما هو الوضع بالنسبة للعشرة كيلوغرامات من المواد الناسفة المتبقية. وقد أمرهما ابو اياد وهو في حالة اكتئاب بالرجوع المنظم. وهكذا قام رجلاه بإيداع المواد المتفجرة لدى ممثلين في منظمة التحرير الفلسطينية، وحصلا على جوازي سفر جديدين وعادا الى بيروت.

ولقد تم إلقاء القبض على ابي وليد وشريكه في جمهورية المانيا الاتحادية وقد قررا حتى النهاية، انهما لا ينويان اصطياد اي هدف الماني في الجو. لكن الموضوع يتعلق بإحدى السفن الاسرائيلية في ميناء هامبورغ. ورغم هذا فقد اقتنعوا في ادارة الجريمة الاتحادية، ان الفلسطينيين يريدان الهجوم على معمل تكرير انجولشتات وناقلة البترول في هامبورغ انتقاما لمصرع علي حسن سلامة. وقد أحضر الفدائيان القاسيان ـ

ابو وليد وابو رعد تحت حراسة مشددة من شتراوبنج، والاثنان الآخران الى شتادلهايم - ميونيخ. وفيما بعد نقل اثنان الى امبرج وعلى التوالي لاندسبرج. وفي احد خطاباته الى زوجته امتدح رئيس الكوماندوز ابو وليد العقاب الشديد لسجن شتراوبنج: «ان الزنزانة، التي يعيش فيها، تذكره بذلك الفندق الصغير، الذي سكنا فيه خلال رحلة شهر العسل».

وفي ذلك الحين ظهرت اول مشكلة فنية. ففي كل مرة لم يكن لدى سلطات الأمن الألمانية مترجماً أو مستجوباً، يعرف بالتدقيق ادغال الشرق الأوسط. ومع وجهة النظر تلك لم يتعلم احد من خبراء ميونيخ. وبالتأكيد كان لا بد من تكوين الفرقة GC-G9 المضادة لفرق الارهاب، حيث في حالة الاحتياج يمكنهم الهجوم المنظم - راجع مقديشيو - ورغم ذلك كانوا يفتقرون ألى الباحث الواسع الحيلة. وفوق هذا ليس هناك من أحد يعلم ما بين منظمة فتح التابعة لعرفات والقيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة احمد جبريل والجبهة الشعبية برئاسة طبيب الأطفال جورج حبش وذلك من أجل تحقيق النظام. وحيث ان ذلك لن يساعد في أي شيء، لذلك قامت BND في منتصف عام ١٩٧٨ بتكوين ادارتها الخاصة المضادة للارهاب. وفقط في عام ١٩٧٩ كان لزاماً وعن طريق المسار المنطقي للألمان ان تكون هناك حقيقة جديدة من التوصل الى مسرح القتال الشرق أوسطي.

وبهذه الكيفية تمكنت BND وادارة الجرائم المحلية ببفاريا من التعاون مع الموساد. وأدى ذلك الى فضيحة كبرى. فقد طلب العملاء الاسرائيليون المتحدثين باللغة العربية السماح لهم بزيارة رجال منظمة فتح في السجن للاستفسار عن سبب سجنهم. وقد استشعر الفدائيون الثمانية ذلك. تقوم الموساد بالتحقيق، وانهاء المضبطة ويخبروا موظفي ادارة الاجرام ببفاريا بما حصلت عليه المخابرات الاسرائيلية ومدى أهميته.

وجاء في جريدة تسايت Ziet اكثر من ذلك: «لم يعرف اي موظف في ادارة الجريمة المحلية بميونيخ السبب هذه الأيام اذا ما كانت المنظمة الاسرائيلية لمساعدة الموساد للتفاوض مع الفدائيين ستعاد مضبوطة ام لا». الرئيس، وزير الداخلية جيرولد تاندلر، المجهد: «ان رجالنا غير متمرسين على كلام الشرقيين». وقد حدث ما هو طيب في الاجتماع العربي - الاسرائيلي، حيث اتجه أبو وليد في مايو ١٩٧٩ إلى أن يفضي بمكنون قلب، وكذلك أبو رعد الذي أكد أن المادة الناسفة تخصه هو فقط.

(٣)
المانيا تتفق مع منظمة التحرير

إن عملية شتراوبنج افرزت نتائج خطيرة منذ بدايتها. وقد قال احد الفدائيين الاربعة، انه قد تقابل مع صديقه عرضاً في روما وسافرا سوياً فيما بعد. واقر الثاني وهو يحمل الجنسية الفرنسية في ذلك الحين، انه كان يقوم برحلة عمل تجاري، واضاف انه لم يكن يعلم شيئاً عن المادة الناسفة. وأكد الثالث، انه كان قد اشترى سيارة وكان يرغب في إحضارها إلى بيروت. وواحد منهم فقط أشار بأنه فلسطيني ومن المحاربين في سبيل التحرير. وآخر رفض تنفيذ أوامر منظمته حتى لا يعرض حياته للخطر.

هذا وقد أعلنت المحكمة المحلية في باساو حكمها يوم ٢٠ يوليو ١٩٧٩ بالحكم على ابو وليد وابو رعد سنتين ونصف في أحد السجون الألمانية بسبب اخفائهم المواد الناسفة، والآخران ـ بسبب الاجراءات الوحيدة في جواز السفر ـ صدر الحكم بحبسهما اربعة أشهر. وقد تلاءم ذلك تقريبا مع الحبس الاحتياطي.

وفي هذا الوقت بدأوا يفكرون تفكيراً عميقاً داخل منظمة فتح عن وسائل الضغط التي يمكن ممارستها على الحكومة الألمانية لاطلاق سراح المساجين. وفي تلك اللحظة لم يتحدث أحد كثيراً عن اريكا تشامبرز ورغم هذا لم يغامر احد في ان يقول، ما الذي يدور حوله تفكير الجميع: «استعداد فرق الكوماندوز المجتمعة للتأهب للبحث عن اريكا تشامبرز الألمانية».

وفي هذه الحالة قرر اصدقاء ابو وليد وابو رعد اختطاف طائرة تابعة لشركة KLM وهي في طريقها من بيروت الى امستردام. اضافة الى هذا فإنهم ينوون القبض على مدير شركة KLM كرهينة. وبعد فترة قصيرة استبعد هذا العمل، حيث كان يشاهد ممثل شركة KLM مع رجال الأمن اللبنانيين. واضافة الى هذا، فإن منظمة فتح وإزاء مشكلتها الألمانية لن تدخل في صراع آخر مع اللبنانيين.

وهكذا ومرة اخرى عادوا الى المشكلة الالمانية: ففي ٧ اغسطس صباحاً في تمام الساعة التاسعة، انفجرت قنبلة في سفارة المانيا الاتحادية في بيروت. وفي يوم ٢٠ اغسطس تم ابعاد يوسف واسماعيل البابا من سجن بفاريا الى بيروت. وتذكر ابو الهول وغيره من قادة منظمة فتح ان ادارة الاجرام الاتحادية من خلال المحادثة الودية في شهر مارس تم عرض رفع درجة التمثيل الى سفارة. وفي يوم ٢٤ اغسطس وقع انفجار قنبلة ثانية، وهذه المرة أمام مكتب شركة لوفتهانزا في منطقة الحمراء. وقد أعلنت منظمة غير معروفة أطلقت على نفسها اسم منظمة شباب الثأر الفلسطينية مسؤوليتها وطالبت بسرعة الافراج عن جميع المساجين في السجون الألمانية. وفيما بعد تبين حماية منظمة التحرير الفلسطينية للمؤسسات الألمانية لم يكن سوى وهم. فلقد كان المحامي على معرفة بهوية الخاطفين.

وحيث ان واحداً من المساجين في سجن شتراوبنج، والمطلوب حصر الخطابات والرسائل المرسلة منه والى أصدقائه في الوطن، طالب بإرسالها فوراً، ورغم هذا فإنه بالنسبة لوضع قنابل في كل الأقاليم الاتحادية ثارت ادارة الجريمة الاتحادية وقامت بالاتصال مع ابو الهول مرة اخرى. وفي يوم ١٧ اكتوبر حضر الى فيسبادن ومعه ممثل آخر لمنظمة التحرير الفلسطينية وتقابلا مع هورست هيرولد. وبعد يومين سافرا الى شراوبنج. وفي نهاية المباحثات قال المسجونون انه تم اخذهم تحت الحراسة ليتقابلوا مع خبراء استماع غلاظ ممن يجيدون التحدث بالعبرية ويدخنون بجنون السجائر الاسرائيلية. وفيما بعد ذلك تم شدهم على آلة التعذيب بمساعدة أحد علماء النفس. وفي مقابل ذلك ذكر عبد الله فرنجي لمجلة ديرشبيجل: «عندما يستأثر الاسرائيليون بعملهم في جمهورية المانيا الاتحادية فإنه يكون من حقنا ايضا، ان نستخدم الأراضي الألمانية لأعمالنا».

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية جادة ومتحمسة لمعرفة الموقف. وفوق ذلك كان هنالك الكثير من الأضرار التي لا بد من منعها وتجنبها وهو بأن يفضي أحد السجناء

بمكنون صدره مما يعتبر كضحية وخاصة اذا كان الأضعف، الذي يعرف القليل وهو ما لا بد وأن يتم التفكير فيه. وفي اليوم التالي من المباحثات في شتراوبنج توفي محمد يوسف. وقد أذاعت منظمة التحرير الفلسطينية انه انتحر وقدمت فيما بعد شهادة طبية. وبعد ذلك عرف أن الرجل اصيب بثمانية عشر طلقة نارية من مدفع كلاشينكوف.

وفي حديث مع رسائل الاعلام الألمانية ذكر ابو اياد احدى قصص المغامرات، والتي لم تغفل الحكومة الاتحادية نتائجها. وعلى وجه الخصوص فقد أعادت جريدة تسايت نشرها بالتفصيل..

أولا: بخلاف هذا فقد عرض مترجم الموساد الاسرائيلي علي يوسف في المانيا صوراً لأقاربه في الضفة الغربية وفي بيروت، والقبض على بقية اسرته في الأراضي المحتلة بسبب حالة العوز التي يمرون بها. وقد ذكر أبو أياد ثلاث مرات، ان يوسف في حالة يأس وطني وهو في الغالب تقريباً قتل نفسه، وكما سبق قرر الاستسلام لمخطط الاسرائيليين.

ثانيا: علاوة على ذلك ومرة اخرى ذكر ابو اياد قصة عن أحد الكفلاء، والذي ساوم علانية قاتل ضحيته. وقال ابو اياد. لقد قلت انه ربما كان في حاجة الى مساعدة سيكولوجية او ذريعة ما، لكي يكون لديه الاحساس بأن أسرته تعيش في أمان. وقد قلت ليوسف: يمكنك الذهاب الى سيارتي مع اثنين من الرجال وتندفع من الباب. ومع ذلك فقد قال يوسف: كلا، كلا، لن يحدث ذلك. انني مقتنع ان هذا الرجل ليس طبيعيا لأنه يلفق القصص.

ثالثا: في يوم ١٨ اكتوبر ١٩٧٩ يتحتم ان يتواجد يوسف نهائيا في بيروت ومعه مدفع عاصفة طراز كلاشينكوف لينتحر به اذا ما تعرض للشك: غريب ان يقال هذا في حضور سبعة من الاصدقاء الفلسطينيين، وفي مذكرة النص قال ابو اياد: «ان اسمه الحقيقي عادل حافظ عايد. وحتى الآن لا توجد صورة لجثته».

وفي بيان صحفي لمنظمة فتح يوم ٢٠ اكتوبر جاء «ان الموظفين الألمان» وليس فقط الاسرائيليين قاموا بتعذيب يوسف على المشد. لقد كان محارب العصابات الحساس يتخذ طريق العودة بسبب بعض المواقف التي توقع الكآبة في النفس في أحد المستشفيات. وبعد زيارة قام بها ابو اياد وباعترافه فإنه قد قتل نفسه بأحد المسدسات وهكذا لم تستطع ادارة الرعاية للفلسطيين التوفيق في واحد من كل التضمينات المناسبة والمقبولة.

ان تلك المآسي الخيالية تقتل الروح في اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية وقد قال ان المدير الأسبق للإدارة العليا لاتقاء الأثر في برلين الشرقية، رئيس الجاسوسية الأسطوري ماركوس تولف في حديث مع مجلة نيوزويك في شهر نوفمبر ١٩٩١ لأحد الاحداث: «في احدى الواقعات في أواخر السبعينات، حيث كانت تقوم المخابرات الألمانية الاتحادية بمساعدة الموساد للقبض على الفلسطينيين في المانيا الغربية، كان ينبغي عليهم محاولة قتل القادة السياسيين لمنظمة التحرير الفلسطينية او استزلام رجال الأمن. وقد عرف في ذلك الحين، ان مثل تلك المحاولات هي ضد رئيس الأمن بمنظمة التحرير الفلسطينية المعروف باسم ابو اياد، الذي كان شريكا لنا في برلين».

وكان الاحتمال الأساسي، هو ان عضو منظمة التحرير الفلسطينية محمد يوسف قد

تآمر باحداث عمليات قسرية في بون. ومن ثم شعرت جمهورية المانيا الاتحادية بالتهديد ـ بسبب موت الفلسطيني ـ والخوف من الصورة السلبية الدولية التي ظهرت لتنجز الحساب. ان الفدائيين الرئيسيين المهمين، ابو وليد وابو رعد جلسا سوياً في يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٩ مع عبد الله فرنجي وثلاثة من موظفي ادارة الاجرام الاتحادية في احدى الطائرات التي كانت متجهة من ميونيخ الى دمشق. ولم يصدق المسافرون الآخرون عيونهم عندما حصل مضيفو طائرة اللوفتهانزا على التوقيعات الشخصية للفلسطينيين. وفي دمشق اتى رجال المطار وسحبوا القنابل من مواضعها في مهبط الطائرات وأعادوا الأمن.

فضلاً عن هذا كان لا بد من تقديم مرتكبي احداث برلين الى قاعة محكمة الجنايات الكبرى في الفترة من ١٠ نوفمبر الى يوم ٢٠ منه في مدينة موابت لاستجوابهم وقد استمر سماع الشهود تقريبا فترة شهر وفي يوم ٢٤ أبريل اغلق الحكم: الحكم بالسجن لمدة تتراوح بين عامين ونصف الى ثلاثة أعوام ونصف. وقد توصلت القاضية الى قرار عجيب أن هجوم المدعي عليهما مستقل عن مخططات منظمة التحرير الفلسطينية وقالت ان لديهما مفهوماً ما مخطئاً بالشعور القومي». وفي شهر نوفمبر ١٩٨٠ تم ترحيل الفدائيين الى لبنان. وهذه هي الوراثة الألمانية.

وفي هذا الوقت كان هنالك استعداد للدخول وسط احدى المراحل، والتي استمرت ما يقرب من خمسة عشر شهراً حيث كتب هورست هيرولد معبراً عن وجهة نظره لصيغة اخرى «مبادرة ايديولوجية مستقلة ضد الارهاب». وكانت كما يلي: «ان ادارة الاجرام الاتحادية أرادت الاقتراب من المتطرفين من قوات الجيش الأحمر، والذين يعتقد انهم في مكان ما في الشرق الأوسط». والأربعة هم بريجيت مونهاويت، ورولف كليمنس كاجنر وزيجلتد هوفمان وبيتر يووك. وكانت منظمة التحرير الفلسطينية تريد عودة رجالها وخاصة ابو وليد وابو رعد. ورغم هذا فقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقوم بإرسال التجهيزات الفنية، وتدفع ثمن الغذاء، وتمدهما بالهدايا.

وقد شاركت ادارة الاجرام الاتحادية لمدة عام في تلك الحلقات الشرقية، وكما لوحظ في النهاية في فيسبادن، حيث تم رسم الدوائر على المائدة في ذلك الحين. وقد تم اخطار الجانب الألماني بما يسمى بالتعاون الأمني، وظل التعاون قائماً، وبذلك كانت العمليات الارهابية محدودة على الأراضي الألمانية لفترة طويلة.

الفصل الثالث عشر

(١)
قتلى لارنكا

عندما شاهد ابو عبيدة تلك السيدة ذات الشعر القصير غير المقصوص بعناية، وذات البشرة التي تميل الى اللون الأسمر بفعل اشعة الشمس، وذات الجسم الممتلىء، والطول المتوسط، تذكر انه كان قد رآها من قبل، في بيروت، انها اريكا تشامبرز. التي يبحث عنها الجميع والتي قتلت من قبل ابو حسن سلامة.

كانت تتصرف كبلهاء، تجري من خلفها القطط والكلاب التي تطعمها. ساعتها أبلغ أبو الطيب قائد القوة الخاصة «الفرقة ١٧»، وذلك في شهر سبتمبر ١٩٨٥، والمكان كان لارنكا بقبرص. ولقد مرت ست سنوات و(الفرقة ١٧) تطارف اريكا ولا تجدها. . وها هي معلومات جديدة يقدمها أحد رجالهم.

لقد حدث الكثير خلال تلك السنوات المثيرة، وكان معظمها ضد منظمة التحرير الفلسطينية. ففي عام ١٩٨٠ تقدمت آلات الحرب الاسرائيلية خمس مرات في الجنوب اللبناني، وهاجمت النقاط الأمنية للفلسطينيين وضربتها بلا هوادة، ومنها يعاودون هجومهم من داخل الدولة اليهودية. وما ان أطلق متطوعو عرفات عام ١٩٨١ العديد من الصواريخ على مناطق شمال اسرائيل، حتى قامت اسرائيل بالرد. وقام السلاح الجوي بدوريات هجومية ضد بيروت، وهي هدف رئيسي لمركز منظمة التحرير الفلسطيني في منطقة الفاكهاني والدامور والنبطية. وقد راح ضحية تلك الغارات ٥٠٣ من الفلسطينيين واللبنانيين المدنيين.

وفي ابريل ١٩٨٢ تم اغتيال أحد الدبلوماسيين الاسرائيليين في باريس على أيدي الفدائيين اللبنانيين. وخلال الجنازة قال اسحاق شامير وزير خارجية اسرائيل في ذلك الحين: «ستدمر تلك المنطقة الارهابية، ورؤسائها وقائدها، ومقرها الرئيسي ونقاطها الأمنية ـ وحيثما وجدوا على الدوام». وفي شهر يونيو قامت فرقة من الكوماندوز التابعة لأبي الهول بقيادة كارلوس بمهاجمة السفير الاسرائيلي في لندن، شلومو ارجوف، واصابته بجراح خطيرة. وهذا اعطى مناحم بيغن ووزير حربه آريل شارون أمر البدء لحرب عربية ـ اسرائيلية اخرى وهي ما اطلق عليه اسم عملية الجليل.

وقد اعلن شارون يوم ٤ يونيو: «اننا لا نخطط لغزو بيروت ولكننا نريد درء صواريخ ومدفعية منظمة التحرير الفلسطينية، حتى لا يمكنهم الوصول الى مستوطناتنا. اننا نتحدث عن نطاق لمسافة أربعين كيلومتراً. وهذا ما صدق عليه مجلس الوزراء». وعلى كل حال ففي اليوم الرابع للقتال وقف الاسرائيليون عند الطرف الجنوبي لمطار بيروت. وفي اليوم السادس كان قد تم تدمير الطائرات ومعظم مواقع الصواريخ المتواجدة. كما تم غلق غرب بيروت وقامت اربعة عشر فرقة مدفعية اسرائيلية بقصفها بالقنابل طوال الأسبوع. وقد دافع عنها ٨٠٠٠ فدائي وحلفاؤهم اللبنانيون لمدة ٦٩

يوماً، وكان الموقف رائعاً، وفي شهر اغسطس بعد مصرع ما يقرب من ٢٠٠٠٠ - وكانت الأكثرية منهم من المدنيين - خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان «بشرف وكبرياء».

وبعد اثني عشر يوما غادر كل المقاتلين مدينة بيروت ولبنان. وقد وجدوا ملاذاً لهم في الركن البعيد من العالم العربي. ومرة أخرى أقاموا لهم خياماً جديدة. وتركتهم قيادتهم في تونس. وهكذا توالى الانتظار لايجاد حل. ولكن ما زال يعيش في بيروت ٣٠٠٠٠ من اقاربهم. علاوة على ذلك فإنه في شهر سبتمبر ١٩٨٢ وفي مخيمي صبرا وشاتيلا قامت الميليشيات المسيحية بذبح ما يزيد عن الف منهم تحت عين الاسرائيليين التي لم تكن تهتم. ولطبيعة الحال فإنه تحت ضغط شديد من المقاتلين الفلسطينيين، قفلوا عائدين الى دولة الأرز. وفي عام ١٩٨٣ عادوا فرادي وفي مجموعات صغيرة عن طريق البحر. وفي نفس الوقت نجحت قوة المحارب عرفات، بالعودة مرة اخرى الى لبنان، وبدعم المخيمات. ولم يرصد الاسرائيليون ذلك. ولكن بدأوا في فرض الرقابة على الملاحة البحرية بين قبرص، تلك الجزيرة المنفصلة، والقارة.

وقد نجحوا في ان يوقفوا المواجهات ويكتشفوا الفدائيين وفي نفس الوقت تفادوا وقوع هجوم كان محتملاً على الشواطىء. وفي يوم ٢٢ ابريل اغرقت البحرية الاسرائيلية سفينة تجارية، كان يريد ٢٩ فلسطينياً جلبها الى الشواطىء الاسرائيلية - وقد مات ٢١ منهم خلال تبادل لاطلاق النيران في أعالي البحار، وتم القاء القبض على الثمانية الآخرين. وقد اعترفوا، بأن وحدة كوماندوز مكونة من عشرين رجلا ستهاجم قافلة للجيش الاسرائيلي للمبادلة مقابل ١٥٠ من الفلسطينيين المسجونين في اسرائيل.

وفي يوم ٢٤ اغسطس اخذت البحرية الاسرائيلية في التفتيش عن مركب قادم من قبرص ويسمى «كاسل راديس». وهذا القارب يملكه اميركي واسترالي وتخطط «القوة ١٧» الانتقال به الى صيدا. وفي يوم آخر اوقفت البحرية الاسرائيلية على نفس الامتداد يختاً بريطانياً يونانياً، يسمى «جانداي». وعلى سطحه اكتشفوا سبعة عشر عضواً من أفراد «القوة ١٧» ومن بينهم فيصل أبو شعر، ممثل أبو الطيب.

ولقد قرب ذلك التوفيق المتعدد الجوانب الشك في استراتيجية المقر الرئيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس. وعلى هذا فقد اقتنعوا بضرورة زيادة الحرص، وفي هذا المجال تركز بصورة خاصة ومكثفة العمل في قبرص. وهذا ما حدث فقد تعرفت اريكا تشامبرز على وجه ابي عبيدة.

وبالطبع لم يتماسك ابو الطيب، عندما وصلته انباء ظهور عميلة الموساد التي استمر البحث عنها طويلا. وقد تلقى تلك الأنباء من ليلهامر من احسن معارف هراري رسنبدوم. وهذا معناه، انه لم يتخل عن فحص هوية تلك السيدة مرة اخرى، بل اصدر الأوامر وعلى الفور للقيام بالدور المطلوب. وخلال ثلاثة أيام مختلفة أرسل أفراداً من فرق كوماندوز الاعدام من أثينا إلى لارنكا. وتعلق هذا الموضوع بكل من خالد عبد القادر الخطيب البالغ من العمر ٢٨ عاما، وعبد الحكيم الخليفة والبالغ من العمر ٢٩ عاما وهما فلسطينيان من مواليد سوريا وأحد المرتزقة الأوروبيين التابعين لأبي الطيب، والذي تم تجنيده منذ فترة، وهو الانكليزي سكينهيد ابان ماسكل، والذي يبلغ من

العمر ٢٨ عاما.

ثم اصبح دافيسون تابعا لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد مذبحة صبرا وشاتيلا. لقد اراد البحار السابق الأشقر ولاعب الكرة ان يجد الاحساس الدائم في الحياة في القتال ضد اليهود. وقد واتته اول وربما آخر فرصة في احد ايام الاربعاء الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٨٥. لقد كان يوم عيد الغفران (يوم كبور) أكبر الأعياد اليهودية.

في الساعات الأولى من الصباح الباكر، وقبل ان تشرق الشمس، تقابل مع الثالوث المسلح بمدافع كلاشينكوف، والمسدسات والقنابل اليدوية عند مرسي اليخوت في لارنكا. وقد جاء في معلوماته، ان اريكا تشامبرز ورجلين، يعتقد انهما اسرائيليان يتواجدون على ظهر قارب طوله ثلاثة عشر مترا يسمى «لافيرست». وعندما كانت الريح تحرك شراع السفينة اطلقوا النيران على السيدة وتركوا جثتها معلقة على درابزين السفينة. ولم ترفع الجثة من مكانها لمدة تسع ساعات ونصف وهي الفترة التي استمر بها أخذ الرجلين كرهينتين. وقد طالب الفدائيون بالافراج عن الركاب الفلسطينيين العشرين لكل من اليختين «جاندا» و«كاسيل راويس».

وفي نطاق ذلك توالت المفاوضات مع الفدائيين. وقد طالبوا بمقابلة سفيري فرنسا ومصر وكذلك مندوب الصليب الأحمر. وبخلاف ذلك طالبوا اعداد طائرة في مكان ظاهر. وجاء السفير المصري وتحدث مع الفدائيين ثم اعلن انهم لا ينتمون لأي منظمة محددة. ثم ظهر زائران يمثلان مكتب منظمة التحرير الفلسطينية المحلي. وقد اكدا فيما بعد انه ليس لمنظمتهما اي علاقة بما فعله هؤلاء الرجال الثلاثة. «اننا ندين هذه الأعمال على الأرض القبرصية». وهذا هو التكتيك الذي تسير عليه عملية تلو الأخرى كما هو مخطط لها. كما تدخل وزير داخلية قبرص في لعبة شد الحبل حول حياة الاسرائيليين.

وفجأة وبسرعة تامة، حيث كانت الساعة ١٤، صعد رجال ابو الطيب على سطح السفينة وألقوا بأسلحتهم. وبسرعة تم القبض عليهم وقام البوليس القبرصي بترحيلهم. وردا على سؤال لأحد الصحفيين عن الرهينتين اجاب احد الفدائيين: «تجدونهما في السماء». وفوق سطح السفينة وجدت جثتا الملاحين. وبجوارهما المسدس وكاتم الصوت. وفي اول اختبار اعلن دافيسون بقوله: «اتفقنا قبل بداية العملية على اي حال، أن نتحاور لمدة اربع عشرة ساعة. واذا لم يتجاوب احد مع طلبنا، فعندئذ نقتل الرهائن. لقد قتلت الرجل الموجود على الشمال برصاصتين في مؤخرة رأسه. وبعدئذ استعملت المسدس مرة اخرى على الرجل الآخر لكي يموت كل واحد منا ويلقى نفس العقاب».

وفي اليوم التالي كانت للسلطات الاسرائيلية القدرة على العمل مرة اخرى بعدما وضحت هوية الضحية. كانت السيدة تدعى ايستر بالتسور من مواليد ٢ سبتمبر ١٩٣٥ بحيفا. وأحد رفاقها يدعى رولفين ويبلغ من العمر ٥٣ عام وهو زوجها، والشخص الآخر يدعى افراهام افنيري. وهذا الأخير يبلغ من العمر ٥٥ عاماً وهو من سلالة آراد. كان لا بد وان يموتوا، لأن ايستر بالتسور تبادلت شخصيتها مع اريكا تشامبرز. وحتى يومنا هذا والحكومة الاسرائيلية تنكر ان هؤلاء الثلاثة الذين قتلوا في لارنكا كانوا ينتمون الى الموساد بأي شكل من الأشكال.

وقد ظهر تناقض تلو الآخر في احد جرائد السلطة التنفيذية للتحقيقات الحكومية ببرلين. وقد توصلت الادارة الثانية لـ Stasi في نشرة معلوماتها السرية رقم ٨٥/٧٣٣

بتاريخ ١٥ اكتوبر الى القرار بأن المدير العام للمخابرات الاسرائيلية الموساد، وزوجته وزملاؤه في العمل السري لقسم اوروبا في لارنكا قد ماتوا. كما ان منظمي الهجوم، كما ذكرت وثيقة Stasi العجيبة، كانا تواريا في برلين الشرقية خشية ان يراهما احد. ان اسمهما الأخوين محمود وحماد شتا. بخلاف هذا فقد تم الاعلان عن وصول متطرفين آخرين من منظمة التحرير الفلسطينية كما اسرت، «ان الفلسطينيين الأربعة سيتم احضارهم وبسرعة من العاصمة الى برلين الغربية». ان العقدة بين حكومة الحزب الاشتراكي المتحدة S.E.D وعناصر الكوماندوز الشرقي اوسطيين دائما أفضل.

وبعد يومين من حادثة القتل في لارنكا اطلق الرصاص على شاب سوري يدعى مصطفى صبرا يعمل بحارا ويبلغ من العمر ٢٦ عاماً في شارع الميناء القبرصي ليماسول. وقد هرب الجاني غير المعروف، وفي ذلك الحين احتجزه سائق احدى السيارات تحت التهديد بالسلاح، وأخذه معه. وبعد ذلك القى القبرصيون القبض على شاب يبلغ من العمر ٢٧ عاماً وقد علم انه مغربي الجنسية. وقد اعترف بأنه قتل مصطفى صبرا. وقد قال: لقد تقابلت معه في فندق «كونتيننتال» وقلت له هذا هو عقاب شعبي، واطلقت عليه ثلاث رصاصات في رأسه. وقد جاء القاتل من اثينا.

والشيء الغريب تقريبا في هذا العمل وضح لأول مرة، وذلك عندما قرأ أحدهم النشرة رقم ٦٨ لتنظيم فتح بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٨٥. وقد قرر عميل منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الحين ابو عبيدة، انه اول من تعرف على مصطفى صبرا. لقد كان هذا الشخص يتعاون مع الموساد وعرض عليه ان يؤدي له خدمة نقل الفدائيين على اليخت «قبرست» الى لبنان ولكنه ذهب الى اسرائيل. وهنا اصيب ابو عبيدة بالفزع الشديد. وقد ظهر في جريدة منظمة الفتح بالحرف: «منذ استشهد القائد علي حسن سلامة وحتى رؤيته لها على ظهر اليخت، لم ينس الأخ ابو عبيدة سحنة تلك المرأة، لقد كانت تجلس امامه، ولقد تأكد منها. انها التي استخدمت جهاز التحكم عن بعد والسيارة الملغمة، والتي أودت بحياة الشهيد علي حسن سلامة، لتفجيرها لها».

وهذا ما جلب الموت لمصطفى صبرا وقد حكم على قاتله بالسجن مدى الحياة. وقد بدأت الدعوى يوم ٢ ديسمبر ١٩٨٥ واستمرت لمدة ايام. وقد اعترف الثلاثة بفعلتهم وقد استفادوا من فرصة التخطيط الحادث في الأحكام. وكان دانيسون على وجه الخصوص ثرثاراً. وقد جزم هذا الانكليزي بلغة عربية ركيكة: «أنا نفسي اذا حكم علي بالسجن مائة عام، لن أندم على ذلك، لأنني أحمل حريتي في قلبي ووعيي.. إنني لا أنفي اي شيء وسأفعله باكرا.. انني اشعر بالسعادة. إن هذا واجبي كرجل اشتراكي عالمي وكإنسان لديه احساس، بأن احارب الحركة الصهيونية، كلما أمكنني ذلك».

وقد أعلن خالد الخطيب: «لقد قتلنا الاسرائيليين، لأنهم يديرون حلقة تجسس في قبرص ومن أجل رفاقنا الفدائيين المساجين وكذلك من أجل النساء والأطفال الذين قتلوا ولذلك فإننا نتحمل المسؤولية. فضلا عن هذا فقد قتلوا رئيسي الأسبق علي حسن سلامة. وقد ابادوا كل افراد أسرتي. وإنني الوحيد الباقي على الحياة».

وقد اقر عبد الحكيم الخليفة أنه أطلق الرصاص على اليستر بالتسور: اننا نعلم ان قتل امرأة من عمل المجرمين وليس من أعمال الثوريين امثالنا، لكنها كانت عضوا في الموساد وتحمل رتبة عسكرية. ثم خرج ثلاثتهم وهم يرددون شعار منظمة التحرير

الفلسطينية «الثورة حتى النصر». وهم موجودون حتى يومنا هذا في السجن المركزي بـ نيقوسيا ولم يحاول احد ان يفرج عنهم في حين طالبت اسرائيل الحكومة القبرصية بتسليمهم إلا أنها رفضت ولا تزال ترفض حتى اليوم.

الفصل الرابع عشر

١٥ دقيقة في تونس

ـ ١ ـ

كان الوجوم والحيرة هو الانطباع السائد داخل اسرائيل عشية عيد الغفران (يوم كيبور)، نتيجة قتل ثلاثة مواطنين اسرائيليين في لارنكا بقبرص يوم ١٩٨٥/٩/٢٥، وعبر البيان الرسمي الاسرائيلي عن ذلك بقوله ان (الجناة لن يفلتوا من العقاب).

وكان هناك مجموعة عمل من خبراء الأمن من وزارة الدفاع تقوم بمشاورات دائمة طوال اليوم في كريات. وعند الظهيرة، فإن سفير اسرائيل في قبرص، مائير جافيش كان متواجداً في داره بمناسبة الأعياد، يجب ان يذهب الى لارنكا مع العديد من معاونيه. وكان الوقت تقريبا متأخراً. فالرهائن الثلاثة، وهم من السواح الرسميين، قد ماتوا.

وهنا بدأت مشاورات اللجان الخاصة السرية. لقد اعلن بسرعة عن مسؤولية «القوة ١٧» عن حمام الدم في ميناء لارنكا، ومن ثم لم تحتاج وكالة الأنباء الفرنسية الحصول على مكالمة تليفونية ثانية من مكتبها في القدس، وعندما يتواجد ابو الطيب خلف عملية القتل ـ وهو ما اعترض عليه الخبراء ـ إذن لا بد من أن يكون عرفات على علم بذلك. ان برنامج منظمة التحرير الفلسطينية للتحرير، يمكن وفقاً لذلك ـ كما هو متضمن ـ ألا يلقى حماساً جماعياً، فضلاً عن هذا فإن المعلومات الحقيقية عن وجه انتماء ابو الطيب ورئاسته في حمام الشط، على بعد ٣٥ كيلومتراً جنوب تونس تم التحقق منه في مكتب مدير الموساد ناحوم ادموني ورفاقه من المخابرات العسكرية «أمان»، وشلوموجازيت.

وعلى وجه الخصوص فقد كان للتصوير الجوي الدقيق تأثير عميق، بعد ان تم الحصول عليه من أقمار التجسس الأميركية. فقد سرقها كبير العملاء الاسرائيليين في واشنطن، جوناثان جولارد ـ «مع حبي لليهودية» ـ واعطاها بدوره الى ليكام الخبير الفني بالمخابرات. وبعد اسبوع كانت حادثة بولارد مثارا لاتهامات كبرى موجهة للعلاقات الأميركية ـ الاسرائيلية.

ورغم هذا فإن الموساد ليست منهم، وغير العمل ضد بعض التحالفات فليس لديها ما تفعله. وعلى هذا فإن بإمكان ناحوم ادموني ان يتنهد بارتياح بعد ذلك ويتتبع النزاع العنيف كمراقب. من هو ادموني هذا؟ لقد صرح له في عام ١٩٨٢ أن يكون في التسلسل للجنرال بنسحاق هوفي وقت ان تم تعيينه. لقد ولد عام ١٩٢٩ في القدس،

لأسرة بولندية مهاجرة، وتمكن من الظهور في الموساد حتى وصل الى القمة. وقد حقق نجاحاً في سنوات عمله في الهاجانا، وخلال حرب الاستقلال كان يعمل مع المخابرات S'HAI . وفي عام ١٩٤٩ اعتزل الخدمة وهو برتبة نقيب وسجل اسمه في جامعة كاليفورنيا في بيركلي ودرس لمدة خمس سنوات آداب العلاقات الدولية.

وبعد عودته قام ناحوم ادموني بتدريس نفس الفرع بإدارة مدارس المخابرات الثلاث بالقدس، وفي عام ١٩٥٦ كان يعمل بالكامل مع الموساد. ولثلاثة عقود كان يتبع الادارة السياسية وقد شغل وظائف عدة بالخارج ـ من اديس ابابا الى واشنطن ـ. كما انه قام لفترة طويلة بأعباء ضابط الاتصال بين الموساد ووكالة المخابرات المركزية. وكان يحب العمل في المخابرات السياسية وابعد نفسه عن فرقة القتل، الغاية التي كانت تشبع رفيقه مايك هراري. لم يكن ذلك عالمه. وفي عام ١٩٧٦ تم تعيينه نائبا لبنسحاق هوفي، وقد حفزه هذا على ان يطمع بتعيينه فيما بعد خلفا له.

وكانت فترة عمل ناحوم ادموني التي استمرت حتى عام ١٩٨٩ خالية من الفضائح وهي حقيقة مدهشة. ولم يشارك في دوامة ايران ـ كونزا. لقد كان رئيس الموساد ضد الأعمال التجارية والتي تم التخطيط لها مع (الظلاميين) (من يعوقون التقدم او انتشار المعرفة). وفي اوائل عام ١٩٨٩ عهد الى نائبه بتولي ادارة «المعهد». وهو الاسم «الجديد» في الواقع فإنه مظهر جانبي قديم ـ لإدارة الأسرار.

ـ ٢ ـ

وفي كل الأحوال وبعد الطرد الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، عبّر أحد رجال المخابرات الاسرائيليين عن اهدافهم، ان الفرصة اصبحت مناسبة لمهاجمة مقر عرفات الجديد بتونس، لكي تكون منظمة التحرير الفلسطينية في وضع دفاع دائم. وخلال السنوات التي تلت ذلك لم تكن هناك سوى تفاصيل بسيطة عن مقدمة الشاطىء «سلوى» الذي يبعد ٢٤٦٠ كيلومترا، الذي تتجمع فيه ادارته والمجمع السكني لحمام الشط والعديد من مباني منظمة التحرير الفلسطينية في العاصمة تونس، وفي اغلب الاحيان كانت تحوم طائرة بوينغ ٧٠٧ مستصلحة حديثاً أمام السواحل التونسية وكانت مجهزة بأحدث أجهزة التصنت وتقوم بتسجيل كل الأحاديث بين رئاسة منظمة التحرير والعالم الخارجي، وبخلاف ذلك فقد جذبت الموساد العديد من الجواسيس التونسيين.

كان عملاء المخابرات الاسرائيلية يجيئون ويذهبون كلما ارادوا ذلك وبصورة دائمة وكانوا يستخدمون جوازات سفر مسروقة. وكانوا يتنكرون في زي رجال الأعمال العرب او السياح الأوروبيين، كما كان افراد صفوة وحدة البحرية الاسرائيلية فوتيلا ١٣ يتسللون وبانتظام الى الاراضي التونسية، ويرسمون الخرائط للشواطىء وكلما امكن يقومون بالتفتيش على ارصفة الميناء وعلى وجه العموم كانوا يقومون بدراسة البلد. ومن ثم تكونت شبكة محلية من المساعدين، كما تم تأمين ايجار المساكن فضلا عن هذا فقد تم تخزين الأسلحة واقيمت انظمة الاتصالات السرية. ومن ثم لم توجد اية احداث عارضة. وفي قمة تجوال الاسرائيليين اكتشفت وحدة الصفوة السرية القوية سايريت ماتكال مكان سكن قائد منظمة التحرير الفلسطينية.

ومعنى حمام الشط هو حمام البحر. وتوجد هنا على الساحل قرية تعتبر حتى تلك اللحظة من افضل المناظر. وكانت في الماضي نقطة التقاء الطبقة المتوسطة والبيروقراطيين. وفي شهر سبتمبر ١٩٨٢ وضع تحت أمر منظمة التحرير الفلسطينية جزءا كبيرا من هذا المكان - حوالي خمسين هكتارا - وكانت توصد بالمزلاج في وجه الزوار غير المرغوب فيهم من كافة الجوانب. ويقوم على حراسة المجمع السكني الذي تحيط به اشجار النخيل والمكون من مبنيين من ثلاثة طوابق بلون الرمال، عدد من الجنود التونسيين وافراد من «القوة ١٧».

ان قرار حمام الشط يعتبر عملية ثأرية، لاغتيالات لارنكا وضربها بالقنابل، تلك الاحداث التي حدثت مساء يوم ٢٥ سبتمبر وهذا ما قرره مجلس الوزراء المصغر برئاسة رئيس مجلس الوزراء شيمون بيريز ورئاسة اركان الحرب.

وفي الصباح الباكر ليوم ١ اكتوبر قامت طائرات الوقود بكامل حمولتها. واقلعت ثماني طائرات من قاذفات القنابل طراز اف - ١٦، وانتظمت في نطاق مساحة تبلغ ١٩٠٠ كيلومتر. وفقاً لهذا يجب على الطائرات المقاتلة ان تزود بالوقود في طريق عودتها مثل ما حدث في طريق الذهاب. وفي الصباح فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة انهت طائرات اسرائيل اف - ١٦ اطول عملية هجومية منذ عملية المفتي. وطوال ستين دقيقة كانت الطائرات التي تلمع قد تم تزويدها بخزانات الوقود الخاصة بالصواريخ والقنابل زنة ٥٠٠ كيلوغرام. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة وصلت الطائرات الى السواحل التونسية.

وهنا ظهرت المشكلة الثانية فبالقرب من تجهيزات منظمة التحرير الفلسطينية يوجد بعض المنازل، التي يعيش فيها تونسيون مدنيون، ومدرسة دولية. وكانت الطائرات الثماني التي يطلق عليها اسم «النسور المقاتلة» والتي تنتجها شركة جنرال داياميك لانتاج المعدات اسقطت ذخيرتها الموجهة من الداخل لمدة خمس عشرة دقيقة. وتم توجيه الصواريخ والقنابل على المنازل فقط والتي حددت بالليزر. وبكل دقة اصابت رئاسة اركان حرب ابو الطيب لقوات «القوة ١٧» والذي ظل واقفاً مبنى الحراسة الصغير فقط حيث لجأ ياسر عرفات ونجا من الموت. كان قد غادر هذا المبنى منذ دقائق. وقام الاسرائيليون بقصف احد المنازل كذلك بالقنابل والذي كان يضم مجموعة من قادة الصاعقة أحد فروع منظمة التحرير الفلسطينية وكانوا قد تحالفوا مع عرفات عام ١٩٨٣. أما المبنى ذي الطابق الواحد والذي توجد به أجهزة الاتصالات كما ذكرت وكالات الأنباء فيما بعد لم يدمر. فضلا عن هذا قامت كتيبة الطائرات اف - ١٦ بالهجوم مرة اخرى على مبنى من طابق واحد حيث يوجد مكتب عرفات الشخصي وحجرته الصغيرة. وهكذا تحولت القيادة المركزية العسكرية لمنظمة فتح ونادى وحدات الكوماندوز الى حطام ورماد.

ولم يبق من المباني سوى الحطام الذي يعلوه الدخان والقنابل شديدة الانفجار العنيفة. وفي ذلك الحين وجد ٤٧ قتيلا و٥٦ جريحا. وكان من بين ضحايا الهجوم الجوي وكذلك بعض من كانت له علاقة سابقة بـ «أيلول الأسود». وبعد ما يقرب بالضبط من ربع الساعة استدارت الماكينات وهي تحمل اطنانا خفيفة وكونت تشكيلات في طريق العودة فوق البحر المتوسط. وفي طريق العودة إلى الأرض راقب السلاح الجوي الاسرائيلي بارتياب المجال الجوي الليبي. لم يواجههم اي تهديد بالخطر من

هناك، وذلك لأنه على ما يبدو فإن الليبيين ليس لديهم علم بالعدوان على حمام الشط كما انهم لم يتمكنوا من تنظيم انفسهم، وفوق ذلك فقد تم تزويد الطائرات التي تحمل نجمة داود للمرة الثالثة بالوقود وهبطت في قواعدها في اسرائيل في وقت مبكر بعد العصر.

وفي أثناء المساء على شاشة التلفزيون شوهد عرفات وهو في حالة من الثورة وهو يشير إلى حطام مركز القيادة التابع له، وكان حانقاً وهو يلقي بتصريحاته: «لقد حطمت اسرائيل عملية السلام» ولقد أكد فيما بعد اسحاق شامير وزير خارجية اسرائيل ان ما قاموا به كان للرد على ارهابيين من منظمة التحرير، ومنذ ذلك التاريخ صارت للارنكا مكانة خاصة في تاريخ الشرق الأوسط.

الفصل الخامس عشر

الجواسيس القدامى لا يموتون أبداً

(١)

في نهاية شهر يناير ١٩٧٩، خرج مايك هراري من الخدمة السرية للموساد، وكانت عوامل القلق والحزن بادية عليه: انه الآن لم يتجاوز الخمسين من عمره ماذا سيفعل؟

بعد اتصالات واسعة قبل عرضاً سخياً. ومن ثم سيصبح مديراً عاماً لاحدى شركات التأمين يطلق عليها مينورا وتعني هذه الكلمة الشمعدان، بل وأيضاً الفنار.

وبعد عام بالتحديد بدأ يبزع الفجر على قائد اللواء A.D فبعد التأمين على حياته واثاث منزله لا يوجد اي مطمع حقيقي. بالاضافة الى هذا فإنه بإمكانه ان يجعل كل عميل ان يقتطع حصة من ماله للتأمين المستقبلي، وان يحطم البيروقراطية. ان ذلك العالم الشاق الحاد، ليس عالمه. ومن ثم لا بد وان يعود ويترك العمل، انه يرى الخطر بعينيه، في نطاق احد الأعمال، حيث يكون في الواقع جيدا. وقام رجل المخابرات الأسطوري وركب سيارته واتجه الى شارع الملك شاؤول وزار صديقه القديم ناحوم ادموني، والذي كان في نفس الوقت نائب يتسحاق حوفي.

لم يتحدث كثيرا عن الثريد الساخن، بل - كما هي العادة الدائمة - اقترب من الهدف الوحيد للموضوع: «انني في حاجة الى وظيفة اخرى. يجب ان افعل شيئا آخر، الذي يجعلني اشعر بالسرور. لقد وصلت الى هذه الحياة الفضولية عن طريق الوضع غير المضبوط». وقد فهم الدبلوماسي العريق ادموني. الميزة الكبيرة لمايك هراري بعيدة «بامهد».

ومن ثم فقد أطلق على مجال عمل مايك هراري الجديد اسم امريكا الوسطى. وقد أدى ذلك إلى احداث استفزاز للحرب حول منطقة من العالم والتي كانت بالنسبة لاسرائيل بعيدة عن الاهتمامات. واحداهما تطلبت تطوير العلاقات فيما بعد في السبعينات بين منظمة التحرير الفلسطينية وكوبا وساندستان في نيكاراغوا وبأسرع ما يمكن. وبعد ذلك جاء عام ١٩٧٩ تم توحيد نظام سوموزا في ماناجوا. فضلا عن هذا فقد ترك دانيل اوتيجا والمتنازعين معه، والمنتصرين في حرب العصابات، مما أبقى اسرائيل على الباب وأدخل الفلسطينيين. وكان ياسر عرفات اول الزائرين الرسميين. وكالمعتاد تم الاحتفال بالنصر وقدروا العمل المشترك في السنوات السابقة. وكان معروفا انه كان هناك ما يزيد عن ٢٠٠ من مقاتلي الساندستا في مخيمات لبنان والأردن والتدريب على استخدام السلاح. وكان اول دور للتعاون مع كوبا. وكان فيدل كاسترو

يتخفى مؤقتا وراء منظمة التحرير الفلسطينية ولم يلاحظ ذلك بالضبط، كيف كان ذلك فوق كل هذا مزيجاً قوياً.

وجاء في كتاب ديفيد هالفي داخل منظمة التحرير الفلسطينية: منحت منظمة التحرير الفلسطينية الحكومة الساندستانية في نيكاراغوا الكثير من الدعم، متضمنة تسليم وتقديم السلاح، والتدريب، والمشورة والمال. فضلا عن هذا فقد ساعد خبراء منظمة التحرير الفلسطينية نيكاراغوا في حربهم ضد عصابات الكونتر او مؤازرة الكتائب العسكرية المضادة لرجال العصابات (جيش سانديستا الشعبي EPS) في نضالها. كما ان منظمة التحرير الفلسطينية كونت جبهة ضباط الخدمة السرية النيكاراغوية وقطعاً ساعدت في إرسال الأسلحة الليبية الى القوات العسكرية الساندستانيزية. وهكذا بدأ اساس الدعم بنقل مئات القطع من السلاح داخل أربع طائرات ليبية، ولكن تم حجزها في البرازيل عام ١٩٨٣ عندما توقفت للتزود بالوقود، والتي كانت من المحتمل ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية قد رتبتها. وقد طار الطيارون التابعون لمنظمة التحرير الفلسطينية الذين تم تدريبهم في سوريا، واليمن الجنوبية، وليبيا وكوريا الشمالية وغيرها من الدول بطائرات السلاح الجوي النيكاراغوي مرات عدة من أجل الوصول الى الخبرة والمران اللازمين. وهكذا شغلوا الأماكن الشاغرة في شركة الطيران، الخطوط الجوية الوطنية.

وبشكل مماثل حدث نفس الشيء في السلفادور. وهناك قدمت منظمة التحرير الفلسطينية للتعرف على الساندستيا. وقد حصل ما يقرب من خمسين من رجال عصابات جناح اليسار (جبهة فارابوندو العسكرية للتحرير الوطني) على تدريباتهم في لبنان. ودارت الاتصالات المكثفة عن طريق شقيق هندال من قيادة جبهة فاراموندو العسكرية للتحرر الوطني فلسطيني الأصل من اميركا اللاتينية وبوضوح ذاتي تم اتصال منظمة التحرير الفلسطينية بالحركات السرية جنوب قناة باناما.

لقد تابعت اسرائيل اهتمامها الراسخ بالعملاء العديدين للسلاح المضنع في اسرائيل. وعلى سبيل المثال فإن نيكاراغوا والتي كانت تخضع لحكم الديكتاتور انستاسيوسوموزا فقد حصلت على ٩٨٪ من احتياجاتها من السلاح من اسرائيل. وقد أعجب معظم الجنرالات والقادة الرجعيون لنصف القارة بالكفاءة الاسرائيلية. لقد كان لهذا النوع من العلاقات تقليد طويل. وحقيقة فإنه في عام ١٩٤٨، عندما كان العسكريون من عصابة الهاجانا يتسوقون في براغ، قدم سوموزا شهادة استهلاك نهائي مزورة. كما قدم ايضا جواز سفر نيكاراغوي. وقد تحصل كون تيدي كوليك، عمدة القدس في الوقت الحالي، ولاسزلوباتاكي من قيمة مبيعات اسلحة بهذه الأوراق على مبلغ ١,٢ مليون دولار. بجانب ذلك فقد تسلم سوموزا رشوة من الاسرائيليين قيمتها ٢٠٠٠٠٠ دولار، تم ايداعها في احد البنوك في لندن، ومساعدة سياسية خارجية في واشنطن. وتلا ذلك في عام ١٩٥٧ مكافأة اخرى. لقد وافق شيمون بيريز، وكان وقتها مديرا عاما بوزارة الدفاع على ارسال سلاح الى نيكاراغوا بما قيمته ١,٧ مليون دولار.

اضافة الى ذلك فسرعان ما جاء ديفيد ماركوس كاتس الى المنطقة، وهو شخصية اسطورية في تجارة السلاح عالمياً. ووفقاً لمقالة في جريدة دافار الاسرائيلية فقد قام كاتس بتمثيل سبعة عشر من الشركات الاسرائيلية في مقره المركزي بمكسيكو سيتي.

ومن الناحية السياسية فقد كان على علاقات مع كتلة الليكود المحافظة وعلى مقربة من الحزب الوطني الديني، كما انه تأثر بترابط المستوطنات العسكرية وقد منحهم هبات كبيرة مما يضمن لهم قوة الإحسان.

وعلى هذا تواجدت في اميركا اللاتينية طائفة يهودية قوية والتي بطبيعة الحال تؤثر وتسيطر على اللولب. وكان العديد من اعضائها يقومون بكافة الأعمال من أجل ازدهار ونجاح اسرائيل. ومن ثم ترتب الحصول على تأييد لعمليات الموساد الخارجية. وكان المشاركون طواعية في شبكتها، والتي اطلق عليها اسم سمايانام، كانوا يسيطرون مباشرة على الدول اللاتينية، وقد ظهر ثمارها في النهاية. ومن هذا المدخل تعامل مايك هراري عام ١٩٨١، فقد وصل الى المكتب الذي خصص له في السفارة الاسرائيلية في مكسيكو سيتي.

وهكذا وجد الوافد الجديد من تل ابيب وضعه المضبوط. لقد تعرف على مكان تواجد اخوانه الروحانيين ولكنه شعر بتشاؤم شخصي فقد كان رئيس المخابرات هو الكولونيل مانويل انطونيو نورييغا. ومن باناما الى الخارج، فقد لاحظ هراري وبسرعة، فقد سهل عليه معرفة العمل العسكري المشترك بين منظمة التحرير الفلسطينية وفيدل كاسترو. وفي ذلك الحين كان الفلسطينيون يتدربون على الطائرات الكوبية، وهكذا يظهر المحارب الكوبي في الشرق الأوسط وافريقيا ـ وأولاً وقبل كل شيء في انجولا ـ لما يسمى حماية الثورة بالسلاح. بجانب هذا فإن رجل المخابرات مانويل نورييغا والمخابرات الكوبية DGI على تفاهم تام فيما بينهم، ومن ثم كانوا يقللون من أهمية المعلومات المقدمة لمايك هراري، مما جعله يحس بشعور غير عادي في باناما سيتي ذات الحرارة الاستوائية، وكانت باناما في زمنه تعتبر بيروت اميركا اللاتينية او فيينا، وكمركز للأعمال السرية. لقد احس رجل الموساد المحنك بالانتعاش. لقد عاد مرة اخرى الى عمله القديم ولقد تراكم النجاح.

لقد عامله البانامیون بكل ود واحترام وكثيراً ما كان يتواجد هراري وبصورة متكررة حول مادة رئيس الطغمة العسكرية عمر توريوس هيريرا، لقد كانا صديقين منذ عام ١٩٦٨. وكان هراري في بعض الأحيان يقوم بزيارات قصيرة لباناما. اما في هذه الآونة فقد اصبح المألوف ان يلتقي بضيوفه بصورة واضحة.

ولقد سجل المؤلف الأميركي كوستر وزميله سانكيز في كتابه عن نورييغا تذكرة لها قيمتها عن تناول طعام الغداء، وكان بجوار توريوس وهراري حاكم ايران الهارب وذلك خلال توقفه في جزيرة كونتادورا المملوكة لباناما. وقد دعي توريوس ذلك السياسي هراري الذي كان يرتدي نظارة «راي بان» دائما حتى عندما كان يتوجه الى واشنطن في أحد الأعمال السرية. لقد كانا رفيقان، يكمل بعضهما البعض ـ وذلك كان مدار حديثهما ـ وكانا يشكوان من التعقيدات. وبينما كان السفير الاسرائيلي في باناما يضمن احد الناشرين المدعو روبرتو ايزنمان، لم يكن هناك اتصال لهراري بحكومة القدس، تاركاً وبكل بساطة استدعاء المدير العام للموساد للدبلوماسيين. وبالفعل، فقد كان ذلك الوقت تقريباً لاعتماد ممثلين لإسرائيل.

وكما حدث، فإن هاريس جونزكوريوس كان قد مات في ذلك الوقت. ولم يكن من الواضح حتى ذلك التاريخ اذا ما كان حياً بعد سقوط الطائرة، وكان معظم البانامیين

من المقتنعين، بأن توريوس الذي سيخلف نورييغا فيما اذا كان مسؤولا عن ذلك. وعند هذه النقطة قفز وبسرعة بعيداً. وبالنسبة له فإن أحداث الموت لا تمثل له اي خسارة. ففي الماضي كانت حياة البشر بالنسبة له مجرد مكونات من لعبة كبيرة للقوة والنفوذ، وكانت قيمتهم فيما مضى ضئيلة جداً.

وفي الخارج كان هراري يدير مشروعاً تجارياً للتصدير والاستيراد. وهكذا ومن ناحية المبدأ فقد ابتعد عن عمليات التخفي والتمويه. بجانب هذا فقد كان هراري شريكا لنورييغا. وكان الاسرائيلي ينفذ عمليات جلب السلاح الى اوروبا، ويقوم نورييغا المدمن لعمليات الخطف ببيعها ليحصل على مكاسب طيبة من السلفادور. وكان الشريك نورييغا يقدم شهادات منشأ مزورة ويستخدمها الاسرائيليون للأعمال التجارية لعقد من السنين، لدورة الأسلحة مع الايرانيين فاليوم مع الشاه، وغدا مع آيات الله ولم يكن ذلك يشكل أية مشكلات بالنسبة لهراري.

وفي شهر اغسطس ١٩٨٣ تولى نورييغا الاشراف على قيادة القوات المسلحة البانامية والمسماة قوات الدفاع البانامية PDF وهكذا كان يخدم في مجالين، فقد كان يعمل وفي نطاق ضيق مع وكالة الدفاع للاستخبارات الأميركية DIA ومخابرات البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) ولفترة طويلة لم يكن معروفا في باناما ان نورييغا كان يطمح لأن يكون الشريك التجاري لوكالة المخابرات المركزية، وهي حقيقة يريدون في واشنطن هذه الأيام ان يبطلوها. فضلا عن هذا، إذا ما كان يتحرك حول ظلال الكوبيين ذوي اللحى الطويلة أم حول الطرق غير المباشرة لخلايا تجار المخدرات من ميدلين: «الوجه الأناناسي» لقد كان ذلك لقب نورييغا بسبب البثور العديدة التي في وجهه وهو افضل تعريف له. ويبدو ان الرجل كان في حاجة لذلك. ومن ثم حصل من دافعي الضرائب الأميركيين على مرتب خاص سري قدره حوالي ٢٠٠٠٠٠ دولار سنويا.

(٢)

من الواضح انه في كل وقت يعمل كل فرد مع وضد الآخر. وكتب مؤلفان اميركيان، جون كامينجن وارنست فولكمان، في تحقيق صحفي لهما عن مشاهد المخدرات والقوة في اميركا الوسطى، كيف ان مايك هراري كان ايضا يساعد وكالة المخابرات المركزية وبمساعدة رونالد ريغان. وهو في مركز الرئاسة في لانجلي حصل ويليام كيزي على أوامر للاستعداد للقيام بعمل عسكري ضد الساندينستا. لقد كان يريد تدمير رأس الكوبري السوفياتي الجديد في منطقة الكاريبي. وبمساعدة هراري تم تكوين وإعداد قوات الكونترا كان اسمها السري «النسر الأسود». وكان هناك كبير العملاء الاسرائيليين، وبوي كلاريدج، وهو رجل وكالة المخابرات المركزية في اميركا اللاتينية، والذي كان يعمل في ذلك الحين مستشار الأمن القومي للرئيس، وكذلك كان رونالد جريج. كما كان هراري يقدم الأخبار لأصدقائه في لانجلي حول الأوضاع في باناما، ومع ذلك كان يزيف الحقائق للاستخدام الخاص ولمانويل نورييغا.

لقد ربح الموساد من نوعية هراري على ما يقرب من حرية العمل في المباحثات وكذلك الرئيس الأسبق لفريق الكوماندوز لعمليات الاغتيالات والذي كان يجلس حتى

تلك اللحظة في مكان خدمته الأسبق. لم تكن تهتم به تل ابيب الا قليلا. لقد سمح له بالاتجار في السلاح، دون اغلاق لأحد. ورغم هذا فإن تلك التجارة السوداء كانت تفيد اسرائيل على الدوام. لقد كان هراري هو الذي جلب اكبر جزء من السلاح المنهوب الى الأسواق في اعقاب احتلال لبنان عام ١٩٨٢. وقد وصلت مبيعات السلاح من النوعية الاسرائيلية في عامي ١٩٨٩، ١٩٩٠ وحدهما الى ما قيمته ٨٠ مليون دولار وذلك عن طريق هراري الى الباناميين. وكان ضمن قائمة التسليم مدفع العاصفة ـ الجليل ـ والذخيرة من كافة الأنواع وأمان طلقات الرصاص الغربي، بالاضافة الى الالكترونيات العسكرية. ومن حيث انه كان يعرف حدود الأسعار في التجارة الثانية، اخذ مايك هراري مركزه في هذا القطاع. وبعد ذلك ومن حيث ان البنوك اليابانية كانت تشعر بحساسية بسبب الموقف غير المأمون فقد انسحبت خارج باناما، وقد اهتم بتجارة المال. ورغم هذا تباحث هراري بشأن انشاء اتصالات مريحة. وأخذ يراقب حالة ثماني طائرات نقل مستعملة من شركة خطوط الطيران الأردنية «عالية». وفوق هذا فقد أسس بالمشاركة مع نورييغا مزرعة نموذجية، حيث يقوم الاسرائيليون بنقل طرقهم المتقدمة في ممارسة الأعمال الزراعية.

وحيث انه في يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٨٣ كان نورييغا يشرف اشرافا كاملا على جمهورية الموز، رقى نفسه الى رتبة جنرال بأربع نجوم. وفي الحقيقة كان يقف وراءه صديقه هراري. وكان ذلك سيستغرق سنوات لمثل هذا المركز النموذجي الرمزي. وهكذا كانت الفرصة ملائمة لكي يثبت الديكتاتور الجديد «معلمه الخاص» (اصلا نورييغا)أعلى الأوسمة البانامية المناسبة فوق سترته. ولهذا السبب اهتم هراري بقوات نورييغا. وعلى وجه الخصوص فقد عينه في الوحدة المناهضة للارهاب SIES'AT (الوحدة الخاصة لمناهضة الارهاب) وهي جهاز قاسي وشرس من أجل حل المشكلات السياسية الداخلية. وعندما اوقفت وحدات نورييغا عام ١٩٨٧ مظاهرات الشوارع العنيفة، مما يلفت الأنظار لتكتيكاتها المذهلة لأعمال اسرائيل في مواجهة الاضطرابات الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

ولقد أهتم هراري بقوات الدفاع البانامية PDF بتزويدها بأحدث اجهزة الاستماع والأوامر الاسرائيلية بما قيمته ٢٠ مليون دولار. وبهذا يعمل الخبراء في واشنطن على حماية نقل السلاح والكوكايين بالطائرات. وقد ظهر هراري رجل الحديد الساخن ليعيد تنظيم جهاز مخابرات الجمهورية والتي اطلق عليها G-2 ، ولذا قام بتنسيق العمل بين الخبراء الكوبيين والألمان الشرقيين لتقدير موقف نورييغا، كما نظم بمساعدة ادارة الموساد الحصول على معلومات سرية عن الأميركيين الحقودين العدوانيين. ولقد حمى جانبه باستخدام احدث الأجهزة الالكترونية ضد الاذان الطويلة لوكالة الأمن القومي الأميركية NSA .

ودائما ما كان يقف بجانب نورييغا القاسي من خمسة الى سبعة خبراء اسرائيليين من عملاء شين بيت السابقين كحراس خصوصيين. لقد كانوا استثناء ظاهريا دون اي وسيلة في دول اميركا اللاتينية الخاطئة وكان لزاماً على هراري نفسه ان يقوم بتدريب قوات القتل والتعذيب التشيلية. وهذا ما يؤكده تلميذ الموساد السابق فيكتور اوستروفسكي في مذكراته: «لقد قام هراري بتدريس انواع تكنيك التعذيب المختلفة»،

وعلى سبيل المثال التعامل بالصدمات الكهربية، والاستفادة من الآلام ونقاط المقاومة و(مشد التعذيب الوقتي). وكان الهدف المركزي للاستماع، الحصول على المعلومات الا ان التشيليين استخدموا دورة خاصة. وقد ظهر ان لديهم رغبة لأن يحبوا الاستماع للظروف ذاتها. وبالقطع كانوا ينكبون بعزم وراء المعلومات. وكانوا يعتبرون ذلك دعابة سهلة، بأن يضيفوا اليها الآلام. وكان من السهل نقل تلك النماذج الى باناما.

احب الجنرال نورييغا شعب صديقه هراري حباً لدرجة أنه كان يضع شارة رجال المظلات الاسرائيليين دائما على بذلته الحربية اثناء الاستعراضات. وفي عام ١٩٨٤ تم دعوته لزيارة اسرائيل زيارة رسمية. وقد استقبل استقبالاً عسكرياً عالياً. وقد اصطحبه موشيه ليفي رئيس الأركان العامة في جولته داخل المؤسسات العسكرية الاسرائيلية. وغادر نورييغا اسرائيل وقد حظي بامتياز عسكري عال ومن الناحية الظاهرية فإنه قدم شكره لشهادة المنشأ البانامية من أجل تسهيل تجارة السلاح الإسرائيلي.

وبعد عامين من وصوله الى باناما، كان مايك هراري تقريبا عاملا غير منظور في الحياة اليومية. ولذا كانت تدور الهمسات داخل صفوف المعارضة لتصفه بأنه «القوة خلف العرش». وفي ذات الوقت كان يثير الذهول والحيرة في الاقتصاد. أما البناء السياسي فلم يعد يفكر فيه كثيرا. ورغم هذا فلم يكن لديه وقت كثير إزاء تلك الالتزامات العديدة لكي ينقل مركز الأبحاث العلمية التابع للموساد بالطريقة التي يجب ان يكون عليها. وبهذه الكيفية خرج نهائيا من الخدمة عام ١٩٨٥. انها ملاحظة بسيطة ولكنها في حد ذاتها هامة: لقد هجر هراري اميركا الوسطى، ومع ذلك ظل ممثل الموساد في باناما. ومن ثم اراد ان يرسخ اقدامه على الأبواب. وأولاً عن طريق ضغط واشنطن. وفي نفس الوقت الذي سقط فيه في اوغندا اختار هراري ان ينسحب من هذا العمل بعد عام.

علاوة على هذا فقد اعتمدت حكومة اسرائيل هراري المندوب الخاص قنصل شرف في باناما. ولقد أضفى هذا المركز عليه الشيء الكثير فلقد كان نفوذه كبيراً يماثل تماماً نفوذ السفراء القطاميين، القائد هيريرا حسن. دبلوماسي له ماضيه: «لقد كنت سفيرا، فقط كان ذلك قول هراري. لقد كنت أتظاهر بالغباء».

تكاثرت تجارة رجل الموساد بسرعة لافتة للنظر. لم تكن هناك اية صفقات اسرائيلية بانامية، لم يشارك فيها او يحصل على عمولة ضئيلة وفي معظمها كانت تصل الى ٦٠٪. وقد فرض ذلك وجود لحظة الا يقبل فيها ولو لمرة واحدة مواطنيه الاسرائيليين ومن ثم شوهوا سمعته ووصفوه بأنه قاطع طريق ومن رجال المافيا وكان لا بد ان يصرف هراري الكثير، حيث بالمثل يفتح صديقه نورييغا يديه. لقد كانت باناما أم الفساد.

وفي منتصف الثمانينات كان هراري يقوم بزيارات مكوكية بين باناما واسرائيل. وليس نادراً ما كان يظهر لدى اطراف السياسة والاقتصاد الاسرائيليين. لقد استمتع بذلك، كما كانت تشير صلاته بأصحاب المراكز القيادية العليا. وخلال تدريبه فقد حصل طالب الموساد فيكتور أومستروفسكي على تكليف بمهمة، لكي يمهد الطريق للدخول في عمل تجاري مع هراري غير المعروف له. ولقد اورد معلومات دقيقة عنه على سبيل المثال حيث قال: «ان باناما دولة جديرة بالملاحظة. انها قطعا دولة حقيقية. انها

بالأحرى دولة المشاريع التجارية. انني اعرف هناك الناس الحقيقيون او ـ بمعنى آخر ـ اصحاب الأعمال. وفي باناما كل يد تغسل الأخرى. وفي هذه الايام فإنهم ربما يرغبون التعامل في تجارة اللؤلؤ. وفي الغد ربما تحتاج الى شيء ما منهم. وهذا سيكون العرف التجاري، بجانب هذا كانت الأمور تعمل وبكل شغف بعد فترة طويلة من الرؤية».

ومع أسرته ـ كان هراري المثقف وابنته التي تعمل في المخابرات العسكرية، وهي متزوجة حاليا من رائد يعمل في نفس المؤسسة ـ يسكن.ليس بعيدا عن افيكا وغير بعيد عن جامعة تل ابيب. وفي باناما يمتلك منزلا في مستوطنة نورييغا الأمنية بأعالي الخليج وفي عام ١٩٨٩ اكتشف الأميركيون فيه سيرتهم خارج باناما، ان فيلات هراري ونورييغا تتصل بممشى سري تحت الأرض. وفي مسكن نورييغا يوجد خلاف ذلك نوع من المذابح العائلية مع صلوات قصيرة وصور لهتلر. وكان من افضل اصدقاء هراري اليهودي واحد من المعجبين بالزعيم الخصوصيين وفي الغالب كانت الحقيقة غريبة حيث أن كلاً منهما كان مفعماً في تخيلات عميقة.

وفي أغلب الأحيان كان هراري يقف خلف اسوار مسكنه الذي يخضع لحراسة جيدة. ان القليل من البانامِيين الذي كانوا قد تعرفوا عليه، يتذكرون انه الرجل الذي يتحدث الاسبانية بنبرة ايطالية. وخلال سنوات عمله السابقة في المخابرات، حيث كان يتاجر في السلاح في اوروبا ويسهر على راحة المهاجرين، درس اللغة الايطالية بادىء ذي بدء في فينسيا. ومن ثم فلم يكن ذلك بمشكلة بالنسبة له، خلال رحلة الطائرة من عنتيبي في اوغندا باعتباره تاجراً ايطالياً.

وعندما عاد الأميركيون عام ١٩٨٩ لإلغاء الفرصة على نورييغا وتقديمه للمحاكمة فر هراري بمعجزة. فقد كان قد سافر إلى أوروبا في اليوم الأسبق في رحلة تجارية وبعد ٢٤ ساعة ظهر في اسرائيل وبهذا الترابط لم يصمت احد عن التحدث بالاشاعات، ان هراري كان يقضي وقته في الجيش الأميركي، بالاتفاق مع اسرائيل وقد ظل دون ازعاج الى أن سمح له بمغادرة موقعه في باناما.

ورغم هذا فقد طالبت حكومة الولايات المتحدة بتسليمه وأسست رغبتها بناء على مستندات ادارة مكافحة المخدرات DEA . وبعد ذلك لزم على جنرال الموساد الأسبق البالغ من العمر ٦٢ عاماً ان يقر كتابة بأنه كان منغمساً في تجارة المخدرات وانه كان شريكاً لعصابة نورييغا الآثمة.

لقد كان يعارض وهو يدلي برأيه في حديثه الأول والوحيد للتلفزيون. وكان من السهل توجيه الأسئلة الى هراري البارد الهادىء الأعصاب في أحد ستوديوهات القدس. وقد أجاب بشكل يثير الدهشة، وبصوت ضعيف انه «كان مجرد رجل اعمال له ارتباطاته الدائمة في باناما. لم اكن مستشاراً لنورييغا، كما انه لم تكن لي به علاقة في الماضي. ان نورييغا ليس شريكي كما انني لم أهتم بشؤونه. علاوة على هذا فإنني لم أشرف على تدريب قواته. وكذلك فإنني لم أنظم حمايته الشخصية. وبكل بساطة فقد كنت مندوباً خاصاً». هل كانت أعمال هراري بأكملها فيما بين خروجه من باناما والحديث التلفزيوني مجرد برنامج تلفزيوني كبير؟

وهكذا فقد رفضت القدس وبوضوح ذاتي تسليمه الى الأصدقاء الأميركيين. انه من الغباء تسليم احد كبار رجال الاستخبارات في البلاد لتقديمه الى القضاء الأجنبي ـ ومن

ثم تم وضعه تحت الحراسة الأمنية في منزله وتقريباً في الوقت الراهن ومرة أخرى من جديد وبتمهل أعد لعمل تجاري وقد نبع ذلك من مفهومه الذاتي. إن العملاء القدامى لا يموتون أبداً. إنهم يذبلون شيئاً فشيئاً.

إن فرق الأعدام الاسرائيلية ما زالت متواجدة حتى ايامنا هذه. ان رحيل مايك هراري كان له اهتماماً فريداً. وذلك لاحتمال عودة نشاطه ثانية. وكان خليفته في الاثنتي عشر سنة الماضية دائما ما كان وباستمرار - وفي أغلب الأحيان - ما يوجه اليه انتقادات عكسية. ورغم هذا لم يعد هناك اي سلسلة من العمليات الكاملة ضد المتطرفين من منظمة التحرير الفلسطينية حيث ان الزمن قد تغير.

بجانب هذا فقد تغير الأسلوب الفلسطيني. ففي السنوات الأخيرة غلب عليها النمط السياسي، صوب الحكم الذاتي، ونظرية الدولة الثانية، وقيام اتحاد كونفدرالي مع الأردن. وفي ذات الوقت تركز منظمة التحرير الفلسطينية على العصيان العسكري في الأراضي المحتلة. لقد بزغت الانتفاضة. لقد كبر جيل جديد من الشباب الفلسطيني المنظم، في ظل الاحتلال الاسرائيلي، وأخذوا المبادرة بأيديهم علاوة على تأثيرهم القوي على مسار قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس.

وأهم قرار لتأييد المكاشفة، هو ان الهجوم بالقنابل، واختطاف الطائرات لم يلق اي تعاطف وكانت الخسائر كبيرة. ففيما بين عام ١٩٦٨ وعام ١٩٨٠ قام الفدائيون العرب بتوجيه ما يقرب من ٣٠٠ هجوم. وبجانب اسرائيل فقد اكتشفت عملياتها في ٢٦ دولة. وهكذا مات ٨١٣ فردا وجرح ١٠١٣ آخرون. ومن بين ٢٧٥٥ رهينة كان ما يزيد عن ٩٠٪ منهم من غير الاسرائيليين. وفي احدى الاحصائيات التي جمعها جون لافين في تلك الفترة الزمنية بخلاف هذا وقع هجوم على اربعين طائرة مدنية، وخمس سفن ركاب، وأربعين مصنعا، وأربعين سفارة او قنصلية. وأهم جزء في هذه الأعمال هو تبخر الحساب المصرفي لـ «منظمة ايلول الأسود».

هناك عملان لادارة هراري السابقة والتي تستحق القيام بدور استخباري خاص تستدعي لفت النظر مرة اخرى اليها، وكلاهما لهما نفس العمل النموذجي المشترك. وفي كلتا الحالتين توضع العلامات. وهكذا يمكن فهم الجانب الآخر.

وفي يوم ٢٥ يوليو ١٩٧٩ وبعد اشهر من تنحية مايك هراري واريكا تشامبزر، جاء دور زهير محسن. كان يبلغ من العمر ٤٣ عاماً وفي نفس الوقت فهو قائد منظمة الصاعقة التي تدين بالولاء لسوريا بجانب كونه رئيس الإدارة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد عاد لتوه بعد قضاء إحدى الأمسيات المفعمة بالسرور من أحد الكازينوهات الذي يسمى بالم ين. لقد كانت الساعة الواحدة صباحاً، عندما وطأت قدماه شقته الضخمة في الدور الرابع بفندق «جراي داليبون» في كان.

فتحت زوجة محسن الباب وتقدمته في الدخول. وقبل ان يتمكن من اللحاق بها، انزلق رجل غير معروف من مصعد الخدمات واطلق من على بعد مترين طلقة واحدة على رأس زهير محسن. وتم نقل الزعيم الفلسطيني الراديكالي الى مستشفى سانت روش في تسيزا، وتم إجراء عملية جراحية له وبسرعة. ومات في اليوم التالي. وجاء في كلمة وداعه المثيرة، انه شهيد حقيقي للقضية الفلسطينية.

ومرة اخرى فإن محمد داود عودة، والمعروف باسم ابو داود، لا بد وأن يعمل

خططاً للحرب. لقد كان آخر شخص من الباقين على الحياة من قادة «منظمة ايلول الأسود» وبكل تأكيد احد محركي عملية اولمبياد ميونيخ. ومن ثم فقد وجد اسمه ضمن القائمة الصغيرة «لفريق الهجوم» الاسرائيلي. وفي الأسبوع الأول من شهر اغسطس ١٩٨١ كان لا بد من انتهاز الفرصة «لعقابه». كان يوم السبت، وقد اكتشف وجود ابو داود ومعه هوية لمرافقيه مزورة باسم مهدي طارق في وارسو. كان يسكن في أحد فنادق المدينة، فندق «انتركونتيننتال فيكتوريا».

كان ابو داود قد تناول لتوه طعام العشاء في مقهى الفندق وكان يشغل المكان الذي أمامه رجل طويل القامة، نحيل اسمر البشرة في منتصف العشرينات. قام بسحب مسدس وأطلقه خمس مرات. واخترقت الرصاصات عنق وفم وأمعاء وصدر رجل منظمة التحرير الفلسطينية الشهير. وغادر الجاني الفندق بخطوات سريعة وكان في انتظاره امام مبنى الفندق سيارة ليهرب بها، والتي اختفت بسرعة. وقد وجد المسدس فيما بعد في أحد الحدائق ولم يوجد اي أثر للجاني.

لقد اصيب ابو داود بجراح خطيرة مما لزم معه القيام بإجراء عملية جراحية بمنتهى السرعة. وبمعجزة صمد امام هجوم وارسو. وفي خلال السنوات التالية كان يتوقف بصورة متكررة في الكتلة الشرقية. وعلى وجه الخصوص وبكل ترحيب كان يتقابل مع اصدقائه من ادارة الأمن العام ببرلين الشرقية. وكان دائما يحجز له جناح في فندق بالاست الفاخر برقم ٧٠٧٨. وكان يستخدم هذا الجناح كل عام خمس مرات. ومن ثم تم وضع اسمه في وثائق ادارة XX II Stasi وفي الواقع فإن تقرير مخابرات جمهورية المانيا الديمقراطية يظهر التنوير التالي: «إن أبا داود معروف بأنه من اعضاء قيادة منظمة فتح واذاعة اخبار رصدها، والذي كان في الماضي مسؤولا عن تنظيم اخطر الهجمات لمنظمة ايلول الأسود تولى المركز القيادي علانية لتنسيق العمليات الدولية التي تقوم بها حركة التحرير الفلسطينية. كما ان ظهوره أعطى الاشارة الى العيار التجريبي للأنشطة الكبرى التي كانت على وشك الحدوث».

وفي تلك الأيام لم تكن هناك أماكن كثيرة، لم يتوقف بها ابو داود في أمان، حيث لم يكن الاسرائيليون قد سددوا حساباتهم معه. ورغم هذا فلا بد من أن يعيش في تونس حتى يتمكن من الاهتمام بمهام منصبه الإداري.

وعلى الطرف الآخر، توفي عام ١٩٨٣ روبرت اميس، ذلك الرجل الذي كان يقف قريباً جداً من علي حسن سلامة. لقد حصل رئيس قسم وكالة المخابرات المركزية الأسبق على وظيفته في لانجلي الى ان رقي ليصبح رئيس ادارة الشرق الأوسط. وكان يعتبر من أحد الخبراء الماهرين. وقد ظهر له، عندما كان محاربو آريل شارون يعملون على تنظيم خططهم الشريرة، حيث انهم قد كسبوها بسبب رحيل منظمة التحرير الفلسطينية. وفي هذا الوقت نشأ حزب الله وغيره من رجالات المقاومة وبدأت في شغل الفراغ الذي حدث في «القوة ١٧». وفي عام ١٩٨٢ وقع اختطاف اول اميركي، والذي تم الافراج عنه في ديسمبر ١٩٩١. ومع هذا لم تكن تلك نقطة النهاية. ففي احتفالات عيد الميلاد عام ١٩٩١ ووفقا لمكالمة تليفونية من مجهول وجدت جثة الأميركي ويليام بكلي بالقرب من مطار بيروت. ولقد اختطف بكلي خليفة آمليس في رئاسة محطة وكالة المخابرات المركزية الأميركية في بيروت عام ١٩٨٤ بواسطة المنظمة الشيعية السرية

وهي تسمى «الحرب المقدسة الاسلامية» ووجد قتيلاً في خريف ١٩٨٥. لقد كان المقاومون على علم بمواعيده، ومن ثم قتلوا هذا المسؤول الأميركي انتقاماً للهجوم الجوي الاسرائيلي على رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس. وبعد عيد السلام حدثت آخر رحلة الى الولايات المتحدة ـ هيكل رجل وكالة المخابرات المركزية ـ لما تبقى من العمل المميت. وعلى أية حال فإن مأساة رهائن لبنان في الثمانينات كان لها تأثير قوي غير عادي.

وفي وسط الفوضى وضياع القانون في بيروت حددت وكالة المخابرات المركزية يوم ١٨ أبريل ١٩٨٣ مباحثات العمل. ومن ثم قام بوب امليس برحلة اضافية من واشنطن لرئاسة المؤتمر ومن تلك البواعث الخاصة تسلم مطبخ السفارة الأميركية تكليفاً للاعداد مسبقاً قائمة طعام. وقد ذكر مساعد الطباخ اللبناني أن الفدائي عماد، كان في ذلك الوقت رئيس أمن حزب الله وقد شارك في طلب القيام بدور استخباري. وظهراً وفي تمام الساعة الواحدة تم التمهيد لكمية صغيرة من شحنة قوية في طريقه لتكون على مقربة من حركة المرور المتجهة الى السفارة الأميركية. وقد حدث الانفجار أوقف السائق السيارة عند المدخل الرئيسي، وقفز وجرى. وبعد ثوان انفجر طن من مادة الـ تي. ان. تي.

وهكذا انهارت مقدمة المنزل المكون من سبعة طوابق بأكملها وحدثت دربكة من الحديد المسلح والزجاج كما دفن معظم سكان المنزل المواجه وقد مات ٦٤ فرداً، من بينهم الفاعل تحت انقاض السفارة، وكان بينهم ١٧ اميركيا، ٣٢ لبنانياً من العاملين بالسفارة، ١٤ من الزائرين الذين كانوا يطلبون الحصول على تأشيرات. وتقريبا فإن محطة وكالة المخابرات المركزية بأكملها، وبها ضيوف من واشنطن انهارت في ضربة واحدة. وقد اعترفت جماعة «الحرب المقدسة الاسلامية» وهي ذراع ايران الطويل في لبنان عن مسؤوليتها لهذا العمل الدموي. وكان صدى رائحة الموت: موت بوب أمليس بناء على تعليمات احد الرجال الذين كانوا يعملون مع «القوة ١٧» التي كانت تتبع علي حسن سلامة عام ١٩٧٦.

فضلاً عن هذا فإن أبا أياد كان دائماً يرغب في أن يكون وحيداً في أواخر سنوات حياته. ولقد مات زعيم الجاسوسية بمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس كافة المؤسسات الأمنية، ورجل الاتصالات في المناطق للتطرف الدولي ومؤسس «منظمة أيلول الأسود» بنفس المهام. وقد كان على الدوام من أحسن ناقلي المعلومات والأب الروحي الصامت لجحيم الشرق الأوسط، والذي ـ كلما ظهرت امامه فرصة ـ كان بإمكانه ان يعد التقارير السياسية النموذجية. كل هذا جعله يشكل اكبر تحد في المنظمة التابعة له. ومع ذلك لم تكن اوراق القائد في العقدين الأخيرين جيدة على الدوام، فقد كان ابو اياد دائما يوصف بأنه الصخرة التي لا يمكن مهاجمتها او الإغارة عليها بين الأمواج المنتشرة، وكان يلقى بصورة متكررة المساندة من الكثير من الخبراء لقدرته باعتباره الشخصية الرمزية بغطاء رأسه المميز. وهذا ما يوضح السبب وراء استشهاده.

لقد كان أبو أياد في النصف الثاني من عام ١٩٩٠ يميل الى الفدائي المتقلب ابو نضال ومنظمته التي تقبع في ظلال مجلس ثورة منظمة فتح. وخلال المعارك الفدائية بين المنظمتين، والتي تفشى معظمها في جنوب لبنان، ظهر العديد من اتباع ابو نضال،

والذين لم يكن احد يعرف ملامحهم، وبعد إغارة العراق على الكويت، وقف مسؤولو منظمة التحرير الفلسطينية الى جانب صدام حسين. ولقد رفض ابو اياد اتباع هذا النهج السياسي. لقد كان نائب عرفات، معروفاً منذ البداية انه صديق للكويت، ولم يكن يخفي معارضته. ولقد أذاع داخلياً، انه لم يعد يهتم كثيرا برئيس بغداد، طالما بقيت قواته في الكويت. وقد تمسك أبو اياد بكلمته.

وافضل ملاحظة للدعاية بالقدر ـ ثلاث ورديات مع وجود اربعة حراس لكل وردية ـ للذي لم ينم على الاطلاق ليلتين على نفس السرير، تقابل في احد الأيام قبل سريان الإنذار مع رئيس أمن منظمة فتح هايل عبد الحميد(ابو الهول) وصديقه الودود فخري العمري ـ ناقل الأسلحة في عملية الهجوم على الأولمبياد ـ سوياً.

وتم عقد اجتماع للتشاور في كارثاجو بتونس، في منزل ابو الهول وكان الموضوع المسيطر ذلك المساء بطبيعة الحال هو أزمة الخليج. وكانت الساعة تشير في تلك اللحظة الى ٢٣,٤٠، وفجأة فتح الباب. دخل واحد من حراس ابو الهول، وهو بالذات حمزة ابو زيد، ووقف امام الرجال، ورفع مدفع الكلاشينكوف بعد أن فك أمانه وافرغ الخزنة بأكملها مع استمرارية النيران. ومن جراء وابل الرصاص مات قادة منظمة التحرير الفلسطينية الثلاثة وأحد الحراس.

ولقد كان القاتل احد الأتباع السابقين لأبي نضال صديق صدام حسين، كان قد عاد لأول مرة منذ عام من ليبيا. وقد أخذ الجاني أرملة وأحد ابناء ابو الهول كرهينتين. ثم طالب بالخروج الحر كما طالب بطائرة، لتوصله الى خارج البلاد، ولكن التونسيين لم يسمحوا لهذا الفلسطيني بالخروج. وقاموا بقفل أبواب الفيلا بالمزلاج وحاصروا المكان لمدة ست ساعات طوال. وبعدئذ تيسر لهم التغلب على الجاني الوحيد. وفي النهاية تم إلقاء القبض على أحد عشر فلسطينياً آخرين. وتم احضار الحارس حمزة ابو زيد امام إحدى محاكم منظمة التحرير الفلسطينية. وقد صدر الحكم بإعدامه في اليمن.

وبحماس غير بالغ حاولت منظمة التحرير الفلسطينية ان تثبت ان الموساد هي التي اقترفت ذلك الإثم. وبعد يومين من واقعة الاغتيال قال عرفات: «ومع هذا الاثم الذي يستحق الكراهية والبغض فقد حاول الفاشيست الأعداء ان يجعلوا شعبنا وثورتنا في هذه اللحظة الفاصلة ان يواجه بعضهم البعض بطعنات قاتلة. إلا أنهم قد أخطأوا...» وكان هذا الخطاب الفصيح لرجل يعرف أكثر مما يقول.

(٣)

ووفقاً لقانون العادة عندما يكون هناك اغتيال يكون هناك ثأر هذا ما كانت تتذكره الأرملة جورجينا رزق كلما فكرت في قدرها. فتلك المرأة التي كانت ذات يوم من أجمل نساء العالم العربي شاهدت الكثير منذ يناير ١٩٧٩ العصيب وقطعا فإن هذا الوقت بالنسبة لها ما زال ماثلاً أمام عينيها. ففي صباح يوم ١٥ مايو ١٩٧٩، في الوقت الذي كانت تحتفل فيه اسرائيل بالعيد الـ ٣١ ولد علي الابن الثالث لسلامة. وارثاً لطبيعة أبيه. وقد صرحت جورجينا في المستشفى. «لقد أصبحت اليوم ملكة. لقد عاد علي. لقد كان علي حسن الإبن الروحي لعرفات وكلاهما من أبناء الثورة. وأبناء علي هم حسن،

وأسامة وابني الوحيد وهم في نفس الوقت أبناء الثورة، إن هذا يجعلني سعيدة الطالع». وهذا الطفل، وفوق كل شيء أمه، سيكونون من قادة منظمة فتح بالتمام.

عاشت في لبنان مدة أربع سنوات، وهكذا عايشت جورجينا الحملة الإسرائيلية، ولكنها لم تتحمل استمرارية الحرب. وبأسبوعين قبل انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية غادرت بيروت الى حيث يتجه معظم اللبنانيين ليعيشوا - إلى باريس. وفي إحدى مقابلاتها الصحفية النادرة قالت: «تلك أوامر عرفات الشخصية. لقد اشترت منظمة التحرير الفلسطينية لي سكناً وترسل لي نقوداً شهرياً من أجل دراسة علي». ملكة الجمال السابقة، لم تستقر في باريس مباشرة وفقا لقانون الثورة ولقد تعهدت بالقيام باتصالات تستثير القلب لتصل صرخاتهم الى الشخصية الرمزية المتعددة الجوانب للمجتمع اللبناني.

بعد خمس سنوات ونصف من استشهاد علي حسن سلامة اتجهت جورجينا نحو التغيير - وتزوجت وكان سعيد الحظ يدعى عبدو سالم وهو رجل اعمال لبناني.

في عام ١٩٨٧ تحركت الأرملة مرة اخرى الى الشرق الأوسط، وهذه المرة الى القاهرة. وكما قالت في ذلك الحين، ان علي لا بد أن يدرس اللغة العربية في نهاية الأمر وأن يترعرع بأسلوب صحيح. وبسهولة سمح لأسرة رزق بالسكن في حي الفيلات بالمعادي، حيث كان في ذلك الحين يتواجد العديد من الأصدقاء المحدودين من بيروت القديمة. وكانت المنطقة اللبنانية الفخمة على النيل كافية لإيجاد فعالية مؤثرة. وكما قالت جورجينا رزق في حينه فقد رأت احلاما رهيبة. «كنت أستحم في الدم وقبل أن أستيقظ، وفي كل مرة كان هنالك انطباع، إنني أختنق بالدم».

وفي إحدى المقابلات الصحفية تحدثت جورجينا كثيراً عن أبو حسن سلامة: «لقد بذلت جهدي، لكي أنشىء علي تنشئة عادية. وعلى ذلك فإنني أتعجل أن يصبح انساناً طيباً. لا بد وأن يستخدم القيم الايجابية وكان «علي» في ذلك الحين يعلم، أن ذلك لا يمكنه أن يحصل عليه من زملائه التلاميذ في المدرسة الأميركية». وقالت جورجينا: «إنه يعلم أنه من الأفضل له، ان يكون بعيدا عن الأولاد الاسرائيليين». وبخلاف ذلك فإن الشاب البالغ من العمر في تلك الأيام الثالثة عشرة لم يعد بدون أب. لقد تزوجت امه منذ عام من المغني وليد توفيق.

هذا ويقترب شقيق «علي» المدعو حسن والذي يبلغ من العمر ٢٥ عاماً من إنهاء دراسته في الولايات المتحدة. وبعدئذ يعود الى رحم عشيرة سلامة، والتي يرجح أنها تعيش في عمان. ويتعلق التطور الأخير لأولاد ابو حسن الثلاثة في النهاية من نقطة الوصول الى «سياسة سلامة وشرقي أوسطية» ان اسم سلامة له صداه الرنانة في عالم الفلسطينيين. إنه التزام.

* * *

ان اريكا تشامبرز، بالنسبة لأرملة سلامة الثانية «سيدة شاذة» وإنها ليست من الشخصيات العلنية في الحياة، وكما هو الحال بالنسبة للكثيرين، الذين قدموا خدمات للموساد، فإنها تعيش حياة عادية بعد إحالتها الى التقاعد. ويمكنها الاستمتاع بشهرة أعمالها داخل دوائر صغيرة لأصدقاء الأسرة كما أنه كثيراً ما يتواجد رجال أمثال مايك هراري هناك، كلما احتاجت الى المساعدة. ومن ناحية أخرى لا بد وأن تختفي، حتى

تهرب من مصيرها، حيث ان أحدهم في شهر سبتمبر ١٩٨٥ قد وجدها في ميناء اليخوت بلارنكا. وفوجئت به تشامبرز، أن منظمة التحرير الفلسطينية ليست في حالة تصالح، ولا مجال للمطالبة بضمانات أمنية لصالح عميلة الموساد.

وبعد استشهاد علي سلامة طورت المرأة الانكليزية صاحبة الاسم الأصلي أريكا تشامبرز علاقة قوية مع أمها فلقد تزوجت لونامارجيت تشامبرز، تزوجت في شهر اغسطس ١٩٧٨ من جديد وكان زوج ام اريكا يدعى روبرت بريستون، والذي كان فيما مضى من اصدقاء ابيها ماركوس. هذا وكانت اريكا وباقي الأسرة قد تقابلوا معه ذات مرة في إحدى الاجازات الجماعية. ولم يتحدث احد عن كل ما حدث من الموساد والعمليات ضد علي سلامة. وقد أكدت اريكا لأمها على الدوام انها كانت ضحية لخطأ في الأسماء. فلم تكن هي بل واحدة اخرى هي التي ارتكبت هذا العمل. كان ذلك اعتقاد لونابريستون.

وقد مات روبرت بريستون، والذي يقترب من عامه السبعين عندما كان يقضي شهر العسل مع لونا، في إحدى الاجازات السياحية في اسرائيل. وبعد فترة زمنية قصيرة وبالضبط يوم ٢٢ ابريل ١٩٨٧، أصيبت ام اريكا تشامبرز والتي كانت تبلغ في ذلك الحين ٧٤ عاماً، بالتهاب رئوي، وقد أخبرت ابنتها بقرب وفاتها، ومن ثم فإنها ستدفن في أرض الميعاد. لقد كانت صدمة قاسية بالنسبة لأريكا. وحتى اختيار المرافق لا بد عندئذ من إظهار حب لا حدود له للموت. إن ما تبقى من لونا بريستون يوجد على جبل الزيتون.

(ووفقاً للمعتقدات التقليدية فإن من يدفن هناك سيبعث على الفور يوم مجيء المسيح) وكتبت اريكا هذا، ويوجد فوق الحجر العريض في الفهرس عدة كلمات هي «هنا ترقد أمي الحبيبة، ابنة البيت الكبير...».

تلك هي قصة اريكا تشامبرز أخطر جاسوسات اسرائيل.

انتهت

ثبت المراجع

١ ـ بارزوهار، ماكل وهاير، اتيان: بحثاً عن الأمير الأحمر، نيويورك: ويليام مورو وشركاه، ١٩٨٣.

٢ ـ بلاك، ايان وموريس، يني: حروب اسرائيل السرية. تاريخ المخابرات الاسرائيلية الغير مروي. لندن. هاميش هاميلتون، ١٩٩١.

٣ ـ بيكر، جيليان: منظمة التحرير الفلسطينية. صعود وسقوط منظمة التحرير الفلسطينية، لندن: جورج وايديتفليد وينكلسون، ١٩٨٤.

٤ ـ كوبان، هيلينا: منظمة التحرير الفلسطينية. الشعب، والسلطة والسياسة. كمبريدج: مطبعة جامعة كمبريدج، ١٩٨٤م.

٥ ـ ويلون، ريتشارد: القوات العسكرية الاسرائيلية السرية، نيويورك شركة تابلنجر للنشر، ١٩٧٧.

٦ ـ دويسون، كريسوفر: منظمة سبتمبر (ايلول) الأسود. تاريخها القصير، العنيف. لندن. روبرت هال وشركاه، ١٩٧٤.

٧ ـ حقائق في الملفات Hrsf: المأزق الفلسطيني. رجال العصابات العرب والارهاب الدولي، نيويورك، ١٩٧٧.

٨ ـ فيسك، روبرت: رثاء للأمة. لبنان في حرب. لندن: أندريه ووليش، ١٩٩٠.

٩ ـ فولاث، آيرليش: عيون داود. شجاعة الكوماندوز السريون الاسرائيليون، كامبردج: جرونرويار، ١٩٨٢.

١٠ ـ فرنجي، عبدالله: منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين. الماضي والحاضر، فرانكفورت ـ فايق ـ آر. جبه، فيشر، ١٩٨٢.

١١ ـ جورز، أندرو، ووكر، كوني: وراء الأسطورة. ياسر عرفات والثورة الفلسطينية، لندن: يليو. اتش. آلن، ١٩٩٠.

١٢ ـ جروسارد، سيرج: دم اسرائيل، نيويورك: ويليام مورد وشركاه ١٩٩٣.

١٣ ـ هارت، آلان: عرفات. ارهابي أم صانع سلام، لندن: سيدجوبك وجاكسون، ١٩٨٤.

١٤ ـ هارتونج، آرنولد Hrsg: كبوة الزمن وصراع الشرق الأوسط ١٩٢٠ ـ ١٩٧٩، برلين: داريلين للنشر، ١٩٧٩.

١٥ ـ اجناتيوس، دلقيد: جذور الجحيم. ميونتج: دار تشريول ليسف، دون تاريخ.

١٦ ـ يوناس، جورج: تأدنا، دور وحدة كوماندوز اسرائيلية: ميوتنج: درموش، دار نشر تحت التأسيس، ١٩٨٤.

١٧ ـ كاتس، صامويل ام: حراس دون حدود. **الحرب الاسرائيلية ضد الارهاب**، لندن: مطبعة القوات المسلحة والمدرعات، ١٩٩٠.
١٨ ـ كيمب، فريدريك: صعود وسقوط نورييغا. **لعبة البوكر الخطيرة البانامية مع الولايات المتحدة الأميركية**، فيينا: هانيبال للنشر، ١٩٩١.
١٩ ـ خلف، صلاح (أبو اياد): **الوطن أو الموت**: حرب تحرير فلسطين. تقديم ومشاركة أريك رولو، وسلدورف، فيينا، Econ للنشر، ١٩٧٩.
٢٠ ـ كوستر، ريتشارد ام، وسانكيز، جويلرمو. **في زمن الطغاة**، باناما: ١٩٦٨ ـ ١٩٩٠، نيويورك/ لندن: دبليو. دبليو. نورتن وشركاه، ١٩٩٠.
٢١ ـ لافين، جون: منظمة التحرير الفلسطينية بين الارهاب والدبلوماسية، الأماكن القديمة، باناورما للنشر شركة مساهمة، ١٩٨٣.
٢٢ ـ ليفنجستون، نيل سي: فرقة **الارهاب المضاد**. «عالم الأشباح المشؤوم»، الارهابيون المضادون، والمغامرون، **والمحترفون غير الكاملين**، ليكستيجتون: دي. سي. هيث وشركاه ١٩٩٠.
٢٣ ـ لوتز، فولفجانج: جاسوس الشمبانيا، **سونتج**: آر. بايير، ١٩٨٨.
٢٤ ـ ميلمان، يوسي ورافيف، وان: **الجواسيس الغير كاملين**: تاريخ الاستخبارات الاسرائيلية، لندن، سيوجويك وجاكسون، ١٩٨٩م.
٢٥ ـ ميراري، آريل والاد، شلومو: **الابعاد الدولية للارهاب الفلسطيني**، تل أبيب: مركز يافا للدراسات الاسرائيلية، ١٩٨٨.
٢٦ ـ أوبالانس، أودجار: سلطة **رجال العصابات العرب ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢م**، لندن، ڤاير وڤاير، ١٩٧٤م.
٢٧ ـ أوستروفسكي، فيكتور وهوي، كلير: **الموساد**. **عميل سابق للموساد يكشف النقاب عن أساليب المخابرات الاسرائيلية**، هامبورج: هوفمان وشركاه، ١٩٩١.
٢٨ ـ بايق، رونالد: الموساد. سلاح **المخابرات الاسرائيلي**، ارلانجن/ بون/ فيينا: شتراوب للنشر، ١٩٩١.
٢٩ ـ شرايبر، فريدرليش وقولفزون، مايكل: **حكايات** من الشرق ونشأة الصراع، الطبعة الثانية، أو بلادن، ليسكه، بودريش، ١٩٨٩.
٣٠ ـ ستيوارت، ستيفن: كبار جواسيس اسرائيل، نيويورك: كتب بالاناتين، ١٩٨٠.
٣١ ـ تينين، ديفيدلي. ومشاركة واج كريستين: **ثأر** الكوماندوز. المخابرات الاسرائيلية تصطاد جناة ميونيج، فرانكفورت/ ماين: جوفرتس، اس. فيشر للنشر، ١٩٧٦.
٣٢ ـ توبهوفن، رولف: الصراع **الاسرائيلي ـ العربي**، بون: المركز الاتحادي للدراسات السياسية، ١٩٩٠.
٣٣ ـ تويهوڤن، رولف: الموت في سبيل الله. **الشيعة والارهاب**، هيرفورد: يوسه وسيڤالد للنشر، ١٩٩١.

المحتويات

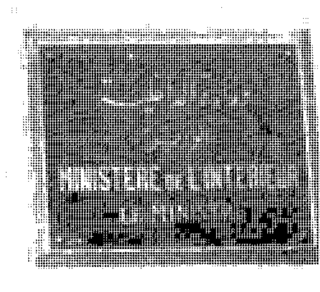
الباب الرابع: حقبة الثمانينات

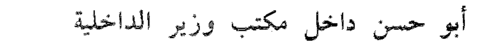
1993/11/493



علي حسن سلامه (أبو حسن)







أبو حسن داخل مكتب وزير الداخلية



الشهيد البطل علي حسن سلامه (أبو حسن)



زيارة عرفات لشمعون في مستشفى الجامعة الاميركية ١٩ آب ١٩٧٥

ريمون اده يتوسط أبو الحسن وأبو فراس لدى الاجتماع بينهما في ١ أيار ١٩٧٥



أم حسن أرملة الشهيد علي حسن سلامه (أبو حسن) بعد استشهاد زوجها والى يسارها ابنها حسن وأبو اياد



جورجينا رزق مع ابنها علي سلامه



أبو عمار محاطاً بالشاوي وجنبلاط أثناء مسيرة التشييع ٢٤ ك٢ ١٩٧٩



مأتم الشهيد علي حسن سلامه (ابو حسن) ورفاقه جميل حسن صلاح، علي عبد الرزاق، خليل أحمد حسين عوده، خالد الاسمر ٢٤ ك٢ ١٩٧٩ (تشييع الجثمان)



حسن سلامه نجل الشهيد علي حسن سلامه مع أبو اللطف وأبو صالح وأبو موسى يتقبلون التعازي باستشهاد والده (أبو حسن)



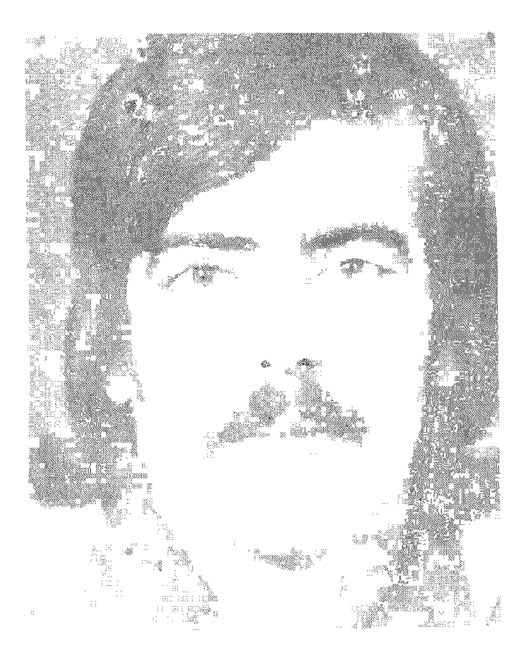
حسن نجل الشهيد علي حسن سلامه أبو حسن بعد استشهاد والده يرفع شارة النصر وعن يمينه
أبو جهاد وعن يساره ياسر عرفات



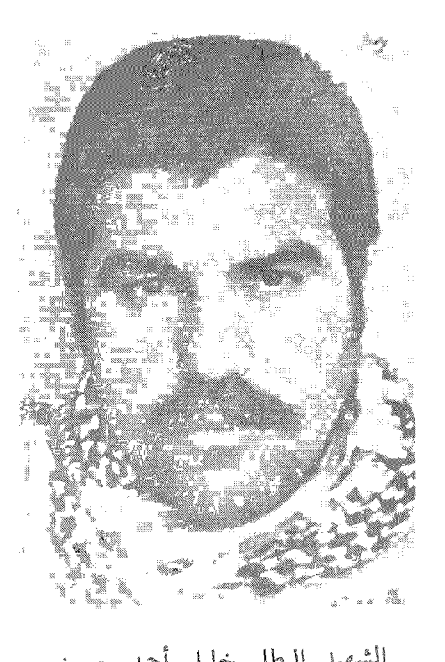
السيارة التي كانت تقل أبو حسن سلامه بعد حادثة اغتياله.



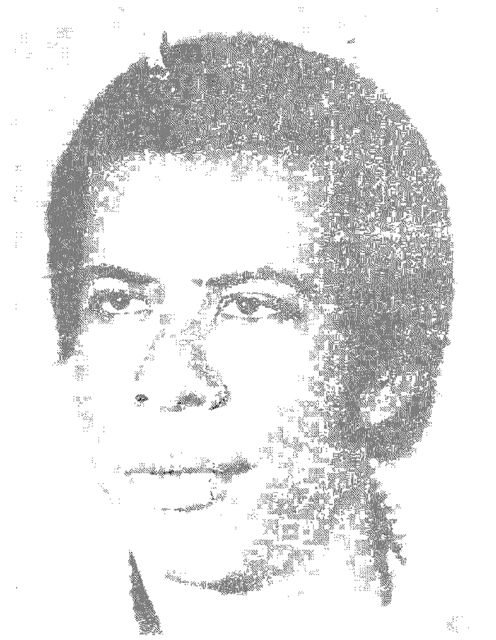
ام حسن زوجة الشهيد أبو حسن سلامه في حديث عن زوجها لجريدة اللواء ٣ آذار ١٩٧٩



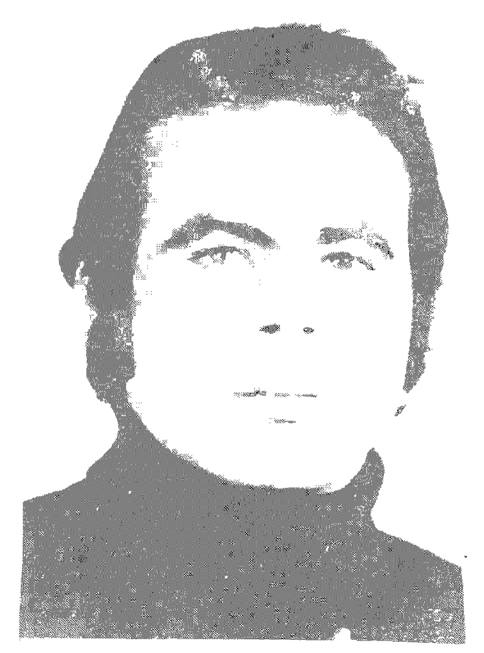
الشهيد جميل حسن صلاح



الشهيد البطل خليل أحمد حسين



الشهيد البطل خالد الاسمر



الشهيد علي عبد الرازق

حرس أبو حسن سلامه



أبو حسن سلامه / وفاته / ٢٢ / ١ / ١٩٧٩

هذا الكتاب

يتوغل هذا الكتاب في عالم مظلم مخيف. فهو يتناول باستفاضة لم يسبق لها مثيل، تاريخ القوات الفدائية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي تم تسجيلها تحت اسم منظمة «أيلول الأسود»، والتاريخ الدامي للشرق الأوسط. كما أن هذا الكتاب تعمق داخل أسرار فرق الانتقام التابعة لجهاز الموساد الاسرائيلي. ومحور الأحداث يدور حول رئيس منظمة «أيلول الأسود» «علي حسن سلامة»، وغريمه في الموساد مايك هاراري، وعميلة شابة تدعى «اريكا ماريا تشامبرز»، وهي انكليزية تم تكليفها بمهمة اغتيال علي حسن سلامة.

ولم يستطع الموساد بعميلاته اصطياد زعيم هذه المنظمة وأتباعه ومعاونيه في العملية الانتحارية الشهيرة أثناء دورة الألعاب الأولمبية في ميونيخ، إلا بعد سبع سنوات متواصلة من التخطيط والرصد السري المثير.

إذ أن القصة لم تكن قد وصلت بعد الى نهايتها عندما وقع علي حسن سلامة أخيراً كضحية «لأريكا تشامبرز» حيث أقسمت منظمة التحرير الفلسطينية على الانتقام وأرادت أن يتم تنفيذه في المانيا ونشأت من هنا فترة مجهولة إلى حد ما من التاريخ الألماني المعاصر حيث وجد تعاون من طرف واحد بين منظمة التحرير الفلسطينية والمخبرين الألمان.

وقد فشلت إحدى المحاولات لاغتيال اريكا تشامبرز في قبرص. إذ اغتالت منظمة التحرير سيدة أخرى.

كل هذا يعد جزءا من المأساة التي لا تنتهي في الشرق الأوسط ـ لعبة التبادل الأبدية بين الانتقام ورد الفعل له، بين الكراهية والمعاناة ونتيجة لذلك، ربما يمكن أن تكون هناك مباحثات سلام حقيقية، على شرط الغفران من الطرفين، والمحاولة لاعتدال بعيد المدى.



المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

التوزيع



تصميم الغلاف : « لينا الصبّان »